طرائف المضحكين

من

الملوك والشعراء والحمقى والمغفلين

إعداد وترتيب

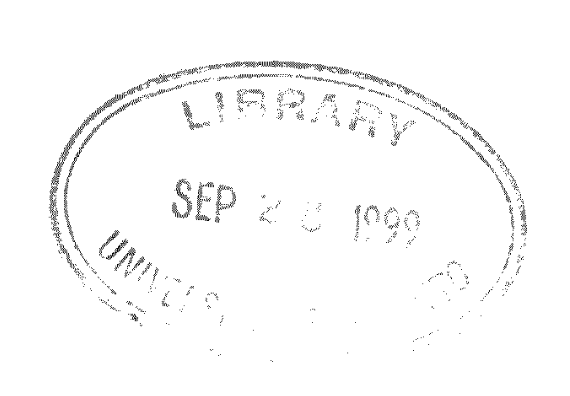
محسن عقيل

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠



الطَبعَة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

مؤسّسة الأعلمي للمَطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.

ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠

الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY

Al Alami Library

BEIRUT - LEBANON

P.O. BOX 7120

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

اعلم أرشدك الله تعالى أنّ الأرواح قد تكل من مطالعة العلوم وإدراكها فتحتاج إلى التروّح تارة بالحكم العلميّة وتارة بالنزول إلى عالم البشر وسلوك مسالكهم وذلك لأنّ إدراكات العلوم لذات الروح وغذاؤها واللذة إذا دامت على خلاف العادة يحصل منها الملال كالأطعمة الحسنة بالنسبة إلى طبيعة البدن فلا بد من أن تفرحها وتمرحها حتّى يحصل لها نشاط جديد ومزيد اقبال على المطالعات والإدراكات.

وفي حكمة آل داود: حقّ على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات، فساعة: فيها يناجي ربّه، وساعة يحاسب نفسه، وساعة يفضي إلى اخوانه الّذين يصدقونه عن عيوب نفسه وساعة يخلى بين نفسه ولذاتها فيهما يحلّ ويحمد، فإنّ في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات واجماعاً للقلوب، وفي رواية ان هذه النفوس تملّ وهذه القلوب تدمر فابتغوا لها طرايف الحكم وملاهيها.

هـــذا الكتـــاب لا نظيـــر لـــه	في بحث أمثاله في سائر الكتب
كتاب كالروض ضاهى عرفه أبداً	عرف الغواني معانٍ فيه كالضرب
كتاب تحسر عنه العين إن نظرت	ولا شبيه له في العجم والعرب
تخاله نور روض قد بدا نظراً	أو ناصع الورق يتلو قاني الذهب
يميس مثل عروس في غلائلها	يمسي أبو قلمون منه في تعب

محسن عقيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لم أطلقه على بغض

قال المدائني: تزوّج حصن بن خليد بن الورد بن الحارث امرأةً، ثم طلّقها، فجاء إخوتها ليحملوها، فقالت:

ـ مرّوا بي على المجلس بالحيّ أسلّم عليهم، فَنِعْم الأحماء كانوا.

فأقبل هو، وهي في قبّتها، فقالت:

جزاكم الله خيراً.

قالوا:

ـ ما الذي تودّين قوله؟

قالت:

إنّي أريد أن أقول لكم إنني حامل.

فوثب حصن فقال:

ـ كلّ مملوك لي حرّ إن كنت كشفت لها كتفاً.

قالت: الله أكبر، إنّما أردت أن أعلمكم أنّي لم أطلّق من بغض ولا قلىٰ، فعليكم السلام

شرّ النساء

قيل لأعرابي كان ذا تجربة: صف لنا شرّ النساء.

فقال: شرّهنّ النحيفة الجسم، القليلة اللحم، المحياض الممراض، المصفرّة، الميشومة، العسرة، المبشومة، السلطة، البطرة، السريعة الوثبة، كأنّ لسانها حربة، تضحك من غير عجب، وتبكي من غير سبب، وتدعو على زوجها

بالحَرَب، أنفٌ في المساء، وإست في الماء، عرقوبها حديد، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات، وتفشي السيّئات، تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها عليه رأفة، ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت، وإن ضحك بكت، وإن بكىٰ ضحكت، كثيرة الدعاء، قليلة الإرعاء، تأكل لمّاً، وتوسع ذمّاً ضيّقة الباع، مهتوكة القناع، صبيّها مهزول، وبيتها مزبول، إذا حدّثت تشير بالإصبع، وتبكي في المجامع، بادية من حجابها، نبّاحة عند بابها، تبكي وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة، قد دلّىٰ لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور، ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور.

بين فتاة وشابّ

خرج رجل يتنزّه على جسر دجلة، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة، متوجّهة إلىٰ الجانب الغربي، فاستقبلها شابّ فقال لها:

ـ رحم الله عليّ بن الجهم.

فقالت المرأة في الحال: رحم الله أبا العلاء المعرّي.

وتابعت سيرها مشرّقة، ومرّ هو مغرّباً. فتبع الرجل المرأة وقال لها:

ـ إن لم تقولي ما قلتما، وإلاّ فضحتك، وتعلّقتُ بكِ.

فقالت: قال الشابّ: رحم الله عليّ بن الجهم، وأراد به قوله:

عيون المها بين الرصافة والجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوَىٰ مِنْ حيثُ أدْري ولا أدْرِي

وأردت بترحّمي على المعرّي قوله:

فيا دارَها بالحَزْنِ إنّ مزارها قَرِيبٌ ولكنْ دون ذلك أهْوالُ

أوّل الحبّ شجار

كان جميل بن معمر يرعىٰ إبله في «وادي بغيض»؛ فجاءت ابنة عمّه بثينة فنفرت إبله، فتشاتما، فعلق قلبه بحبّها، وصوّر تلك الحادثة بقوله:

وأَوَّلُ ما قادَ المَوَدَّةَ بَيْنَنَا بِوادِ بغيضٍ يا بُثَيْنَ سِبَابُ

فَقُلْنـا لهـا قَـوْلاً فَجَـاءَتْ بِمِثِلِـهِ   لِكُـلِّ كَـلاَمٍ يـا بُثَيْـنَ جَـوَابُ

هو وابن ثوابة

قال ابن ثوابة لأبي العيناء: كنتُ أكتبُ أنفاسَ الرجال.

قال: صدقتَ، حين كانوا وراء ظهرِكَ.

المهلّب وجاريته

نظر المهلّب بن أبي صفرة إلىٰ فتىٰ يكلّم إحدىٰ جواريه، فدعا الجارية، وقال لها:

ـ ما حملك على كلام من رأيتِ؟

فقالت: يا سيدي:

لأنّ لـه مِـنْ مَحْـضِ قلبـي مـودَّةً   لهـا تحـت أحْنَـاءِ الضُّلـوعِ خُفُـوقُ
إلـىٰ غَيْـرِ سـوءٍ فـاعْلَمَـنَّ كَـلاَمُنـا   ولكـن لِشَـوْقٍ والمُحِـبُّ مَشُـوقُ

فدعا الفتىٰ، فقال له: ما حملك على كلام هذه؟

فقال:

لأنّ لهـا فـي القَلْـبِ منّـي محبَّـةً   وفـي طـيِّ صَـدْري لَـوْعَـةٌ وحَـرِيـقُ
وإنّـي لأهـواهـا علـى كـلِّ حـالـةٍ   وإنّـي إليهـا مـا حَيِيـتُ أتُـوقُ

قال المهلّب:

لعمـريَ إنّـي للمحبّيـن رَاحِـمٌ   وإنـي بحفـظ العـاشقيـن حَقِيـقُ
سـأجمـعُ منكـم شَمـلَ ودٍّ مبـدَّدٍ   فـإنـي بمـا قـد تَـرْجـوانِ خليـقُ

ثم وهبها له، وأمر له بخمسة آلاف دينار.

اختبار

كان رجلان يتعشّقان امرأة: وكان أحدهما وسيماً جميلاً، وكان الآخر

دميماً. فكان الجميل منهما يقول:

- عاشرينا وانظري إلينا.

وكان الدميم يقول:

- جاورينا واخبرينا.

فكانت تدني الجميل.

فقالت في نفسها:

- لأختبرنّهما.

فأهدت لكل واحد منهما جزوراً ثم أتتهما متنكرّة، فبدأت بالجميل، فوجدته عند القدر يلحس الدسم، ويأكل الشحم، ويقول:

- احتفظوا كلّ بيضاء لِيَهْ: (يعني الشحم).

فاستطعمته، فأمر لها بثيل الجزور، فوضع في قصعتها.

ثم أتت الدميم، فإذا هو يقسم لحم الجزور، ويعطي كلّ من سأله. فسألته، فأمر لها بأطايب الجزور، فوضع في قصعتها. فرفعت الذي أعطاها كلّ واحد منهما على حدة. فلمّا أصبحا، غَدَوا إليها، فوضعت بين يديّ كل واحد منهما ما أعطاها. وأقصت الجميل، وقرّبت الدميم.

عمر والحطيئة

زعم الزبرقان أنّ الحطيئة قد هجاه، فٱسْتَعْدىٰ عليه عمر. ولمّا أنشده البيت:

دَعِ المكــارِمَ لا تَــرْحَــلْ لِبُغْيَتِهــا   وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَاعِمُ الكاسي

قال عمر: «ما أراه قال لك بأساً» قال الزبرقان: «سلِ ابن الفريعة، يعني «حسّان» فإن لم يكن هجاني فلا سبيل عليه» فأرسل إلىٰ حسّان فسأله هل هجاه في هذا البيت؟. قال: «وقد هجاه وأقبح به» فحبسه. فقال الحطيئة وهو محبوس:

مَــاذَا تَقُــولُ لأفــراخٍ بــذي مَــرَخٍ   حُمْــرِ الحَــوَاصِــلِ لا مــاءٌ ولا شَجَــرُ
أَلْقَيْــتَ كــاسِبَهُــمْ فــي قَعْــرِ مُظْلِمَــةٍ   فــٱغْفِــرْ عَلَيْــكَ سَــلاَمُ اللّــهِ يــا عُمَــرُ

ولما سمع عمر قول الحطيئة رقّ على أولاده، وعفا عنه، ثمّ قال له: «إيّاك

والهجاء» فقال الحطيئة: «إذاً يموت عيالي جوعاً هذا مكسبي ومنه معاشي» عند ذلك اشترىٰ عمرُ منه أعراض المسلمين بأن خصّص له مرتّباً يتقاضاه من بيت المال على أن لا يهجو أحداً.

عبد اللّه بن الزبير والجمانة بنت المهاجر

قيل: إنّ الجمانة بنت المهاجر بن خالد بن الوليد، نظرت إلىٰ عبد الله بن الزبير وهو يصعد إلىٰ المنبر، يخطب بالناس يوم الجمعة، فقالت حين رأته:

ـ أيا نقّار، انقر يا نقّار، والله لو كان فوق نجيب من بني أميّة، أو صقر من بني مخزوم لقال المنبر: طيق طيق.

قال: فأنمي كلامها إلىٰ عبد الله بن الزبير، فبعث إليها، فأتي بها، فقال لها:

ـ ما الذي بلغني عنك يا لكاع؟

قالت: الحقّ أبلغت يا أمير المؤمنين.

قال: فما حملك على ذلك؟

قالت: لا تعدم الحسناء ذامّاً، والساخط ليس براضٍ، ومع ذلك فما عدوت فيما قلت لك. أن نسبتك إلىٰ التواضع والدين، وعدوك إلىٰ الخيلاء والطمع، ولئن ذاقوا وبال أمرهم لتحمدنّ عاقبة شأنك، وليس من قال فكذب كمن حدّث فصدق، وأنت بالتجاوز جدير، ونحن للعفو منك أهل، فاستر على الحرمة تستتم النعمة، فوالله ما يرفعك القول، ولا يضعك، وإنّ قريشاً لتعلم أنّك عابدها وشجاعها ولسانها، حاط الله دنياك وعصم أُخراك، وألهمك شكر مولاك.

اختار الأخ

قيل لامرأة من الخوارج، كان الحجّاج قد أسر لها زوجها، وولدها، وأخاها:

إنّ الحجّاج يطلب إليك أن تختاري أحد هؤلاء الأسرىٰ الثلاثة ليطلق سراحه. فمن تختارين؟

فأطرقت هنيهة ثم قالت: الزوج موجود، والابن مولود، والأخ مفقود، اختار الأخ.

فقال الحجّاج: عفوت عنكم جميعاً لحسن كلامها وحكمتها.

الرشيد والجارية

قال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ: دخلت على الرشيد وعنده جارية قد أهديت له، ماجنة، وشاعرة، وأديبة، وبين يديه طبق فيه ورد، فقال لي:

ـ أما ترىٰ حسن هذا الورد ونضرة لونه؟

قلت: بك والله حَسُنَ ذلك، يا أمير المؤمنين.

قال: قلْ فيه بيتاً يشبّهه.

فأطرقت ساعة ثم قلت:

كـأنَّـهُ خـدّ مَـوْمُـوقٍ يُقَبِّلُـهُ فـمُ الحَبيـبِ وقـد أبْـدَىٰ بِـهِ خَجَـلا

فاعترضتني الجارية، وقالت:

كـأنَّـهُ لَـوْنُ خـدّي حيـنَ تَـدْفَعُنـي كَـفُّ الـرَّشِيـدِ لأمْـرٍ يُـوجِـبُ الغُسُـلا

فقال الرشيد: قم يا إسحاق، فقد حرّكتني هذه الفاسقة.

خذ ثوابك من اللّه

يحكىٰ أن رجلاً كان قبيح المنظر، له أنف أقبح من الأخنس والأفطس والأجدع، تزوّج فتاة ظريفة. ولما طلبها إلىٰ ما يريد الرجل من المرأة امتنعت، فمنّاها، وأظهر تعشّقه لها وأراعها بكلّ حيلة فلم تُجب، فقال لها:

خبّريني ما الذي يمنعك؟

قالت: قبح أنفك، وهو يستقبل عيني، فلو كان أنفك في قفاك لكان أهون عليّ.

فقال لها: جعلت فداك، الذي بأنفي ليس هو خلقة، وإنّما هو ضربة ضربتها في سبيل الله تعالىٰ.

فقالت، واستغربت ضحكاً:

ـ أنا ما أُبالي في سبيل الله كانت، أو في سبيل الشيطان، إنّما هو قبحه، فخذ ثوابك على هذه الضربة من الله تعالىٰ، أمّا منّي فلا.

من تستطيع تنييم الضبع على ركبتها لا تعجز عن تنييم زوجها على مخدّتها

حصل خلاف بين رجل وزوجته، فخشيت الزوجة أن يكبر الخلاف فيصير إلىٰ ما لا تحمد عقباه، فيعمد زوجها إلىٰ طلاقها. فذهبت، وشكت أمرها إلىٰ شيخ حكيم مجرّب، وطلبت منه أن يكتب لها كتاباً، أو يصنع لها حجاباً يعيد إليها ثقة زوجها ومودّته التي تغيّرت. فطلب الشيخ منها أن تذهب، وتحضر له سبع شعرات من شارب الضبع، ليصنع لها منها حجاباً واقياً.

فمضت المرأة، ثم رجعت بعد عشرة أيّام، وقالت للشيخ:

ـ هذه سبع شعرات من شارب الضبع، كما طلبت.

فذُهل الشيخ من هذا الأمر، لأنّه كان في خلده أنّه طلب منها ذلك ليثنيها عمّا تريد. ثم قال لها:

ـ كيف حصلت عليها؟

قالت: الأمر بسيط جدّاً، حملت كمّيّة من اللحم ذات مساء، وتوجّهت إلىٰ «مغر الخرائب» حيث أعلم أن هناك يعيش ضبع عتيق؛ وعندما اقترب منّي الضبع رميت له قطعة من اللحم، فالتهمها. وصرت كلّما دنا منّي أرمي له قطعة بعد أخرىٰ حتىٰ شبع، ورجع من حيث أتىٰ. وفي اليوم التالي أعدت الكرّة، ولمدّة خمسة أيّام متتالية؛ وفي اليوم السادس وجدته ينتظرني، وهو يهزّ لي ذيله ترحيباً بي، فرميت له ما كان معي من اللحم، ورجعت أدراجي. وفي اليوم السابع رأيت الضبع راقداً ينتظرني، فاقتربت منه، ورحت أناوبه قطع اللحم من يدي إلىٰ فمه مباشرة، وهو ينظر إليّ بعينين بريئتين كأنّه طفل وديع، فرحت أغنّي له، وأداعبه بالحلمسة فوق جبينه، وتحت ذقنه، وحول شاربيه حتىٰ استأنس بي، وأسلم نفسه إلىٰ نوم عميق، عندئذ تجرّأت، ومددت يدي إلىٰ شاربيه...

وهنا صاح الشيخ:

ـ كفىٰ! إنّ التي تستطيع تنييم الضبع على ركبتها لا تعجز عن تنييم زوجها على مخدّتها.

أنت الحسن

قال أبو نواس:

ـ استقبلتني امرأة، فأسفرت عن وجهها، فكانت غاية في الحسن والجمال، فقالت لي:

ـ ما اسمك؟

قلت:

ـ وجهك.

فقالت:

ـ إذن أنت الحسن.

طلّق خمساً في ساعة

قال أحدهم للرشيد: بلغني، يا أمير المؤمنين، أنّ رجلاً من العرب طلّق في يوم خمس نسوة، وإنّما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة، فكيف طلّق خمساً؟

قال: كان لرجل أربع نسوة، فدخل عليهنّ يوماً فوجدهّن متلاحيات، متنازعات، وكان سيّئ الخلق فقال:

ـ إلىٰ متىٰ هذا التنازع؟ ما أخال هذا الأمر إلاّ من قبلك، مشيراً إلىٰ إحداهنّ، اذهبي فأنت طالق!

فقالت له صاحبتها: عجّلت عليها بالطلاق، ولو أدّبتها بغير ذلك لكنت حقيقاً.

فقال لها: وأنت أيضاً طالق.

فقالت له الثالثة: قبّحك الله، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين، وعليك مفضلتين.

فقال: وأنت أيّتها المعدّدة أياديهما طالق أيضاً.

فقالت له الرابعة: وكانت هلاليّة، وفيها أناة شديدة:

ـ ضاق صدرك عن أن تؤدّب نساءك إلاّ بالطلاق!

فقال لها: وأنتِ طالق أيضاً!

وكان ذلك بمسمع جارة له، فأشرفت عليه، وقد سمعت كلامه، فقالت:

ـ والله ما شهدت العرب عليك، وعلى قومك بالضعف لما بَلَوْهُ منكم، ووجدوه فيكم، أبيت إلاّ طلاق نسائك في ساعة واحدة!

قال: وأنت أيضاً، أيّتها المؤنّبة المتكلّفة طالق إن أجاز زوجك. فأجابه من داخل بيته:

قد أجزت، قد أجزت، قد أجزت.

كلام مظلوم ووجه ظالم

تخاصم رجل وامرأته إلىٰ أمير من أمراء العراق، وكانت المرأة حسنة المنتقب، قبيحة المسفر؛ وكان لها لسان؛ فقال العامل، وكأنه مال معها:

ـ يعمد أحدكم إلىٰ المرأة الجميلة فيتزوّجها، ثمّ يسيء إليها.

فأهوىٰ الزوج النقاب عن وجهها. فلمّا رأىٰ العامل وجهها قال:

ـ عليك لعنة الله، كلام مظلوم ووجه ظالم.

جوّالة

خطب رجل امرأة أعرابيّة، فقالت له:

ـ سَلْ عنّي بني فلان وبني فلان، وبني فلان...

وعدّت له عدّة قبائل.

فقال: وما علمهم بكِ؟

قالت: قد نكحت في كلّهم.

فقال: أرىٰ بك جلنفعة قد حزمتك الحزائم.

قالت: لا، ولكنّي جوّالة بالرجل شمريس.

الطبيب أعلم

قيل: إنّ امرأة عجوزاً مرضت، فأتاها ابنها بطبيب، فلمّا رآها الطبيب متبرّجة، ومتزيّنة بأثواب مصبوغة عرف ما بها، فقال الطبيب:

ـ ما أحوجها إلىٰ زوج!

فقال الابن: وما حاجة العجائز للأزواج؟!

فقالت الأمّ العجوز: ويحك! الطبيب أعلم منك على كلّ حال.

ما زادك الشيب إلاّ جمالا

لمّا قدم المعتضد من الشام دخلت عليه بدعة (إحدىٰ الجواري) في أوّل يوم جلس فيه، فقال لها:

ـ يا بدعة، أما ترين الشيب كيف اشتغل في لحيتي ورأسي؟ فقالت له:

ـ يا سيّدي، عمّرك الله أبداً حتىٰ ترىٰ ولد ولدك قد شابوا، فأنت في الشيب أحسن من القمر.

ثم فكرّت طويلاً، وقالت:

مــا ضَــرّكَ الشيــبُ شيئــاً ... بــل زِدْتَ فيــه جمـــالا

قــد هَــذَّبَتْــكَ اللّيــالــي ... وَزِدْتَ فيـــه كمـــالا

فَعِــشْ لنــا فــي سـرورٍ ... وأنعِــمْ بعيشــك بـــالا

فــي نِعْمــةٍ وَسُــرورٍ ... ودولــةٍ تَتَعــالــىٰ

حبّه لا يتجاوز المعدة

ذُكر أنّ أبا القماقم بن بحر السقّاء، عشق جارية مدينيّة، فبعث إليها إنّ إخواناً لي زاروني، فابعثي إليّ بأطعمة حتّىٰ نأكلها ونصطبح على ذكرك.

فَفَعَلَتْ.

فلّما كان اليوم التالي، بعث إليها إنّ القوم مقيمون عندي، فابعثي إليّ بقليّة جزور ريّة، وبقريّة قدية حتىٰ نتغدّاها ونصطبح على ذكرك.

فلمّا كان اليوم الثالث بعث إليَها: إنّا لم نفترق، فابعثي بسنبوسك حتىٰ نصطبح اليوم على ذكرك.

فقالت لرسوله: إنّي رأيت الحبّ يحلّ في القلب ويفيض إلىٰ الكبد والأحشاء، وإنّ حبّ صاحبنا هذا ليس يتجاوز المعدة.

حلال وطيّب

قالت عجوز لزوجها: أما تستحي أن تزني وعندك حلال طيّب؟

فقال لها: أمّا حلال فنعم، وأمّا طيّب فلا.

حديث حبّ

دعت أبا الحارث جمّيز امرأةٌ كان يحبّها، فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام؛ فلمّا طال ذلك به قال:

ـ جعلني الله فداكِ، لا أسمع للغداء ذكراً!

فقالت: أما تستحي؟ أما في وجهي ما يشغلك عن ذا؟

قال: جعلني الله فداك، لو أنّ جميلاً وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئاً لبزَق كل واحد منهما في وجه الآخر وافترقا.

زِدْنا في الوزن نزدك في الحبّ

دخل بصريّ مدينة بغداد، فالتقىٰ بجارية جميلة فهَوِيَها، فلم يزل يكتب إليها فلا تجيبه. فكتب إليها يوماً رقعة يشكو فيها شدّة شوقه وولعه بها، وفي آخرها يقول:

هــل تَعْلَمِيــنَ وَرَاءَ الحُــبِّ مَنْـزِلَـةً تُـدنـي إلَيْـكِ فـإنّ الحُـبَّ أقْصَـانـي

فكتبت إليه:

نَعَـمْ حَبيبـي وَرَاء الحُـبّ مَنْـزِلَـةٌ بَـذْلُ الـدَّرَاهِـمِ يُـرْضـي كُـلَّ إنْسَـانِ
مَـنْ زادَ فـي الـوزنِ زِدْنـا فـي مَحَبَّتِـهِ مـا يَطْلُـبُ الـدَّهـر إلاّ فَضْـل رُجحـانِ

قَـدَر

قيل لبدويّة حسناء، ولها زوج قبيح:

ـ يا هذه، أترضَيْن أن تكوني تحت هذا؟

فقالت: يا هذا، لعلّه أحسن فيما بينه وبين ربّه فجعلني ثوابه، وأسأت فيما بيني وبين ربّي فجعله عذابي؛ أفلا أرضىٰ بما رضي الله به؟!

مثل هذا

قال الجاحظ لتلاميذه:

ـ ما أخجلني إلاّ امرأة أتت بي إلىٰ صائغ فقالت:

ـ مثل هذا.

فبقيت حائراً في كلامها؛ فلمّا ذهبت سألت الصائغ، فقال:

ـ استعملتني أن أصنع لها صورة جنّي، فقلت: لا أدري كيف صورته، فأتت بك.

الصابر والشاكر في الجنّة

كان لعمران بن حطّان زوجة جميلة، وكان هو قبيحاً قصيراً، فقالت له زوجته يوماً:

ـ أعلم أنّي وأيّاك في الجنّة.

قال: كيف؟

قالت: لأنّك أُعطيت مثلي فشكرت، وأنا بُليت بمثلك فصبرت. والشاكر والصابر في الجنّة.

عجوز تنصح ابنها

قال أبان بن تغلب:

ـ خرجت في طلب الكلأ، فانتهيت إلىٰ ماء من مياه كلب، وإذا أعرابيّ على ذلك الماء، ومعه كتاب منثور يقرأه عليهم، وجعل يتوعّدهم، فقالت له أمّه، وهي في خبائها مقعدة كبراً:

ـ ويلك! دعني من أساطيرك، لا تحمل عقوبتك على من لم يحمل عليك، ولا تتطاول على من لم يتطاول عليك، فإنّك لا تدري ما تقرّبك حوادث الدهور، ولعلّ من صيّرك إلىٰ هذا اليوم أن يصيّر غيرك إلىٰ مثله غداً، فينتقم منك أكثر ممّا انتقمت منه، فاكفف عمّا أسمع منك، ألم تسمع إلىٰ قول الأوّل:

لا تُعادِ الفقيرَ عَلَّكَ أن تَرْ كَعَ يوماً والدَّهرُ قد رَفَعَهْ

قال أبان: فقضيت العجب من كلامها وبلاغتها.

خصال لا نرضاها لبنات إبليس

قيل: خطب خالد بن صفوان امرأة فقال:

ـ أنا خالد بن صفوان، والحسب على ما قد علمته، وكثرة المال على ما قد بلغك، وفيّ خصال سأبيّنها لك، فتقدمين عليّ أو تدعين.

قالت: وما هي؟

قال: إنّ الحرّة إذا دنت منّي أملّتني، وإذا تباعدت عنّي أعلّتني، ولا سبيل إلىٰ درهمي وديناري، ويأتي عليّ ساعة من الملال لو أنّ رأسي في يديّ نبذته.

فقالت: قد فهمنا مقالتك، ووعينا ما ذكرت، وفيك بحمد الله خصال لا نرضاها لبنات إبليس، فانصرف رحمك الله.

إيّاك والمزاح

قال أحدهم: خرجت في بعض الليالي السود، فإذا بجارية كأنّها صنم، فراودتها عن نفسها فقالت:

ـ يا هذا! أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك زاجر من دين؟

فأخجلتني، فقلت لها: إنّما كنت مازحاً.

فقالت:

وإيَّاك إيَّاك المُزاحَ فإنَّهُ ... يُطَمِّعُ فيكَ الطِّفْلَ والرَّجُلَ النذلا

ويُذهبُ مَاءَ الوَجْهِ بَعْدَ حَيَائِهِ ... ويُورِثُ بَعْدَ العِزِّ صاحِبَهُ ذُلاَّ

الطبع غلاّب

روىٰ الأصمعي، قال: دخلت البادية، فإذا عجوز بين يديها شاة مقتولة، وجرو ذئب مُقْعٍ، فنظرتُ إليها فقالت:

ـ أتدري ما هذا؟

قلت: لا.

قالت: جرو ذئب أخذناه، وأدخلناه بيتنا، فلمّا كبر قتل شاتنا، وقد قلت فيه شعراً.

فقلت لها: ما هو؟

قالت:

بَقَرْتَ شويهتي وفَجَعْتَ قَلْبي ... وأنْتَ لِشاتِنا وَلَدٌ رَبِيبُ

غُذِيتَ بِدَرِّها وَرَبِيتَ فينا ... فَمَنْ أنْبَاكَ أنّ أباك ذِيبُ؟

إذا كان الطباعُ طباعَ سُوءٍ ... فَلَيْسَ بِنَافِعٍ فيها الأديبُ

دواء للفزع

كان أشعب يزور مراراً جارية في المدينة، ويظهر لها التعاشق، فسألته مرّة سلفة نصف درهم، فانقطع عنها، وكان إذا لقيها في الطريق سلك طريقاً آخر، فصنعت له نشوقاً، وأقبلت به إليه، فقال لها:

ـ ما هذا؟

قالت: نشوق عملته لك لهذا الفزع الذي بك.

فقال لها: اشربيه أنتِ للطمع الذي بك، فلو انقطع طمعك انقطع فزعي، وأنشأ يقول:

أخْلِفـــي مـــا شِئْـــتِ وَعْـــدي وٱمْنَحِينـــــي كُـــــلَّ صَـــــدِّ
قـــد سَـــلاَ بعـــدك قَلْبـــي فـــاْعْشَقــي مــن شئــتِ بَعْــدي
إنّنـــي آليــــتُ لا أعْشَــــقُ مـــن يَعْشَــــقُ نَقْــــدي

رأس أمّك ورأس أبي

اشترىٰ رجل رأسين، فوضعهما بين يدي امرأته، وقال:

ـ اقعدي لنأكل.

فأخذت رأساً، فوضعته خلفها، وقالت: هذا لأمّي.

فأخذ الرجل الرأس الآخر، ووضعه خلفه، وقال: هذا لأبي.

قالت: فماذا نأكل؟

قال: ضعي رأس أمّك، وأضع رأس أبي فنأكلهما.

كلام الليل يمحوه النهار

قيل: إنّ الأمين، وقيل الرشيد، كان يتجوّل في قصر له، إذ مرّ بجارية له سكرىٰ، وعليها كساء خزّ، تسحب أذيالها، فوعدته أن تزوره في اليوم التالي. فلمّا كان الغد، مضىٰ إليها، وقال لها: الموعد.

فقالت: يا أمير المؤمنين، أما علمت أنّ كلام الليل يمحوه النهار.

فضحك، وخرج إلىٰ مجلسه، وسأل عمّن بالباب من الشعراء، فقيل له:

ـ مصعب، والرقاشي وأبو نواس.

فأمر بهم، فدخلوا. فلمّا جلسوا بين يديه قال:

ـ ليقلْ كلّ واحد منكم شعراً يكون آخره:

«**كلام الليل يمحوه النهار**».

فأنشأ الرقاشي يقول:

مَتَىٰ تَصْحُو وَقَلْبُكَ مُسْتَطَارُ ... وَقَدْ مُنِعَ القَرَارُ فَلاَ قَرَارُ
وَقَد تَرَكَتْكَ صَبّاً مُسْتَهَاماً ... فَتَاةٌ لا تَزُورُ وَلا تُزَارُ
إذا ٱستَنجَزْتَ مِنها الوَعْدَ قَالَتْ ... كَلاَمُ اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النَّهَارُ

وقال مصعب:

أَتَعْذِلُنِي وَقَلْبِي مُسْتَطَارُ ... كَئِيبٌ لا يقِرُّ لَهُ قَرَارُ
يحِبُّ مَليحةً صَادَتْ فُؤادي ... بِأَلْحَاظٍ يُخالطها ٱحوِرارُ
ولمّا أن مَدَدْتُ يَدي إليها ... لأَلْمَسَهَا بدا مِنْها نِفَارُ
فَقُلتُ لها: عِديني مِنكِ وَعْداً ... فَقَالت: في غَدٍ مِنْكَ المزارُ
فلمّا جِئْتُ مقْتَضِياً أَجَابَتْ ... كَلاَمُ اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النهارُ

وقال أبو نواس:

وَخَودٍ أَقْبَلَتْ في القصر سَكْرىٰ ... وَلكِنْ زَيَّنَ السُّكْرَ الوَقَارُ
وَهَزَّ المَشْيُ أردافاً ثِقالاً ... وَغُصْناً فيه رُمّانٌ صِغَارُ
وَقَدْ سَقَطَ الرِّدا عن مِنْكَبَيْها ... مِنَ التَّجميشِ وٱنحَلَ الإزارُ
فَقُلتُ: الوَعْدَ سَيِّدتي، فقالَتْ: ... كَلاَمُ اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النهارُ

فقال له: أخزاك الله، أكنتَ معنا، ومطّلعاً علينا.

فقال: يا أمير المؤمنين، عرفت ما في نفسك، فأعربت عمّا في ضميرك.

فأمر له بأربعة آلاف درهم، ولصاحبيه بمثلها.

الوليد وأمّ البنين ووضّاح اليمن

عشقت أمّ البنين وضّاح اليمن، فكانت ترسل إليه فيدخل إليها، ويقيم عندها، وكانت تخفيه في صندوق عندها، وتُقفل عليه. وذات يوم أهدي للوليد جوهر له قيمة، فأعجبه واستحسنه، فدعا خادماً له فبعث به معه إلىٰ أمّ البنين، وقال:

ـ قلْ لها: إنّ هذا الجوهر أعجبني، فآثرتك به.

فدخل الخادم عليها مفاجأة، ووضّاح عندها، فأدخلته الصندوق، وهو يرىٰ، فأدّىٰ إليها رسالة الوليد، ودفع إليها الجوهر، ثم قال:

ـ يا مولاتي، هبيني منه حجراً.

فقالت: لا يا ابن اللخناء.

فرجع إلىٰ الوليد، فأخبره، فقال: كذبت يا ابن اللخناء.

وأمر به، فدُقّت عنقه.

ثم لبس الوليد نعليه، ودخل على أم البنين، وهي جالسة في ذلك البيت تتمشّط، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه، فجلس عليه؛ ثم قال لها:

ـ يا أمّ البنين، ما أحبّ إليك هذا البيت من بين بيوتك! ولمَ تختارينه؟

فقالت:

ـ أجلس فيه وأختاره، لأنّه يجمع حوائجي كلّها، فأتناولها منه كما أريد من قرب.

فقال لها: هبي لي صندوقاً من هذه الصناديق.

قالت: كلّها لك، يا أمير المؤمنين.

قال: ما أريدها كلّها، وإنّما أريد واحداً منها.

فقالت له: خذ أيّها شئت.

قال: هذا الذي جلست عليه.

قالت: خذ غيره، فإنّ لي فيه أشياء أحتاج إليها.

قال: ما أريد غيره.

قالت: خذه يا أمير المؤمنين.

فدعا بالخدم، وأمرهم بحمله، حتىٰ انتهىٰ به إلىٰ مجلسه، فوضعه فيه؛ ثم دعا عبيداً له، فأمرهم أن يحفروا بئراً عميقة في المجلس. فنحّىٰ البساط، وحفرت إلىٰ الماء. ثم دعا بالصندوق، فقال:

ـ يا هذا، إنّه بلغنا شيء، إن كان حقاً فقد كفّنّاك ودفنّاك، ودفنّا ذكرك،

وقطعنا أثرك إلىٰ آخر الدهر، وإن كان باطلاً، فإنّا دفنّا الخشب، وما أهون ذلك.

ثم قذف به في البئر، وصبّ عليه التراب، وسوّيت الأرض، وردّ البساط إلىٰ حاله، وجلس الوليد عليه. ثمّ ما رؤي بعد ذلك اليوم لوضّاح اليمن أثر في الدنيا منذ ذلك اليوم، وما رأت أم البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتىٰ فرّق الموت بينهما.

اذكري حاجتك

استأذنت بكارة الهلاليّة على معاوية بن أبي سفيان، فأذن لها، وهو يومئذٍ بالمدينة، فدخلت عليه، وكانت امرأة قد أسنّت وضعف بصرها، ووهنت قوّتها، ترعش بين خادمين لها، فسلّمت وجلست، فردّ عليها معاوية السلام، وقال:

ـ كيف أنتِ يا خالة؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين.

قال: غيّرك الدهر.

قالت: كذلك هو ذو غِيَر، من عاش كبر، ومن مات قُبر.

قال عمرو بن العاص: هي والله القائلة:

يا زيد دونك فاستشر من دارنا ... سيفاً حساماً في التراب دفينا
قد كنت أذْخُرُهُ ليَومٍ كريهةٍ ... فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قال مروان:

ـ وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

أَتُرىٰ ابنَ هندٍ للخلافةِ مالكاً ... هيهاتِ ذاك وإنْ أرادَ بَعيدُ
مَنّتْكَ نَفْسُك في الخلاءِ ضَلالَةً ... أغْراك عَمْرٌو للشّقا وسَعِيدُ

قال سعيد بن العاص: هي والله القائلة:

قد كنتُ أطمعُ أن أموتَ ولا أرىٰ ... فوق المنابرِ مِنْ أميّة خَاطِبَا
فاللّه أخّرَ مُدّتي فَتَطَاوَلَتْ ... حتّىٰ رأيت مِنَ الزمانِ عَجَائِبَا
في كُلّ يومٍ للزمانِ خطيبهم ... بين الجميع لآلِ أحْمَدَ غائبا

ثم سكتوا، فقالت:

- يا معاوية، كلامك أغشىٰ بصري، وقصّر حجّتي، أنا والله قائلة ما قالوا، وما خفي عليك منّي أكثر.

فضحك وقال: ليس يمنعنا من برّك. اذكري حاجتك.

قالت: أما الآن فلا.

جارية في حسنها كالبوم

قيل: دعا حائك أبا نواس أن يأتيه، فوعد خيراً؛ ولم يقصّر الحائك في الاحتفاء به، إذ أحضر له ما لذّ وطاب من مآكل وشراب. وكان الحائك يحبّ جارية، فقال لأبي نواس:

- يا سيّدي! قل في حبيبتي شعراً أسَرُّ به!

فقال أبو نواس: أحضرها لأصفها عن مشاهدة.

فأحضرها، فإذا هي أسمج خلق الله، سوداء، يسيل لعابها على صدرها، فقال:

- ما اسمها؟

قال الحائك: تنسيم.

فأنشد أبو نواس:

أسْهَرَ لَيْلي حُبُّ تَنْسِيمِ ... جاريةٌ في الحُسْنِ كالبومِ

كأنّما نَكْهَتُها كامِخٌ ... أو حزمَةٌ مِنْ حُزَمِ الثومِ

حَبَقْتُ مِنْ حُبّي لها حَبْقَةً ... أفْزَعَتْ مِنْها مَلِكَ الرومِ

بغلة أبي دلامة

كان لأبي دلامة بغلة مشؤومة جامعة لعيوب المطايا؛ وكانت أشوه الدواب خلقاً في منظر العين، وأسوأها خُلقاً في مخبرها. فكان إذا ركبها تبعه الصبيان يتضاحكون به، وكان يقصد ركوبها في مواكب الخلفاء والكبراء ليضحكهم

بشماسها، وله فيها قصيدة مشهورة نجتزىء منها هذه الأبيات:

رُزِقْتُ بُغَيْلَةً فيها وِكَالٌ ... وَلَيْتَهُ لم يكن غير الوِكَالِ
رأيتُ عُيُوبَها كَثُرَتْ وَلَيْسَتْ ... وإنْ أكْثَرْتُ ثَمَّ مِنَ المَقَالِ
لِيُحْصِيَ مَنْطِقِي وَكَلامُ غَيْرِي ... عَشِيرَ خصالها شَرَّ الخِصالِ
فأَهْوَنُ عَيْبِها أنّي إذا مَا ... نَزَلْتُ وَقُلْتُ: إمْشِي لا تُبَالِي
تَقُومُ فما تبيتُ هُنَاكَ شِبْراً ... وَتَرْمَحُنِي وتأخُذُ في قِتَالِي
وإنّي وإنْ رَكِبْتُ أذَيْتُ نَفْسِي ... بِضَرْبٍ باليَمِينِ وبالشِّمَالِ
وبالرِّجْلَيْنِ أرْكُلُها جَمِيعاً ... فَيَا لَكَ في الشَّقاءِ وفي الكَلالِ
أتاني خائبٌ يَسْتَامُ مِنّي ... عريقٌ في الخِسَارةِ والضلالِ
وقال: تبيعُها؟ قُلْتُ: ارْتَبِطْها ... بِحُكْمِكَ إنَّ بَيْعي غَيْرُ غالِ...
فَقُلْتُ بأَرْبَعِينَ. فقالَ: أحْسِنْ ... إلَيَّ فإنَّ مِثْلَكَ ذو سِجَالِ
فأَتْرُكُ خَمْسَةً مِنْها لِعِلْمِي ... بما فيهِ يصير مِنَ الخَبَالِ
فلمّا ابْتَاعَها مِنِّي وَبُتَّتْ ... لَهُ في البَيْعِ غَيْرِ المُسْتَقَالِ
أخَذْتُ بِثَوْبِهِ أبْرَأْتُ مِمَّا ... أعدُّ عليه مِنْ سُوءِ الخِلالِ
بَرِئْتُ إليك مِنْ مَشْشِيْ يَدَيْها ... وَمِنْ جَرَذٍ وَمِنْ بَلَلِ المَخَالي
ومِنْ فَتقٍ بها في البَطْنِ ضَخْمٍ ... ومِنْ عُقَّالِها وَمِنَ انْفِتَالِ
ومِنْ قَطْعِ اللّسانِ ومِنْ بَيَاضٍ ... بعَيْنَيها ومِنْ قَرْضِ الحِبَالِ
ومِنْ عَضِّ الغُلامِ ومِنْ خِراطٍ ... إذا ما هَمَّ صَحْبُكَ بارْتِحَالِ
وَتَكْسُرِ سَرْجَها أبداً شِمَاساً ... وَتَقْمَصُ للإكافِ على اغْتِيالِ
وَيَدْبَرُ ظَهْرُها من مَسِّ كَفٍّ ... وتهزمُ في الجَمام وفي الجِلالِ
تَظَلُّ لِرَكْبَةٍ مِنْها وقِيذاً ... يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَمِ الطحالِ
وَتُذْعَرُ للدَّجَاجَةِ إذ تَرَاها ... وَتَنْفُرُ للصَّفِيرِ وَلِلْخَيَالِ
وكانَتْ قارِحاً أيّامَ كِسْرَىٰ ... وَتَذْكُرُ تُبَّعاً عِنْدَ الفِصالِ
وَقَدْ دَبَرَتْ وَنُعْمَانُ صَبِيٌّ ... وَقَبْلَ فِصَالِهِ تِلْكَ الليالي
وَقَدْ مَرّتْ بِقَرْنٍ بَعْدَ قَرْنٍ ... وآخِرُ عَهْدِها لِهَلاكِ مالي

فــأبْــدِلْنــي بهــا يــا ربُّ طِــرْفــاً يــزيــن جَمَــالُ مــركبِــهِ جَمــالــي

ولمّا أنشدها المهديّ، قال: لقد أُقِلْتَ من بلاءٍ عظيم، فقال: «والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهراً أتوقع صاحبها أن يردها فقال المهدي لصاحب دوابه: «خيره بين مركبين في الإصطبل».

فقال: إن كان الاختيار إليّ وقعت في شرّ من البغلة، ولكن مُرْهُ يَخْتَرْ لي ففعل.

من كنت ولده

قال رجل لولده وهو في المكتب:

ـ في أيّ سورة تقرأ؟

فقال: ﴿لا أُقْسمُ بِهٰذا ٱلبَلَدِ﴾ ووالدي بلا ولد.

فقال: لَعَمري من كنتَ وَلَده فهو بلا ولد.

ايَسُرُّك؟

قال رجل:

ـ قلت لجارية أريد شراءها:

ـ لا يريبكِ شَيْبي، فإنّ عندي قوّة.

فقالت: أيَسُرّك أنّ عندك عجوزاً مغتلمة؟!

على المجرّب

قال الأصمعي: إنّ رجلاً قعد من امرأة مقعد النكاح، فقال لها:

ـ أبكر أنتِ أم ثيّب؟

قالت: أنت على المجرَّب.

اصعد حتىٰ ترىٰ الدنيا

قال الجاحظ: رأيت بالعسكر امرأة طويلة القامة جدّاً، ونحن على طعام، فأردت أن أمازحها، فقلت:

ـ أنزلي حتىٰ تأكلي معنا.

فقالت: وأنت فاصعد حتىٰ ترىٰ الدنيا.

الحكم على الحمارة

ضُبط رجل بعلاقة جنسيَّة مع حمارته، ورُفِع أمره إلىٰ قراقوش، فقضىٰ بالحدّ على الرجل والحمارة معاً، وذلك لكيلا تزني هذه الأخيرة.

أعوذ باللّه من الكساد

قيل لامرأة ظريفة: أبِكْر أنت؟

قالت: أعوذ بالله من الكساد.

لو كنت كما تقولين

تزوّج بعض العميان بسوداء، فقالت له:

ـ لو نظرت إلى حسني وجمالي وبياضي لازْدَدْتَ فيّ حبّاً.

فقال لها:

ـ لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء.

ليس لديوان الرسائل أريدك

قال أبو العيناء: خطبتُ امرأة فاستقْبَحَتْني، فكتبت إليها:

فإن تنفري من قُبْح وجهي فإنني   أريبٌ أديبٌ لا غبيٌّ ولا فَدْمُ

فأجابتني: ليس لديوان الرسائل أريدك.

انتبه يا قتّال

لمّا زفّت عائشة بنت طلحة إلىٰ مصعب قال: والله لأَقتلنّها الليلة جماعاً.

فواقعها مرّة، ونام، فلم ينتبه إلىٰ السحر؛ فحرّكته وقالت: انتبه يا قتّال.

ثاقب اللؤلؤ

دخل يزيد بن منصور، خال المهديّ، على المهديّ، وكان بشار بين يديه ينشده. ولمّا فرغ من الإنشاد قال لبشار: يا شيخ، ما صناعتك.

فقال: أثقب اللؤلؤ.

فضحك المهديّ، ثم قال لبشار: اغرب ويلك، أتتنادر على خالي؟

فقال بشار: وما أفعل به؟ يرىٰ شيخاً أعمىٰ ينشد الخليفةِ شعراً، ويسأله عن صناعته.

المصيبة على الخمّار

اجتمع أبو نواس بصديق له، وكان فارغ الجيب، وصديقه لا يملك إلاّ درهماً واحداً. فقال الصديق.

ـ يا أبا نواس، إنّ الخمرة رائجة في هذه الأيّام، فهل تعرف خمّاراً نشتري منه زجاجتي خمر، تكونان بمثابة رأس مال لنا، نبيعهما، فنحتفظ بالربح، ونعيد إليه الثمن.

فقال أبو نواس:

ـ صدقت، هيّا بنا، فأنا أعرف تاجراً يعطينا زجاجتين على الحساب.

ثم ذهبا إلىٰ التاجر، وأخبراه بما عزما عليه. فأعطىٰ كلّ واحد منهما زجاجة. وذهبا إلىٰ شطّ بغداد على نهر دجلة حيث يكثر المتنزّهون، وولجا الرياض الغنّاء، فلم يفلحا في بيع الزجاجتين. فقال الصديق:

ـ لنفتح باب البيع عسانا نتوفّق إلىٰ رزق جديد.

ثم أخرج الكأس وقال:

ـ افتح زجاجتك أوّلاً، وبع لي بهذا الدرهم كأساً واحداً من خمر زجاجتك.

فأخذ منه الدرهم، وفتح الزجاجة، وملأ الكأس وناوله لصاحبه، فشربها جرعة واحدة، وقال:

ـ يا لها من خمرة معتّقة، لقد روت غليلي.

فمدّ أبو نواس يده إلىٰ صاحبه وقال:

ـ خذ هذا الدرهم، وأعطني أنت أيضاً كأساً من زجاجتك.

فأخذ الصديق الدرهم، وفتح زجاجته وناوله الكأس، فشربها، وهو مبتهج، وقال:

ـ يا لها من خمرة لذيذة!

وما زال على تلك الحال حتىٰ أفرغا الزجاجتين من الخمر. وبعد أن انتهيا من الشرب، قال أبو نواس:

ـ الحمد لله، لقد شربت الخمرة دون أن أخسر شيئاً.

فقال الصديق:

ـ وأنا شربت حتىٰ ثملت، ولا يزال الدرهم معي.

فابتسم أبو نواس، وقال:

ـ كلانا كسب، والمصيبة لم تقع إلاّ على الخمّار الذي خسر ما أعطاني وأعطاك.

هارون الرشيد والبرمكيّة

قيل: دخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت:

ـ يا أمير المؤمنين، أقرّ الله عينك، وفرّحك بما آتاك، وأتمّ سعدك، لقد حكمت فقسطت.

فقال لها:

ـ من تكونين أيتها المرأة؟

فقالت:

ـ من آل برمك، ممّن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم.

فقال:

ـ أمّا الرجال فقد مضىٰ فيهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره. وأمّا المال فمردود إليك.

ثم التفت إلىٰ الحاضرين من أصحابه، فقال:

ـ أتدرون ما قالت المرأة؟

فقالوا: ما نراها قالت إلاّ خيراً.

قال: ما أظنّكم فهمتم ذلك. أمّا قولها: أقرّ الله عينك أي أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت. وأمّا قولها: وفرّحك بما آتاك، فأخذته من قوله تعالى: ﴿**حتّىٰ إذا فَرِحُوا بما أُوتوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً**﴾. وأمّا قولها: وأتمّ الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تَـمَّ أَمْـرٌ بَـدَا نَقْصُـهُ   تَـرَقَّـبْ زَوَالاً إذا قِيـلَ: تَـمْ

وأمّا قولها: لقد حكمت فقسطت، فأخذته من قوله تعالى: ﴿**وأمّا القاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً**﴾.

فتعجّبوا من ذلك.

أبو دلامة والجُنَيْد

قيل: كان أبو دلامة كثير الزيارة للجُنَيْد النخّاس، وكان يتعشّق جارية له ويبغضه. فجاءه يوماً فقال:

ـ أخْرِجْ لنا فلانة.

فقال: إلىٰ متىٰ تخرج إليك ولست بمشترٍ؟!

قال: فإن لم أكن مشترياً فإنّي أخ يمدح ويطري.

قال: ما أنا بمخرجها إليك أو تقول فيها شعراً.

قال: فاحْلِفْ بعتقها أن تروِّيها إيّاه وتأمرها بإنشاده من أتاك يعترضها ولا تحجبها.

فحلف لا يحجبها؛ فقال أبو دلامة:

إنّـي لأحْسِـبُ أن سَـأُمْسِـي ميّتـاً　　أو سَـوْفَ أُصْبِـحُ ثـمّ أُمْسِـي
مِـنْ حُـبِّ جَـارِيَـةِ الجُنَيْـدِ وبُغْضِـهِ　　وكِـلاَهُمـا قـاضٍ عَلَـيَّ نَفْسِـي
فَكَـلاَمُهـا يُشْفَـى بـه سَقَمِـي　　فـإذا تَكَلَّـمَ عَـادَ لـي نُكْسِـي

منام أبي دلامة

دخل أبو دلامة على المنصور وأنشده:

إنّـي رأيتـك فـي المنـامِ　　وأنْـتَ تُعْطينـي خِيَـارَهْ
مملـوءَةً بـدرَاهِـمٍ　　وَعَلَيْـكَ تـأويـلُ العِبَـارَهْ

فقال له المنصور: امضي فائتني بخيارة أملأها لك دراهم ودنانير.

فذهب أبو دلامة إلىٰ السوق وأحضر أكبر قرعة توجد هناك. فلمّا رآه المنصور مقبلاً قال له: ما هذا؟

قال: يلزمني الطلاق من زوجاتي الأربع إن كنت رأيت القرعة، ولكني نسيت فلمّا رأيت القرعة في السوق ذكرتها.

طعام جعفر بن أبي زهير

قال أبو الشمقمق في طعام جعفر بن أبي زهير، وكان عنده ضيوف:

رأيـت الخُبْـزَ عـزّ لَـدَيْـكَ حتّـىٰ　　حَسِبْـتُ الخُبْـزَ فـي جـوّ السحـاب
وَمَـا رَوَّحْتَنَـا لِتَـذُبّ عنّـا　　ولكـن خِفـتَ مُـرْزِئَـةَ الـذُّبـاب

لو تعدّيتها لقتلتك

مدح أبو دلامة الخليفة المنصور، وأنشده في محفل من الناس ذكر قتل المنصور أبا مسلم الخراساني، فقال:

أَبـا مُسْلِـمٍ خَـوَّفْتَنـي القَتْـل فـانْتَحـىٰ عَلَيْـكَ بمـا خَـوَّفْتَنـي الأَسَـدُ الـوَرْدُ
أبـــا مُسْلِـــمٍ مـــا غَيَّـــرَ اللَّـــهُ نِعْمَـــةً علـى عَبْـدِهِ حتّـىٰ يُغَيِّـرهـا العَبْـدُ

مشيراً بذلك إلىٰ قوله تعالى: ﴿**إنّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتىٰ يُغَيِّرُوا ما بأنْفُسهمْ**﴾.

فأعجب المنصور بإشارته هذه. فلمّا فرغ من إنشاده قال له: احتكم

قال: عشرة آلاف درهم.

فأمر له المنصور بالمبلغ. فلمّا خلا به قال له: إيه والله لو تعدّيتها لقتلتك.

احتمال العار أيسر من التلطّخ بدمك

لمّا حاصر المنصور ابن هبيرة بعث إليه ابن هبيرة يقول: بارزني.

فقال المنصور: لا أفعل.

فقال ابن هبيرة: لأشهرنّ امتناعك عن مبارزتي، ولأعيّرنّك به أمام الناس.

فقال المنصور: إنّ مَثَلنا مَثَل ما قيل: إنّ خنزيراً بعث إلىٰ الأسد وقال: قاتلني، فقال الأسد: لست بكفء لي، ومتىٰ قتلتك لم يكن لي فخر، وإن قتلتني لحقني عار عظيم.

فقال الخنزير: لأخبرنّ السباع بجبنك.

فقال الأسد: احتمال العار في ذلك أيسر من التلطّخ بدمك.

السلام عليك يا أمير المؤمنين

بينما كان أبو العباس يتنزّه، انفرد عن أصحابه، وقصد خباءً لأعرابي، فقال للأعرابيّ:

ـ أأنت صاحب هذا الخباء؟

قال: نعم.

ثم قال: فممّن أنت؟

قال: من كنانة.

قال: فمن أيّها؟

قال: من أبغض كنانة إلىٰ كنانة.

قال: تكون قرشيّاً؟! فمن أيّها؟

قال: من أبغض قريش إلىٰ قريش.

قال: تكون من ولد عبد الخطيب! فمن أيّها أنت؟

قال: من أبغض عبد المطلب إلىٰ عبد المطلب.

قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

عبد الملك وإياس

دخل عبد الملك بن مروان البصرة، فرأىٰ إياساً، وهو صبيّ، وخلفه أربعة من القرّاء، فقال عبد الملك:

ـ أفٍّ لهذه العثانين... أما فيهم شيخ يتقدّمهم غير هذا الحدث؟

ثم التفت إلىٰ إياس، وقال له:

ـ سنّك؟.

ـ سنّي، أطال الله بقاء الأمير سنّ أُسامة بن زيد حين ولاّه الرسول ﷺ جيشاً فيه أبو بكر وعمر.

قال: تقدّم، بارك الله فيك.

وكانت سنّه سبع عشرة سنة.

أبو دلامة يحصّل بشعره ثمن الجارية

قال أبو دلامة في العبّاس بن المنصور:

قِفْ بالديارِ وأيّ الدهر لم تقف ... على منازلَ بين السهل والنجفِ

وَمَا وُقُوفُكَ في أطلالِ مَنْزلةٍ ... لولا الذي اسْتَحْدَثْتَ مِن قَلْبِكَ الكلِفِ

إنْ كُنْتَ أصْبَحْتَ مشغوفاً بجاريةٍ ... فلا وَربِّكَ لا يسفيك من شغف

ولا يزيدُك إلاّ العَلُّ مِنْ أسَفٍ ... فهل لِقَلْبِكَ مِنْ صَبْرٍ على الأسَفِ

هذي مَقَالَةُ شَيْخٍ من بني أسَدٍ ... يُهْدِي السَّلامَ إلىٰ العبَّاسِ في الصُّحُفِ
فَخَطَّهُ مِنْ بوادي المِصْرِ كاتِبةٌ ... قَدْ طالما ضربتْ في اللاَّم والألف
وطالما اختلفَتْ صيفاً وشاتيةً ... إلىٰ معلِّمِها باللَّوْحِ والكتفِ
حتىٰ إذا ما ٱسْتَوَىٰ الثديانِ وامْتَلأَتْ ... مِنْها وخيفت على الأشرافِ للعرف
صِينَتْ ثَلاَثَ سنين ما رأت أحداً ... كما تُصَانُ بِبَحْرٍ دُرَّةُ الصَّدَفِ
بَيْنا الفَتَىٰ يَتَمَشَّىٰ نحو مَسْجِدِه ... مبادِراً لصلاة الصُّبْحِ بالسَّدَفِ
حانَتْ له نظْرةٌ منها فأبْصَرَها ... مطلَّةً بين سَجْفَيْها مِن الغرفِ
فخرّ في التربِ ما يَدْري غداة إذا ... ما خرّ منكشفاً أو غير مُنْكشفِ
وجاءه القوم أفواجاً بمائهم ... لينضحوا الرجل المَغْشِيَّ بالنَطَفِ
فَوَسْوَسُوا بقرانٍ في مسامِعِه ... خوفاً من الجنّ والإنْسانُ لم يخف
شيئاً ولكنّه من حُبِّ جاريةٍ ... أمْسَىٰ وأصْبَحَ مِنْ موتٍ على شَرف
قالوا لَكَ الخيرُ ما أبْصَرْتَ قُلْتُ لهم ... جِنّيَةٌ أقْصَدَتني مِنْ بني خَلَفِ
أبْصَرْتُ جاريةً مَحْجُوبةً لَهُمُ ... تَطلّعت من أعالي القصر ذي الشرف
فقلتُ من أيكم واللّه يأجره ... يعير قوته منّي إلىٰ ضعف
فقام شيخ زهيٌّ مِن تجارهم ... قد طالما خدع الأقوام بالحلف
فابتاعها لي بألفي درهم فغدا ... بها إليّ فألقاها على كتفي
فبتّ ألثمها طوراً وتلثُمُني ... طوراً ونفعل بعض الشيء في اللحف
بتنا كذلك حتىٰ جاء صاحبها ... يبغي الدنانير بالميزان ذي الكفف
وذكر حقّ على زند وكيف به ... والحقُّ في طرفٍ والعين في طرف
وبين ذاك شهودٌ ما أُبالِ بهم ... أكُنْتُ مُعْترفاً أم غَيْرَ معترف
فإن تَصِلْني قَضَيْتُ القومَ حَقَّهُمُ ... وإنْ تَقُلْ: «لا» فحقُّ القوم في تَلَفِ

لست له خصماً

دخل رجل على المنصور، وكان عنده عمارة بن حمزة، فقال الرجل:

ـ أنا مظلوم يا أمير المؤمنين!

قال المنصور: ومن ظلمك؟

قال: عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي.

فقال المنصور: قم فاقعد مع خصمك يا عمارة.

فقال عمارة: ما هو لي بخصم، إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فإني قد وهبتها له ولا أقوم من مقامٍ شرّفني به أمير المؤمنين، وأقعد في مقام أدنىٰ منه من أجل ضيعة!.

لا تراني إلاّ حيث تكره

دخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك، فلم يجد موضعاً يجلس فيه، فعلم أن الأمر مدبّر، فقال: يا أمير المؤمنين اتّقِ الله!

قال هشام: أوَ مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوىٰ الله؟

قال زيد: إنّه لا يكبر أحد فوق تقوىٰ الله، ولا يصغر دون تقوىٰ الله.

قال له هشام: بلغني أنّك تحدّث نفسك بالخلافة، ولا تصلح لها؛ إنك ابن أمة.

قال زيد: أمّا قولك إنّي أحدّث نفسي بالخلافة، فلا يعلم الغيب إلاّ الله؛ وأمّا قولك إنّي ابن أمَة، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمٰن ابن أمة، من صلبه خير البشر، محمّد (ص). وإسحاق ابن حرّة، أخرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت.

قال له: قمْ.

قال: إذن لا تراني إلاّ حيث تكره.

فلما خرج من عنده قال: ما أحبّ أحدٌ الحياة قطّ إلاّ ذلّ.

قال له حاجبه: لا يسمع هذا الكلام منك أحد.

لعلّك تشبع

خرج هشام بن عبد الملك متنزّهاً، ومعه الأبرش الكلبي، فمر براهب في دير، فعرّج عليه، فأدخله الراهب بستاناً، وجعل يجتني منه ما طاب له، فقال

هشام: يا راهب، بعني بستانك.

فسكت الراهب. ثم أعاد عليه، فسكت عنه.

فقال له: لِمَ لم تجبني؟

فقال: وددت لو أنّ الناس كلّهم ماتوا غيرك!

قال: لماذا؟

قال: لعلّك تشبع.

الوليد وسُعْدَى

طلّق الوليد بن يزيد زوجته سعدىٰ، وكان يحبّها كثيراً؛ ولمّا تزوجت اشتدّ عليه ذلك، وندم على ما كان منه؛ فدخل عليه أشعب فقال له:

ـ هل لك أن تبلّغ سعدىٰ عنّي رسالة، ولك عندي خمسة آلاف درهم.

قال: عجّلها.

فأمر بها؛ فلمّا قبضها قال: هاتِ رسالتك.

قال: ائتها وأنشدها:

أَسُعْدَىٰ هَلْ إِلَيْكِ لَنَا سَبِيلُ ... وَلاَ حَتَّىٰ القِيَامَةِ مِنْ تَلاَقِ

بَلَىٰ وَلَعَلَّ دَهراً أَنْ يُؤَاتِي ... بِمَوْتٍ مِنْ خَلِيلِكِ أو فِراقِ

فأتاها، واستأذن عليها، فأذنت له، وقالت: ما بَدَا لك في زيارتنا يا أشعب؟

قال: يا سيّدتي، أرسلني إليك الوليد برسالة.

وأنشدها الشعر؛ فقالت لجواريها:

ـ عليكنّ بهذا الخبيث.

فقال: يا سيّدتي، جعل لي على ذلك خمسة آلاف درهم.

قالت: والله لأعاقبنّك، أو تبلّغه ما أقول.

قال: يا سيّدتي، اجعلي لي أجراً.

قالت: لك بساطي هذا.

قال: قومي عنه.

فقامت، فأخذه، وألقاه على ظهره، وقال: هاتي رسالتك!

قالت له:

أتَبْكي على سُعْدَىٰ وأنْتَ تَرَكْتها   فَقَدْ ذَهَبَتْ سُعْدَىٰ فما أنْتَ صانِعُ؟

فلمّا بلّغه الرسالة ضاقت عليه الأرض بما رحُبت، واغتاظ غيظاً شديداً، ثم قال لأشعب: اخترْ منّي إحدىٰ ثلاث: إمّا أن أقتلك، وإمّا أن أطرحك من هذا القصر، وإمّا أن ألقيك إلىٰ تلك السباع فتفترسك.

فتحيّر أشعب، وأطرق قليلاً ثم رفع رأسه، وقال:

سيّدي، ما كنت لتعذّب عيناً نظرت إلىٰ سعدىٰ فتبسّم وخلّىٰ سبيله.

أحسن الأسماء وأسمجها

كان إبراهيم بن المهدي جالساً بين يدي الرشيد على طرف سفينة حربيّة متّجهة إلىٰ الموصل، فقال له الرشيد: يا إبراهيم، ما أحسن الأسماء عندك؟

قال: محمّد اسم رسول الله (ص).

قال: ثمّ أي شيء بعده؟

قال: هارون اسم أمير المؤمنين.

قال: فما أسمج الأسماء؟

قال: إبراهيم.

فزجره ثم قال:

ويحك! أتقول هذا؟ أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمٰن؟

فقال له: بشؤم هذا الاسم لقي من نمرود ما لقي مطرح في النار.

قال: فإبراهيم ابن النبي (ص)؟!

قال: لا بدّ أنّه لم يعمّر من أجله.

قال: فإبراهيم الإمام.

قال: بحرقة اسمه قتله مروان في حرّان، وأزيدك يا أمير المؤمنين: إبراهيم بن الوليد خُلع، وإبراهيم بن عبد الله بن حسن قتل، وعمّه إبراهيم بن حسن

سقط عليه السجن فمات، وما رأيت والله أحداً يسمّىٰ بهذا الاسم إلاّ قُتل، أو نُكب، أو رأيته مضروباً أو مظلوماً. وما إن انتهىٰ من الكلام حتىٰ سمع ملاّحاً يصيح:

مدّ يا إبراهيم يا عاضّ بظر أمّه مُدَّ.

فقال إبراهيم: أبقي لك شيء بعد هذا! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام.

دعاء غير مستجاب

كان أبو بكر أزهر السمّان صاحب المنصور قبل خلافته؛ ولمّا ولي جاءه مهنّئاً، فحجبه المنصور، فترصّد له يوم جلوسه العام، وسلّم عليه، فقال له المنصور: ما جاء بك؟

قال: جئت مهنّئاً بالأمر.

فقال المنصور: أعطوه ألف دينار، وقولوا له: قد قضيت وظيفة التهنئة فلا تعد إليّ.

فمضىٰ وعاد في العام التالي، فحجبه، فدخل عليه وسلّم. فقال له: ما جاء بك؟

فقال: سمعت أنّك مرضت فجئتك عائداً.

فقال: أعطوه ألف دينار، وقولوا له: قد قضيت وظيفة العيادة فلا تعد إليّ، فإنّي قليل الأمراض.

فمضىٰ وعاد في العام التالي، ودخل عليه وسلّم، فقال له: ما جاء بك؟

فقال: سمعت منك دعاء مستجاباً، فجئت لأتعلّمه منك.

فقال له: يا هذا، إنّه غير مستجاب؛ إنّي في كلّ سنة أدعو الله به أن لا تأتيني، وأنت تأتي.

فضحتنا بين الناس

لمّا ماتت زوجة المنصور، حمادة بنت عيسىٰ، حضر المنصور جنازتها، وجلس لدفنها، وهو متألّم كئيب، فأقبل أبو دلامة، وجلس قريباً منه، فقال له

المنصور: ويحك! ما أعددت لهذا المكان؟ مشيراً إلىٰ القبر.

فقال: ابنة عم أمير المؤمنين.

فضحك المنصور حتىٰ استلقىٰ، ثم قال:

ويحك فضحتنا بين الناس.

طمع أبي دلامة

قال المنصور إلىٰ أبي دلامة: سلني حاجتك.

قال: كلب أتصيّد به.

قال: أعطوه.

قال: ودابة أركب عليها.

ـ قال: أعطوه.

قال: وغلام يصيّد بالكلب ويقوده.

قال: أعطوه غلاماً.

قال: وجارية تصلح لنا الصيد، وتطعمنا منه.

قال: أعطوه جارية.

قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك، فلا بدّ لهم من دار يسكنونها.

قال: أعطوه داراً تجمعهم.

قال: فإن لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون؟

قال: قد أعطيتك مئة جريب عامرة، ومئة جريب غامرة.

قال: وما الغامرة؟

قال: ما لا نبات فيها.

فقال: قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمئة ألف جريب غامرة في فيافي بني أسد.

فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة.

قال: فأذن لي أن أقبّل يدك.

قال: أمّا هذه فدعها.

قال: والله ما منعت عيالي شيئاً أقلّ ضرراً عليهم منها.

من يشتري الثمانين بالمئة

امتدح الشاعر ابن هرمة الخليفة المنصور، فوصله بعشرة آلاف درهم. فقال ابن هرمة: لا تفرحني هذه!

فقال أبو جعفر المنصور: ويحك إنّها كثيرة!

قال ابن هرمة: إن أردت أن تهنّيني فأبحْ لي الشراب، فإنّي مغرم به.

فقال الخليفة: ويحك! هذا حدّ من حدود الله!

قال ابن هرمة: احتلْ لي يا أمير المؤمنين.

فكتب إلىٰ والي المدينة: من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مئةً واضرب ابن هرمة ثمانين. فجعل الشرطيّ إذا مرّ بابن هرمة سكران قال: من يشتري الثمانين بالمئة؟!

هي حاجتي

كان عمرو بن عبيد، وهو شيخ المعتزلة في عصره، صديقاً للمنصور قبل الخلافة؛ وبعد استخلافه جاء ليحاوره في الأمور العامّة، ويكاشفه بحقيقة الأوضاع السائدة. فلمّا أراد الخروج قال له المنصور: لقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم.

قال عمرو: لا حاجة لي فيها.

قال المنصور: هل لك في حاجة يا أبا عثمان.

قال عمرو: نعم.

قال: وما هي؟

قال: أن لا تبعث لي حتىٰ آتيك.

قال المنصور: إذن لا نلتقي.

قال عمرو: هي حاجتي.

هي لك

دخل معن بن زائدة على المنصور، فأسرع في المشي، وقارب الخطو؛ فقال له المنصور: كبرتْ سنّك يا معن.

فقال: في طاعتك يا أمير المؤمنين.

فقال: وإنّك مع ذلك لَجَلْدٌ.

قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين.

قال: وإنّ فيك لبقيّة.

قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

لا ألومُك

دخل هاشميّ على المنصور. فقال له المنصور: متىٰ مات أبوك؟ وما كان سبب موته؟

فقال الهاشميّ: لقد اعتلّ أبي ـ رحمه الله ـ في وقت كذا، وخلّف ـ رحمه الله ـ كذا وكذا.

فقال له الربيع: كم تترحّم على أبيك بين يدي أمير المؤمنين؟

فقال الهاشميّ: لا ألومك، فإنَّك لا تعرف حلاوة الآباء. (وكان الربيع ينعت بأنّه لا يُعرف له أب).

الأعمى أعمى القلب

كتب المنصور إلىٰ عامله أن يقسّم مالاً قد خصّصه للقواعد من النساء، والعميان، والأيتام... فقال أحدهم للعامل: اكتبني في القواعد.

فأجابه العامل: ويحك! إنّ القواعد هنّ النساء اللواتي لا أزواج لهنّ.

فقال: اكتبني إذن في العميان.

فقال: اكتبوه لأنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿فإنّها لا تَعْمَىٰ الأبْصَارُ وَلٰكِنْ تَعْمَىٰ

القُلُوبُ التي في الصُّدُورِ﴾.

فقال: أرجوك أيضاً أن تكتب ابني في الأيتام.

فقال: حقّاً مَنْ كنت أباه فهو يتيم.

بين هارون ولاعب شطرنج

لعب رجلٌ بين يدَيْ هارونَ الرشيد بالشِّطرنج، فلما رآه استجاد لِعبَه وفاوضه الكلام قال له: ولِّني نهر بوق.

قال: بل أُوَلِّيك نصفه، اكتبوا عهده على بُوق.

قال: فولِّني على أرمينية.

قال: أخشىٰ أن يبطئ عليَّ خبرُك.

قال: فغيِّرها.

قال: لا أريد أن أبعدَك من نفسي.

المنصور وأبو دلامة السجين

خرج أبو دلامة من بعض الحانات ليلاً سكران، فلقيه العسس، فأخذوه، وقالوا له: من أنت وما دينك؟

فقال:

دينـي علـى ديـن بنـي العَبَّـاسِ ... مـا خُتِـمَ الطِّيـنُ علـى القِـرْطـاسِ

إنِّـي اصْطَبَحْـتُ أربعـاً بـالكـاسِ ... فَقَـدْ أدَارَ شُـرْبُهـا بِـرَاسِـي

فَهَـلْ بِمـا قُلْـتُ لَكُـمْ مِـنْ بـاسِ؟

فأخذوه ومضوا: وخرقوا ثيابه وساجه، وأُتي به إلىٰ أبي جعفر المنصور، فأمر بحبسه مع الدجاج.

ولمّا أفاق أبو دلامة جعل ينادي غلامة مرّة، وجاريته أُخرىٰ، فلا يجيبه أحد، ولا يسمع إلاّ صوت الدجاج وزقاء الديوك. ولما علا صياحه، قال له السجّان: ما شأنك؟

قال: ويلك من أنت، وأين أنا؟

قال: في الحبس، وأنا فلان السجّان.

قال: ومن حبسني؟

قال: أمير المؤمنين.

قال: ومن مزق طيلساني؟

قال: الحرب.

فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس. ففعل، فكتب إلىٰ المنصور:

أميـر المـؤمنيـن فَـدَتْـكَ نَفْسِـي	عَـلاَمَ حَبَسْتَنـي وَخَـرقْـتَ سَـاجـي
أمِــن صَفْــراءَ صــافِيَــةِ المــزاجِ	كــأنّ شُعَــاعَهــا لَهَــبُ السِّــرَاجِ
وَقَــدْ طُبِخَــتْ بِنَــارِ اللَّــهِ حتّــىٰ	لَقَــدْ صَــارَتْ مـن النطـف النّضـاجِ
تَهَــشُّ لهــا القُلُــوبُ وَتَشْتَهِيهــا	إذا بَــرَقَــتْ تَــرَقْــرَقُ فــي الـزجـاجِ
أُقــادُ إلــىٰ السُّجُــونِ بغَيْــرِ جُــرْمٍ	كــأنّــي بَعْــضَ عُمَّــالِ الخــراجِ
وَلَــوْ مَعَهُــمْ حُبِسْــتُ لَكــانَ سَهْــلاً	وَلٰكِنّــي حُبِسْــتُ مَــعَ الــدجــاجِ
وَقَــدْ كــانَــتْ تُخَبِّــرُنــي ذُنُــوبــي	بــأنّــي مِــنْ عِقــابِـك غَيْــرُ نــاجِـي
علــى أنّــي وإن لاقَيْــتُ شــرّاً	لِخَيْــرِكَ بَعْــدَ ذَاكَ الشَّــرِّ راجــي

فدعا به وقال: أين حُبست يا أبا دلامة؟

قال: مع الدجاج.

ـ قال: فما كنت تصنع؟

قال: أُقَوْقِئ معهنّ حتىٰ أصبحت.

فضحك، وخلّىٰ سبيله.

ولمّا خرج قال له الربيع: إنّه شرب الخمر يا أمير المؤمنين. أما سمعت قوله: «وقد طبخت بنار الله» يعني الشمس.

فأمر بردّه ثم قال: يا خبيث شربت الخمر؟

قال: لا.

قال: ألم تقل «طبخت بنار الله» تعني الشمس؟
قال: لا والله ما عنيت إلاّ نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد الربيع.
فضحك المنصور، وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرّض.

أخذت نصيبي

أرق الرشيد ذات ليلة أرقاً شديداً، فقال لوزيره جعفر البرمكي:
إني أرِقتُ في هذه الليلة، وضاق صدري، ولم أعرف ما أصنع.
فضحك خادمه «مسرور» الذي كان واقفاً أمامه، فقال له:
- ما يضحكك؟ أَسْتِهْزاءً بي أم استخفافاً؟
فقال: ما فعلت ذلك عمداً، بل افتكرت في شيء من حديث ابن المغازلي المضحك، فضحكت. والعفو أمير المؤمنين!
فقال الرشيد: ائتني به الساعة.
فخرج مسرور مسرعاً إلىٰ أن جاء إلىٰ ابن المغازلي فقال له: أجبْ أمير المؤمنين.
فقال: سمعاً وطاعة.
فقال له: بشرط أنّه إذا أنعم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقيّة لي.
فقال له: اجعل لي النصف ولك النصف.
فأبىٰ، فقال: الثلث لي، ولك الثلثان.
فأجابه إلىٰ ذلك بعد جهد عظيم.
ولمّا دخل ابن المغازلي على الرشيد وسلّم، قال له الرشيد: إن أضحكتني أعطيتك خمسمئة دينار، وإن لم تضحكني أضربك بهذا الجراب.
وظنّ في نفسه أنّ الجراب فارغ. فوقف يتكلّم ويتمسخر ويفعل أفعالاً عجيبة تضحك الجلمود، فلم يضحك الرشيد، ولم يبتسم. فتعجّب ابن المغازلي وضجر، فقال الرشيد: الآن استحققتَ الضرب.
ثم إنّه أخذ الجراب، ولفّه، وكان فيه أربع زلطات، زنة كلّ واحدة منها

رطلان؛ فلمّا وقعت الضربة الأولىٰ في رقبته صرخ صرخة كبيرة، وافتكر الشرط الذي شرطه عليه مسرور، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، اسمعْ منّي كلمتين.

قال: قلْ ما بدا لك.

قال: إن مسروراً شرط عليّ شرطاً، واتّفقت أنا وإيّاه على مصلحة، وهو أنّ ما حصل لي من الصدقات يكون له فيه الثلثان، ولي فيه الثلث، وما أجابني إلىٰ ذلك إلاّ بعد جهد عظيم، وقد شرط عليّ أمير المؤمنين ثلاث ضربات، فنصيبي منها واحدة، ونصيبه اثنتان، وقد أخذت نصيبي، وبقي نصيبه؛ فضحك الرشيد، ودعا مسروراً فضربه، فصاح وقال: يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي.

فضحك الرشيد، وأمر لهما بألف دينار فأخذها كلّها.

قد فعلتُ

قال معاوية لعبد الله بن عباس: لي عندك حاجة أفتقضيها؟

فقال له ابن عباس: ولي عندك حاجة يا أمير المؤمنين، أفتقضيها لي؟

فقال له: نعم.

فقال ابن عباس: سَلْ حاجتك يا أمير المؤمنين.

قال: أن تهب لي دورك وضياعك التي بالطائف.

قال: قد فعلت.

فقال له معاوية: قد وصلت الرحم، فسل حاجتك.

قال: حاجتي إليك أن تردّها إليّ.

قال معاوية: قد فعلت.

الوجه المشؤوم

اقتيد إلىٰ عبد الملك رجل ممّن خرجوا عليه، فقال: اضربوا عنقه.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، ما هذا جزائي منك.

قال: وما جزاؤك؟

قال: والله ما خرجت مع فلان إلاّ بالتطيّر لك، ذلك أنّني رجل مشؤوم، ما كنت مع رجل قطّ إلاّ غلب وهُزم، وقد بان لك صحّة ما أقول، وكنت عليك خيراً من مئة رجل معك.

فضحك عبد الملك وخلّىٰ سبيله.

ممّن أنت؟

سأل عبد الملك بن مروان رجلاً من بني تميم قائلاً: ممّن أنت؟

فقال: من الذين قال شاعرهم:

إذا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تميمٍ ... حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابا

فقال عبد الملك:

ـ ومن أيّهم أنت؟ قال:

ـ من الذين قال فيهم الشاعر:

يَزِيدُ بَنُو سَعْدٍ على عَدَدِ الحَصَىٰ ... وأثْقَلُ مِنْ وَزْنِ الجِبَالِ حُلُوما

قال: فمن أيّهم أنت؟

قال: من الذين يقول لهم الشاعر:

فَلاَ وَأَبِيكَ ما ظَلَمَتْ قُرَيْعٌ ... بأنْ يبنوا المَكَارِمَ حَيْثُ شاؤوا

قال: فمن أيّهم أنت؟

قال: من الذين يقول فيهم الشاعر:

قَوْمٌ هُمُ الأنْفُ والأَذْنابُ غَيْرُهُمُ ... وَمَنْ يُسَوِّي بأنفِ النّاقة الذَّنَبَا

فقال عبد الملك: اجلسْ، والله لقد خفت أن تفخر عليّ.

رقية عبد الملك

قيل: دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان يتأوّه، فقال:

يا أمير المؤمنين، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسحار؟!

قال: لست صاحب هزل، والجدّ مع علّتي أحجىٰ بي.

قال: وما علّتك يا أمير المؤمنين؟

قال: هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ منّي.

قال: فإنّ بديحاً مولاي أرقىٰ الناس.

فوجّه إليه عبد الملك. فلمّا دخل قال أمير المؤمنين:

كيف رقيتك من عرق النسا؟

فمدّ عبد الملك رجله، فتفل عليها، وهَمْهَمَ ورقاها مراراً. فقال عبد الملك:

الله أكبر، وجدت والله خفّة وراحة يا غلام، ادعُ فلانة حتىٰ تكتب الرقية، فإنّا لا نأمن هيجها بالليل فلا نزعج بديحاً.

فلمّا جاءت الجارية قال بديح: يا أمير المؤمنين، امرأته طالق إن كتبتها حتىٰ تعجّل عطائي.

فأمر له بأربعة آلاف درهم. فلمّا صار المال بين يديه قال: وامرأته طالق إن كتبتها أو يصير المال إلى منزلي.

فأمر فحُمل إلىٰ منزله. فلمّا أحرزه قال: يا أمير المؤمنين، امرأته طالق إن كنت قرأت على رجلك إلاّ بيت نُصيب:

ألا إنّ ليلىٰ العامريّة أصبحت على النأي منّي ذَنْب غيري تَنَقّمُ

قال: ويلك ما تقول؟

قال عبد الله: امرأته طالق إن كان رقاك إلاّ بما قال.

قال: فاكتمها عليّ.

قال: وكيف ذاك وقد سارت بها البرد إلىٰ أخيك بمصر؟

فطفق عبد الملك ضاحجاً يفحص برجليه.

عبد الملك والعراقيّ

جلس رجل من أهل العراق إلىٰ مائدة عبد الملك بن مروان. فنظر إليه خادم لعبد الملك فأنكره، فقال له: أعراقيّ أنت؟

قال: نعم.

قال: أنت جاسوس؟

قال: لا.

قال: بلىٰ!

قال: ويحك! دعني أتهنّأ بزاد أمير المؤمنين، ولا تنغّصني به.

ثمّ وقف عبد الملك على تلك المائدة، فقال:

من القائل:

إذا الأرطىٰ توسّد أبرديه ... خدود جَوَازِئٍ بالرمل عين

وما معناه؟ ومن أجاب أجزناه.

والخادم يسمع. فقال العراقي للخادم:

ـ أتحبّ أن أشرع لك قائله، وفيمَ قاله؟

قال: نعم.

قال: يقوله الشنخريتي في صفة الضباع والبطّيخ.

فقال ذلك الخادم. فضحك عبد الملك حتى سقط.

فقال له الخادم: أخطأت أم أصبت؟

فقال: بل أخطأت.

فقال: يا أمير المؤمنين، هذا العراقيّ فعل الله به وفعل، هو الذي لقّنني إيّاه.

فقال: أيّ الرجل هو؟

فأراه إيّاه. فعاد إليه عبد الملك وقال: أنت لقّنته إيّاه؟

قال: نعم.

قال: أخطأً لقّنته أم صواباً؟

قال: بل خطأً.

قال: ولِمَ؟

قال: لأنّي كنت متحرماً بمائدتك، فقال لي كيت وكيت، فأردت أن أكفّه عنّي وأضحكك.

قال: فكيف الصواب؟

قال: يقوله الشماخ بن ضرار الغطفاني في صفة البقر الوحشيّة قد جزأت بالرطب عن الماء.

قال: صدقت.

وأجازه ثم قال له:

حاجتك؟

قال: تنّحي هذا عن بابك فإنّه يعيبه.

معاوية والأعرابيّ

طلب أعرابيّ من حاجب معاوية أن يستأذن له بالدخول عليه، فلمّا سأله عن اسمه وحاجته أجاب: أنا أخوه لأبيه وأمّه.

ولم يزد شيئاً على ذلك.

ولمّا أذن له بالدخول سأله معاوية:

أيّ الأخوّة أنت؟

فأجاب الأعرابي: ابن آدم وحوّاء.

فقال الخليفة: يا غلام، أعطه درهماً.

فقال الرجل: أتعطي أخاك لأبيك وأمّك درهماً واحداً؟

فقال معاوية: لو أنّني أعطيت كلّ ما في بيت المسلمين لإخوتنا من آدم وحوّاء ما بلغ إليك هذا الدرهم.

إنّما يُعطي... من لا يؤمن به

ادّعى رجل النبوة أيام المتوكّل. ولمّا مثل بين يديه قال له: أنت نبيّ؟

قال: نعم.

قال: فما الدليل على صحّة نبوّتك؟

قال: القرآن الكريم يشهد بنبوّتي في قوله تعالىٰ: ﴿**إذا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفتح**﴾ وأنا اسمي نصر الله.

قال: ما معجزتك؟

قال: ايتوني بامرأة عاقرة أنكحها، تحبل بولد يتكلّم في الساعة، ويؤمن بي.

فقال المتوكّل لوزيره الحسن بن عيسىٰ: أعطه زوجتك حتىٰ نبصر كرامته.

فقال الوزير: أمّا أنا فأشهد أنّه نبيّ الله، وإنّما يعطي زوجته من لا يؤمن به.

فضحك المتوكّل وعفا عنه.

معاوية وعقيل

قال معاوية يوماً لأهل الشام، وكان عنده عقيل بن أبي طالب، شقيق عليّ بن أبي طالب (ع):

ـ هل سمعتم قول الله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ وَتَبَّ، ما أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَب**﴾.

قالوا: نعم.

قال: فإنّ أبا لهب عمّ هذا الرجل.

فقال عقيل: يا أهل الشام، هل سمعتم قوله تعالىٰ: ﴿**وامْرَأَتهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ في جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾.

قالوا: نعم.

قال: فإنّها عمّة هذا الرجل. (وأشار إلىٰ معاوية).

دار أم مدينة

دخل ربيعة بن عقيل اليربوعي على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين أعِنّي على بناء داري.

فقال معاوية: أين دارك؟

قال: في البصرة، ومساحتها أكثر من فرسخين في فرسخين.

فقال معاوية: دارك في البصرة أم البصرة في دارك؟!

اتَّعَظَ فَعَدَلَ

أرق المأمون ذات ليلة، فدعا سميراً يحدّثه، فقال السمير:

يا أمير المؤمنين، كان بالموصل بومة، وبالبصرة بومة، فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها، فقالت بومة البصرة:

لا أجيب خطبة ابنك حتىٰ تجعلي مهر ابنتي مئة ضيعة خربة.

فقالت بومة الموصل: لا أقدر عليها، ولكن إن دام والينا سلّمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك.

فاستيقظ المأمون لهذا الحديث، وجلس للمظالم، وأنصف الناس.

لم أمرّ بجهنّم

قال البحتري:

كنت عند المتوكّل، وكان عنده «عبادة» المضحك.

فأمر به، فألقي في بركة ماء في الدار، فابتلّ وكاد يموت. ولمّا أُخرج من الماء وكُسي، وجُعل في ناحية من المجلس سأله المتوكّل: كيف أنت يا عبادة؟

أجاب: يا أمير المؤمنين، جئت من الآخرة.

فقال له: كيف تركت أخي الواثق؟

قال: لم أمرّ بجهنّم.

فضحك المتوكّل، وأمر له بصلة.

الواثق والعاشقان

كان أمير المؤمنين الواثق إذا شرب رقد في موضعه. فشرب يوماً، وخرج من كان عنده إلاّ مغنّياً واحداً أظهر التراقد فترك. وكانت مغنّية من حظايا الخليفة نائمة. فلمّا خلا المجلس كتب المغني رقعة، ورمىٰ بها إليها، وإذا فيها:

إنّي رَأَيْتُكِ في المَنَامِ ضجيعتي ... مُسْتَرْشِفاً مِنْ ريقِ فيكِ البارِدِ
وكأنّ كَفَّكِ في يَدِي وَكَأَنَّنا ... بِتْنَا جميعاً في لِحَافٍ وَاحِدِ
ثمّ انْتَبَهْتُ ومَنْكِبَاكِ كِلاَهما ... في رَاحَتَيَّ وَتَحْتَ خَدِّكِ سَاعِدِي
فَقَطَعْتُ يَوْمِي كُلَّهُ مُتَرَاقِداً ... لأَرَاكِ في نَوْمي وَلَسْتُ بِراقِدِ

فكتبت على ظهرها تقول:

خَيْراً رَأَيْتَ وَكُلُّ ما أمَّلْتَهُ ... سَتَنَالُهُ مِنّي بِرَغْمِ الحَاسِدِ
وَتَبِيتُ بين خَلاَخِلي وَدَمَالِجي ... وَتَحُلُّ بين مَرَاشِفي وَنَوَاهِدِي
وَنَكُونُ أنْعَمَ عاشِقَيْن تَعَاطَيَا ... مُلَحَ الحَدِيثِ بلا مَخَافَةِ رَاصِدِ

فلمّا مدّت يدها لترمي بها إليه رآها الواثق فقال:

ـ ما هذا؟

فحلفا له أنه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب، ولا رسول، إلاّ أن العشق قد خامرهما:

فأعتقها وزوّجها به وأمرهما بألاّ يقربانه بعد اليوم.

الحجاج وسفط كسرىٰ

أُتيَ الحجاج بسفط قد أُصيب في بعض خزائن كسرىٰ مُقفل، فأمر بالقُفل فكُسِر، فإذا به سفطٌ آخر مُقفل، فقال الحجاج: مَنْ يشتري مني هذا السفط بما فيه ولا أدري ما فيه؟

فتزايد فيه أصحابه حتى بلغ خمسة آلاف دينار، فأخذه الحجاج ونظر فيه، فقال: ما عسىٰ أن يكون فيه إلا حماقة مِن حماقات العجم.

ثم أنفذ البيع وعزم على المشتري أن يفتحه ويُريه ما فيه، ففتحه بين يديه فإذا فيه رُقعة مكتوب فيها: مَن أراد أن تطول لحيته فَلْيُمشّطها من أسفل.

على الأرض السفلى

قال المتوكِّل يوماً لجلسائه: أتعلمون أوّل ما عتب الناس على عثمان؟

قالوا: لا ندري يا أمير المؤمنين بماذا؟

قال: لأنّه لما توفّي رسول الله (ص) قام أبو بكر على المنبر دون مقام رسول الله (ص) بدرجة. فلمّا ولي عمر بن الخطاب نزل عن مقام أبي بكر درجة. فلمّا ولي عثمان بن عفّان صعد إلىٰ أعلى المنبر مكان رسول الله (ص). فأنكر المسلمون عليه ذلك، وكان المراد أن يكون دون درجة عمر.

فقال عبادة: يا أمير المؤمنين، ما أحد أعظم منّة عليك من عثمان.

قال: كيف ذلك؟

قال: كونه صعد أعلى المنبر، ولو كان كلّ من وُلِّي نزل عن مقام من تقدّمه درجة كنت أنت اليوم تخطب على الأرض السفلىٰ.

دعابة عبد الملك لعطاء

قال أبو زيد: كان عطاء بن أبي رَبَاح معي ٱبن الزُبير، وكان أَملحَ الناس جواباً، فلما قُتل ابن الزُّبير أَمّنه عبد الملك بن مروان، فقَدم عليه، فسأل الإذن، فقال عبدُ الملك: لا أريده يُضحِكني، قد أمّنته فلينصرف.

قال أصحابه: فنحن نتقدَّم إليه أن لا يفعل. فأَذن له عبدُ الملك، فدخل وسلّم عليه، وبايعه، ثم ولّى، فلم يَصبر عبدُ الملك أن صاح به: يا عطاء، أما وجدَتْ أُمُّك ٱسماً إلاّ عطاء؟

قال: قد والله ٱستنكرتُ من ذلك ما ٱستنكرتَه يا أمير المؤمنين، لو كانت سمّتني بأُمّي المباركة صلوات الله عليها مَريم. فضحك عبد الملك، وقال: ٱخرج.

السندي بن شاهك وحجَام

قال السنديّ بن شاهك قائد الخليفة المأمون: بعث إليّ المأمون بريداً وأنا بخراسان، فطويتُ المراحل حتى أتيت باب أمير المؤمنين وقد هاج بي الدّم وانصرفت إلىٰ منزلي، فقلت: أَحضروا إليّ الحَجّام. قالوا: هو محموم. قلت: فهاتوا حجّاماً غيره ولا يكون فضولياً. فأتَوني به، فما هو إلاّ أن دارت يداه على وَجهي حتى قال: جُعِلت فداك، هذا وجه ما أعرفه، فمن أنت؟ قلت: السّندي بن شاهِك. قال: ومن أين قدِمت فإنّي أرىٰ أثرَ السفر عليك؟ قلت: مِن خُراسانِ. قال: وأيُّ شيءٍ أقدمَك؟ قلت: وجّه إليّ أمير المؤمنين بريداً، ولكن إذا فرغتُ سأُخبرك بالقصَّة على وجهها. قال: وتعرِّفني بالمنازل والسّكك التي جئتَ عليها؟ قلت: نعم. قال: فما كان إلاّ أن فرغ ودخل رسول أمير المؤمنين ومعه كُركيّ، فقال: إنّ أمير المؤمنين يُقرئك السلام، وهو يَعذِرك فيما هاج بك من الدم، وقد أمرك بالتخلّف في منزلك هذا إلىٰ أن تغدو عليه إن شاء الله. ويقول: ما أُهدي إلينا اليومَ غير هذا الكُركيّ، فشأنَك به. قال: فالتفتَ السندي إلىٰ جُلسائه فقال: ما يُصنع بهذا الكركيّ؟ فقال الحجّام: يُطبخ سِكْباجاً. قال السنديّ: يُصنَع كما قال. وحَلف على الحجّام أن لا يبرح، فحضَر الغداءَ فتغدينا وهو ينظر، ثم قدّم الشراب فلمّا دارت الأقداح قلت: يعلّق الحجّام في العُقابَين ثم قلت: جُعلت فداك، إنك سألتني عن المنازل والسِّكك التي قدمت عليها، وأنا مشغولٌ في ذلك الوقت وأنا أقصّها عليك فاسْمَع: خرجتُ من خُراسان وقتَ كذا، فنزلت بمكان كذا، يا غلام: اضربْ. فضربه عشرة أسواط،، ثم قلت: وخرجت منهُ إلى مكان كذا، يا غلام أوْجع. فضَرَبه عشرة أسواط أُخرىٰ، ولم يزلْ يضربه لكلِّ سِكّة عشرة حتى انتهىٰ إلىٰ سبعين سوطاً، فالتفتَ إليَّ الحجّامُ وقالَ: يا سيدي: سألتُك بالله إلىٰ أين تريد أن تبلغ؟ قلت: إلى بغداد. قال: لست تبلغ بغداد حتىٰ تقتلني. قلت: فأتركُك على ألاّ تعود؟ قال: والله لا عدتُ أبداً. قال: فتركته وأمرت له بسبعين ديناراً، فلما دخلت على المأمون أخبرتُه الخبر فقال: ودِدت أنّك بلغتَ إلىٰ أن تأتيَ على نَفْسه.

الكرماني والمأمون

قال أبو جعفر الكَرْمانيّ يوماً للمأمون: أتأذن لي في دُعابة؟

قال: هاتِها ويحك فما العيشُ إلاّ فيها؟

قال: يا أمير المؤمنين، إنك ظلمتَني وظلمت غسّان بن عباد.

قال: وكيف ذلك ويْلَك؟

قال: رفعتَ غسّان فوق قدرِه، ووضعتَني دون قدري، إلاّ أنّك لغسّان أشدُّ ظُلماً.

قال: وكيف؟

قال: لأنك أقمتَه مقام هرّ، وأقمتني مقام رَخَمة.

فاستظرف ذلك منه ورفع درجته.

حيلة أبي دلامة

دخل أبو دلامة على المهدي وهو يبكي، فقال له المهدي: ما لك؟

قال: ماتت أمّ دلامة، وأنشده:

وكنّا كَزَوْجٍ مِن قَطًا في مَفَازَةٍ ... لَدَىٰ خَفْضِ عَيْشٍ نَاعمٍ مُؤْنِقٍ رَغْدِ

فَأَفْرَدَني رَيْبُ الزَّمانِ بِصَرْفِهِ ... وَلَمْ أرَ شيئاً قَطُّ أَوْحَشُ مِنْ فَرْدِ

فأمر له بثياب وطيب ودنانير. وخرج.

ودخلت أم دلامة على زوجة المهدي، الخيزران، وهي تبكي. فلمّا سألتها عن السبب قالت: إنّ أبا دلامة مات. فأعطتها وخرجت.

فلمّا التقىٰ المهديّ مع زوجته وتحادثا بخبر أبي دلامة وزوجته عرفا حيلتهما، فجعلا يضحكان.

لا تكن راوية الصبيان

أمر عقبة بن سَلْم لبشار بعشرة آلاف درهم، فأُخبر أبو الشمقمق بذلك، فوافىٰ بشاراً فقال له:

ـ يا أبا معاذ، إنّي مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون:

هلّلينــــــــه هلّلينــــــــه طَعْـــــنَ قِثّـــاةٍ لتينَـــــهْ
إنّ بشـــــار بْـــــنَ بُـــــرْدٍ تَيْـــسٌ اَعْمَـــىٰ فـــي سَفِينَـــهْ

فأخرج إليه بشار مئتي درهم فقال: خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان يا أبا الشمقمق.

غايتها السؤال

مدح أبو الشمقمق مروان بن أبي حفصة، فقال له:

ـ يا مروان، أنت شاعر وأنا شاعر، وغايتنا كلّنا السؤال.

احكم عليّ بالموت

أمر الخليفة ذات يوم بجلد أبي نواس مئة جلدة، لأنهم وجدوا معه زجاجة خمر فارغة. فسأل أبو نواس أمير المؤمنين: لماذا الجلد يا أمير المؤمنين؟

فأجاب أمير المؤمنين: على زجاجة الخمر التي تحملها!

فقال: إذن، احكمْ عليّ بالموت لأنّني أحمل لساناً قد يكفر بالله.

لو أطاع اللّه فيك غيرك

خرج أحدهم على الرشيد؛ ولمّا ألقي القبض عليه، وسيق إلىٰ الرشيد قال له:

ـ ماذا تريد أن أصنع بك؟

قال الخارجيّ: الذي تريد أن يصنع الله بك إذا وقفت بين يديه.

فأطرق الرشيد قليلاً ثم قال: خلّوا سبيله.

فلمّا خرج من بين يديه، قال له أحد الحاضرين:

ـ يا أمير المؤمنين، أنفقت أموالك، وأتعبت رجالك، ثم أطلقته بكلمة

واحدة؟! فلا يأمن أمير المؤمنين من أهل الشرّ بعد ذلك.

فقال: ردّوه.

فلمّا مثل بين يديه علم أنّهم تحدّثوا فيه بالغدرة قال:

ـ يا أمير المؤمنين، لا تطع أحداً في أسيرك، فإن الله تعالىٰ لو أطاع فيك غيرك ما استخلفك ساعة واحدة.

فقال: أطلقوه ولا تعاودوني أبداً في أمره.

في بيوت أصحابها

ركب يحيىٰ بن خالد البرمكيّ يوماً مع هارون الرشيد، فرأىٰ الرشيد في طريقه أحمالاً، فسأل عنها، فقيل له:

ـ هذه هدايا خراسان بعث بها إليك واليها عليّ بن عيسىٰ بن ماهان، وكان ابن ماهان وليَها بعد الفضل بن يحيىٰ البرمكيّ.

فقال الرشيد ليحيىٰ: أين كانت هذه الأحمال في ولاية ابنك؟

فقال يحيى: كانت في بيوت أصحابها.

العِلْم أوَّلاً

أحبّ هارون الرشيد، بعد أن حجّ أن يستمع في المدينة إلىٰ مالك بن أنس. فأرسل في طلبه فقال مالك للرسول:

ـ قل لأمير المؤمنين، إن طالب العلم يسعىٰ إليه، أمّا العلم فلا يَسعىٰ إلىٰ أحد.

ولمّا عاد الرسول وأخبر عبد الملك بما حصل أذعن الخليفة، وقصد دار مالك، وطلب إخلاء المكان، فرفض مالك إلاّ أن يبقىٰ الناس جميعاً، وقال:

ـ إذا مُنع العلم عن العامّة فلا خير فيه للخاصّة.

فتبّسم الخليفة، وأذعن مرّة أُخرىٰ.

حيْرَة

دخلت على المهدي جاريته الأولىٰ وتدعىٰ حسناء، ثم دخلت الأُخرىٰ وتدعىٰ ملكة، . فقال لهما:

عند أيّكما أبيت؟

فقالت الأولىٰ: إن الله يقول: ﴿**السَّابِقُونَ السَّابِقُون أُولئِكَ المُقَرَّبُون**﴾.

فقالت ملكة: مهلاً، لا تعجّل، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿**وللآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَىٰ**﴾.

فقال المهديّ: لو أنّ شريكاً القاضي حضرهما لم يقدر أن يقضي بينهما.

أحسنت

قيل: رمىٰ المتوكّل عصفوراً فلم يصبه وطار.

فقال له ابن حمدان: أحسنت!

فقال له المتوكِّل: أتسخر منّي؟ كيف أحسنت؟!

قال: أحسنت إلىٰ العصفور.

أيُرْضيك هذا؟

حاصر الملك محمد بن السلطان محمود بغداد، فدار القتال على باب البلد، فأمر الخليفة المقتفي أن ينادى ببغداد: كلّ من جرح في القتال فله خمسة دنانير.

فكان كلّ من جرح يوصل ذلك إليه؛ وحضر بعض العامة عند الوزير مجروحاً، فقال له الوزير: هذا جرح صغير لا تستحقّ عليه شيئاً.

فعاد الرجل إلىٰ القتال، فضرب في جوفه، فخرجت أمعاؤه، فعاد إلىٰ الوزير، فقال له: يا مولانا الوزير، أَيُرْضيك هذا؟!

فضحك الوزير، وأمر له بصلة.

مئة دينار ومئة جَلدة

قال رجل للرشيد: إني أستطيع أن أقوم بعمل يعجز عنه جميع الناس.

فقال له الرشيد: هاتِ ما عندك حتىٰ نرىٰ.

فأخرج علبة مليئة بالإبر، فغرس إحداها في الأرض، ثم أخذ يرميها بسائر الإبر، بحيث إنّ كلّ إبرة تشتبك بثقب الإبرة السابقة.

ولمّا انتهىٰ من رمي الإبر، وقف الرجل مزهواً بعمله، منتظراً جائزة سنيّة، فأمر الرشيد بضربه مئة سوط وإعطائه مئة دينار.

ولمّا سئل الرشيد عن سبب هذا التصرّف قال:

ـ أعطيته مئة دينار مكافأة على حذقه ومهارته، وأمرت بضربه مئة سوط لأنّه يضيع ذكاءه بما لا يفيد.

مروءة

وفد أبو الشمقمق إلىٰ مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام؛ فلمّا دخلها توجّه إلىٰ منزله، فوجده في دار الخراج يطالب، فدخل عليه يتوجّع له، فلمّا رآه محمد قال:

وَلَقَدْ قَدِمْت على رِجَالٍ طَالَما ... قدمَ الرجالُ عليهم فَتَمَوَّلُوا

أَخْنَىٰ الزَّمانُ عليهم فكأنّما ... كانوا بأرضٍ أقفرت فَتَحَوَّلُوا

فقال أبو الشمقمق:

الجُودُ أَفْلَسَهُمْ وأَذْهَبَ مَالَهُمْ ... فاليومَ إنْ رَامُوا السَّمَاحَةَ يَبْخَلُوا

فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما إليه. فكتب بذلك مستوفي الخراج إلىٰ الخليفة، فوقّع إلىٰ عامله بإسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام في تلك السنة، وإسقاط ما عليه من البقايا، وأمر له بمئة ألف درهم معونة له على مروءته.

أبو الشمقمق وخالد بن يزيد

خرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد، وقد تولّىٰ الموصل. فلمّا أراد الدخول إليها اندقّ لواؤه في أول درب منها فتطيّر لذلك، فأنشده أبو الشمقمق يقول:

مـا كـان مُنْـدَقُّ اللّـواءِ لـريبـةٍ　　تُخْشَـىٰ وَلاَ أمْـر يكـونُ مُبَـذَّلا
لكـنّ هـذا الـرّمْـحَ ضَعّـفَ مَتْنَـهُ　　صغـرُ الـولايـة فـٱسْتَقَـلّ المَـوْصِلا

من يشتري الهجاء بالثمن؟

مرّ أعرابيّ بأبي الشمقمق فقال له: يا أعرابي!

قال: ما تشاء؟

قال: بعضه.

قال: خذ هذا الدرهم واهجني.

فأطرق الأعرابي هنيهة ثم قال: ما رأيت أحداً يشتري الهجو بالثمن غيرك.

ثم قال الأعرابي:

مَـرَرْتُ بـأ... بَغْـلٍ مُسْبَطِـرٍّ　　فُـوَيْـقَ البـاع كـالحَبْـلِ المطـوَّقْ
فمـا إنْ زِلْـتُ أعْـرُكُـهْ بكفّـي　　إلـىٰ أنْ صـار كـالسهـم المنـوَّقْ
فلمّـا أن طغـىٰ وَرَبَـا وأنْـدَى　　ضـربـتُ بـه حَـرِ أمّ الشمقمـق
أزيـدك أم كفـاك؟ وذاك أنّـي　　رأيتُـكَ فـي التجـارة لـم تُـوَفّـق

فقال أبو الشمقمق: أعوذ بالله من الشقاء، ما كان أغناني عن هذه التجارة.

إيّاك أعني

كان الواثق يقول بخلق القرآن، وكان يعاقب كلّ من خالفه، وذات يوم أُدخل عليه رجل، فقال له: ما تقول في خلق القرآن؟

فتصامم الرجل. فأعاد عليه السؤال، فقال: من تعني يا أمير المؤمنين؟
فقال: إيّاك أعني.
فقال: مخلوق.
وتخلص منه.

حسبي اللّه

أنشد أبو الشمقمق أبا نواس قوله:

كنتُ فيما مَضَىٰ فتَىٰ أمْدَحُ الناسَ ... وأهْجُو وَذَاك ذُلٌّ ذَليلُ
فأنا اليَوْمَ لَيْسَ قَوْلِيَ إلاّ ... حَسْبُنا اللَّهُ وهو نِعْمَ الوكيلُ

فقال له أبو نواس:
ـ يابن الفاعلة، إذن، والله، لا يطعمك أحد الخبز وتموت جوعاً فنمت إلى الرشيد فأمر بطلب أبي نواس وحبسه. وأعطىٰ أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم.

نفعتنا ونفعناك

جاء أبو الشمقمق إلىٰ بشار يشكو إليه الضيقة، ويحلف له أنّه ما عنده شيء.
فقال له بشار:
ـ واللَّهِ ما عندي شيء يغنيك ولكن قم معي إلىٰ عقبة بن سَلْم.
فقام معه، فذكر له أبا الشمقمق وقال: هو شاعر وله شكر وثناء.
فأمر له بخمسمئة درهم، فقال له بشار:

يا واحِدَ العَرَبِ الذي ... أمْسَىٰ وليسَ لَه نظيرُ
لو كانَ مِثْلَكَ آخرٌ ... ما كانَ في الدنيا فقيرُ

فأمر لبشّار بألفي درهم. فقال له أبو الشمقمق:
ـ نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ.

أنا وأنت نأخذ ولا نعطي

فرّق المهديّ على الشعراء جوائز، فأعطىٰ مروان بن أبي حفصة ثلاثين ألفاً، فجاءه أبو الشمقمق فقال له: أين حصَّتي من الجائزة!

فقال له: أنا وأنت نأخذ ولا نعطي.

فقال أبو الشمقمق: فاسمع منّي بيتين.

فقال المهديّ: هاتِ.

فقال أبو الشمقمق:

لِحْيَـــةُ مَـــرْوانَ تَقِـــي عَنْبَـــرا خـــالَـــطَ مِسْكـــاً خـــالصـــاً أذْفَـــرا

فمـــا يُقيمـــانِ بهـــا سَـــاعَـــةً إلاّ يَعـــــودان جميعـــــاً خـ . . .

فأمر له بدرهمين.

إنْ هجوتني هجوتك

كان بشار يعطي أبا الشمقمق في كلّ سنة مئتي درهم، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له: هلمّ الجزية يا أبا معاذ.

فقال: ويحك! أجزية هي؟!

قال: هو ما تسمع.

فقال له بشار يمازحه: أنت أفصح منّي؟

قال: لا.

قال: فأعلم منّي بمثالب الناس؟

قال: لا.

قال: فأشعر منّي؟

قال: لا.

قال: فلِمَ أعطيك؟

قال: لئلاّ أهجوك.

فقال له: إن هجوتني هجوتك.

فقال له أبو الشمقمق: هكذا هو؟

قال: نعم، فقل ما بدا لك.

فقال أبو الشمقمق:

إنّي إذا ما شاعر هجانِيَهْ   وَلَجَّ في القَوْلِ له لِسانيهْ
أدْخَلْتُهُ في اسْتِ أمّهِ علانِيَهْ   بشّار يا بشّار ....

وأراد أن يقول: «يا بْنَ الزانيه» فوثب بشار فأمسك فاه، وقال:

ـ أراد والله أن يشتمني.

ثم دفع إليه مئتي درهم، ثم قال له:

ـ لا يسمعنّ هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق.

بين زوجين قديمة وحديثة

قال أحدهم: تزوج رجل امرأة حديثة على امرأة له قديمة، فكانت جاريةُ الحديثة تمر على باب القديمة فتقول:

وما تَستوي الرِّجلان رجلٌ صحيحةٌ   ورِجل رَمىٰ فيها الزَّمان فشَلَّتِ

ثمَّ تعود فتقول:

وما يَستوي الثَّوبان ثوبٌ به البَلىٰ   وثوبٌ بأَيدي البائعين جَدِيدُ

فمرت جارية القديمة على الحديثة فأنشدت:

نَقِّل فُؤادك حيث شئت من الهَوىٰ   ما القلبُ إلا للحَبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتىٰ   وحنينُه أبداً لأول منزل

سبب البغض

نافرت امرأة فَضالة زوجَها إلىٰ سَلم بن قُتيبة، وهو والِي خراسان، فقالت: أبغضه والله لخلال فيه. قال: وما هي؟ قالت: هو والله قليل الغيرة، سريع الطِّيرة؛

شديد العتاب، كثير الحساب؛ قد أقبل بَخَره، وأدبر ذفرُه؛ وهَجمت عيناه، واضطربت رِجلاه؛ يُفيق سريعاً، ويَنطق رجيعاً؛ يُصبح جِبْساً، ويُمسي رجساً؛ إن جاع جَزع، وإن شَبع جَشع.

العارون في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة

كان أبو الشمقمق صعلوكاً متبرّماً بالناس، وقد لزم بيته في أطمار مسحوقة، وكان إذا استفتح أحد عليه بابه خرج، فينظر من فروج الباب، فإن أعجبه الواقف فتح له، وإلاّ سكت عنه. فأقبل إليه يوماً بعض إخوانه المُلْطفين له، فدخل عليه، فلمّا رأى سوء حاله قال له:

ـ أبشر أبا الشمقمق، فإنّا روينا في بعض الحديث: «**إنّ العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة**».

فقال: إن صحّ، واللّهِ، هذا الحديث كنت أنا في ذلك اليوم بزّازاً، ثم أنشأ يقول:

أنا في حالٍ تعالىٰ اللّـ ... ـه ربّي أيْ حالِ
ليس لي شيءٌ إذا قِيـ ... ـلَ لمن ذا؟ قلت ذا لي
ولقد أفْلَسْتُ حتّىٰ ... مَحَتِ الشَّمْس خَيَالي
ولقد أفْلَسْتُ حتّىٰ ... حَلَّ أكْلي لِعِيالي

وله:

أتراني أرىٰ من الدهرِ يوماً ... لي فيه مطيّة غير رجلي
كلّما كنتُ في جميعٍ فقالوا ... قَرِّبوا للرحيلِ قَرَّبْتُ نَعْلي
حيثما كنتُ لا أخُافُ رَحيلاً ... من رآني فَقَدْ رآني ورحلي

وقال أيضاً:

لو رَكِبْتُ البحارَ صَارَتْ فِجَاجاً ... لا نَرَىٰ في مُتُونِها أمْواجا
وَلَو أنّي وضَعْتُ ياقُوتةً حَمْراءَ ... في راحتي لصارتْ زُجَاجا
وَلَوَ أنّي وَرَدْت عذباً فُراتاً ... عَادَ لا شَكَّ فيه مِلْحاً أُجاجا

فـإلـىٰ اللّـه أشتكـي وإلـىٰ الفَضْـلِ   فقـد أصبحـت بُـزاتـي دَجَـاجـا

نصيحة

قال أبو سعيد الشحام: صحبتُ أبنَ سيرين عشرين سنة، فقال لي يوماً: يا أبا سعيد، إن تزوجت فلا تتزوج امرأة تنظُر في يدها ولكن تزوّج امرأة تنظر في يدك.

عبد الملك وعزّة وبثينة

وفدت عزّة وبثينة على عبد الملك بن مروان، فلمّا دخلتا عليه انحرف إلىٰ عزّة، وقال لها: أنت عزّة كثيّر؟

قالت: لست لِكُثَيِّر بعزّة، ولكنّي أمّ بكر الضمريّة.

قال: أتروين قول كثيّر فيكِ؟

لَقَـدْ زَعَمَـتْ أنّـي تغيّـرتُ بَعْـدَهـا   وَمَـنْ ذا الـذي يـا عـزّ لا يَتَغَيَّـرُ
تَغَيَّـرَ جِسْمـي والخَلِيقَـةُ كـالتـي   عَهِـدَتْ ولـم يُخَبِـرْ بِسِـرِّكِ مُخْبِـرُ

قالت: لست أروي هذا، ولكنّي أروي غيره حيث يقول:

كـأنّـي أنـادي صخرة حيـن أعْـرَضَـتْ   مِنَ الصمِّ لو يمشي بها العُصْمُ زَلَّتِ
صَفُـوحـاً فمـا تَلْقـاك إلاّ بَخِيلَـةً   فمـنْ مَـلَّ منهـا ذلـك الـوصـل ملَّـتِ

ثم عطف على بثينة وقال لها: ما رأى جميل حين لهج بذكرك بين النساء كلّهن؟

قالت: الذي رأى فيك الناس حين جعلوك خليفة بين رجال العالمين.

فضحك حتىٰ بدت له سنّ سوداء كان يخفيها، وأجزل جائزتهما، وقضىٰ حوائجهما.

ما أطيبك حراماً

تهدّد الفرزدقُ امرأةً شريفة حين امتنعت عليه، فاستغاثت بالنوّار امرأته. فقالت لها:

ـ واعديه ليلة، ثم أعلميني.

ففعلت، وجاءت النوار فدخلت الحجلة مع المرأة. فلمّا دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية، فأطفأت السراج، وغادرت المرأة الحجلة، وبقيت النوار ولما دخل الفرزدق وقع بالنوار وهو لا يشكّ أنّها صاحبته. فلمّا فرغ قالت له:

ـ يا عدوّ الله، يا فاسق...

فعرف صوتها، وعلم أنّه خُدع، فقال لها:

ـ أنتِ هي يا سبحان الله! ما أطيبك حراماً وأرداك حلالاً.

زينب بنت معيقب

تقدّم أبو جعفر محمّد بن عليّ (عليه السلام) ليرفع جنازة كثيّر المحاطة بالنساء اللواتي خرجن لتوديعه، ويذكرن عزّة ويبكينه، فقال لهنّ:

ـ تنحَّيْنَ يا صواحبات يوسف.

فانتدبت له امرأة منهنّ، فقالت:

ـ يا ابن بنت رسول الله لقد صدقت، إنّا لصواحبات يوسف، وقد كنّا له خيراً منكم له.

فقال أبو جعفر لبعض مواليه: احتفظ بها حتىٰ تجيئني بها إذا انصرفنا.

فلمّا انصرف أتي بتلك المرأة كأنّها شرارة من نار، فقال لها محمّد بن عليّ (عليه السلام):

ـ أنتِ القائلة: إنكنّ ليوسف خير منّا؟

قالت: نعم. تؤمّنني غضبك يا ابن بنت رسول الله؟

قال: أنت آمنة من غضبي فأبيني.

قالت: نحن يا ابن بنت رسول الله دعوناه إلىٰ اللذات من المطعم والمشرب، والتمتّع والتنعّم، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجبّ، وبعتموه بأبخس الأثمان، وحبستموه في السجن، فأيّنا كان عليه أحنىٰ به وأرأف؟

فقال محمد: للّٰه دَرّكِ! ولن تغالب امرأةٌ إلاّ غلبت.

ثم قال لها: ألك بعل؟

قالت: لي من الرجال من أنا بعله.

قال: صدقت، مثلك من تملك بعلها ولا يملكها.

فلمّا انصرفت قال رجل من القوم:

ـ هذه زينب بنت معيقب.

أفضل النساء

سئل أعرابيّ في النساء، وكان ذا تجربة وعلم بهنّ، فقال:

ـ أفضل الناس أطولهنّ إذا قامتْ، وأعظمهنّ إذا قعدتْ، وأصدقهنّ إذا قالتْ، والتي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسّمت، وإذا صنعت شيئاً جوّدت، والتي تطيع زوجها، وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود، الولود، وكلّ أمرها محمود.

الملك خسرو وشيرين والصيّاد

يقال: إنّ الملك خسرو بن أبرويز كان يحبّ أكل السمك. وكان يوماً جالساً في مجلسه، ومعه زوجته شيرين؛ فجاء صيّاد ومعه سمكة كبيرة، وأهداها إلىٰ الملك، ووضعها بين يديه، فأعجبته؛ فأمر له بأربعة آلاف درهم. فقالت شيرين:

ـ بئس ما صنعت.

فقال الملك: لِمَ؟

قالت: لأنّك إذا أعطيت بعد هذا لأحد من حشمك هذا القدر قال: أعطاني مثل عطيّة الصيّاد.

فقال: لقد صدقت، ولكن يقبح بالملوك أن يرجعوا في هباتهم، وقد فات الأمر.

فقالت شيرين: أنا أدبّر الأمر.

فقال: كيف؟

قالت: تدعو الصيّاد، وتقول له: هذه السمكة ذكر أم أنثىٰ؟ فإن قال لك ذكر فقل: إنّما طلبت أنثىٰ، وإن قال أنثىٰ، قلْ: إنّما طلبت ذكراً.

فنودي الصيّاد، فعاد، وكان ذا ذكاء وفطنة، فقال له الملك:

ـ هذه السمكة ذكر أم أنثىٰ؟

فقبّل الصياد الأرض، وقال له:

ـ هذه السمكة خنثىٰ، لا ذكر ولا أنثىٰ.

فضحك الملك من كلامه، وأمر له بأربعة آلاف درهم. فمضىٰ الصيّاد إلىٰ الخازن، وقبض منه ثمانية آلاف درهم، ووضعها في جراب كان معه، وحمله على عنقه، وهمّ بالخروج، فوقع من الجراب درهم واحد، فوضع الصيّاد الجراب عن كاهله، وانحنىٰ على الدرهم، فأخذه، والملك وشيرين ينظران إليه:

فقالت زوجة خسرو: أرأيت خسّة هذا الرجل وسفالته: سقط منه درهم واحد، فألقىٰ عن كاهله ثمانية آلاف درهم، وانحىٰ على الدرهم الواحد، فأخذه، ولم يسهل عليه أن يتركه ليأخذه غلام من غلمان الملك.

فحرد الملك من ذلك، وقال: صدقت يا شيرين.

ثم أمر بإعادة الصيّاد، وقال له: يا ساقط الهمّة، وضعت هذا المال عن كاهلك لأجل درهم واحد، وأسفت أن تتركه في مكانه؟

فقبّل الصيّاد الأرض، وقال: أطال الله بقاءك أيّها الملك؛ إنّي لم أرفع ذلك الدرهم لأهمّيّته عندي، وإنّما رفعته عن الأرض، لأنّ على وجهه صورة الملك، وعلى الوجه الآخر اسم الملك، فخشيت أن يأتي أحد بغير علم يضع عليه قدمه، فيكون ذلك استخفافاً باسم الملك، وأكون أنا المسبّب بهذا. فعجب الملك من حسن كلامه، وأمر له بأربعة آلاف درهم. فعاد الصيّاد ومعه اثنا عشر ألف درهم. فأمر الملك منادياً ينادي ألاّ يتدبّر أحد برأي النساء، فإنّه من تدبّر برأيهنّ، وَأْتَمَرَ بأمرهنّ خسر دراهمه.

سفينة نوح

صعدت امرأة بدينة سيارة نَقْلٍ، وجلست قرب أحد الركاب، فقال السائق لصديقه مازحاً:

ـ ما كنت أظنّ أنّ هذه السيارة صالحة لنقل الفيلة!

فأجابته المرأة على الفور:
ـ إن هذه السيّارة شبيهة بسفينة نوح، يدخل إليها كلّ أنواع الحيوانات من الفيل إلىٰ الحمار.

لم أجده

سأل قراقوش خادمه: أين كنت يا غلام؟
فأجاب الخادم: في السوق.
فقال قراقوش: وما تفعل في السوق؟
فقال الخادم: لقد ذهبت لأشتري خنشفاراً.
فسأله قراقوش: وما هو الخنشفار؟
فأجاب الغلام: لا أعلم يا سيّدي... فعندما ذهبت إلىٰ السوق لم أجده.

السجن بالنيابة

سأل قراقوش الطفل المتّهم بالسرقة.
ـ كم عمرك؟
فأجاب الطفل: عشر سنوات يا سيّدي!
فقال قراقوش: عشر سنوات وتسرق؟
فقال الطفل: لا يا سيّدي! ولكن أبي مريض وأنا أقوم مقامه.
فقال قراقوش: حسناً، يفرج عن الطفل، ويقبض على والده المريض، ويودع السجن، فهو المسؤول عن السرقة.

ارفقْ به

أراد رجل أن يختن ابنه فقال للحجّام:
ـ ارفق به، فإنّه ما اختتن قطّ.

بين الرشيد وجارية زبيدة

قعد الرّشيدُ يوماً عند زبيدة، وعندها جواريها، فنظر إلىٰ جاريّة واقفة عند رأسها فأشار إليها أن تُقبّله، فاعتلّت بشَفتيها، فدعا بدواةٍ وقرطاس فوقّع فيه:

قبّلتُــــه مـــن بعيـــد   فــاْعتــلَّ مــن شَفتيــه

ثم ناولها القرطاسَ فوقَّعتْ فيه:

فمــا بــرحــتُ مكــانــي   حتــىٰ وثبــتُ عليــه

فلمّا قرأ ما كتبت اْستوهبها من زُبيدة، فوهبتها له. فمضىٰ بها وأقام معها أسبوعاً لا يُدرىٰ مكانُهما، فكتبت إليه زُبيدة:

وعــاشــقٍ صــبّ بمعشــوقِــهِ   كــأنّمــا قلبــاهمــا قَلْــب
روحــاهمــا رُوح ونفســاهمــا   نفــسٌ، كــذا فليكــن الحُــبُّ

زهرة النرجس

قدم رجل إلىٰ قراقوش يطلب منه السماح له بأن يطلّق زوجته العجوز. فسأله قراقوش:

ـ لماذا تريد طلاق زوجتك؟

فأجاب: لقد خدعتني الخاطبة يا سيّدي، وقالت عنها: إنّها مثل زهرة النرجس، ولكنّي لم أجدها كذلك.

فنظر قراقوش إلىٰ المرأة العجوز وقال:

ـ يا رجل، إنّها فعلاً تشبه زهرة النرجس. أما ترىٰ شعرها الأبيض، ووجهها الأصفر، وساقيها الخضراوين، فكيف تطلب الطلاق منها؟!

جواب مفحم

كان بين جنود قراقوش جندي يشبهه كثيراً، فاقترب منه، وهو يتفقّدهم، وسأله:

ـ هل كانت أمّك تعمل عندنا؟

فأجاب الجندي على الفور:

ـ لا يا مولاي، بل كان أبي هو الذي يعمل هنا.

عبد الملك والعجّاج

دخل العجّاج على عبد الملك بن مروان، فقال:

يا عجّاج، بلغني أنك لا تقدر على الهجاء.

فقال العجّاج: يا أمير المؤمنين، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه إخراب الأخبية.

قال: وما يمنعك من ذلك؟

قال: إنّ لنا عزّاً يمنعنا من أن نُظلم، وإنّ لنا حِلماً يمنعنا من أن نَظلم، فعلامَ الهجاء؟

فقال: لكَلماتُك أشعر من شعرك، فأنّىٰ لك عزّ يمنعك من أن تُظلم؟

قال: الأدب البارع، والفهم الناصع.

قال: فما الحلم الذي يمنعك من أن تظلم؟

قال: الأدب المستطرف، والطبع التالد.

قال: يا عجّاج، لقد أصبحت حكيماً.

قال: وما يمنعني وأنا نحو أمير المؤمنين.

لو أدركتك

قدم أحمق من سفر، فسأله أحدهم:

ـ متىٰ قدمت؟

قال: غداً.

قال: لو قدمت اليوم سألتك عن رجل، فمتىٰ تخرج؟

قال: أمس.

قال: لو أدركتك كتبت معك كتاباً.

الرنين ثمن البخار

حصل أحد الشحّاذين على قطعة خبز. فأخذ يفكّر في إدام يغمسها به ويأكلها. فمرّ بدكان طاهٍ، فرأىٰ الطعام يغلي وروائح اللحم صاعدة منه، فتقدّم من القدر، وأخذ يقطع اللقم من الخبز ويرفعها فوق البخار المتصاعد، ثم يضعها في فمه بعد أن تترطب. فعجب الطاهي من هذا التصرّف وأخذ يراقبه. ولمّا فرغ من الخبز وأراد الانصراف تعلّق به الطاهي طالباً ثمن ما أكله. فامتنع الفقير عن الدفع، لأنّه لم يتناول سوىٰ البخار. فشكاه الطاهي إلىٰ قراقوش. ولمّا أحضر الفقير، وسمع قراقوش إقرار الطرفين، أخرج من جيبه بعض الدراهم، ورنّها قرب أذن الطاهي قائلاً: هات أذنك وخذ رنين الدراهم.

فقال الطاهي متعجّباً: ما هذا يا سيّدي.

أجابه قراقوش: هذا هو حقّك. فمن باع بخار الطعام يقبض رنين الدراهم.

معزاة ولو طارت

شاهد جمع كان يقف مع قراقوش حمامة تطير في السماء، فقالوا:

انظر هذه الحمامة.

فقال قراقوش: هذه ليست حمامة، إنّها معزاة.

فدهشوا وقالوا: لا يا سيّدنا إنّها حمامة.

فقال: قلت إنّها معزاة.

فقالوا: إن المعزاة لا تطير.

فردّ قراقوش غاضباً: قلت معزاة ولو طارت.

حل وسط والنتيجة!

وقف رجلان أمام قراقوش فقال أحدهما:

ـ يا سيدي إن هذا الرجل مدين لي بعشرين ديناراً وأنا أريد حلاً وسطاً، وهو

أن أتناسىٰ نصف المبلغ وأعطيه الآخر فردَّ قراقوش قائلاً:

ـ هذا استعداد طيب منك ولهذا على الدائن أن يتناسىٰ النصف الآخر مقابل ما قمت به.

هذا هو

دخل شحّاذ على قراقوش وقال له:

ـ يا مولاي، إنّني لم أرَ اللحم منذ عامين.

فأمر قراقوش أحد جنوده بإحضار اللحم الطازج.

ولمّا أحضر قال للشحّاذ:

ـ ها هو اللحم يا بني! تعالَ عندنا كلّما اشتقت إلىٰ رؤيته.

عاقبة الإفلاس

قال قراقوش للصّ: ما دمت سرقت الكيس فَلِمَ ضربته؟

قال اللصّ: يا سيّدي، لقد وجدت الكيس خالياً من الدراهم فضربته من شدّة الغيظ.

فنظر قراقوش إلىٰ الرجل وقال: وكيف تسير يا رجل بدون دراهم حتىٰ تعكّر صفو الرجل. أنت تستأهل الضرب والسجن أيضاً.

إنجاب غريب

جاء رجل يشكو إلىٰ قراقوش أن زوجته قد ولدت طفلاً بعد ثلاثة أشهر من زواجه بها.. فقالت الزوجة:

إنه يتهمني بالخيانة يا سيدي.. فأنا تزوجته من ثلاثة أشهر.. والطفل مكث في بطني ثلاثة أشهر فيكون المجموع ستة أشهر، لا ثلاثة كما يقول.

فقال قراقوش: اذهب يا معتوه، تتّهم المرأة في شرفها بعد كلّ الذي سمعته.

ما تسمح به الحياة

حكم قراقوش على متهم بالسجن ١٢٠ سنة فلمَّا أبدىٰ المتهم دهشته قال له قراقوش ضاحكاً:

لا تجزع يا أخي. . ستقضي منها في السجن ما تسمح لك به حياتك.

لِمَ صار حماراً

قال أحدهم: قلت لرجل طويل اللّحية يضرب حماره:

ارفق به!!

فقال: إذا لم يقدر أن يمشي فَلِمَ صار حماراً؟!

خدعة كتابية

أهدىٰ أحد الأثرياء لقراقوش معطفاً ثميناً من الصوف فقال قراقوش لزوجته:

ـ ضعيه في خزانة الملابس. . واكتبي عليه أنّه مصنوع من القطن. .

فسألته زوجته: ولماذا؟. . إنه من الصوف.

فقال قراقوش: أنا أعرف ذلك. . ولكن ستكتبين أنه من القطن حتىٰ نخدع حشرة العثة فلا تقترب منه.

اللّه يعطيك

شكا متسوّل لقراقوش أنّ رجلاً بخيلاً لم يعطه شيئاً عندما سأله خبزاً وقد كان جائعاً. فقال قراقوش للسائل:

ـ ماذا قال لك البخيل عندما سألته خبزاً؟

فقال السائل: قال لي: الله يعطينا ويعطيك.

فالتفت قراقوش إلىٰ البخيل وقال له:

ـ أما يكفيك يا رجل، أنّك حرمته من الخبز والنقود وتشاركه في الدعوة لله. . خذوه وضعوه في السجن حتىٰ لا ينال من الدعوة شيئاً.

قراقوش يخشىٰ نضوب نهر النيل

توقف النيل بمصر أياماً، فنظر قراقوش إلىٰ جمال السقائين، وهي تمشي عشرين عشرين، ففكر طويلاً، وقال:

ـ لو أخذت كل هذه الجمال من البحر لنفد البحر أو كاد ثم صاح:

ـ يا غلمان، نادوا في المدينة: قد أمر بهاء الدين قراقوش لا يملي أحد من البحر إلاّ جملاً واحداً. ففعلوا ذلك.

ثم أوفىٰ النيل، وبلغت زيادته حداً عظيماً فقال لهم:

ـ يا هؤلاء! الويل لكم إن عدمتموني فكيف رأيتم رأيي عليكم؟ ما هو إلاّ رأي مبارك!

الحل الصحيح

جاءرجل إلىٰ قراقوش يشكو داراً كان قد اشتراها من ساكن قديم بها، حيث وجد بها مجموعة من الفئران..

فأخذ قراقوش يفكر ثم قال:

ـ إصبر شهراً آخر فإن لم يطالب بها الساكن القديم.. صارت الفئران ملكك.

عقاب أشد

قراقوش: لِمَ دخَلْتَ دار هذه السيدة بالليل؟

المتهم: ظننته داري.

قراقوش: ولمّا رأيت السيدة لماذا هربت؟

المتهم: اعتقدت أنها زوجتي.

قراقوش: لا بدّ أن زوجتك قبيحة لا تريد رؤيتها، ولذلك حكمت بدخول زوجتك معك السجن عقاباً لك.

براءة مشروطة

وقف اللص أمام قراقوش متهماً بسرقة التجار في سوق المدينة وبينما هو واقف أمام قراقوش لاحظ الحارس أن اللص يضع يديه في جيوبه فنهره ولفت نظر قراقوش إليه فقال له قراقوش:

ـ يا حارس، هذا الرجل لو وضع يديه في جيوب التجار قيل عنه لص ولو وضعها في جيبه تريد مني أن أنهره. . . فأين يضع يديه هذا المسكين؟. .

ونظر إلىٰ اللص وقال: براءة بشرط أن تضع يدك في أي جيب بدون أن تسرق شيئاً.

انكسر الدينار

وفد رجلان أمام قراقوش أحدهما يتهم الآخر بأنه استولىٰ على دينار يخصه وقع منه بالطريق والتقطه الآخر. فسأل قراقوش الرجل:

ـ هل عثرت حقاً على دينار هذا الرجل بالطريق؟ ولم ترده إليه؟

فأجاب الرجل: نعم يا سيدي عثرت على دينار بالطريق ولكنه لا يخصه إذ إن الدينار الذي وجدته عبارة عن قطعتين كل منهما نصف دينار وهو يقول إن ديناره قطعة واحدة.

فردَّ قراقوش: أعطه النصفين يا رجل. . من الجائز أن الدينار عندما سقط على الأرض انكسر إلىٰ قطعتين.

نتيجة الكذب فقط

قال قراقوش للمتهم: يا رجل أليس عيباً عليك أن تحلف على زوجتك بالطلاق؟

المتهم: لم يحصل يا سيدي.

قراقوش: الطلاق حصل ونظراً لكذبك ستدخل الحبس.

فائدة الإسهال

فُقِد لفلاح حمار في حرّ الصيف ورابعة النهار وحاول أن يجده فلم يفلح حتىٰ أنهكه التعب، فذهب إلىٰ قراقوش، فرأىٰ علامات التعب ظاهرة على وجه صاحب الحمار.

فأمر بإعطائه مُسَهِّل بالجبر والقوة ورميه بالشارع. وبعد التنفيذ أخذ مفعول الإسهال يعمل في بطنه، فدخل إحدىٰ الخرائب ليغوط فوجد الحمار، فصاح فرحاً: مسهل بالإجبار أوجد الحمار.

جزاء التأمل

حكي أنه بينما كان أحد الشباب ماراً في طريقه شاهد امرأة جميلة فأخذ يتأملها. وبينما هو مأخوذ بالتمعن بقوامها اللطيف صادفته حفرة في الطريق فسقط فيها! وما كان منه إلاّ أن أقام الدعوىٰ أمام قراقوش فحكم بالحبس على الصَّبَّاغ الذي صبغ ثوب المرأة بهذا الشكل الجميل الذي يلفت النظر.

قَرَّر بَيْعَه!

عجز قراقوش عن مجامعة جاريةٍ له، فلم يقرِّر بيع الجارية، بل قرَّر بيع عضوه الفاشل الذي قَصَّر.

العقاب سلفاً أجدىٰ

أعطىٰ قراقوش ابنته جرّة لتملأها، ثم صفعها بكفه قائلاً: إياكِ أن تكسري الجرة، فقال الذين رأوها تبكي: هي طفلة يا قراقوش أيجدر بك أن تضرب هذه البنية بغير حق وهي لم تذنب؟ فأجابهم: إني أريد أن أريها عاقبة كسر الجرة حتىٰ تنتبه وإلاّ فلا معنىٰ للعقاب بعد كسر الجرة.

قراقوش والمحاسب

حكي أنّ قراقوش أتاه رجل نصراني، فخاف أن يدخل بدواته الأبنوس السوداء فيقول الأمير: صبحتنا بالسواد.

فلف دواته في خرقة، فسالت الدواة على ساق النصراني فقال له قراقوش:

ـ ويلك أَلأِنّكَ تغلط في دفاتر السلطان وتلحس الأغلاط وتمسحها صارت بدلتك سوداء..

يا غلمان: أرسلوه إلىٰ الحبس حتىٰ تبيضّ بدلته، ثم ننظر في أن نخلّصه.

قراقوش واللّوطيّ

شكت امرأةٌ زوجها إلىٰ قراقوش لأنّه أقام علاقة جنسيّة معها خلافاً للطبيعة، فأدانه قراقوش، وأمر بالطواف به في الشوارع. وعندما سُئِل قراقوش عن سبب إدانته له، قال:

ـ لأنّ هذا الرجل لم يمارس هذا الشّذوذ مع بني جنسه ومارسه مع زوجته.

قراقوش ولحية الشرطيّ

جيء إليه مرّة بجماعة، فأمر أن تحلق لحاهم، ثمّ تبيَّن له أن أحدهم لا لحية له. فقال:

ـ احلقوا لحية هذا الشرطي مكانه.

صبور

وقفت زوجة دميمة أمام قراقوش وقالت:

ـ يا سيّدي لقد حاول قتلي ولم يمض على زواجنا عشرون يوماً.

فنظر قراقوش إلىٰ زوجها وقال:

ـ يحكم عليك بالسجن لصبرك عليها طوال هذه المدّة.

اللبن الفاسد

اشترىٰ أحدهم لبناً من أحد الباعة، ولما كان فاسداً شكاه إلىٰ قراقوش، فنظر قراقوش إلىٰ بائع اللبن وقال له:

ـ كان يجب عليك حفظ اللبن في درّ البقرة ليظلّ طازجاً، ولهذا السبب حكمت عليك بالسجن لمدّة سنة.

قراقوش والغلام والديك

حكي عن بهاء الدين قراقوش أنهم أتوه يوماً ما بغلام في يده ديك فقال:

ـ إن هذا الديك لو نقر عينك لكان قلعها! يا غلمان خذوا منه دية عينه.

فحلف الغلام المسكين ألا يقعد في مدينة يكون قراقوش حاكمها بعد اليوم.

محتال

سأل قراقوش المتّهم: كيف تعيش يا رجل من عرق الناس؟ إذن أنت نصّاب محتال؟

فأجاب المتّهم: يا سيدي إنّني فعلاً أعيش من عرق الناس، لأنّي صاحب حمام يستحمّ فيه الناس.

فقال قراقوش: حتىٰ هذا لا يفيدك ما دام مكسبك من عرقهم. ضعوه في السجن.

جزاء العصيان

قدم رجل إلىٰ قراقوش يريد طلاق زوجته، فسأله قراقوش:

ـ وما السبب في ذلك؟

أجاب: كانت حاملاً في شهرها التاسع، وسافرت أنا، وقلت لها بألاّ تضع حتىٰ أعود. ولما رجعت وجدتها قد وضعت (ولدت).

فأمر قراقوش بحبس المرأة قائلاً:

ـ يجب على الزوجة أن تطيع زوجها. احبسوها جزاء عصيان أوامره.

إحمد ربّك

ذهب قراقوش لزيارة صديق له، فوجده حزيناً، لأنّ زوجته قد أنجبت له طفلتين. فسأله قراقوش:

ـ ومتىٰ حدث هذا؟

فقال له الصديق: عندما حضرت إلىٰ المنزل الساعة الثانية.

فردّ قراقوش ضاحكاً: إحمد الله أنك لم تحضر الساعة الثانية عشرة وإلاّ لكانت أنجبت لك اثنتي عشرة بنتاً.

لا تخف

أهدىٰ أحد الملوك ثلاثة أسود إلىٰ قراقوش. فأخذ قراقوش يفكر بمن سيروِّضهم من معاونيه، فاستقرّ رأيه على خادم نحيف ضعيف، فقال له الخادم:

ـ ولكنّني لا أستطيع ترويض مثل هذه الوحوش يا سيّدي لأنّها متوحّشة وربّما تأكلني.

فقال قراقوش: ولهذا السبب اخترتك. إنّ الأسود لو رأتك لتركتك لنحول جسمك، أو ربّما انتظرت حتىٰ تسمن، فلا تخف إذن، إنّها لن تأكلك.

شفاعة

سأل قراقوش زوجة المتّهم:

ـ لماذا تبكين يا سيّدتي؟

فأجابت الزوجة: لأنّك حكمت على زوجي بالسجن سنة فقط.

فردّ قراقوش: لا تبكي يا امرأة، سأجعل الحكم ثلاث سنوات.

التجربة خير برهان

قال قراقوش للمدّعي:

ـ تقول: إنّ هذا الرجل صفعك أوّل صفعة ثم ماذا؟

فقال المدّعي: ثم صفعته الصفعة الثالثة.

فقال قراقوش: أنت تقصد الثانية!

فقال المدّعي: لا، إنّه هو الذي وجّه إليّ الصفعة الثانية.

فقال قراقوش: أنا لا أفهم ما تقوله، تعال أنت وهو لتصفعا بعضكما أمامي، وعندها سأعرف من هو الجاني ومن هو المجني عليه.

يحكم دائماً للسابق بالشَّكْوَىٰ

حكي أن قراقوش جاءه شاب مضروب، فبعث معه خمسة رجال من (الجاندرمة) أي الحراس المتتبعين للعصاة والمجرمين. فبلغ ذلك خصمه الذي ضربه، فسبقه ووقف بجانب قراقوش.

فلما أقبل الشاب قال الخصم: هذا الذي قتلني وضربني!

فأقبل قراقوش على الشاب المظلوم وبطحه وضربه إلىٰ أن أشرف على الموت وهو يصرخ من الألم.

ـ أنا مظلوم! أنا مظلوم!.

فقال له قراقوش: سبقك.

فحلف الناس أنهم لا يقعدون ما دام قراقوش في البلد حاكماً.

قراقوش يدفئ القطن بالصوف

حكي أن جماعة من الفلاحين جاؤوا إلىٰ قراقوش وشكوا إليه من خراج القطن، وقالوا له:

ـ يا مولانا السلطان، البرد شوّش على القطن هذه السنة، وأنت تفرِّج عنّا وتسامحنا في بعض المال.

فكان من جوابه لهم بعد سكوت طويل.

ـ لأي شيء أسامح في بعض المال؟ لما رأيتم البرد اشتد، كان عليكم أن تزرعوا مع القطن صوفاً لأجل ما يدفيه! ولكنكم استهنتم بالحكومة وبالزراعة، ولم تفتحوا أعينكم لخدمة أستاذكم. أين السَّيّاف يضرب أعناق الجميع.

فلم يقدر أحد من جلسائه أن ينقم عليه ذلك.

سليمان بن عبد الملك والخارج عليه

خرج رجل على سليمان بن عبد الملك، فلمّا ظفر به عفا عنه؛ ثم عاد وخرج عليه، فظفر به وعفا عنه أيضاً. وفي المرّة الثالثة أمر بضرب عنقه، فقال الرجل:

ـ يا أمير المؤمنين، بالله عليك الحلم!

فقال سليمان: قد عفوت عنك، ثم عفوت عنك.

فقال الرجل: أليس قد أظفرك الله بي، ثمّ أظفرك ثم أظفرك؟

قال: بلىٰ، والحمد لله على ذلك.

ثم خلّىٰ سبيله.

ما بعث اللّٰه محمّداً جابياً

كتب أحد الولاة إلىٰ الخليفة عمر بن عبد العزيز يقول:

ـ إنّ الجزية قد نقصت في بيت المال لكثرة الداخلين في الإسلام، فنتمنّىٰ إبقاء الجزية عليهم، مع أنّ الإسلام يرفض هذا عمّن أسلم.

فأجابه عمر: قبّح الله رأيك، ما بعث الله محمّداً جابياً، بل هادياً.

سليمان وكاتب الحجّاج

طلب سليمان بن عبد الملك يزيد بن مسلم كاتب الحجاج. فدخل عليه مقيّداً بالحديد، فقال له: لعن الله رجلاً رفعك ووجّهك في أمره.

فقال له: رأيتني والأمر عنّي مدبر، ولو رأيتني والأمر مقبل عليّ لاستعظمت منّي ما استصغرت، ولاسْتجللت منّي ما استحقرت.

قال: صدقت. اجلس، لا أمّ لك.

فلمّا جلس قال له سليمان: طلبتك لتخبرني عن ظنّك بالحجّاج، أتراه يهوي بعد في جهنّم، أو استقرّ فيها.

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تقل هذا للحجّاج، فإنّه قد بذل لكم نصحه، وأحقن دونكم دمه، وأمّن وليّكم، وأخاف عدوّكم، وإنّه ليأتي يوم القيامة عن يمين أبيك، ويسار أخيك حيث شئت.

فصاح سليمان: اخرجْ عني إلىٰ لعنة الله.

زِدْ ألِفاً وأنقصْ ألفاً

كان عمر بن عبد العزيز جالساً عند الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد كثير اللحن، فقال:

ـ يا غلام، ٱدْعُ لي صالح.

فقال الغلام: يا صالحاً.

فقال له الوليد: انقص ألفاً.

فقال عمر: وأنت، يا أمير المؤمنين، زِدْ ألفاً.

وفد الشكر والسلام

لما أفضت الخلافة إلىٰ عمر بن عبد العزيز أتته الوفود للتهنئة، وكان فيهم وفد الحجاز، فنظر إلىٰ صغير السنّ وقد أراد أن يتكلّم، فقال:

ـ ليتكلّم من هو أسنّ منك، فإنّه أحقّ بالكلام منك.

فقال الصبيّ: يا أمير المؤمنين، لو كان القول كما تقول، لكان في مجلسك هذا من أحقّ منك.

قال: صدقت. فتكلّم.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا ما قدمنا عليك رغبة مِنّا ولا رهبة منك، أمّا عدم الرغبة فقد أمِنّا بك في منازلنا، وأمّا عدم الرهبة فقد أمِنّا جورك بعدلك، فنحن وفد الشكر والسلام.

فقال له عمر: عظني يا غلام.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ أناساً غرَّهم حلم الله، وثناء الناس عليهم، فلا تكن ممن يغرّه حلم الله، وثناء الناس عليه، فتزلّ قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ﴿**ولا تكُونُوا كالذين قَالُوا سَمِعنَا وهم لا يسمعون**﴾.

فنظر عمر في سنّ الغلام، فإذا له اثنتا عشرة سنة. فأنشد عمر:

تَعَلَّـمْ فَلَيْـسَ المَـرْءُ يُـولَـدُ عـالِمـاً   وَلَيْسَ أخُـو عِلْـمٍ كَمَـنْ هُـوَ جَـاهِـلُ
فـإنّ كَبِيـرَ القَـوْمِ لا عِلْـمَ عِنْـدَهُ   صَغِيـرٌ إذا ٱلْتَفَّـتْ عليـه المحـافِـلُ

حلم عمر بن عبد العزيز

خرج عمر بن عبد العزيز ليلة، ودخل المسجد، فمرّ في الظلمة برجل نائم، فضربه، فرفع رأسه إليه وقال: أمجنون أنت؟!

قال عمر: لا.

فهمّ الحارس بضرب الرجل. فقال عمر:

ـ مَهْ، إنّما سألني: أمجنون أنت، فقلت له: لا.

يزيد وحبابة

نزل يزيد بن عبد الملك الشام ومعه حبّابة، وكان يحبّها كثيراً. فقال لمن معه:

ـ إذا كان غداً فلا تخبروني بشيء، ولا تأتوني بكتاب. وخلا هو وحبّابة، فأُتيا بما يأكلان، فأكلت رمانة فشرقت بحبّة فماتت. فأقام لا يدفنها ثلاثة أيّام حتىٰ تغيّرت وأنتنت، وهو يشمّها ويرشفها، فعاتبه على ذلك ذوو قرابته، وأصدقاؤه، وعابوا عليه ما يصنع، وقالوا:

قد صارت جيفة بين يديك!

فأذن لهم بغسلها ودفنها.

وبعد ثلاثة أيام اشتاق إليها، فقال:

ـ لا بدّ من أن تنبش لأشمّها.

فنبشت وكشف له عن وجهها، وقد تغيّر تغيّراً قبيحاً، فقيل له:

ـ يا أمير المؤمنين، اتّق الله ألا ترىٰ كيف صارت؟

فقال: ما رأيتها قطّ أحسن منها اليوم. أخرجوها.

فجاء وجوه أهله، فلم يزالوا حتىٰ أثنوه عن ذلك، ودفنوها، وانصرف، وكمد كمداً شديداً حتىٰ مات، فدفن إلىٰ جانبها.

عليك بنفسك

بعث هشام بن عبد الملك إلىٰ الأعمش أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوئ عليّ (ع)، فأخذ الأعمش القرطاس، وأدخلها في فم شاة فلاكتها، وقال لرسوله:

ـ قل له هذا جوابك.

قال له الرسول: إنّه قد آلىٰ أن يقتلني إن لم آته بجوابك.

فقال له بعض الحاضرين: يا أبا محمد افتده من القتل.

ولمّا ألحّوا عليه كتب له:

ـ بسم الله الرحمٰن الرحيم، أمّا بعد يا أمير المؤمنين، فلو كانت لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعليّ عليه السلام مساوىء أهل الأرض ما ضرّتك، فعليك بنفسك والسلام.

خشيت أن يستوحش

كان أبو العبّاس السفّاح مشرفاً على صحن داره ينظرها ومعه امرأته أم سلمة، فعبث بخاتمها، فسقط من يدها إلىٰ الدار، فألقىٰ السفّاح أيضاً خاتمه، فقالت:

ـ يا أمير المؤمنين، ما أردت بهذا؟

قال: خشيت أن يستوحش خاتمك، فآنسته بخاتمي غيرة عليه لانفراده.

حجّة أعرابيّ

قدم وفد من الأعراب على الخليفة عمر بن عبد العزيز، فانبرىٰ شابّ وقال:

ـ يا أمير المؤمنين، لقد أصابتنا سنون عجاف: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقّت العظم، وفي أيديكم فضول، فإن كانت لنا، فعلام تمتصّونها؟ وإن كانت لله فوزّعوها على عباده، وإن كانت لكم فتصدّقوا بها علينا، فإنّ الله يجزي المتصدّقين.

فقال عمر: والله ما ترك الأعرابي لنا عذراً في واحدة.

جواب مفحم

دخل الوليد بن يزيد على هشام بن عبد الملك، وعلى الوليد عمامة مزخرفة، فقال هشام:

ـ بكم اشتريتَ عمامتَكَ؟

فقال الوليد: بألف درهم.

فقال هشام متعجِّباً من ارتفاع ثمنها، ومُسْتكْثِراً هذا الثمن على شراء عمامة:

ـ أتشتري عمامة بألف درهم؟!

فقال الوليد: يا أمير المؤمنين، كيف تَسْتكْثِر ألف درهم ثمناً لعمامةٍ اشتريتُها لأكرم أطرافي، وأنتَ اشتريتَ جاريةً بعشرة آلاف درهم لأخسّ أطرافك!

الآن طاب السجود

لما مات يزيد بن عبد الملك، وصارت الخلافة إلىٰ هشام بن عبد الملك خرّ أصحابه سجوداً إلاّ الأبرش الكلبي، فقال له:

ـ يا أبرش، ما منعك أن تسجد؟

قال: يا أمير المؤمنين، لأنك ذهبت وتركتنا.

قال: فإن ذهبت بك معي؟

قال: أو تفعل يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم.

قال: فالآن طاب السجود، ثم سجد.

من أشعار أبي العيناء

من أشعار أبي العيناء:

إذا أَنْتَ لم تُرْسِلْ وَجِئْتُ فَلَمْ أَصِلْ — مَلأْتُ بِعُذْري مِنْكَ سَمْعَ لَبيبِ

أَتَيْتُكَ مُشْتاقاً فَلَمْ أَرَ جالساً — ولا ناظِراً بعَيْنِ غَضوبِ

كَأَنّي غَريمُ مُقْتَضٍ وَكَأَنَّني — طُلوعُ رَقيبٍ أَوْ نُهوضُ حَبيبِ

من نوادر أبي العيناء وأشعاره

قال بعض الرؤساء لأبي العيناء: يا أبا العيناء، لو متَّ لرقص الناس طرباً وسروراً، فقال:

أَرَدْتَ مَذَمَّتي فَأَجَدْتَ مَدْحي — بِحَمْدِ اللَّهِ ذلك لا بِحَمْدِكْ

فَلا تَكُ واثِقاً أبداً بِعَمْدٍ — فقد يأتي القضاءُ بِضِدِّ عَمْدِكْ

أجل، الناس قد ذهبوا، فلو رآني الموتىٰ لطربوا، فما زالوا يغبطونكم بي ويرحمونني بكم!

* * *

وقال في دير باشهْرا:

نَزَلْنا دَيْرَ باشَهْرا — على قِسِّيسِهِ ظُهْرا

على ذِيْنِ أَيْسوعٍ — فما أفْتىٰ وما أَسْرا

فأَوْلىٰ مِنْ جَميلِ الفِعْلِ — ما يَسْتَعْبِدُ الحُرّا

وسَقانا وَرَوّانا — مِنَ الصّافِيَةِ العَذْرا

وطَابَ الوقْتُ في الدَّيْرِ — فَرابَطْنا بِهِ عَشْرا
وَسُقِّينا بِهِ الشَّمْسَ — وَأُخدِمْنا بِهِ البَدْرا
وَأُحْيَيْتْ لَذَّةُ الكَأْسِ — ولكِن قَتَلْتْ سُكْرا
وَنِلْنا كُلَّ ما نَهْواهُ — مِن لَذّاتِنا، جَهْرا
تَصابَيْنا، وَغَنَّيْنا — وَأَرْغَمْنا بِهِ الدَّهْرا
فنـ...، وَتَهَتَّكْنا — ومِثْلي هَتَكَ السِّتْرا
وَقَدْ ساعَدَنا رَبَّنُ — طَوْعاً منه لا جَبْرا
جَزاهُ اللهُ عن خيْرٍ — بِهِ قابَلَنا خيْرا
فَقَدْ أَوْسَعْتُهُ شكراً — كما أَوْسَعَنا بِرّا

❊ ❊ ❊

إِنْ يَأْخُذِ اللّهُ من عَيْنَيَّ نورَهُما — ففي لِساني وسَمْعي مِنْهُما نورُ
قَلْبٌ ذكيٌّ، وعَقْلٌ غيْرُ ذي خَطَلٍ — وفي فمي صارِمٌ كالسَّيْفِ مَشْهورُ

❊ ❊ ❊

قيل لأبي العيناء: النّاس مع أبي علي البصير عليك، وهم إليه أميل! فقال:

سَقَيْتُهُمُ الرَّدىٰ لمّا رَمَوْني — فقالوا أَبْغضوكَ، فكنتُ أدري
كَبُغْضِ بني قُرَيْشٍ في عَلِيٍّ — ولا ذَنْبٌ سِوىٰ أُحُدٍ وبدر

❊ ❊ ❊

حَمِدْتُ إِلٰهي إِذْ بَلاني بِحُبِّها — على حَوَلٍ يُغْني عَنِ النَّظَرِ الشَّذْرِ
نَظَرْتُ إِلَيْها والرَّقيبُ يَظُنُّني — نَظَرْتُ إِلَيْهِ فاسْتَرَحْتُ مِنَ العُذْرِ

❊ ❊ ❊

الحَمْدُ للّهِ ليسَ لي فَرَسُ — ولا على بابِ مَنْزِلي حَرَسُ
ولا غُلامٌ إذا هَتَفْتُ بِهِ — بادَرَ نَحْوي كأَنَّهُ قَبَسُ
إِبْني غُلامي وزَوْجَتي أَمَتي — مَلَّكَنيها المُلاّكُ والعُرُسُ
غَنيتُ بِاليأسِ واعْتَصَمْتُ بِهِ — عَنْ كُلِّ فَرْدٍ بِوَجْهِهِ عَبَسُ

فَمــا يَــرانــي بِبــابِــهِ ابــداً طَلْــقَ المُحَيَّـا سَمْــحٌ ولا شــرسُ

* * *

دخل أبو العيناء على رجل قد عُزل عن عمل كان يتولاّه. فقال: لئن قبحت عليك النّعمة، لقد حسنت بك النّقمة! قال: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنّي سألتك أحقر من قدرك، فرددتَني بأقبح من وجهك، ثمَّ قال:

قُــلْ لِــزَيْــدِ بْــنِ صــاعِــدِ جــاءَكَ العَــزْلُ فــي لَطَــفْ
فَــاجْــرَعِ الهَــمَّ واصْطَبِــرْ فعلــى ربِّــكَ الخَلَــفْ
أَنْــتَ أيضَــاً إذا وَلِيْــتَ فــلا تُكْثِــرِ الصَّلَــفْ

* * *

مــا فــي يَــدَيَّ مِــنَ الصِّبــا إلاّ الصبــابــةُ والأسَــفْ
جــاءَ الشَّبــابُ فمــا أَقــامَ ولا أَلَــمَّ ولا وَقَــفْ
كــان الشَّبــابُ كــزائِــرٍ مَــلَّ الــزِّيــارَةَ فَــانْصَــرَفْ

* * *

وقال يذمّ الدنيا:

مَــذْمــومَــةٌ بِــالْهَــمِّ مخطــوبَــةٌ سُــمٌّ ذُعــافٌ دَرُّ أَخْــلافِهــا
ولــم تَــزَلْ تَقْتُــلُ أَلاّفَهــا أُفٌّ لِمَــنْ تَقْتُــلُ أُلاّفَهــا

* * *

تَــوَلَّــتْ بهْجَــةُ الــدُّنيــا فَكُــلُ جَــديــدِهــا خلَــقُ
وَخَــانَ النّــاسُ كُلُّهُــمُ فمــا أَدْري بِمَــنْ أَثِــقُ
رأَيْــتُ مَعــالِــمَ الخيــرا ت سُــدَّت دُونَهــا الطُّــرُقُ
فــلا حَسَــبٌ ولا أَدَبٌ ولا دِيــنٌ ولا خُلُــقُ

* * *

وقال في ذمّ الهوىٰ:

ومَـا كيِّـسٌ فـي النّـاسِ يُحْمَـدُ رَأْيُـه فَيُـوجَـدُ إلاّ وهُـوَ فـي الحبِّ أَحْمَـقُ

وما مِنْ فتىً ما ذاقَ بُؤْسَ مَعيشَةٍ   مِنَ الدَّهْرِ إلاّ ذاقَها حينَ يَعْشَقُ

* * *

وقال:

يا بَدْرَ لَيْلٍ تَوَسَّطَ الفَلَكا   ذِكْرُكَ في القَلْبِ حَيْثما سَلَكا
إنْ تَكُ عن ناظري نَأَيْتَ فَقَدْ   تَرَكْتَ عَقْلي عَلَيْكَ مُشْتَرَكا
أَسْلَمْتُ عَيْنَيَّ لِلسُّهادِ كما   أَسْلَمَ جَفْني عليكَ ما مَلَكا
ما كنْتُ أَرْجو السُّلُوَّ من سَنَنِ   الدَّمْعَةِ إلاّ لِشانِىءٍ فبكىٰ
ولاَ بدا لي شَيْءٌ سُرِرْتُ بِهِ   بَعْدَكَ إلاَّ نَظَرْتُ لي وَلَكَا

* * *

وقال في المال:

مَنْ كانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ   شَفَتاهُ أَنْواعَ الكَلامِ فَقَالا
وتَقَدَّمَ الفُصَحاءُ فَاسْتَمَعوا له   وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ الوَرَىٰ مُخْتالا
لولا دراهِمُهُ التي في كيسِهِ   لَرَأَسْتَهُ شَرَّ البَرِيَّةِ حالا
إنَّ الغَنِيَّ إذا تَكَلَّمَ كاذِباً   قالوا: صَدَقْتَ وما نَطَقْتَ مُحالا
وإذا الفقيرُ أَصابَ قالوا: لم تُصِبْ   وَكَذَبْتَ، يا هذا، وَقُلْتَ ضَلالا
إنَّ الدَّراهمَ في المواطِنِ كُلِّها   تَكْسُو الرِّجالَ مَهابَةً وجَلالا
فَهْيَ اللِّسانُ لِمَنْ أَرادَ فَصاحَةً   وَهْيَ السِّلاحُ لِمَنْ أَرادَ قِتالا

* * *

لَعَمْري لَئِنْ كانَتْ نَواكُم تَباعَدَتْ   لما قَرَّ بَيْناً منكمُ الدارُ أطولا
فإنْ تَنْأَ بي الدّارُ منكم لَمُبْلِغٌ   إلَيْنَا وإنْ كانَ التَّبَصُّرُ أجملا

* * *

وقال في الوزير أحمد بن الخصيب:

قُلْ لِلْخَليفَةِ يا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ   أَشْكِلْ وَزيرَكَ إنَّهُ رَكّالُ
قَدْ أَحْجَمَ المُتَظَلِّمونَ مُخافَةً   مِنْهُ وَقالوا: ما نَرومُ مُحالُ

مـــا دامَ مُطْلَقَـــةً عَلَيْنـــا رِجْلُـــهُ أَوْ دامَ لِلنَـــزِقِ الجَهـــولِ مَقـــالُ
قَـدْ نـالَ مِـنْ أَعْـراضِنَـا بِلِسـانِـهِ ولِـرِجْلِـهِ بَيْـنَ الصُّـدورِ مَجـالُ
إِمْنَعْـهُ مـن رَكْـلِ الـرِّجـالِ وإِنْ تُـرِدْ مـــالاً فَعِنْـــدَ وَزيـــرِكَ الأَمْـــوالُ

* * *

المأمون وجارية عربية

قال عبدالله النميري :

كنت يوماً مع المأمون، وكان بالكوفة، فركب للصيد، ومعه سريّة من العسكر؛ فبينما هو سائر إذ لاحت طريدة، فأطلق عنان جواده، وكان على سابق من الخيل؛ فأشرف على نهر ماء من الفرات، فإذا هو بجارية عربيّة، خماسيّة القدّ، قاعدة النهد، كأنّها القمر ليلة تمامه، وبيدها قربة قد ملأتها، وحملتها على كتفها، وصعدت من حافة النهر، فانحلّ رباطها، فصاحت برفيع صوتها :

ـ يا أبتِ، أدرِكْ فاها، قد غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها.

فعجب المأمون من فصاحتها، ورمت الجارية القربة من يدها، فقال لها المأمون :

ـ يا جارية، من أيّ العرب أنتِ؟

قالت : من بني كلاب.

قال : وما الذي حملك على أن تكوني من الكلاب؟

فقالت : والله لست من الكلاب، وإنّما من قوم كرام غير لئام، يقرون الضيف، ويضربون بالسيف.

ثم قالت : يا فتىٰ، من أيّ الناس أنت؟

قال : أَوَ عندك علم بالأنساب؟

قالت : نعم.

قال لها : أنا من مضر الحمراء.

قالت : من أيّ مضر؟

قال: من أكرمها نسباً، وأعظمها حسباً، وخيرها أمّاً وأباً، وممّن تهابه مضر كلّها.

قالت: أظنّك من كنانة.

قال: أنا من كنانة.

قالت: ومن أيّ كنانة؟

قال: من أكرمها مولداً وأشرفها محتداً، وأطولها بالمكرمات يداً، ممّن تهابه كنانة وتخافه.

فقالت: إذن أنت من قريش.

قال: أنا من قريش.

قالت: ومن أيّ قريش؟

قال: من أجملها ذكراً، وأعظمها فخراً، ممّن تهابه قريش كلّها وتخشاه.

قالت: أنت والله من بني هاشم.

قال: أنا من بني هاشم.

قالت: من أيّ هاشم؟

قال: من أعلاها منزلة، وأشرفها قبيلة، ممّن تهابه هاشم وتخافه. فعند ذلك قبّلت الأرض وقالت:

ـ السلام عليك يا أمير المؤمنين، وخليفة ربّ العالمين.

فعجب المأمون، وطرب طرباً عظيماً، وقال:

ـ والله لأتزوّجنّ بهذه الجارية، لأنّها من أكبر المغانم.

ووقف حتىٰ تلاحقته العساكر. فنزل هناك، وأمر بإحضار أبيها، وخطبها منه، فزوّجه بها، وأخذها، وعاد مسروراً، وهي والدة العباس والله أعلم.

عبد الملك وهند والحجّاج

حكي أنّ هند بنت النعمان كانت أحسن أهل زمانها، فوصف للحجّاج حسنها، فأنفذ إليها يخطبها، وبذل لها مالاً جزيلاً، وتزوّج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مئتي ألف درهم. ودخل بها، ثمّ إنّها انحدرت معه إلىٰ بلد أبيها المعرّة،

وكانت هند فصيحة أديبة، فأقام بها الحجّاج بالمعرّة مدّة طويلة، ثم إنّ الحجّاج رحل بها إلىٰ العراق، فأقامت معه ما شاء الله، ثم دخل عليها في بعض الأيّام وهي تنظر في المرآة وتقول:

وما هِنْـدُ إلاّ مُهْـرةٌ عَـرَبيَّـةٌ سَلِيلَـةُ أفـراسٍ تَحَلَّلَهـا بَغْـلُ
فـإنْ وَلَـدَتْ فَحْـلاً فلِلَّـهِ دَرُّهـا وإنْ وَلَـدَتْ بَغْـلاً فجـاء بـه البَغْـلُ

فانصرف الحجّاج راجعاً، ولم يدخل عليها، ولم تكن علمت به، فأراد الحجاج طلاقها، فأنفذ إليها عبدالله بن طاهر، وأنفذ معه مئتي ألف درهم، وهي التي كانت لها عليه، وقال:

ـ يابن طاهر، طلّقها بكلمتين، ولا تزد عليهما.

فدخل عبد الله عليها، فقال لها:

ـ يقول لك أبو محمد الحجّاج: كنتِ فَبِنْتِ، وهذه المئتا ألف درهم التي كانت لك عنده.

فقالت: إعلم يابن ظاهر، إنّا والله كنّا فما حمدنا، وبنّا فما ندمنا، وهذه المئتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف.

ثمّ بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها، ووصف له جمالها، فأرسل إليها يخطبها، فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه، بعد الثناء عليه:

ـ اعلمْ، يا أمير المؤمنين، أنّ الإناء ولغ فيه الكلب.

فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب، ضحك في قولها، وكتب إليها يقول:

ـ إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً، إحداهنّ بالتراب، فاغسلي الإناء يحلّ الاستعمال.

فلمّا قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة، فكتبت إليه بعد الثناء عليه:

ـ يا أمير المؤمنين، والله لا أحلّ العقد إلاّ بشرط، فإن قلت: ما هو الشرط، قلت: أن يقود الحجاج محملي من المعرّة إلىٰ بلدك التي أنت فيها، ويكون ماشياً حافياً بحليته التي كان فيها أوّلاً.

فلمّا قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكاً شديداً، وأنفذ إلىٰ الحجّاج، وأمره بذلك. فلمّا قرأ الحجّاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل للأمر، ولم يخالف. وأنفذ إلىٰ هند يأمرها بالتجهّز. فتجهّزت، وسار الحجّاج في الموكب حتىٰ وصل المعرّة، بلد هند، فركبت هند في محمل الزفاف، وركب حولها جواريها وخدمها، وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده، ويسير به، فجعلت هند تتواغد عليه، وتضحك مع الهيفاء دايتها، ثم إنّها قالت للهيفاء:

ـ يا داية، اكشفي لي سجف المحمل.

فكشفته، فوقع وجهها في وجه الحجّاج، فضحكت عليه، فقال:

فإن تضحكي منّي فيا طول لَيْلَةٍ ... تَرَكْتُكِ فيها كالقباء المفرَّجِ

فأجابته بقولها:

وَمَا نُبَالي إذا أَرْوَاحُنا سَلِمَتْ ... بما فَقَدْناه مِنْ مالٍ ومِنْ نَشَبِ

فالمالُ مُكْتَسَبٌ والعِزُّ مُرْتَجَعٌ ... إذا النفوسُ وَقَاها اللّه من عَطَبِ

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب إلىٰ أن قَرُبَتْ من بلد الخليفة، فرمت بدينار إلىٰ الأرض، ونادت:

ـ يا جمّال، إنّه قد سقط منّا درهم، فارفعه إلينا.

فنظر الحجّاج إلىٰ الأرض، فلم يجد إلاّ ديناراً، فقال:

ـ إنّما هو دينار.

فقالت: بل هو درهم.

قال: بل دينار.

قالت: الحمد لله، سقط منّا درهم، فعوّضنا الله ديناراً.

فخجل الحجّاج وسكت، ولم يردّ جواباً.

ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان، وتزوّج بها. وكان من أمرها ما كان.

كيد النساء غلب كيد الرجال

يحكىٰ أنّ تاجراً ركب رأسه الغرور، فكتب على باب دكانه:

«**كيد الرجال غلب كيد النساء**».

ويبدو أنّ ذلك لم يرق لصبيّة حسناء ذات تيه ودلال، فدخلت دكّانه متعلّلة بشراء بعض الحاجيات، فصارت كلّما طلبت مطلباً تتمايل وتنحني، وتنعطف، وتنثني حتىٰ تظهر مفاتنها، وتبثّ محاسنها، حتىٰ تمكّنت من صاحب الدكّان، وسرقت عقله، وتلاعبت بعواطفه، ولم يتمالك نفسه عن سؤالها: «من تكون؟» فقالت له:

ـ أنا ابنة قاضي القضاة.

قال الشاب: ما أسعد أباك فيك!

قالت: وما أشقاني معه! إنّه يريد أن يبقيني بدون زواج، فكلّما طلبني أحد للزواج قال له: إنّني عمياء، كتعاء، غير صالحة لمثل هذه الأمور.

قال الشاب: أنا أقبلها كما هي: ويكفيني حسبها ونسبها.

وتمّت الموافقة. ثم إنّه أتيحت الفرصة للشابّ كي يجتمع بعروسه، فإذا هي حقيقة عمياء، كتعاء، وأنّها ليست تلك المرأة الماكرة الحسناء، فرجع الشاب إلىٰ دكّانه منكسر النفس، منكّس الرأس، وَمَحا عن بابه العبارة التي أوقعته في المصائب: «**كيد الرجال غلب كيد النساء**». ولم يلبث غير يسير، فإذا بالصبيّة الحسناء تقبل عليه من بعيد، وعلى ثغرها ابتسامة الظفر، فدخلت وقالت:

ـ الآن قد اعترفت بالحقيقة، وأقررت أنّ «**كيد النساء غلب كيد الرجال**».

فأجاب الشاب: ولكن مع الأسف، بعد فوات الأوان.

فقالت الفتاة: لن أتركك في محنتك، وخلاصك في يدي! فما عليك إلاّ أن تبحث عن جماعة من النَّوَر تطلب منهم أن يزعموا أنّك واحد منهم، وأن يحضروا على أساس أنّهم أقاربك وأصحابك إلىٰ بيت القاضي في يوم العرس.

وهكذا كان. فقد وصل الجماعة في اليوم الموعود بطبل وزمر، ورقص وأهازيج، في حين كان القاضي يجلس مع عليّة القوم، وأشراف المدينة، فهرع الشاب إلىٰ ملاقاتهم والترحيب بهم. ولمّا سأله الحاضرون عن الخبر أجابهم:

ـ أنا منهم، وهم مني، ولا أستطيع أن أنكر حسبي ونسبي، ولذلك دعوتهم ليحتفلوا بي في يوم عرسي.

فصاح به قاضي القضاة: كفىٰ، ونحن أيضاً لا نستطيع أن نتخلّىٰ عن حسبنا ونسبنا، قم وانصرفْ أنت وجماعتك، وابحث لك عن زوجة من بناتهم، وعفا الله عمّا سلف.

وفي الغد ذهب الشاب إلىٰ دكّانه، وإذا بالصبيّة تأتيه، فاستقبلها هاشّاً باشّاً، وأخبرها بنجاح مشورتها، ومكيدتها التي خلّصته من شراك تلك المصيبة، ثم سألها حقيقة نفسها فأخبرته، فلم يلبث يسيراً حتىٰ ذهب وطلب يدها معترفاً بالهزيمة أمام كيد النساء، وتدبيرهنّ الذي لا يقاوم.

حصاة المسجد

سأل أحدهم عمرو بن قيس عن حصاة المسجد، يجدهاالإنسان في حذائه أو ثوبه أو جبهته، فقال له:

ـ ارمِ بها.

فقالَ: زعموا أنّها تصيح حتّىٰ تُرَدّ إلىٰ المسجد.

قال: دَعْها تصيح حتىٰ ينشق حلقها.

قال الرجل: أَلها حَلْق؟

قال: فمن أين تصيح إذن؟!

هارون الرشيد والنصرانيّ

قال أبو يوسف القاضي في مرضه الذي مات فيه:

ـ والله ما زنيتُ قطّ، والله ما جُرْتُ في حكم قطّ، وما أخاف على نفسي إلاّ من شيء كان منّي. فقيل له:

ـ ما هو؟

قال: كان هارون الرشيد يأمرني أن آخذ قصص الناس، فأقرأها، ثمّ أوقع لهم فيها بمحضره، فكنت آخذها قبل ذلك بيوم، فأتصفّحها؛ فجمعتها مرّة،

فتصفّحتها، فإذا فيها قصّة لنصراني يتظلّم من هارون الرشيد في ضيعة في يده يزعم أنّه غصبه إياها، فدعوته فقلت له:

ـ هذه الضيعة في يد مَنْ هي؟

قال: في يد أمير المؤمنين.

قلت: فمن يجمع غلاّتها؟

قال: أمير المؤمنين.

وجعلت كلّما أردت منه أن يذكر خصماً غير أمير المؤمنين ردّ الخصومة فيها إلىٰ أمير المؤمنين؛ فجعلت قصّته مع قصص الناس. فلمّا كان يوم المجلس جعلت أدعو بالناس رجلاً رجلاً، حتىٰ وقعت قصّة النصرانيّ بيدي، فدعوته، فدخل، فقرأت قصّته على أمير المؤمنين، فقال:

ـ هذه الضيعة ورثناها عن المنصور.

فقلت للنصرانيّ: قد سمعتَ الذي قال، أفَلَكَ بيّنة على ما تدّعي؟

قال: لا، ولكن خُذْ لي بيمينه.

قال: فقلت لأمير المؤمنين: أتحلف يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم:

فحلف، فانصرف النصرانيّ. قال أبو يوسف:

ـ فما أخاف على نفسي إلاّ من هذا.

فقيل له: وأيّ خوف في هذا وقد فعلت الذي فعلت؟

فقال: مِنْ تَرْكي أن أُقعده معه في مجلس الخصم.

لو لم أقطّع الحروف

تعلّق أشعب بأستار الكعبة وقال:

ـ اللّهمّ أذْهِبْ عنّي الحرص والطلب إلىٰ الناس.

فمرّ بالقرشيين وغيرهم، فلم يعطه أحد شيئاً، فجاء إلىٰ أمّه فقالت:

ـ ما لك قد جئت خائباً؟

فأخبرها. فقالت: لا والله، لا تدخل حتىٰ ترجع فتستقيل ربَّك.

فرجع وقال: يا ربّ أقِلني.

ثم رجع فلم يمرّ بمجلس لقريش وغيرهم إلاّ أعطوه، ووُهب له غلام، فجاء إلىٰ أمّه بحمار مُوقَر من كلّ شيء فقالت:

ـ ما هذا؟

فخاف أن يخبرها بالقصّة، فتموت فرحاً، فقال: وهبوا لي.

قالت: أيّ شيء؟

قال: غَيْن.

قالت: أيّ شيء غَيْن؟

قال: لام.

قالت: وأيّ شيء لام؟

قال: ألف.

قالت: وأي شيء ألف؟

قال: ميم.

قالت: وأي شيء ميم؟

قلت: غلام.

فغشي عليها، ولو لم أقطّع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً.

أبان بن عثمان وأشعب وأعرابيّ

كان أشعب جالساً مع جماعة من الناس عند أبان بن عثمان بن عفّان عندما أقبل أعرابيّ، ومعه جمل. وكان الأعرابيّ فظّاً غضوباً، يتلظّىٰ وكأنّه أفعىٰ، ويتبيَّن الشرّ في وجهه، لا يدنو أحد منه إلاّ شتمه وصاح به. فقال أشعب لأبان:

ـ هذا والله من البادية... ادْعُهُ لمجلسك.

فدعي وقيل له: إنّ الأمير أبان بن عثمان يدعوك.

فأتىٰ الأعرابيّ وسلّم عليه. فسأله عثمان عن نسبه فانتسب، ثم الْتَفَتَ نحو الجمل وقال:

ـ إنّي في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان، فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة، وهذه القامة، وهذا اللون والصدر، والورك، والأخفاف، فالحمد لله الذي جعلني أجده عند من أحبّ. . . أتبيعه؟

قال الأعرابيّ: نعم أيُها الأمير!

فقال أبان: إنّي سأدفع لك ثمنه مئة دينار ـ وكان الجمل يساوي عشرة دنانير ـ.

فسرّ الأعرابي بهذا الثمن، ثم قال وعلامات الطمع بادية على وجهه:

ـ كما تريد أيّها الأمير!

فأقبل أبان على أشعب، وقال له:

ـ ويلك يا أشعب! إنّ هذا من أهلك وأقاربك ـ يعني في الطمع ـ فأوسعْ له ممّا عندك.

فقال له: بأبي أنت وزيادة.

فقال أبان للأعرابيّ: إنّما زدتك في الثمن على بصيرة، وإنّما الجمل يساوي ستّين ديناراً، ولكن دفعت لك مئة دينار لعدم توفّر النقد عندي، وإنّي سأعطيك أشياء تساوي مئة دينار وتزيد. . .

فزاد طمع الأعرابيّ، وقال: قد قبلت ذلك أيّها الأمير!

فأسرّ أبان إلىٰ أشعب، ثم قال له: اخرجْ ما جئتَ به يا أشعب.

فرفع أشعب غطاء، وأخرج من تحته عمامة بالية تساوي أربعة دراهم، فقال له أبان:

ـ قوِّمْها يا أشعب!

فقال أشعب: هذه عمامة الأمير معروفة لدىٰ جميع الناس، يشهد فيها الأعياد والجُمع، ويلقىٰ فيها الخلفاء، وثمنها خمسون ديناراً.

فقال أبان: ضعها بين يديه.

ثم طلب من أحد الحضور أن يسجّل ثمنها، ففعل. ولمّا سمع الأعرابيّ هذا الكلام كاد أن يتمزّق غيظاً، إلاّ أنّه لم يكن قادراً على الكلام، فلزم الصمت على مضض.

ثم قال أبان لأشعب: هاتِ قَلَنْسُوَتي.

فأخرج أشعب قَلَنْسُوَةَ مهترئة، علاها الدهن والوسخ، تساوي نصف درهم، وقال الأمير لأشعب: قوّمها يا أشعب.

فقال أشعب: قلنسوة الأمير، تعلو هامته، ويصلّي فيها الصلوات الخمس، ويجلس للحكم... وثمنها ثلاثون ديناراً.

فأمر أبان بتسجيل ثمن القلنسوة، ثم وضعت بين يدي الأعرابيّ الذي تجهّم وجهه، وجحظت عيناه، وهمّ بالوثوب، ثم تماسك، وهو مضطرب.

ثم قال أبان لأشعب: هاتِ ما عندك أيضاً!

فأخرج أشعب خفّين قديمين قد نُقِبا وتقشّرا، فقال أبان: قوّمهما يا أشعب!

فقال أشعب: خفّا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما المنبر، وثمنهما أربعون ديناراً.

فقال أبان لأشعب: ضعهما بين يديه.

فوضعهما ثم قال للأعرابيّ: اضممْ إليك متاعك.

وقال لأحد الحاضرين: اذهبْ وخذ الجمل.

ثم قال لآخر: امضِ مع الأعرابيّ، فاقبض ما بقي لنا معه من ثمن المتاع. فوثب الأعرابيّ من مكانه، وأخذ المتاع المكوّمة أمامه، وضرب بها وجوه القوم، وقال لأبان:

ـ أتدري، أصلحك الله، من أيّ شيء أموت؟

قال: لا.

قال: لم أُدرِكْ أباك عثمان، فأشترك، والله، في دمه، إذ وَلَد مثلَك.

ثم نهض كالمجنون، وأخذ برأس جمله، وخرج. وضحك أبان حتىٰ سقط، وضحك كلّ من كان معه.

وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له:

ـ هلمّ يابن الخبيثة حتىٰ أكافئك على تقويمك المتاع يوم «قُوِّم».

فيهرب أشعب منه.

العياذ بالله من أبخل خلق الله

حدّث أشعب قال:

وَليَ المدينة رجل من ولد عامر بن لُؤَيّ، وكان أبخل الناس وأنكاهم. وأغراه الله بي يطلبني في ليله ونهاره، فإن هربتُ منه هجم على منزلي بالشّرَط، وإن كنت في موضع بعث إليّ من أكون معه، أو عنده يطلبني منه، فيطالبني بأن احدّثه وأُضحكه، ثم لا أسكُتُ ولا ينام، ولا يطعمني، ولا يعطيني، فلقيت منه جهداً عظيماً، وبلاءً شديداً. وحضر الحجّ، فقال لي:

ـ يا أشعب، كن معي.

فقلت: بأبي أنت وأمّي، أنا عليل، وليست لي نيّة في الحج.

فقال: عليْهِ وعَلَيْهِ، وقال: إنّ الكعبة بيت النار، لئن لم تخرج معي لأُودِعنّك حيث أَقْدُم.

فخرجت معه مكرهاً. فلمّا نزل المنزل أظهر أنّه صائم، ونام حتىٰ تشاغلت، ثمّ أكل ما في سفرته، وأمر غلامه أن يُطعمني رغيفين بِمِلْح؛ فجئتُ، وعندي أنّه صائم، ولم أزل أنتظر المغرب أتوقّع إفطاره، فلمّا صلّيت المغرب قلت لغلامه:

ـ ما يَنْتَظِرُ بالأكل؟

قال: قد أكل منذ زمان.

قلت: أوَ لم يكن صائماً؟

قال: لا.

قلت: أفأطوي أنا؟

قال: قد أعدّ لك ما تأكله، فَكُلْ.

وأخرج إليّ الرغيفين والملح، فأكلتهما، وبتُّ ميتاً جوعاً، وأصبحتُ، فسرنا حتىٰ نزلنا المنزل، فقال لغلامه:

ـ ابْتَعْ لنا لحماً بدرهم.

فابتاعه، فقال: كبّب لي قِطَعاً.

ففعل. ثمّ قال: اطرحْ فيها دُقّةً وأطعمني منها.

ففعل؛ ثم قال: ألْقِ توابلها، وأطعمني منها.

ففعل؛ وأنا جالس أنظر إليه لا يدعوني. فلمّا استوفىٰ اللحم كلّه قال:

ـ يا غلام، أطعمْ أشعب.

ورمىٰ إليّ برغيفين. فجئت إلىٰ القدر، وإذا ليس فيها إلاّ مَرَق وعظام، فأكلتُ الرغيفين، وأخرج له جراباً فيه فاكهة يابسة، فأخذ منها حفنة، فأكلها، وبقي في كفّه كف لوز بقشره، ولم يكن فيه حيلة، فرمىٰ به إليّ وقال:

ـ كُلْ هذا يا أشعب.

فذهبت أكسر واحدة منها، فإذا بضرسي قد انكسرت منه قطعة، فسقطت بين يديّ، وتباعدت أطلب حجراً أكسره به، فوجدته، فضربت به لوزة فطفرت ـ يعلم الله ـ مقدار رمية حجر، وعدوتُ في طلبها. فبينما أنا في ذلك إذ أقبل بنو مُصْعَب ـ يعني ابن ثابت وإخوته ـ يلبّون بتلك الحلوق الجهوريّة، فصحت بهم:

ـ الغوث الغوث، العياذ بالله يا آل الزبير! اْلْحقوني وأَدْرِكوني.

فركضوا إليّ؛ فلمّا رأوني قالوا: أشعب، ما لك ويلك؟

قلت: ليس هذا وقت الحديث، زقّوني ممّا معكم، فقد متّ ضُرّاً وجوعاً منذ ثلاث.

قال: فأطعموني حتىٰ تراجعت نفسي، وحملوني معهم في محمل، ثمّ قالوا:

ـ أخْبِرْنا بقصّتك!

فحدّثتهم، وأريتهم ضرسي المكسور، فجعلوا يضحكون، ويصفّقون، وقالوا:

ـ ويلك من أين وقعت على هذا؟ هذا أبخل خلق الله، وأدْنئهم نَفْساً.

فحلفت بالطلاق أنّي لا أدخل المدينة ما دام له بها سلطان. فلم أدخلها حتىٰ عُزِل.

أشعب يغنّي

قال أشعب: جائني فتية من قريش، فقالوا:

ـ إنّا نحب أن تُسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء، وتعلمنا ما يقول لك، وجعلوا لي على ذلك جُعْلاً فتَنني.

فدخلتُ على سالم، فقلت:

ـ يا أبا عمر، إنّ لي مجالسة وحُرمة ومودّة وسنّاً، وأنا مولع بالترنّم.

قال: ما الترنّم؟

قلت: الغناء.

قال: في أيّ وقت؟

قلت: في الخلوة، ومع الإخوان في المنْزه، فأحبّ أن أُسمعك، فإن كرهته أمسكت عنه.

وغنّيته، فقال: ما أرىٰ بأساً.

فخرجت فأعلمتهم، قالوا: وأيّ شيء غنّيته؟

قلت:

قَــرِّبــا مَــرْبَــطَ النعــامَــةِ مِنّــي لَقَحَــتْ حَـرْبُ وائـلٍ عَـنْ حِيـالـي

فقالوا: هذا بارد ولا حركة فيه، ولسنا نرضىٰ.

فلمّا رأيت دَفْعَهم إيايَ، وخفت ذهاب ما جعلوه لي رجعتُ

فقلت: يا أبا عمر.

فقال: ما لي ولك؟

فلم أملّكه كلامه حتىٰ غنّيت، فقال: ما أرىٰ بأساً.

فخرجت إليهم، فأعلمتهم، فقالوا: وأيّ شيء غنّيته؟

فقلت: غنّيته قوله:

لــم يُطِيقُــوا أنْ يَنْـزِلُـوا وَنَـزَلْنَـا وأخُـو الحَـرْبِ مَـنْ أطَـاقَ النِّـزَالا

فقالوا: ليس هذا بشيء.

فرجعتُ إليه، فقال: مَهْ.

قلت: وآخر.

فلم أملّكه أمره حتىٰ غنّيت.

غَيّضْــنَ مِــنْ عَبَــرَاتِهِــنَّ وَقُلْــنَ لــي: مــاذا لَقِيــتَ مــن الهَــوىٰ وَلَقِينَــا

فقال: نَهَلاً نَهَلاً.

فقلت: لا والله بذاك السداك. وفيه تمر عجوة من صدقة عمر فقال: هو لك.

فخرجت به عليهم وأنا أخطر، فقالوا: مَهْ.

فقلت: غنّيت الشيخ: غيّضن... فطرب وفرض لي فأعطاني هذا، وكذبتهم، والله ما أعطانيه إلاّ استكفافاً حتىٰ صَمتُّ.

أشعب والحلاّق

أرسل أشعب غلامه ليأتي له بحلاّق، شرط ألاّ يكون فضولياً. فانصرف الغلام، وعاد برجل، فسلّم، وما إن دارت يده على وجه أشعب حتىٰ قال له:

ـ جعلتُ فداك! هذا وجه لا أعرفه، فمن أنت؟

قال أشعب: أنا أشعب!

فقال الحلاّق: بأبي أنت وأمّي، هذا الاسم لا يجهله أحد في المدينة!! ومن أين قدمت؟ فإنّي أرى أثر السفر عليك.

فقال أشعب: من مكّة.

فقال الحلاّق: حيّاك الله، هي أرض النعمة والرفاهة، وبلد الرسول (ص) وجعل يقصّ عليه قصّة لا آخر لها ولا معنىٰ، وأشعب يصبّر نفسه، ويخفي نعمته... ولمّا فرغ من القصّة عاد يسأل:

ـ وأيّ شيء أقدمك، أصلحك الله؟

فأجاب أشعب: أقدمني الزمان وتقلّباته، ولكن إن فرغتَ سأخبرك بالأمور على حقيقتها.

فقال: أتعرّفني بالمنازل والسكك التي جئت عليها؟

فقال أشعب: نعم.

وقد مالت الشمس إلىٰ الغروب، ولم يفرغ الحلاّق من الكلام، ولا ممّا جاء له. وأخيراً قال:

ـ لو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكنت حلقت رأسك، فهل لك أن نبتدئ؟

فدهش أشعب وقال:

ـ وماذا كنت تصنع فيما مضىٰ من الوقت؟

فنهض ووثب بعيداً؛ وما إن استوثق أنّه أفلت من يديه ومواسيه حتىٰ صاح في الخادم:

ـ علّق هذا الحلاّق من العقبين.

فهجم عليه الخادم بساعديه القويّين، وعلّقه كما أمر سيّده؛ فقال له أشعب:

ـ الآن سأقصّ عليك ما سألتني عنه: خرجنا من مكّة في المساء، فنزلنا بئراً ذات نخيل في ظهيرة الغد. يا غلام أوجع! فضربه العبد عشرة أسواط.

وأكمل أشعب:

وركبنا عند المساء، فنزلنا عين ماء حولها عشب عند طلوع النهار. يا غلام: أوجع! فضربه عشرة أُخرىٰ. ثم تابع يقول:

ـ وبعدئذٍ ركبنا وسرنا حتىٰ وجدنا. . .

فصاح الحلاّق قائلاً: يا سيّدي بالله إلىٰ أين تريد أن تبلغ؟

فقال أشعب: إلىٰ المدينة.

فقال الحلاّق: لست تبلغها حتىٰ تقتلني.

فقال أشعب: أتركك على ألاّ تعود؟

فصاح الحلاّق: والله لا أعود أبداً.

فتركه، وكان المساء قد أقبل. ومنذ ذلك الحين لم يره في المدينة.

أشعب يتقيّأ ما أكله

قال الأصمعي: ولّىٰ المنصور زياد بن عبد الله الحارثي مكّة والمدينة. قال أشعب: فلقيته بالجُحْفة، فسلّمت عليه، قال: فحضر الغداء، وأُهْدي إليه جدي، فطبخه مضيرة، وحشيت القِبّة، قال: فأكلت أكلاً أتملّح به، وأنا أعرف صاحبي، ثم أُتي بالقبّة فشققتها، فصاح الطّباخ:

ـ إنّا لله، شقّ القبّة.

قال: فانقطعت. فلمّا فرغت، قال:

ـ يا أشعب، هذا رمضان قد حضر، ولا بدّ أن تصلّي بأهل السجن.

قلت: والله ما أحفظ من كتاب الله إلاّ ما أقيم به صلاتي.

قال: لا بدّ منه.

قال: قلت: أو لا آكل جدياً مضيرة؟

قال: وما أصنع به وهو في بطنك؟

قال: قلت: الطريق بعيد أريد أن أرجع إلىٰ المدينة.

قال: يا غلام، هات ريشة ذنب ديك.

قال: أشعب: والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك.

قال: فأدخلت في حلقي فتقيّأتُ ما أكلت، ثم قال لي:

ـ ما رأيك؟

قال: قلت: لا أقيم ببلدة يصاح فيها: شقّ القبّة.

قال: لك وظيفة على السلطان، وأكره أن أكسرها عليك، فقل ولا تشطِط.

قال: قلت: نصف درهم كراء حمار يبلّغني المدينة.

قال: أنصفت وأعطانيه.

أشعب يتمارض

لقي أشعب سالم بن عبد الله بن عمر فقال:

يا أشعب، هل لك في هريس قد أُعِدّ لنا؟

قال: نعم، بأبي أنت وأمّي.

قال: فَصِرْ إليّ.

فمضىٰ إلىٰ منزله، فقالت له امرأته.

ـ قد وجّه إليك عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك.

قال: ويحك، إنّ لسالم بنِ عبد الله هريسة قد دعاني إليها، وعبد الله بن عمرو في يدي متىٰ شئت، وسالم إنّما دعوته للناس فَلْتَة، وليس لي بدّ من المضيّ إليه.

قالت: إذن يغضب عبد الله!

قال: آكل عنده، ثم أصير إلىٰ عبد الله.

فجاء إلىٰ سالم، وجعل يأكل أكل متعالل. فقال له:

ـ كُلْ يا أشعب، وٱبْعَثْ ما فضل عنك إلىٰ منزلك.

قال: ذاك أردت، بأبي أنت وأمّي.

فقال: يا غلام، احمل هذا إلىٰ منزله.

فحمله ومضىٰ معه، فجاء به امرأته فقالت له:

ـ ثكلتك أمّك، قد حلف عبد الله أن لا يكلّمك شهراً.

قال: دعيني وإيّاه، هاتي شيئاً من الزعفران.

فأعطته، ودخل الحمّام يمسح على وجهه ويديه، وجلس في الحمّام حتّىٰ صفَّره، ثم خرج متكئاً على عصا يُرعد، حتىٰ أتىٰ دار عبد الله بن عمرو. فلما رآه حاجبه قال: ويحك، بلغت بك العلّة ما أرىٰ؟

ودخل وأعلم صاحبه، فأذن له. فلمّا دخل عليه إذا سالم بن عبد الله عنده، فجعل يزيد في الرِّعدة، ويقارب الخطو، فجلس وما يقدر أن يستقلّ، فقال عبد الله:

ـ ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك.

فقال له سالم: ما لك ويلك، ألم تكن عندي آنفاً، وأكلت هريسة؟

فقال له: وأيّ أكل ترىٰ بي؟

قال: ويلك! ألم أقل لك كيت وكيت، وتَقُلْ لي كيت وكيت؟
قال له: شُبِّه لك.
قال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، والله إنّي لأظنّ الشيطان يتشبّه بك؛ ويلك! أجادٌّ أنت؟
قال: عليَّ وعليَّ إنْ كنت خرجت منذ شهر.
فقال له عبدالله: اعزُب، ويحك أَتَبْهَتُهُ، لا أمّ لك؟!
قال: ما قلت إلاّ حقّاً.
قال: بحياتي اصدُقني وأنت آمن من غضبي.
قال: لا وحياتك لقد صدق.
ثم حدّثه بالقصّة، فضَحك حتىٰ استلقىٰ على قفاه.

المسكين يعرف ذنوبه

قال أشعب: كنت مع سالم بن عبد الله بن عمر، وهو حاجّ، فنزلنا منزلاً، فإذا بقاصّ يقصّ على جماعة من الناس يلتفّون حوله، فأردت تفريقهم عنه، فأخذت في أغنية من الشعر الرقيق، فتركوه وأقبلوا عليّ، فشكاني إلىٰ سالم قائلاً:
ـ هذا صرَف وجوه الناس عنّي.
فقال لي سالم: ما أردت منه؟
قلت: المسكين يعرف ذنبه.

هذا أشعب

قال أحدهم: نظرتُ إلىٰ أشعب يسلّم على رسول الله (ص)، وهو يدعو ويتضرّع.
فأدمت النظر إليه. فكلّما رآني كذلك كلّح وبثّ أصابعه في يده بحذائي حتىٰ هَرَبت. فسألت عنه، فقالوا: هذا أشعب.

أيّهما أحبّ إليك

كان أشعب يتحسّس أماكن الولائم، ويحرص ألاّ تفوته، وجاءه ابنه يوماً ليقول له: إنّه مرّ بباب قوم عندهم وليمة. فأسرع وابنه نحو تلك الدار، ودخلا؛ وإذا بصاحب الدار قد وضع سلّماً، فكلّما رأىٰ شخصاً لا يعرفه قال له: اصْعَدْ يا أبي.

فصعد أشعب وابنه، وتوالىٰ الصعود إلىٰ الغرفة حتىٰ كادت تغصّ بمن فيها، ثم رفع السلّم، ووُضعت الموائد في الطبقة السفلىٰ، وبقي أشعب ومَنْ معه في العلوّ ينظرون متحيّرين، ولم يستطع أشعب أن يصبر وروائح الشواء والأطعمة الشهيّة تداعب أنفه، فيسيل لعابه لهفاً ونهماً، وأنّى له أن يصبر في مثل هذه الحال؟ ففكر أشعب بحيلة، إذ أطلّ على صاحب الدار وضيوفه يأكلون، فصاح به: يا صاحب البيت!

فرفع الرجل رأسه قائلاً: ما لك؟

قال أشعب: أيّهما أحبّ إليك: تصعد إلينا بخوان كبير نأكل وننزل، أو أرمي بنفسي من هذا العلوّ، فيخرج من دارك قتيل، ويصير عرسك مأتماً؟ وتململ كأنه يريد أن يرمي بنفسه. فقال صاحب الدار:

ـ اصْبِرْ، ويلك، لا تفعل.

ثم أصعد إليهم خواناً، فانقضّوا عليه كانقضاض جوارح الطير، وجعل ابن أشعب يأكل ثم يشرب، ثم يأكل، حتىٰ لم يبقَ شيء يؤكل فقاموا. . . وعند ذلك انتحىٰ أشعب بابنه ناحية وأخذ يلطمه هامساً في أذنيه:

ـ لو جعلت مكان كأس الماء التي شربتها لقيمات.

فأجاب ابنه على الفور:

ـ إنّ كأس الماء توسّع محلاًّ للّقم.

فتأمّل أشعب كلام ابنه لحظة، ثم صفعه، وقال له:

ـ لِمَ لَمْ تنبهني إلىٰ ذلك قبل جلوسنا إلىٰ الخوان؟!

فضَحْتَني بين الناس

جاء أشعب إلىٰ أبي بكر بن يحيىٰ من آل الزبير، فشكا إليه، فأمر له بصاع من تمر، وكانت حال أشعب رثّة. فقال له أبو بكر بن يحيىٰ:

ـ ويحك يا أشعب! أنت في سنّك وشهرتك تجيء في هذه الحال، فتضع نفسك، فَتُعطىٰ مثل هذا؟ اذهبْ فادخلِ الحمّام فاخضب لحيتك.

قال أشعب: ففعلت.

ثم جئته فألبسني ثياب صوف له، وقال: اذهب الآن فاطلب.

قال: فذهبت إلىٰ هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل ربيعة، وكان رجلاً شريفاً موسراً، فشكا إليه، فأمر له بعشرين ديناراً، فقبضها وخرج إلىٰ المسجد، وطفق كلّما جلس في حلقة يقول:

ـ أبو بكر بن يحيىٰ، جزاه الله عنّي خيراً، أعرف الناس بمسألة، فعل بي وفعل، فيقصّ قصّته.

فبلغ ذلك أبا بكر، فقال: يا عدّو نفسه! فضحتني في الناس، أفكان هذا جزائي؟!

الحسن بن الحسن وأشعب

دعا حَسَنُ بن حَسَن بن عليّ عليهم السلام أشعبَ، فأقام عنده، فقال لأشعب يوماً:

ـ أنا أشتهي كبد هذه الشاة ـ لشاة عنده عزيزة عليه نشيطة ـ فقال له أشعب:

ـ بأبي أنت وأمّي، أعطنيها وأنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة.

قال: أُخبرك أنّي أشتهي كبد هذه، وتقول لي: أسمن شاة بالمدينة، اذبحْ يا غلام.

فذبحها، وشوىٰ له من كبدها وأطايبها، فأكل، ثمّ قال لأشعب من الغد:

ـ يا أشعب، أنا أشتهي من كبد نجيبي هذا ـ لنجيب كان عنده ثمنه ألوف الدراهم.

فقال له أشعب: يا سيّدي، في ثمن هذا، والله غناي، فأعطنيه وأنا والله أطعمك من كبد كلّ جزور بالمدينة.

فقال: أخبرك أنّي أشتهي من كبد هذا، وتطعمني من غيره!

يا غلام انحَرْ!

فَنُحِر النجيب وشُوي كبده فأكلا.

فلمّا كان اليوم الثالث، قال له: يا أشعب، أنا والله أشتهي أن آكل من كبدك.

فقال له: سبحان الله أتأكل من أكباد الناس!

قال: قد أخبرتك.

فوثب أشعب، فرمىٰ بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله، فقيل له:

ـ ويلك أَظَنَنْتَ أنّه يذبحك؟

فقال: والله لو أنّ كبدي وجميع أكباد العالمين جميعاً اشتهاها لأكلها؛ وإنّما فعل حسن بالشاة والنجيب ما فعل توطئة للعبث بأشعب.

أشعب وعبد آل الزبير

قيل: كان لأشعب خرق في بابه، فكان ينام، ثم يخرج يده من الخرق طمعاً في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئاً، فبعث إليه بعض من كان يعبث به من مجّان آل الزبير بعبد له، فسلح في يده، فلم يعد بعدها إلىٰ هذا العمل.

تنبح للهديّة وتبصبص للضيف

رأىٰ أحدهم أشعب، وقد علّق رأس كلبه، وهو يضربه ويقول له:

ـ أتنبح للهديّة وتبصبص للضيف؟

فَلْتَهْنِئكُم هذه النعمة

مرّ فقيه أهل الحجاز، عبد الرحمٰن بن أبي عمّار، بنخاس ومعه فتيات، فنظر إليهنّ، فتعلّق بإحداهنّ، وكلف بها، واشتهر بذكرها حتىٰ أتىٰ إليه من يلومه، فكان جوابه:

يَلُــومُنــي فيــكِ أقْــوامٌ أُجَــالِسُهُــمْ فمــا أُبــالــي أطَــالَ اللَّــوْمُ أو قَصُــرا

فانتهىٰ خبره إلىٰ عبد الله بن جعفر، فخرج حاجاً بسببه، وبعث إلىٰ مولىٰ الجارية، واشتراها منه بأربعين ألفاً، وأمر قيّمة جواريه أن تحلّيها وتزيّنها.

ولمّا بلغ الناس قدومه، حضروا للسلام عليه، وكان بينهم عبد الرحمٰن بن أبي عمّار؛ فلمّا أراد الشخوص استجلسه فقال له:

ـ ما فعل حبّ فلانة؟

قال: مشوب باللحم والدم والمخ، والعظم والعصب.

فأمر بالجارية، فأُخرجت إليه وقال: هي هذه؟

قال: نعم أصلحك الله.

قال: إنّما اشتريتها لك، فوالله ما دنوت منها، فشأنك بها، فهي لك مباركة.

وأمر له بمئة ألف درهم، وقال له:

ـ خذ هذا المال لكي تهتم بك، وتهتم بها.

فبكىٰ عبد الرحمٰن فرحاً، وقال:

ـ يا أهل البيت قد خصّكم الله بأشرف ما خصّ به مَنْ مِنْ صلب آدم فَلْتَهْنِئكم هذه النعمة، وبارك لكم فيها.

أشعب والشاة

قيل لأشعب:

ـ هل رأيت من هو أطمع منك؟

قال: نعم، شاة لي صعدت إلىٰ السطح، فنظرت إلىٰ قوس قزح فظنّته حبل قتّ، فاندفعت تطلبه، فسقطت واندقّت عنقها.

لا تأمننّ قحبة

شكا خال لأشعب امرأته إليه، وأنّها تحزنه في ماله، فقال له أشعب:

ـ فديتك، لا تأمننّ قحبة ولو كانت أمّك.

فانصرف عنه وشتمه.

الشافعي والمزيّن

قيل: دخل الشافعي إلىٰ سرّ من رأىٰ، وعليه أثواب رثّة، وطال شعره، فتقدّم من مزيّن للشعر، فاستقذره، فقال له:

ـ امضِ إلىٰ غيري.

فغضب الشافعي، فٱلتفَتَ إلىٰ غلام كان معه فقال:

ـ إيش معك من النفقة؟

قال: عشرة دنانير.

قال: ادفعها إلىٰ المزيّن.

فدفعها الغلام، فولّىٰ الشافعي وهو يقول:

عَلَيَّ ثِيَابٌ لَوْ يُبَاعُ جَمِيعُهَا ... بِفَلْسٍ لَكَانَ الفَلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرَا

وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ يُقَاسُ بِمِثْلِهَا ... نُفُوسُ الوَرَىٰ كَانَتْ أَجَلَّ وأخطرا

وَمَا ضَرَّ نَصْلُ السَّيْفِ إِخْلَاقَ غِمْدِهِ ... إذا كان عَضْباً حيثُ أنْفَذْته بَرَى

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَامُ أَزْرَتْ بِبِزَّتِي ... فكم من حسامٍ في غلافٍ مُكَسَّرا

أهونُ من وقفة بباب نَحْسِ

قال الإمام الشافعيّ:

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وَضَرْبُ حَبْسٍ ... وَنَزْعُ نَفْسٍ وَرَدُّ أمْسِ

وَقَرُّ بَرْدٍ وَقَوْدُ قِرْدٍ ... وَدَبْغُ جِلْدٍ بِغَيْرِ شَمْسِ

وأكْلُ ضَبٍّ وَصَيْدُ دُبٍّ ... وَصَرْف حُبٍّ بأَرْضِ خِرْسِ

وَنَفْخُ نَارٍ وَحَمْلُ عَارٍ ... وَبَيْع دَارٍ بِرِبْعِ فَلْسِ

وبَيْع خُفٍّ وَعُدْمُ إلْفٍ ... وَضَرْبُ إِلْفٍ بحبلَ فَلْسِ

أَهْوَنُ مِن وِقْفَةِ الحُرِّ ... يَرْجُو نَوَالاً ببابِ نَحْسِ

احلفْ

قيل: لم يمت شريف قطّ من أهل المدينة إلاّ استعدىٰ أشعب على وصيته أو وارثه، وقال له:

احلف أنّه لم يوصِ لي بشيء قبل موته.

دعاء الوالدة

روىٰ ابن خلكان أن الزمخشري، كان مقطوع الرجل، فسئل عن ذلك فقال:

ـ دعاء الوالدة، وذلك أنّي كنت في صباي أمسكت عصفوراً، وربطته بخيط في رجله، فأفلت من يدي، وأدرته وقد دخل في خَرق من الجدار، فجذبته، فانقطعت رجله بالخيط، فتألّمتْ والدتي لذلك، وقالت:

ـ قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله.

فلما وصلت إلىٰ سنّ الطلب رحلتُ إلىٰ بخارى لطلب العلم، فسقطت عن الدابّة، فانكسرت رجلي، وعملتُ عملاً أوجب قطعها.

برّ الوالدَين

قال طاوس:

ـ كان رجل له أربعة بنين، فمرض، فقال أحدهم:

ـ إمّا أن تمرّضوه وليس لكم من ميراثه شيء. وإمّا أن أمرّضه وليس لي من ميراثه شيء.

فقالوا: مرّضه وليس لك من ميراثه شيء.

فمرّضه حتىٰ مات، ولم يأخذ من ميراثه شيئاً، فأتىٰ إليه في المنام، فقال له:

ـ ائْتِ مكان كذا وكذا فخذْ منه مئة دينار.

فقال في نومه: أفيها بركة؟

فقال: لا.

فأصبح فذكر ذلك لامرأته، فقالت:

ـ خذها، فإنّ من بركتها أن تكتسي منها وتعيش.

فأبىٰ. فلمّا أمسىٰ أتىٰ له في النوم، فقال له:

ـ ائْتِ مكان كذا وكذا وخذ منه عشرة دنانير.

فقال: أفيها بركة؟

قال: لا.

فلمّا أصبح ذكر ذلك لامرأته، وقالت له مثل ما قالته له في المرة الأولىٰ، فأبىٰ أن يأخذها. فأتىٰ في الليلة الثالثة، فقال له:

إئتِ مكان كذا وكذا، فخذْ منه ديناراً.

قال: أفيه بركة؟

قال: نعم.

فذهب، فأخذ الدينار، ثم خرج إلىٰ السوق، فإذا برجل يحمل سمكتين، فقال له:

ـ بكم هما؟

فقال: بدينار.

فأخذهما منه بالدينار، وانطلق بهما إلىٰ منزله، فشقّ بطونهما، فوجد فيهما درّتين لم يرَ الناس مثلهما.

وذات يوم بعث الملك يطلب درّة ليشتريها، فلم توجد إلاّ عنده، فباعها بحمل ثلاثين بغلاً ذهباً. فلمّا رآها الملك قال:

ـ ما تصلح هذه إلاّ بأخت لها. اطلبوا أختها وإن ضاعفتم ثمنها. فجاؤوا إليه فقالوا له:

ـ أعندك أختها، ونحن نعطيك ضعف ما أعطيناك؟

قال: وتفعلون؟

قالوا: نعم.

فأعطاهم إيّاها بضعف ما أخذوا به الأولىٰ.

وعـد

قال بعض علماء البصرة:

ـ كان لنا صديق من أهل البصرة، وكان عالماً ظريفاً، أديباً، فوعدنا أن يدعونا إلىٰ منزله على غداء عنده، فكلّما رأيناه قلنا:

ـ **﴿متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾**.

فسكت، إلىٰ أن تيسّر له أمر الغداء، فمرّ بنا، فأعدنا عليه القول، فقال:

ـ **﴿انْطَلِقُوا إلىٰ ما كُنْتُمْ به تكذّبون﴾**.

عظة طاوس

قدم الخليفة الأمويّ هشام بن عبد الملك إلىٰ بيت الله الحرام حاجّاً. فلمّا دخل الحرم قال:

ـ ائتوني برجل من الصحابة.

فقيل له: يا أمير المؤمنين قد ماتوا.

قال: فمن التابعين.

فأُتي بطاوس اليماني. فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلّم بأمير المؤمنين، ولم يكنه، وجلس إلىٰ جانبه بغير إذنه، وقال:

ـ كيف أنت يا هشام؟

فغضب من ذلك غضباً شديداً حتىٰ همّ بقتله.

فقيل له: يا أمير المؤمنين، أنت في حَرَم الله وحَرَم رسوله، فلا يكون منك ذلك.

ثم التفت إلىٰ طاوس وقال له:

ـ ما حملك على ما صنعت؟

قال: ما صنعت؟

قال: خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تسلّم عليّ بـ«أمير المؤمنين»، ولم تكنني، وجلست بإزائي بغير إذني، وقلت: يا هشام كيف أنت؟

فقال طاوس: أمّا خلع نعلي بحاشية بساطك، فإنّي أخلعهما بين يدي ربّ العزّة في كلّ يوم خمس مرّات، ولا يعاتبني، ولا يغضب عليّ؛ وأمّا قولك: لم تسلّم عليّ بإمرة أمير المؤمنين، فليس كل المؤمنين راضياً بإمرتك، فخفت أن أكون كاذباً؛ وأمّا قولك: تكنني، فإنّ الله عزّ وجلّ سمّىٰ أنبياءه فقال: يا داود، يا يحيىٰ، يا عيسىٰ، وكنّىٰ أعداءه فقال: تبّت يَدَا أبي لهب؛ وأمّا قولك: جلست بإزائي، فإنّي سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) يقول: إذا أردت أن تنظر إلىٰ رجل من أهل النار فانظر إلىٰ رجل وحوله قوم قيام.

فقال هشام: عظني يا طاوس.

فقال: إنّي سمعت عليّ بن أبي طالب (ع) يقول:

إنّ في جهنّم حيّاتٍ وعقارب كالبغال تلدغ كلّ أمير لا يعدل في رعيّته.

ثم قام وخرج.

لا تسألوا عن أشياء

كان لأحد الفقهاء قطعة أرض بجنب أحد الفلاّحين، فكان الفقيه يضمّ كلّ سنة قطعة من أرض الفلاّح إلىٰ أرضه. فقال له الفلاح يوماً:

ـ ما هذا النقصان في أرضنا يا شيخ؟

فقال الفقيه: أما سمعت قول الله تعالىٰ: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنّا نأتي الأرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِها﴾**.

فقال الفلاح: من أين هذه الزيادة في أرضك؟

فقال الفقيه: **﴿ذلك فَضْلُ اللَّهِ يؤتيه مَنْ يَشَاءُ﴾**.

قال الفلاّح: فمن أين أوتيتَ الفضل وأوتيتُ النقص في ذلك؟

فقال الفقيه: **﴿يا أيها الذين آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤكُمْ﴾**.

يعذّب يوم السبت

تحلّق عدد من الناس حول محمد بن مطروح الأعرج الفقيه، وأخذوا يستفتونه، ويطرحون عليه الأسئلة حول أمور دينهم، وما يهمّهم، وهو يجيب برحابة صدر، ويدعو للسائل بالتوفيق والأجر.

ثم سأله أحدهم: ما تقول، يرحمك الله، في رجل مات يوم الجمعة أيعذّب عذاب القبر؟

فقال الفقيه: يعذّب يوم السبت.

يتقدّم بالحمارية

كان إسماعيل بن إسحٰق يصحب يحيىٰ بن أكثم، ، فركب يحيىٰ يوماً يريد العبور على ظهر جسر وهو على حمار، وإسماعيل معه على حمار آخر مع أصحابه، فامتنع حمار يحيىٰ من العبور، فتقدّم إسماعيل، وعبر حماره، وتبعه حمار يحيىٰ، وحمير أصحابه فقال إسماعيل:

- حماريْ يتقدّم حميركم وكذا صاحبه يتقدّمكم.

فقال يحيىٰ: بالحمارية.

مقدرة البخاري

قدم محمد بن إسماعيل البخاري بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا إليه، وعمدوا إلىٰ مئة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وهذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلىٰ عشرة رجال، لكلّ رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا أن يلقوا هذه الأحاديث على البخاري.

ولمّا اطمأن المجلس بأهله، انْتُدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري: لا أعرفه.

فسأله عن آخر، فأجاب: لا أعرفه.

فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتىٰ فرغ من عَشْرته والبخاري يقول: لا أعرفه.

ثم انْتُدب رجل آخر من العشر، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه.

فسأله عن آخر، فأجاب: لا أعرفه.

ولم يزل كذلك حتىٰ فرغ من جميع أسئلته. ثم أتىٰ الثالث والرابع إلىٰ تمام العشرة، والبخاري لا يزيدهم عن: لا أعرفه. وأخيراً الْتَفَتَ إلىٰ الأوّل فقال:

ـ أمّا حديثك الأوّل فهو كذا، والحديث الثاني هو كذا، والثالث والرابع حتىٰ أتىٰ على جميعها، رادّاً كلّ متن إلىٰ إسناده، وكلّ إسناد إلىٰ متنه. وكذلك فعل بالآخرين.

فأقرّ له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل.

سؤال فقهيّ

سأل القاضي نجم الدين الباذرائي أحد الفقهاء هذه المسألة:

أيـا فُقَهـاءَ العَصْـرِ هَـلْ مِـنْ مُخَبِّـرٍ ... عَـنِ امْـرَأةٍ حَلَّـتْ لِصَـاحِبِهـا عَقْـدَا

إذا طُلِّقَـتْ بَعْـدَ الـدُّخُـولِ تَـرَبَّصَـتْ ... ثَـلاثَـةَ أقْـراءٍ حُـدود لهـا حَـدَّا

وإنْ مـاتَ عَنْهـا زَوْجُهـا فـاعْتِـدادُهـا ... بِقُـرْءٍ مِـنَ الأقْـراءِ تـأتـي بـهِ فَـرْدَا

فأجابه:

وكنّـا عَهِـدْنـا النَّجـمَ يَهْـدِي بِنُـورِهِ ... فَمـا بـالُـهُ قَـدْ أتْهَـمَ العَلَـمَ الفَـرْدَا

سَـأَلْـتَ فَخُـذْ عَنّـي فَتِلْـكَ لَقِيطَـةٌ ... أَقَـرَّتْ بِـرِقّ بعـد أن نُكِحَـتْ عَمْـدَا

بُعثت في الصباح واعتُقلتُ في المساء

ادّعىٰ أحدهم النبوءة في زمن المهديّ. فاعتقله الجند، وساقوه إلىٰ الخليفة، فقال له:

ـ أنت نبيّ؟

قال: نعم.

قال: إلىٰ مَنْ بُعثت؟

قال: أَوَ تركتموني أُبعث إلىٰ أحد؟ بُعثتُ في الصباح، واعتقلتموني في المساء

الحاجة

قيل لأحد الفقهاء: ماذا تصنع عند فلان؟

فقال: إنّه مثل المرحاض أذهب إليه إذا كانت لنا إليه حاجة.

رسولُ رسولِ اللّه

حدّث القاضي الإمام مجد الدين أبو سليمان داود بن محمد بن خالد الخالدي أنّ شيخاً استأذن على نظام الملك، الوزير السلجوقي. فلمّا دخل عليه رآه شيخاً مهيباً بهيّاً.

فقال: من أين الشيخ؟

قال: من غَزْنَة.

قال: أَلَكَ حاجة؟

قال: أنا رسولُ رسولِ الله إلىٰ ملك شاه.

قال: يا شيخ، أيّ شيء هذا الحديث؟

قال: إن أوصلتني بلّغته الرسالة، وإلاّ فأنا لا أزول حتىٰ أجتمع به، وأبلّغه ما معي.

فدخل الوزير على السلطان، فأعلمه بما قال الشيخ، فقال: أحضروه.

فلمّا حضر قدّم للسلطان مِسْواكاً ومِشْطاً، وقال له:

ـ أنا رجل لي بنات، وأنا فقير لا أقدر على جهازهنّ، وتزويجهنّ. وكلّ ليلة أدعو الله تعالىٰ أن يرزقني ما أُجهِّزهنَّ به، فنمت ليلة الجمعة من شهر كذا، ودعوت الله سبحانه بمعونتي عليهنّ، فرأيت رسول الله (ص) فيما يرىٰ النائم، فقال لي:

ـ أنت تدعو الله أن يرزقك ما تجهّز به بناتك؟

قلت: نعم يا رسول الله.

فقال: امضِ إلىٰ السلطان وقل له: قال لك رسول الله: جهّز بناتي. فقلت: يا رسول الله إنْ طلب منّي علامة ما أقول له؟

قال: قل له بعلامة أنّك كل ليلة عند النوم تقرأ سورة تبارك.

فلمّا سمع السلطان ذلك قال: هذه علامة صحيحة. وما اطّلع عليها غير الله تبارك وتعالىٰ. فإنّ مؤدّبي أمرني أن أقرأها كلّ ليلة عند النوم. وأنا أفعل ذلك.

ثم أمر له بكلّ ما طلبه لتجهيز بناته.

مسألة فقهيّة نحويّة

كتب الرشيد إلىٰ أبي يوسف صاحب أبي حنيفة:

ـ أَفْتِنا حاطكَ الله في هذه الأبيات:

فإن تَرْفِقي يا هِنْدُ فَالرِّفْقُ أيمنٌ ... وإنْ تَخْرُقي يا هِنْدُ فالخُرْقُ أشْأَمُ

فأنتِ طَلاَقٌ والطَّلاَقُ عَزِيمَةٌ ... ثلاثاً ومَنْ يَخْرُقْ أَعَقُّ وَأَظْلَمُ

فَبِيني بها إنْ كُنْتِ غَيْرَ رَفيقةٍ ... وَمَا لامْرِىءٍ بَعْدَ الثلاث مُقَدَّمُ

فقد أُنشد البيت «عَزِيمةٌ ثلاثٌ» و«عَزيمةٌ ثلاثاً»، فبكم تطلق بالرفع؟ وبكم تطلق بالنصب؟

قال أبو يوسف: هذه مسألة فقهيّة نحويّة، إن قلتُ فيها بظنّي لم آمن الخطأ، وإن قلت: لا أعلم، قيل لي: كيف تكون قاضي القضاة وأنت لا تعرف مثل هذا؟

ثم ذكرت أن أبا الحسن عليّ بن حمزة الكسائي معي في الشارع، فقلت:

ـ ليكن رسولُ أمير المؤمنين بحيث يكرم، وقلت للجارية:

ـ خذي الشمعة بين يديّ.

فدخلت على الكسائي وهو في فراشه، فأقرأته الرقعة، فقال لي:

ـ خذ الدواة واكتب:

أما من أنشد البيت بالرفع فقال: «عزيمةٌ ثلاثٌ» فإنّما طلّقها واحدة وأنبأها أنّ

الطلاق لا يكون إلاّ بثلاثة، ولا شيء عليه. وأمّا من أنشد «عزيمةٌ ثلاثاً» فقد طلّقها وأبانها لأنّه كأنه قال: أنتِ طالق ثلاثاً.

وأنفذت الجواب، فحُملت إليّ الجوائز والصلات آخر الليل فوجهت بالجميع إلىٰ الكسائيّ.

هل تشتهي؟

قال الأعمش لجليسه:

ـ هل تشتهي جدياً سميناً وأرغفة ناضجة، وخلاّ حاذفاً؟

قال: نعم.

فأخرج له خبزاً، وخلاً. فقال الرجل:

ـ أين الجدي والأرغفة الناضجة؟

فقال: لم أقل إنّهما عندي، وإنّما قلت:

هل تشتهي ذلك.

عندئذٍ نتساوىٰ

ذهب أحدهم إلىٰ إحدىٰ القرىٰ للوعظ، فنزل عند أحد الوجهاء، وفي الصباح دعاه ذلك الوجيه، فأقراه شيئاً، وقرأ هو مثله، وكتب له شيئاً، فكتب نظيره، ثم قال له الرجل:

ـ إنّي قرأتُ ما قرأتَه، وكتبتُ ما كتبتَهُ، فلا فرق بيني وبينك، ولا حاجة لي بك.

فأجابه الواعظ.

ـ كلاّ، بيني وبينك فرق عظيم، لأني حضرت ماشياً من مسافة ثلاثة أيام، وتحمّلت مشقّة عظيمة، فلو بلغ بك الفقر ما بلغ بي، وذهبت إلىٰ بلدي، ورددتك مثل ما رددتني خائباً، عندئذٍ أتساوىٰ أنا وأنت.

سورة الحمد

كان جماعة يجلسون إلىٰ أبي العيناء، وفيهم رجل لا يتكلّم، فقيل له:

ـ كيف علمك بالكتاب؟

قال: أنا عالم به.

فقيل له: هذه الآية في أي سورة: الحمد لله لا شريك له.

فقال: في سورة الحمد.

فضحكوا منه.

قُمْ عَبِّرْني الماء

كان الأعمش جالساً في ناحية قرب مستنقع من ماء المطر، وكان في الناحية الأُخرىٰ جماعة. فجاء رجل يرتدي ثياباً سوداء، فلمّا بصر بالأعمش، وعليه فروة حقيرة، قال:

ـ قم عبّرني الماء.

وجذبه بيده، فأقامه، وركبه، وقال: ﴿**سُبْحَانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كنّا له مقرنين**﴾ فمضىٰ به الأعمش حتىٰ توسّط المستنقع ثم رمىٰ به، وقال: ﴿**وقُلْ رَبِّ أنْزِلْني مُنْزَلاً مُبَارَكاً وأنتَ خَيْرُ المُنْزِلين**﴾ ثم خرج وتركه يتخبّط في الماء.

النبيّ المقيّد

ادّعىٰ رجل النبوّة في البصرة، فاقتيد إلىٰ الأمير سليمان بن عليّ، فقال له:

ـ أنت نبيّ مرسَل؟

فقال: أمّا الساعة، فأنا نبيّ مقيّد.

فقال: ويلك! مَنْ بعثك؟

قال: ما هذه مخاطبة الأنبياء يا ضعيف العقل، والله لولا أنّي مقيّد لأمرت جبريل يُدَمدمُها عليكم.

قال: والمقيّد لا تجاب دعوته؟

قال: نعم، الأنبياء خاصّة إذا قُيّدوا لا يرتفع دعاؤهم.

فضحك سليمان وقال:

ـ إنّي أطلقك الآن، فأْمُر جبريل، فإن أطاعك آمنّا بك وصدّقناك.

قال: صدق الله حيث يقول: ﴿فلا يُؤْمِنُوا حتىٰ يَرَوا العَذَابَ الألِيمَ﴾.

فضحك سليمان وخلّىٰ سبيله.

ما أخذته منّي بالاسم استرجعته منك بالكنية

احتكم رجلان إلىٰ قاضٍ، وكان اسم أحدهما عليّ، والآخر معاوية. فأخذ القاضي يضرب معاوية ضرباً مبرحاً من غير دليل يوجب العقاب، ففطن معاوية من أين جاءه البلاء، فقال القاضي:

ـ أصلحك الله! سَلْ خصمي عن كنيته!

فسأله، فإذا هو أبو عبد الرحمٰن، وهي كنية معاوية بن أبي سفيان، فبطحه، وضربه أيضاً. فقال له صاحبه:

ـ ما أخذته منّي بالاسم، استرجعته منك بالكنية.

أنا أحْمَدُ النبيّ المبعوث

تعذّر على رجل الوصول إلىٰ المأمون في ظلامة، فصاح على بابه:

ـ أنا أحْمَدُ النبيّ المبعوث.

فأدخل عليه، وأعُلم أنّه تنبّأ؛ فقال له:

ـ ما تقول؟

فذكر ظلامته، فقال له:

ـ وما تقول فيما حُكي عنك؟

قال: وما هو؟

قال: ذكروا أنّك نبيّ.

فقال: معاذ الله، «أنا أحْمَدُ النبيّ المبعوث» أفأنت يا أمير المؤمنين ممّن لا يحمده؟

فاستظرفه وأمر بإنصافه.

اقْلَعْ عينيك أنت

قال أحد الكوفيّين.

ـ بينما أنا جالس في منزلي إذ دخل عليّ صديق لي، فقال:

ـ ظهر بالكوفة رجل يدّعي النبوّة فقم بنا إليه نكلّمه، ونعرف ما عنده.

فقمت معه إلىٰ أن دخلنا عليه، فإذا شيخ خراسانيّ أخبث من رأيت على وجه الأرض. فقال صاحبي، وكان أعور:

ـ دعني أسائله.

فقلت: افعل.

فقال: جُعلت فداك، من أنت؟

قال: نبيّ.

قلت: وما دليلك؟

قال: أنت أعور من عينك اليمنىٰ، فاقلع عينك اليسرىٰ، حتىٰ تصير أعمىٰ وادْعُني فيُرَدّ عليك بصرك!

فقلت لصاحبي:

ـ أنصفك الرجل، فاقلعْ عينك.

قال: اقلعْ عينيك أنت جميعاً.

الشربة بخمسة

قال الإمام أبو حنيفة:

دخلت البادية، فاحتجت إلىٰ ماء، فجاءني أعرابيّ، ومعه قربة ملآنة، فأبىٰ إلاّ أن يبيعها بخمسة دراهم، فدفعتها إليه ثمّ أخذت القربة، فقلت:

ـ ما رأيُك يا أعرابيّ في السويق؟

فقالت: هاتِ.

فأعطيته سويقاً مبلّلاً بزيت، فجعل يأكل حتىٰ شبعَ، ثم عطش فقال: عليّ بشربة.

فقلت: بخمسة دراهم على قدح من ماء. فاسترددت الخمسة وبقي الماء.

احتفظي بالديك

ولّي رجل مقلّ قضاء الأهواز، فأبطأ عليه رزقه، وحضر عيد الأضحىٰ وليس عنده ما يضحّي به، فشكا ذلك إلىٰ زوجته، فقالت:

ـ لا تغتّم، فإنّ عندي ديكاً جليلاً قد سمّنته، فإذا كان العيدِ ذبحناه.

ولمّا كان العيد، وأرادوا ذبح الديك طار على سطوح الجيران، فطلبوه، وفشا الخبر بين الجيران، وكانوا ميسورين، فرثوا لحال القاضي، فأهدىٰ إليه كل واحد منهم كبشاً، فاجتمعت له في داره أكبش كثيرة، وهو في المصلّىٰ لا يعلم. فلمّا صار إلىٰ منزله ورأىٰ ما فيه من الأضاحي سأل زوجته.

ـ من أين هذا؟

فقالت: أهدىٰ لنا فلان وفلان... حتىٰ حصل عندنا كما ترىٰ.

فقال: ويحك، احتفظي بديكنا هذا فما فُدي إسحاق بن إبراهيم إلاّ بكبش واحد، وقد فدِيَ ديكنا بهذا العدد.

طالق إن أنا طلّقتك

حدّث غلام لابن المزوق البغدادي قال:

ـ كان مولاي مكرماً لي، فاشترىٰ جارية وزوّجنيها، فأحببتها حبّاً شديداً، وأبغضتني بغضاً عظيماً، وكانت تتنافرني دائماً، واحتملتها إلىٰ أن أضجرتني يوماً. فقلت لها:

ـ أنت طالق ثلاثاً إن خاطبتني بشيء إلاّ خاطبتك بمثله، فقد أفسدك احتمالي لك.

فقالت في الحال: أنتَ طالق ثلاثاً بتاتاً.

قال: فسكت، ولم أدرِ ما أجيبها به خوفاً أن أقول لها مثل ما قالت لي فتصير بذلك طالقاً منّي، فأُرشدت إلىٰ أبي جعفر الطبري، فأخبرته بما جرىٰ، فقال:

ـ أقم معها بعد أن تقول لها: أنت طالق ثلاثاً بتاتاً إن أنا طلّقتك، فتكون قد خاطبتها به، فوفيت بيمينك ولم تطلّقها، ولا تعاود الأيمان.

رأيتكم فَأَبْغَضْتُكُمْ

قال بعضهم:

ـ صرنا إلىٰ باب الأعمش، فرأيناه واقفاً ببابه، فلمّا رآنا أسرع الدخول، ثم أسرع الخروج، فقلنا له في ذلك، فقال:

ـ رأيتكم فأبغضتكم، فدخلت إلىٰ من هو أبغض منكم فخرجت.

لَسْتَ بغوغاء

أتىٰ رجل إلىٰ شيخ حفّاظ الحديث الضحّاك بن مخلّد الشيباني المعروف بأبي عاصم النبيل، فقال:

ـ إنّ امرأتي قالت لي يا غوغاء.

فقلت لها: إن كنتُ غوغاء فأنت طالق ثلاثاً.

فقال له أبو عاصم: هل أنت ممّن يحضر المناطحة بالكباش، والمناقرة بالديوك؟

قال: لا.

قال أبو عاصم: فهل أنت الرجل الذي يحضر يوم يعرض السلطانُ أهل السجون فيقول: فلان أجلد من فلان؟

قال: لا.

قال أبو عاصم: هل أنت الرجل الذي إذا خرج الأمير يوم الجمعة جلست على ظهر الطريق حتىٰ يمرّ، ثم تقيم مكانك حتىٰ يصلّي وينصرف؟

قال: لا.

قال أبو العاصم: لست بغوغاء، إنّما الغوغاء من يفعل هذا.

مسألة وحكم

كتب بعض علماء مالك للإمام الشافعي:

ـ يا إمام، لي خالة وأنا خالها، ولي عمّة وأنا عمّها، فأمّا التي أنا عمّ لها، فإنّ أبي أمُّه أمُّها، وأبوها أخي، وأخوها أبي، على سنّة قد جرىٰ رسمها؛ وأمّا التي أنا خال لها فإنّ أبا الأمّ جدّ لها، ولسنا مجوساً ولا مشركين، بل سنّة الحقّ نأتيها. فأين الإمام الذي عنده فنون التناكح أو علمها يبيّن لنا كيف أنسابنا؟ ومن أين كان كذا حكمها؟

فكتب إليه الإمام:

ـ القائل لهذه المسألة تزوّجت جدّته لأبيه ـ يعني أم أبيه ـ بأخيه لأمّه، وتزوّجت أخته لأبيه بأبي أمّه، وأولادهما «بنت».

فبنت جدّته عمّته، وهو عمّها، وبنت أخته خالته، وهو خالها.

سؤال

كتب بعض علماء مالك بن أنس للإمام الشافعي:

ـ يا إمام، ما تقول في الفرض، وفرض الفرض، وما يتمّ به الفرض، وصلاة لا فرض، وصلاة تركها فرض، وصلاة بين السماء والأرض، وصلاة في السماء والأرض؟

فكتب الإمام:

ـ أمّا قول القائل: الفرض: فهو الصلوات الخمس. وفرض الفرض، فهو الوضوء؛ وأمّا قوله ما يتمّ به الفرض فهو الصلاة على رسول الله (ص)؛ وأمّا قوله صلاة لا فرض، فهي صلاة الصغير قبل البلوغ؛ وأمّا الصلاة التي تركها فرض، فهي صلاة السكران. وأمّا الصلاة التي بين السماء والأرض، فهي صلاة

سليمان عليه السلام. وأمّا الصلاة التي في السماء والأرض فهي صلاة رسول الله (ص) ليلة المعراج.

أشعب يخاير ابنه

كبر أشعب، فملّه الناس وبَرَدَ عندهم، ونشأ ابنُه فتغنّىٰ وبكىٰ وأندر، فاشتهىٰ الناس ذلك، فأخصب وأجدب أبوه، فدعاه يوماً، وجلس هو وعجوزه، وجاء ابنه وامرأته، فقال له:

ـ بلغني أنّك تغنّيت، وأندرت، وحظِيت، وأنّ الناس قد مالوا إليك، فهَلُمَّ حتّىٰ أخايرك.

قال: نعم.

فتغنّىٰ أشعب، فإذا هو قد انقطع وأرعد، وتغنىٰ ابنه فإذا هو حسن الصوت مطرب، وانكسر أشعب، ثم أندر فكان الأمر كذلك، ثم خطبا، فكان الأمر كذلك، فاحترق أشعب، فقام وألقىٰ ثيابه ثم قال:

ـ نعم، فمن أين لك مثل خُلُقي؟ من لك بمثل حديثي؟

وانكسر الفتىٰ فنعرت العجوز ومن معها عليه.

بَرْدٌ وسَعَةٌ

اشترىٰ الأعمش جارية، فقال له أصحابه:

ـ كيف رأيتها؟

قال: فيها من صفة الجنّة خصلتان: بَرْدٌ وسَعَة.

ما أكلتُ إلاّ حلالاً

دخل أشعب وأتباعه داراً واسعة، فأكلوا من وليمة أُعدّت فيها، وحضرها والي المدينة؛ وحانت من الوالي التفاتة إلىٰ أشعب، فاستدعىٰ صاحب الدار، وقال له:

ـ من صاحب القلنسوة الطويلة والطيلسان الأخضر؟

فقال صاحب الدار:

ـ أصلح الله الأمير، هذا رجل يقال له أشعب، يشهد هذه الولائم دُعِيَ أو لم يُدْعَ.

فقال الوالي: إذا أكل فجئني به.

ولما فرغ الناس من الطعام، ورفعت الموائد، أسرع صاحب الدار إلىٰ أشعب، وأحضره إلىٰ الوالي. فسأله الوالي:

ـ هل دعاك أحد إلىٰ هذه الوليمة؟

فوقع أشعب في حيرة وأجاب: لا، أصلحك الله!

فقال الوالي: ألا تعلم أنّ من جاء إلىٰ طعام لم يُدْعَ إليه دخل سارقاً، وأكل حراماً؟

فقال أشعب: لا، والله ما أكلت إلاّ حلالاً.

فدهش الوالي وقال:

ـ كيف ذلك؟

قال أشعب: أليس يقول صاحب الوليمة للخبّاز: زدْ في كلّ شيء؟

وإذا أراد أن يطعم مئة قَدّر لمئة وعشرين، وهو يقول: قد يجيئنا من نريد ومن لا نريد؟ فأنا ممّن لا يريد. فابتسم الوالي وأعجبه الجواب.

المرأة التي تعجب أشعب

سأل بعضهم أشعب أن يتزوّج، فقال لهم:

ـ ابغوا لي امرأة أتجشّأ في وجهها فتشبع، وتأكل فخذ جرادة فتتخم.

خديعة

قال الشافعي:

ـ كنّا بأرض اليمن نتعشىٰ، فحضرت صلاة المغرب، فقمنا نصلّي، فتركنا السفرة كما هي وقمنا إلىٰ الصلاة، وكان فيها دجاجتان، فجاء ثعلب فأخذ إحدىٰ الدجاجتين.

فلمّا قضينا الصلاة، أسفنا على الدجاجة، وحُرمنا طعامنا. فبينما نحن كذلك إذ جاء الثعلب، وفي فمه شيء كأنّه الدجاجة فوضعه، فبادرنا إليه لنأخذه، ونحن نحسبه الدجاجة قد ردّها. فلمّا قمنا جاء إلىٰ الأُخرىٰ وأخذها من السفرة، وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه، فإذا هو ليف قد هيّأه مثل الدجاجة.

أشعب والكلبة

وقيل لأشعب: أرأيت أطمع منك؟!

قال: نعم، كلبة أبي فلان رأت رجلاً يمضغ علكاً فتبعته فرسخين تظنّ أنّه يأكل شيئاً.

لا تفلح

وقال أحدهم:

ـ كان لي ابن في المدرسة، وأشعب عند المعلّم، فقرأ: ﴿**إنّ أبي يدعوك**﴾، فقام أشعب، ولبس نعليه، وقال:

ـ امشِ بين يديّ.

فقال: إنّما أقرأ حزبي.

فقال: قد علمت أنّك لا تفلح لا أنت ولا أبوك.

سِنّ أشعب

قال محمّد بن عثمان بن عفّان لأشعب:

ـ لي إليك حاجة.

فحلف بالطلاق لابنة وردان: لا سألته حاجة إلاّ قضاها.

فقال محمّد:

ـ أخبرني عن سنّك.

فاشتدّ ذلك عليه حتىٰ ظنّ أنّه سيطلّق.

فقال محمّد: على رِسْلك.

وحلف له بأنّه لا يذكر سنّه ما دام حيّاً.

فقال أشعب:

ـ أمّا إذْ فعلت فقد هوّنت عليّ، أنا والله حيث حُصِرَ جدّك عثمان بن عفّان، كنتُ أسعىٰ في الدار ألتقط السهام.

ما يُبكيك

حدّث شيخ أنّه نظر إلىٰ أشعب بموضع يقال له الفُرع يبكي وقد خُضِّب بالحناء، فقالوا: يا شيخ ما يبكيك؟

قال: لغربة هذا الجناح.

وكان على دار واحدة ليس بالفُرع غيره.

أظنّني صدقت

مرّ أشعب برشّ قد رُشَّ من الليل في بعض نواحي المدينة، فقال:

ـ كأن هذا الرشّ كساء بَرنكاني.

فلمّا توسّطه قال:

ـ أظنّني والله قد صدقت.

وجلس يلمس الأرض.

أشعب مندر أهل المدينة

حدّث عبيدة بن أشعب قال:

كان الغاضريّ مندر أهل المدينة ومُضْحكهم قبل أبي، فأسقطه أبي واطُرِح، وكان الغاضري حسن الوجه طويل القامة ضخم الجسم، وكان أبي قصيراً، دميماً، قليل اللحم، إلاّ أنّه كان يتضرّم ويتوقّد ذكاء وحدّة، وخفّة روح؛ وكان الغاضريّ يحسده، وكان الغاضريّ لقيطاً منبوذاً، لا يُعرف له أب. فمرّ يوماً، ومعه فتية من

قريش، بأبي في المسجد، وقد تأذّىٰ بثيابه فنزعها، وتجرّد، وجلس عرياناً، فقال لهم الغاضريّ:

ـ أنشدتكم الله هل رأيتم أعجب من هذه الخلقة؟

يريد خلقة أبي. فقال له أبي:

ـ إنّ خلقتي لعجيبة، وأعجب منها أنّه زقّني فصرت نِضْواً، وزقّك فصرت بُخْتِيّاً.

قال: وأهل المدينة يسمّون المهلوس من الفراخ النضو والمُسَرْوَل البُختيّ.

فغضب الغاضري عند ذلك وشتمه، فسقط واستبُرد، وترك النوادر بعد ذلك، وغلب أبي على أهل المدينة واستطابوه.

أشعب والغاضري

بلغ الأشعب أنّ الغاضريّ قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأنّ جماعة قد استطابوه، فرقبه حتىٰ علم أنّه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم، فصار إليه، ثم قال له:

ـ قد بلغني أنّك قد نحوت نحوي، وشغلت عنّي من كان يألفني، فإن كنت مثلي، فافعل كما أفعل. ثمّ غضّن وجهه، وعرّضه، وشنّجه حتىٰ صار عرضه أكثر من طوله، وصار في هيئة لم يعرفه بها أحد، ثم أرسل وجهه وقال له:

ـ افعلْ هكذا.

وطوّل وجهه حتىٰ كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنّه وجه الناظر في سيفه، ثم نزع ثيابه، وتحادب، فصار في ظهره حدبة كسنام البعير، وصار طوله مقدار شبر أو أكثر، ثم نزع سراويله، وجعل يمد جلد خُصييه حتىٰ حكّ بهما الأرض، ثم خلاّهما من يده، ومشىٰ، وجعل يخنِس، وهما يخطّان الأرض، ثم قام فتطاول وتمدّد وتمطّىٰ حتىٰ صار أطول ما يكون من الرجال، فضحك والله القوم حتىٰ أغمي عليهم، وقطع الغاضريّ فما تكلّم بنادرة، ولا زاد على أن يقول:

ـ يا أبا العلاء! لا أعاود ما تكره، إنّما أنا تلميذك وخرّيجك.

ثم انصرف أشعب وتركه.

الدِّيَة

صلّىٰ أشعب يوماً إلىٰ جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة، فأفلتت منه ريح عند نهوضه، لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فَوَهِمَ الناس أنّه هو الذي خرجت منه الريح. فلمّا انصرف مروان إلىٰ منزله جاءه أشعب، فقال له:

ـ الدِّية.

فقال: دِيَة ماذا؟

فقال: دية الضرطة التي تحمّلتها عنك، والله إن لم تقدّمها لي شهرتك.

فلم يدعه حتىٰ أخذ منه شيئاً صالحاً.

لا آكل مضيرة أبداً

تغدّىٰ أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثي، فجاؤوا بمضيرة، فقال أشعب للخبّاز: ضَعْها بين يديّ.

فوضعها بين يديه. فقال زياد: من يصلّي بأهل السجن؟

قال: ليس لهم إمام!

قال: أدخلوا أشعب يصلّي بهم.

قال أشعب: أو غير ذلك، أصلح الله الأمير.

قال: وما هو؟

قال: أحلف ألاّ آكل مضيرة أبداً.

أعْلِف ولا أركب

تظلّمت امرأة أشعب منه إلىٰ أبي بكر بن محمد بن عمرو وقالت:

ـ لا يدعني أهدأ من كثرة الجماع.

فقال له أشعب: أتراني أعلف ولا أركب، لتكفّ ضرسها لأكفّ شهوتي.

لا يفلح من ردَّها أبداً

قال أشعب: دخلت على القاسم بن محمد، وكان يبغضني في الله، وأحبّه فيه.

فقال: ما أدخلك عليّ؟ اخرجْ عنّي.

فقلت: أسألك بالله لما جَدَدْتَ عِذْقاً.

قال: يا غلام، جُدَّ له عذقاً، فإنّه سأل بمسألة لا يُفلح مَنْ ردَّها أبداً.

أَسفُلُ ويَعْلُو

قال أشعب:

ـ فيّ وفي أبي الزناد عجب، كنت أنا وهو في كفالة عائشة بنت عثمان، فما زال يعلو وأسفل حتىٰ بلغنا الغاية.

أصطلي من ناره

قال أشعب:

ـ جلست يوماً في الشتاء إلىٰ رجل من ولد عقبة بن أبي معيط، فمرّ به الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال لي:

ـ ما يقعدك إلىٰ جنب هذا؟

قلت: أصطلي من ناره.

أشعب والعطاء

قال أحدهم: كان لأشعب عليّ في كلّ سنة دينار، قال: فأتاني يوماً بواد في اليمامة، فقال: عجّل لي ذلك الدينار.

ثم قال: لقد رأيتني أخرج من بيتي، فلا أرجع شهراً ممّا آخذ من هذا وهذا وهذا.

أبكي على نفسي

حُدّث أشعب بمُلحة فبكىٰ، قيل له:

ـ ما يبكيك؟

قال: أنا بمنزلة شجرة الموز، إذا نشأتِ ابنتها قُطعت، وقد نشأت أنت في مواليّ، وأنا الآن أموت، فإنّما أبكي على نفسي.

أحبّ إليّ

قالت صديقة أشعب لأشعب.

ـ هَبْ لي خاتمك أذكرك به.

قال أشعب: اذكريني أنّي منعتك إياه، فهو أحبّ إليّ.

القطيفة

قال الواقدي:

ـ كنت مع أشعب نريد المصلَّىٰ، فوجد ديناراً، فقال لي:

ـ يا ابن واقد!

قلت: وما تشاء؟

قال: وجدت ديناراً فما أصنع به؟

قلت: عرّفه.

قال: أم العلاء إذَنْ طالق.

فقلت: فما تصنع به إذن؟

قال: أشتري به قطيفة أعرّفها.

تعلّمت النشر وبقي الطيّ

دفعت عائشة بنت عثمان أشعب في البزّازين، فقالت له بعد حول:

ـ أتوجَّهتَ لشيء؟

قال: نعم، تعلّمتُ نصف العمل، وبقي نصفه.

قالت: وما تعلّمت؟

قال: تعلّمت النشر وبقي الطيّ.

أشعب والفالوذجة

أُتي أشعب بفالوجة عند بعض الولاة، فأكل منها. فقيل له:

ـ كيف تراها يا أشعب؟

قال: امرأتي طالق إن لم تكن عُملت قبل أن يوحيَ الله عزّ وجلّ إلىٰ النحل (أي دون حلاوة).

إن أردت السباق فردَّها

جاء رجل إلىٰ الشعبيّ فقال:

ـ إنّي تزوّجت امرأة عرجاء فهل لي أن أردّها؟

فقال له: إن كنت تريد أن تسابق فردّها.

هل يؤجر

قيل للشعبيّ: ما تقول في رجل شتمني أوّل يوم في رمضان، هل يؤجر؟

قال: إن قال لك يا أحمق فإنّي أرجو له.

زواج ما شهدناه

كان جماعة عند الشعبيّ، فمر رجل يحمل على ظهره دنّ خلّ؛ فلمّا رأىٰ الشعبيّ، وضع الدنّ وقال للشعبيّ:

ـ ما كان اسم امرأة إبليس؟

فقال: ذاك زواج ما شهدناه.

من الفقه إلىٰ الحجامة

قال رجل للشعبيّ: ما تقول في رجل أدخل إصبعه في أنفه فخرج منه دم، أترىٰ له أن يُحجم؟

فقال: الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلىٰ الحجامة.

أدهىٰ وأحيل من الثعلب

سئل الشعبيّ:

يقال في المثل: إنّ شريحاً أدهىٰ من الثعلب، فما هذا؟ فأجاب الشعبيّ:

ـ إنّ شريحاً خرج أيام الطاعون إلىٰ النجف وكان إذا قام يصلّي يجيء ثعلب، فيقف تجاهه، فيحاكيه، ويخيل بين يديه، فيشغله عن صلاته؛ فلمّا طال ذلك عليه، نزع قميصه، فجعله على قصبة، وأخرج كمّيه، وجعل قلنسوته وعمامته عليه، فأقبل الثعلب، فوقف على عادته، فأتىٰ شريح من خلفه، فأخذه بغتة.

فلذلك يقال: هو أدهىٰ من الثعلب وأَحْيَل.

اسْقِهِ ماءً

قيل: مدَّ الشعبيّ يده وهو على مائدة قتيبة بن مسلم يلتمس الشراب، فلم يدر صاحب الشراب ماذا يريد الشعبيّ: اللبن أم العسل، أم غيرهما من الأشربة؟، فقال له:

ـ أي الأشربة أحبّ إليك؟

قال: أعزّها مفقوداً، وأهونها موجوداً.

فقال قُتيبة: اسْقِهِ ماءً.

ولك فيه أدب

كان رجل يدعىٰ خنيساً يجلس إلىٰ الشعبيّ، فقال للشعبيّ يوماً:

ـ اتّقِ الله ولا تكذب.

فقال له الشعبيّ: ويحك يا خنيس، ما أحوجك إلىٰ مُحَدْرَج شديد الفتل، ليّن المهزّة، عظيم الثمرة، وقد أُخذ من عَجْب ذنب إلىٰ مغرزٍ عنق، فيوضع على مثل ذلك منك، فتكثر له رقصاتك من غير جذل. قال: وما هو يا أبا عمرو؟

قال: هو، واللَّهِ، أَمْرٌ لنا فيه أرب، ولك فيه أدب.

البلاء موكّل بالمنطق

نُقل عن الشعبيّ أنّه قال:

ـ مرض الأسد، فعاده جميع السباع ما خلا الثعلب، فنمّ عليه الذئب، فقال الأسد:

ـ إذا حضر فأَعْلِمْني.

فلمّا حضر أعلمه، فعاتبه في ذلك؛ فقال:

ـ كنت في طلب الدواء لك.

قال: فأيّ شيء أصبت؟

قال: خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج.

فضرب الأسد بمخالبه ساق الذئب، وانسلّ الثعلب.

فمرّ به الذئب بعد ذلك، ودمه يسيل، فقال له الثعلب:

ـ يا صاحب الخف الأحمر، إذا قعدت عند الملوك فانظر ماذا يخرج من رأسك.

قال الحافظ أبو نعيم:

ـ لم يقصد الشعبيّ من هذا سوىٰ ضرب المثل، وتعليم العقلاء، وتنبيه الناس، وتأكيد الوصيّة في حفظ اللسان، وتهذيب الأخلاق، والتأدّب بكلّ طريق، وفي مثل ذلك قيل:

احْفَظْ لِسَانَكَ لا تَقُولُ فَتُبْتَلىٰ   إنّ البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

إن اشتهيته فَكُلْهُ

دخل رجل على الشعبيّ وكان معه امرأة في المسجد، فقال:

ـ أيّكما الشعبيّ؟

فقال الشعبيّ:

ـ هذه. (وأشار إلىٰ المرأة).

وسئل مرّة عن لحم الشيطان، فقال:

ـ نحن نرضىٰ منه الكفاف.

فقيل له: فما تقول في الذبّان؟

قال: إنِ اشتهيته فَكُلْهُ.

الخصال الثلاث

حدّث الشعبيّ قال:

ـ صاد رجل قُمْريّة، فقالت له:

ـ ما تريد أن تصنع بي؟

قال: أذبحك وآكلك.

فقالت: والله ما أشبعك من جوع، وخير لك من أكلي أن أعلّمك ثلاث خصال: واحدة وأنا في يدك، والثانية وأنا على الشجرة، والثالثة وأنا على الجبل.

فقال: هاتي.

قالت: لا تَلَهَّفَنَّ على شيء فات.

فخلّىٰ سبيلها.

فلمّا صارت على الشجرة قالت:

ـ لا تصدّقنّ بما لا يكون أنّه كان.

فلمّا صارت على الجبل قالت:

ـ يا شقيّ، لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درّتين، في كل واحدة عشرون مثقالاً.

فعضّ الرجل على يده ندماً، وتحسّراً، ثم قال:

ـ هاتي الثالثة.

قالت: أنت قد نسيت الأولىٰ والثانية فكيف أخبرك بالثالثة؟

ألَمْ أقل لك: لا تلهّفنْ على ما فات، ولا تصدّقنّ بما لا يكون أنّه كان؟ أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون فيّ عشرون مثقالاً.

ثم طارت.

الفيل أكبر من البقرة

صلّىٰ أعرابيّ خلف إمام صلاة الصبح، فقرأ الإمام سورة البقرة، وكان الأعرابيّ مستعجلاً، ففاته مقصوده.

ولمّا بكّر في اليوم التالي، وبدأ الإمام بسورة الفيل ولّىٰ الأعرابيّ هارباً وهو يقول:

ـ الفيل أكبر من البقرة.

لا نبي بعدي

ادّعت امرأة النبوّة، فسألها المأمون:

ـ من أنتِ؟

قالت: أنا فاطمة النبيّة.

قال: أتؤمنين بما جاء به محمد (ص)؟

قالت: نعم، كلّ ما جاء به حقّ.

قال: ألم يقلْ لا نبيّ بعدي؟!

قالت: صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال: لا نبيّة بعدي؟

الملائكة لم تستحِ

قيل: سئل الشعبي عن مسألة فقال: لا أدري.

فقيل له: ألا تستحي من قولك هذا وأنت فقيه العراقين؟

فقال: إنّ الملائكة لم تَسْتَحِ إذ قالت: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلاّ ما عَلَّمْتَنَا﴾.

لو... لماتَتْ على الفور

قيل مرّة لأشعب: هل تعرف من هو أطمع منك؟

فقال: أمّي.

فسألوه: كيف ذلك؟

فأجاب: كنت إذا جئتنا بهديّة تسألني: ما الذي جئت به؟

فأتهجّى لها باسم الهديّة حَرْفاً حَرْفاً حتىٰ لا تصعقها المفاجأة.

ولقد أهدانا أحدهم ذات يوم «غزالين» فسألتني:

ـ ما أُهْدِي لنا؟

فقلت: غَيْن!

فقالت: ثمّ ماذا؟

فقلت: زاي!

فقالت: ثم ماذا؟

فقلت: ألف.

فقالت: ثمّ ماذا؟

فقلت: لام.

فأخذت تضحك حتىٰ كاد يُغمىٰ عليها، ولو أنّني أكملت وقلت غزالين لماتت على الفور.

أين الغناء والدفّ

دخل الشعبيّ على وليمة فقال:

ـ ما بكم كأنكم في جنازة، أين الغناء والدفّ؟

أهْلَكَ الأوّلين والآخرين

صلّىٰ أعرابيّ خلف إمام، فقرأ الإمام ﴿**أَلَمْ نُهْلِكِ الأوّلين ثم نُتْبِعُهُمُ الآخرين كذلك نَفْعَلُ بالمجرمين**﴾، وكان اسم الأعرابيّ مجرماً، فترك الصلاة، وخرج مسرعاً، وهو يقول:

ـ والله ما المطلوب غيري.

فسمعه بعض الأعراب، فسأله:

ـ ما بك يا مجرم؟

أجاب: إن الإمام أهلك الأولين والآخرين وأراد أن يهلكني معهم، والله لا رأيته بعد اليوم.

حديث الغاشية

سرق أعرابيّ غاشية من على سرج، ثم دخل المسجد ليصلّي؛ فقرأ الإمام ﴿**هل أتَاكَ حَديثُ الغاشيةِ**﴾ فقال الأعرابي:

ـ يا فقيه، لا تدخل في الفضول.

فلمّا قرأ ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعةٌ**﴾، قال:

ـ خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي، لا بارك الله لكم فيها.

ثم رماها وانصرف.

ما هذا؟

دخل أعرابيّ المسجد والإمام يخطب، فقال لأحد الحضور:

ـ ما هذا؟

قال: يدعون الناس إلىٰ الطعام.

قال: فما يقول صاحب المنبر؟

قال: يقول: ما يرضىٰ الأعراب أن يأكلوا حتىٰ يحملوا معهم، فتقدّم

الأعرابيّ حتىٰ دنا من الإمام، فقال: يا هذا، إنّ الذين يفعلون ما تقول هم سفهاؤنا.

محبّة

سئل طفيليّ: كم تحفظ من القرآن؟

قال: احفظ آية واحدة.

ـ ما هي؟

قال: ﴿**آتِنا غداءنا**﴾.

ثم قالوا له: ما تحفظ من الحديث؟

قال: أروي حديثاً واحداً ما رواه الثقات.

فقالوا: وما هو؟

قال: فعن عدّة من الرواة: «**إنّ التمكّن على المائدة خير من زيادة لونين**. . ».

فقيل: وما تروي من الشعر؟

قال: بيتاً واحداً هو:

نَزُورُكُمْ لا نكَافِئكُمْ بجفوتِكُمْ   إنّ المُحِبَّ إذا لم يُسْتَزرْ زارا

أخرج اسمه من فمها

مرّ الشعبيّ ومعه بعض من مجلس القضاء على جارية سوداء تغسل ثوبها، وهي تقول:

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لمّا   فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لمّا

وتكرّره.

فلمّا رأته سكتتْ، فقال الشعبيّ:

ـ «رَفَعَ الطَّرْفَ إليها».

فقيل له: لِمَ هذا؟

فقال: أردت أن يخرج اسمي من فمها.

صرّة موسىٰ

سرق أعرابيّ صرّة فيها دراهم، ثم دخل المسجد ليصلّي وكان الأعرابي يدعىٰ موسىٰ. فقرأ الإمام ﴿وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَىٰ﴾، فقال الأعرابيّ:

ـ والله إنّك لساحر.

ثم رمىٰ الصرّة وخرج هارباً.

إذا لم يأذن أبوك

صلّىٰ أعرابي خلف إمام، فقرأ ﴿فَلَنْ أبْرَحَ الأرضَ حتىٰ يَأْذَنَ لي أبي﴾، ووقف يردّدها: فقال الأعرابيّ:

ـ يا فقيه، إذا لم يأذن لك أبوك في هذا الليل نظل نحن وقوفاً إلىٰ الصباح.

ثم تركه وانصرف.

أَرْسِلْ غيره

صلّىٰ أعرابيّ خلف إمام، فقرأ ﴿إنّا أرْسَلْنَا نُوحاً إلىٰ قَوْمِهِ﴾، ثم وقف، وجعل يردّدها، فقال الأعرابيّ:

ـ أرْسلْ غيره، يرحمك الله، وأرِحْنا وأرِحْ نفسك.

أنا أولىٰ به وأحقّ

ألحّ سائل على أعرابيّ أن يعطيه حاجة لوجه الله.

فقال الأعرابي: والله ليس عندي ما أعطيه للغير، وما عندي فأنا أولىٰ به وأحقّ.

فقال السائل: أين الذين كانوا يؤثرون الفقير على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟

فقال الأعرابي: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

دعاني من هو أكرم منك

خرج الحجّاج ذات يوم فأصحر، وحُضِّر غداؤه. وكان قربه أعرابيّ، فدعاه، وقال له:

ـ هلمّ.

فقال الأعرابي: دعاني من هو أكرم منك فأجبته.

قال: ومن هو؟

قال: الله تبارك وتعالىٰ، دعاني إلىٰ الصيام، فأنا صائم.

قال: صوم في مثل هذا اليوم على حرّ؟!

قال: صمت ليوم هو أحرّ منه.

قال: فافطر اليوم، وتصوم غداً.

قال: ويضمن لي الأمير أن أعيش إلىٰ غد؟

قال: ليس ذلك إليّ.

قال: فكيف تسألني عاجلاً بآجل ليس إليه سبيل؟

قال: إنّ طعامنا طيّب.

قال: والله ما طيّبه طبّاخك ولا خبّازك، وإنّما طيّبته العافية.

قال الحجاج: والله، ما رأيت كاليوم أخرجوه عنّي.

يأمرهم بأن ينكحونا

دخلت أعرابيّة على قوم يصلّون، فقرأ الإمام: ﴿**فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النساء**﴾، وجعل يردّدها، فجعلت الأعرابيّة تعدو هاربة حتىٰ جاءت أختها فقالت:

ـ يا أختاه ما زال الإمام يأمرهم بأن ينكحونا حتىٰ خشيت أن يقعوا عليّ.

بلاغة جارية

دخل رجل على الرشيد، ومعه جارية للبيع. فتأمّلها الرشيد، ثم قال:

ـ خذ جاريتك، فلولا كَلَف في وجهها وخنس في أنفها لاشتريتها. فانطلق

بها؛ فلمّا بلغت الستر قالت:

ـ يا أمير المؤمنين، اُرْددني إليك أُنشدك بَيْتَيْنِ حَضَراني. فردّها، فأنشأت تقول:

مـــا سَلِـــمَ الظَّبْـــيُ علـــى حُسْنِـــهِ ... كـــلاّ ولا البـــدرُ الـــذي يـــوصَـــفُ

الظَّبْـــــيُ فيـــــه خَنَـــــسٌ بَيّـــــنٌ ... والبَـــــدْرُ فيـــــه كَلَـــــفُ يُعْـــــرَفُ

فأعجبته بلاغتها، فاشتراها، وقرّب منزلتها، وكانت أحظىٰ جواريه عنده.

أيُريد أن يسابق عليها؟

قدّم بعضهم عجوزاً دلاّلة إلىٰ القاضي وقال:

ـ أصلح الله القاضي، زَوَّجتِنِي هذه امرأةً، فكلّما دخلت بها، وجدتها عرجاء.

فقالت: أصلح الله القاضي زوّجته امرأة يجامعها، ولم أعلم أنّه يريد أن يحجّ عليها، أو يسابق بها في الحلبة، أو يلعب عليها بالكرة والصولجان.

هذا وزن السنّور

اشترىٰ رجل ثلاثة أرطال من اللحم، وقال لامرأته: اطبخيه لنا.

وخرج إلىٰ مشغله. فطبخته المرأة وأكلته. فلمّا جاء زوجها قال: هاتي ما طبختِ.

قالت له: قد أكله السنّور.

فأخذ الرجل السنّور ووزنه، فإذا هو ثلاثة أرطال، فقال لها:

ـ هذا وزن السنّور فأين اللحم؟ أو هذا وزن اللحم فأين السنّور؟

أنا أيش

قال المتوكّل لجارية استعرضها:

ـ أنت بكر أم أيش؟

قالت:

ـ أنا أيش يا أمير المؤمنين.

أبو دلامة والحجّ

قال موسىٰ بن داود لأبي دلامة.

ـ احججْ معي ولك عشرة آلاف درهم.

فقال: هاتها.

فَدُفعت إليه، فأخذها وهرب إلىٰ السواد، فجعل ينفقها هناك ويشرب بها الخمر. فطلبه موسىٰ، فلم يقدر عليه، وخشي فوت الحجّ فخرج. فلمّا شارف القادسيّة، إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلىٰ أُخرىٰ وهو سكران، فأمر بأخذه، وتقييده، وطرحه في محمل بين يديه. فَفَعل به ذلك. فلما سار غير بعيد أقبل على موسىٰ وناداه:

يـا أيُّهـا النّـاسُ قُـولُـوا أجْمَعُـونَ معـاً ... صَلَّـىٰ الإلٰـهُ علـى مـوسـىٰ بْـنِ دَاودِ

كـأنّ ديبـاجَتَـيْ بـداودٍ وأَعْظُمِـهِ ... إذا بَـدَا لَـكَ فـي أثـوابِـهِ السُّـودِ

إنّـي أعُـوذُ بِـداودٍ وَأَعْظُمِـهِ ... مِـنْ أنْ أُكَلَّـفَ حَجّـاً يـابْـنَ دَاودِ

خُبِّـرْتُ أنّ طـريـقَ الحَـجِّ مَعْطَشَـةٌ ... مـن الشـرابِ وَمَـا شُرْبـي بِتَصْـرِيـد

واللّـهِ مـا فـيَّ مِـنْ أجْـرٍ فَتَطْلُبُـهُ ... ولا الثَّنـاءُ علـى دِينـي بِمَحْمُـودِ

فقال موسى: ألقوه، لعنه الله، عن المحمل، ودعوه ينصرف.

فألقي وعاد إلىٰ قصفه بالسواد، حتىٰ نفدت العشرة آلاف درهم.

لعنه الله

كان أحدهم جالساً مع امرأته في منظرة، فمرّ غلام حسن الوجه، فقالت:

ـ ما أحسنَ هذا، وما أحسن وجهه وقدّه!.

فقال الزوج: نعم لولا أنه خصيّ.

فقالت: لعنه الله، ولعن من خصاه.

مُري خيالك

كتب رجل إلىٰ عشيقته: مُري خيالك لكي يلمّ بي.

فكتبت إليه: ابعث إليّ بدينارين حتىٰ آتيك بنفسي.

خدعته وانصرفت

قيل: إنّ امرأة عفيفة حسناء خرجت يوماً إلىٰ حمّام معروف بحمّام «منجاب»، فلم تعرف طريقه، وتعبت من المشي، فرأت رجلاً على الطريق، فسألته عن الحمّام، فقال:

ـ هوذا.

وأشار إلىٰ باب داره، فلمّا دخلت أغلق الباب عليها؛ فلما عرفت سوء نيّته ومكره، أظهرت كمال السرور والرغبة، وقالت له:

ـ اشترِ لنا شيئاً من الطيب، وشيئاً من الطعام، وعجّل العود إلينا.

فلمّا خرج واثقاً بها وبرغبتها، خرجت وتخلّصت منه.

العجوز المتصابية

نظر شيخ من الأعراب إلىٰ امرأته تتزيّن، وهي عجوز، فقال:

عَجُوزٌ تُرَجّي أنْ تَكُونَ فَتِيَّةً ... وَقَدْ لُحِبَ الجَنْبَانِ وَاحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ

تَدُسُّ إلىٰ العَطَّارِ سلْعَةَ بَيْتِهَا ... وَهَلْ يُصْلِحُ العَطَّارُ ما أفْسَدَ الدَّهْرُ

وما غَرَّني إلاّ خضابٌ بِكَفِّها ... وَكُحْلٌ بِعَيْنَيْهَا وأثْوَابُها الصُّفْرُ

وَجَاؤُوا بها قَبْلَ المُحَاقِ بِلَيْلَةً ... فكانَ مُحَاقاً كُلّهُ ذلك الشَّهْرُ

فقالت امرأته:

أَلَمْ تَرَ أنْ النابَ تُحلب علبةً ... ويُتْرَكُ ثَلْبٌ لا ضرابٌ ولا ظهرُ

ثم استغاثت بالنساء، وطلب الرجال، فإذا هم خلوف، فاجتمع عليه النساء فضربنه.

ارفقوا بالبهيمة

قال أبو العيناء: كنّا على مائدة بعض الرؤساء فقُدِّم إلينا جدْي مشوي، فلمّا ضرب الناس فيه بأيديهم قال صاحب البيت: ما أنتم مسلمون، ارفقوا به فإنّه بهيمة.

انِ استجاب الله دعاءك

كتب رجل إلىٰ عشيقته قائلاً:

ـ عصمنا الله وإيّاك بالتقوى.

فكتبت إليه في الجواب:

ـ يا غليظ الطبع، إن استجاب الله دعاءك لم نلتق أبداً.

خذ العود

طلب أحدهم من عشيقته خاتماً كانت تحمله، فقالت:

ـ يا سيدي هذا ذهب، وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود حتّىٰ تعود.

وتناولت عن الأرض عوداً وأعطته إيّاه.

المنصور وأبو دلامة

عن عبد الله بن محمد عن أبيه قال:

لما توفي أبو العباس السفّاح دخل أبو دلامة الشاعر المشهور بنوادره وطرائفه على المنصور، والناس عنده يعزّونه، فأنشأ يقول:

ويلي عليك وويلُ أهلي كلّهِمْ وَيْلاً وعَوْلاً في الحياةِ طويلا

فَلْيبكينْ لك النساءُ بعبرةٍ وَلْيَبْكِيَنَّ لكَ الرجالُ عويلا

ماتَ النَّدَى إذا متَّ يابنَ محمدٍ فجعلتَهُ لك في الثراء عديلا

إنّي سألتُ الناسَ بَعْدَكَ كلَّهُم فوجدتُ أسمحَ مَنْ سألتُ بخيلا

أَلشَقْوَتي أُخِّرْتُ بعدك لِلَّتي تَدَعُ العزيزَ من الرّجالِ ذليلا
فَلأَحْلِفَنَّ يَمِينَ حَقٍّ بَرَّةً باللَّهِ ما أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سولا

قال: فأبكىٰ الناس قوله. فغضب المنصور غضباً شديداً وقال:

ـ لئنْ سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعنَّ لسانك.

فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، إنَّ أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مُكرماً وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف لإخوته: ﴿**لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾.

فسُرّيَ عن المنصور وقال: قد أقلناك يا أبا دلامة فسلْ حاجتك.

فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً، وهو مريض ولم أقبِضْها.

فقال المنصور: ومن يعرف هذا؟

فقال: هؤلاء، وأشار إلىٰ جماعة ممَّن حضر. فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا:

ـ صدق أبو دلامة، نحن نعلم ذلك.

فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ:

ـ يا سليمان ادفعها إليه، وسيّره إلىٰ هذا الطاغية (يعني عبد الله بن علي وقد كان خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف).

فوثب أبو دلامة وقال: يا أمير المؤمنين، إنّي أُعيذك بالله أن أخرج معهم، فوالله إنّي لمشؤوم.

قال المنصور: امضِ فإنّ يُمني يغلِب شؤمك فاخرجْ.

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أُحبّ لك أن تجرّب ذلك منّي على مثل هذا العسكر، فإنّي لا أدري أيّهما يغلب: أيمنك أم شؤمي، إلاّ أنّني بنفسي أوثق وأعرف وأطول تجربة.

قال: دعني من هذا فما لك من الخروج بدٌّ.

فقال: إنّي أصدقك الآن، شهدتُ والله تسعة عشر عسكراً كلّها هُزِمَتْ وكنت سببها. فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعلْ.

فاستغرق أبو جعفر ضحكاً، وأمره أن يتخلّف مع عيسىٰ بن موسىٰ بالكوفة.

ولكن في رجليّ

استعرض رجل جارية، فقال لها:

ـ أفي يديك عمل؟

قالت: لا ولكن في رجليّ. (أي: هي راقصة).

يوم كألف سنة

عُرض على المعتصم جاريتان: بكر وثيّب، فمال إلىٰ البكر، فقالت الثيّب:

ـ ما بيننا إلاّ يوم واحد.

فقالت البكر: ﴿**وإنّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ ممّا تَعُدُّون**﴾.

إنْ أعطيتَ ما أعطىٰ أخذتَ ما أَخَذَ

لمّا مات أبو العباس السفّاح، ووليَ المنصور دخل عليه أبو دلامة فقال له أبو جعفر:

ـ ألست القائل لأبي العبّاس:

وكنّا بالخليفة قَدْ عَقَدْنا ... لِواءَ الأمْرِ فَٱنْتَقَضَ اللِّواءُ

فَنَحْنُ رَعِيَّةٌ هَلَكَتْ ضَياعاً ... تَسُوقُ بنا إلىٰ الفِتَنِ الرِّعَاءُ

قال: ما قلت هذا يا أمير المؤمنين.

قال: كذبت والله! أفلست القائل:

هَلَكَ النَّدىٰ إذْ بِنْتَ يابْنَ محمّدٍ ... فَجَعَلْتَهُ لك في التراب عديلا

وَلَقَدْ سَأَلْتُ الناسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ ... فَوَجَدْتُ أكْرَمَ مَنْ سَأَلْتُ بخيلا

وَلَقَدْ حَلَفْتُ على يَمِينٍ بَرَّةٍ ... باللّه ما أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سُولا

فقال أبو دلامة:

ـ إنّ أخاك صلّىٰ اللّه عليه غلبني على صبري، وسلبني عزيمتي، وعزّني

بإحسانه إليّ، وجزعي عليه، فقلت ما لم أتأمَّله، وإنّي أرغب في الثمن فآسْتَفْرَهَ السلعة حيّاً وميّتاً، فإن أعطَيْتَ ما أعطىٰ، أخذت ما أخذ.

فأمر بحبسه ثلاثة أيام، ثم خلّىٰ سبيله، ووصله.

بين الكنية والعاهة

التقىٰ أبو العيناء والجاحظ في مجلس الحسن بن وهب، فقال الجاحظ، مقابلاً بين اسمي الرجلين، وكنيتهما، ولقبيهما: علمت أنّ محمد بن القاسم أحسن من عمرو بن بحر، وأنّ أبا عبد الله أحسن من أبي عثمان. ولكن الجاحظ أحسن من أبي العيناء.

فقال أبو العيناء: هيهات! جئتَ إلىٰ ما يَخفى من أمورنا ففضّلتني عليك فيه، وإلىٰ ما يُعرف، ففضّلت نفسك فيه. إنّ أبا العيناء يدلّ على كنية، والجاحظ يدلّ على عاهة. والكنية، وإن سمجت، أصلح من العاهة، وإن ملحت.

ليحفظ مكانه

قال أبو العيناء: كان وقوفي في الصف وراء الإمام، فذكر الإمام شيئاً. فقطع الصلاة، وقدم «المدني» ليؤمهم، فوقف طويلاً، فلما أعيا الناس سبّحوا له، وهو لا يتحرك، فنحّوه وقدّموا غيره، وعاتبوه، فقال: ظننته يقول لي: احفظ مكاني حتىٰ أجيء.

هنا دفنت المال

قيل: إنّ فرّوخاً أبا عبد الرحمٰن (أبو ربيعة) خرج في البعوث إلىٰ خراسان أيّام بني أميّة غازياً، وربيعة حَمْل في بطن أمه، وخلّف عند زوجته، أم ربيعة، ثلاثين ألف دينار. فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وهو راكب فرساً، في يده رمح؛ فنزل عن فرسه، ثم دفع برمحه، فخرج ربيعة فقال له:

ـ يا عدوّ الله أتَهْجُمُ على منزلي؟

فقال: لا.

ثم قال فرّوخ: يا عدوّ الله، أنت رجل دخلت على حرمتي.

فتواثبا، وأمسك كلّ واحد منهما بصاحبه حتىٰ اجتمع الجيران. فبلغ ذلك مالك بن أنس والمشيخة، فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول:

ـ والله، لا فارقتك إلاّ عند السلطان.

وجعل فرّوخ يقول:

ـ والله لا فارقتك إلاّ عند السلطان، وأنت مع امرأتي. وكثر الضجيج؛ فلمَا أبصروا مالكاً سكت الناس كلّهم.

فقال مالك: أيّها الشيخ، لك سعة في غير هذه الدار.

فقال الشيخ: هي داري، وأنا فرّوخ مولىٰ بني فلان.

فسمعت امرأته كلامه، فخرجت فقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلّفته، وأنا حامل به.

فاعتنقا جميعاً وبكيا. فدخل فرّوخ المنزل وقال: هذا ابني؟

قالت: نعم.

قال: فأخرجي المال الذي لي عندك، وهذه معي أربعة آلاف دينار.

فقالت: المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيّام.

فخرج ربيعة إلىٰ المسجد وجلس في حلقته، وأتاه مالك بن أنس وأشراف المدينة، وأحاط به الناس، فقالت المرأة لزوجها: اخرجْ وصلّ في مسجد الرسول.

فخرج فصلّىٰ، فنظر إلىٰ حلقة وافرة، فأتاه فوقف عليه، ففرجوا له قليلاً، وخفض ربيعة رأسه، يوهمه أنّه لم يره، فشكّ فيه أبو عبد الرحمٰن، فقال: من هذا الرجل؟

فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن.

فقال أبو عبد الرحمٰن: لقد رفع الله ابني.

فرجع إلىٰ منزله فقال لزوجته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها.

فقالت الزوجة: أيّها أحبّ إليك، ثلاثون ألف دينار، أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟

قال: لا والله إلاّ هذا.

قالت: فإنّي قد أنفقت المال كلّه عليه.

قال: فوالله ما ضيّعته!

لا أكثر الله في المسلمين مثله

رأىٰ أبو العيناء جارية مع النخّاس، وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها، فسألها عن ذلك، فقالت: يا سيّدي، إنّه يواقعني من قيام، ويصلّي من قعود، ويشتمني بإعراب، ويلحن في القرآن، ويصوم الخميس والاثنين، ويفطر رمضان، ويصلّي الضحىٰ، ويترك الفرض.

فقال أبو العيناء: لا أكثر الله في المسلمين مثله.

أبو العيناء وابن مكرم

قال أبو العيناء في كلامٍ له: كان أبي يحبّني. فقال ابن مكرّم: كان أبوك يحبّ البراز.

قال أبو العيناء: فلو رآك إذاً لَلَطَعَك.

الحث على الجهاد

كان عتّاب بن ورقاء يحثَ على الجهاد، فقال:

ـ هذا كما قال الله تعالىٰ:

كُتِبَ القَتْلُ والقِتَالُ علينا وَعَلَىٰ الغانياتِ جَرُّ الذُّيولِ

وفاء زوجة

خرج سليمان بن عبد الملك، ومعه يزيد بن المهلّب في بعض مقابر الشام، فإذا بامرأة جَالِسَة على قبر تبكي. قال سليمان:

ـ فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمساً عن متون غمامة، فوقفنا متحيّرين ننظر إليها.

فقال لها يزيد: يا أمَةَ الله، هل لك في أمير المؤمنين بعلاً؟

فنظرت إلينا ثم أنشأت تقول:

فإنَ تَسْألاني عَنْ هَوايَ فإنَّهُ ... يجولُ بهذا القَبْرِ يا فتيان

وإنّي لأسْتَحْيِيهِ والتُّرْبُ بيننا ... كما كنتُ أسْتَحِييهِ وهو يراني

حكم عادل

هَوىٰ رجل امرأة، فرآها في النوم، وأمكنته من نفسها، فأخبرها بذلك، فرفعته إلىٰ الحاكم، وقالت له: إنه نال منّي في المنام ما أراد، ولم يدفع إليّ حقّي..

فقال الحاكم: ادفع لها ديناراً.

فقال الرجل: وكيف أدفع لها ديناراً، ولم أنل منها شيئاً إلاّ في المنام؟!

فقال الحاكم: لا بدّ من ذلك.

فدفع الرجل الدينار إلىٰ المرأة. فلمّا جاوزت المرأة الباب، قال لها الحاكم:

ـ ارْجَعي إليّ: فلمّا رجعت، أخذ منها الدينار، وأعاده إلىٰ صاحبه، وقال للمرأة:

ـ اذهبي فقد نلت منه بمقدار ما نال منك.

نسْل

مرّ رجل بأبي العيناء فقال: مَن هذا؟ فقال: رجل من بني آدم! قال: مرحباً بك، والله ما ظننت هذا النّسل إلا قد انقطع.

ذكاء إياس

جحد أحدهم مالاً كان قد استودعه إياه رجل، فاحتكما إلىٰ إياس، فقال المدّعي:

ـ إنّي أطالبه بمال أودعته إياه وقدره كذا وكذا.

فقال له إياس: ومن حضرك؟

قال: ربّ العزّة كان حاضراً.

قال إياس: في أي مكان دفعته إليه؟

قال: في موضع كذا.

قال: فأيّ شيء تعهده في ذلك المكان؟

قال: شجرة عظيمة.

قال: فانطلق إلىٰ تلك الشجرة، وانظر إليها لعلّ الله يظهر لك علامة تبيّن بها حقّك.

فجرىٰ الرجل مسرعاً، فقال إياس للرجل المدّعىٰ عليه:

ـ اقعدْ حتىٰ يرجع خصمك.

فجلس، وإياس يقضي بين الناس؛ وبعد فترة نظر إليه ثمّ قال له:

ـ يا هذا أترىٰ صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكرها؟

قال: لا.

فقال له: والله، يا عدوّ الله، إنّك لخائن.

فقال المدّعى عليه: اصفح عنّي، صفح عنك الله.

فأمر أن يحتفظ به حتىٰ جاء الرجل، فقال إياس: قد أقرّ بحقّك فخذه.

أنا أعلم منه وأكبر

جاءت امرأة إلىٰ أحد الشيوخ، وكان له خمس وثمانون سنة، فقالت له:

ـ زوجي طلقني ثلاثاً.

فقال: أرَضِيَ أبوكِ وأمّكِ؟

قالت: لا.

قال: ـ فإذن يجوز العود حتىٰ يرضىٰ أبوك وأمّك.

قالت: قد سألت أبا فلان فقال لي: قد طلقت.

فقال: وما يدري أبا فلان، أنا أبصر منه، وأعلم منه، وأكبر منه؛ وأنا ألقيت عليه مسألة فلم يخرج منها.

الفجر نصف الليل

سأل أحدهم شيخاً فقيهاً:

ـ متىٰ يحرم الطعام على الصائم؟

فأجاب: إذا طلع الفجر.

قال: وإذا طلع الفجر نصف الليل؟

بين أبي العيناء وإحدىٰ القيان

قال أبو العيناء: ذُكِرْتُ لإحدىٰ القيان فعشقتني على السماع، فلما رأتني استقبحتني، فقلت:

وشاطرة لما رأتني تنكَّرَت ... وقالت قبيح أحول ما له جسم

فإن تنكري فيّ احولالاً فإنني ... أديبٌ أريبٌ لا عييّ ولا فَدْمُ

ولما اتصل قوله بها كتبت إليه تقول: إنّا لم نُرِدك لتولي زمام الأمور.

ذاك مثل هذا

قيل للقاضي إياس بن معاوية:

ـ لو أكلتُ التمر تضربني؟

قال: لا.

قال: لو شربت قدراً من الماء تضربني؟

قال: لا.

قال: شراب التمر (النبيذ) أخلاط منها، فكيف يكون حراماً؟

قال إياس: لو رميتك بالتراب أتوجع؟

قال: لا.

قال: لو صببت من الماء والتراب طيناً، فجفّ بالشمس. فضربت به رأسك، فكيف يكون؟

قال: ينكسر رأسي.

فقال إياس: ذاك مثل هذا!

ما أخذتم بواحدة من اثنتين

مرّت أعرابيّة بقوم من بني نُمَيْر، فأداموا النظر إليها فقالت:

ـ يا بني نُميرٍ، واللَّهِ ما أخذتم بواحدة من اثنتين: لا بقول الله ﴿**قُلْ للمؤمنين يغضّوا أبصارهم**﴾، ولا بقول جرير:

فَغُضَّ الطرف إنّك مِنْ نُميرٍ   فلا كعباً بَلَغْتَ ولا كلابا

فليخبر الذي يدري مَنْ لا يدري

صعد أبو العنبس منبراً من منابر الطائف، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال:

ـ أمّا بعد...

فارتج عليه، فقال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟

قالوا: لا.

قال: فما ينفعكم ما أريد أن أقول لكم ما علمتم.

وفي الجمعة الثانية، صعد المنبر، وقال:

ـ أما بعد..

فارتج عليه، فقال: اتدرون ما أريد أن أقول لكم؟

قالوا: نعم.

قال: فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم.

ثم نزل.

فاتّفق القوم على أن يقول القوم في الجمعة التالية: بعضنا يدري وبعضنا لا يدري. فلمّا كانت الجمعة الثالثة، قال:

ـ أمّا بعد . . .

فارتج عليه، فقال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟

قالوا: بعضنا يدري وبعضنا الآخر لا يدري.

فقال: فليخبر الذي يدري منكم الذي لا يدري.

ثم نزل.

جزاك الله خيراً

حكىٰ أقضىٰ القضاة الماوردي قال:

ـ كنت جالساً في مجلس مقبلاً على تدريس أصحابي، فدخل علينا شيخ قد ناهز الثمانين، فقال لي:

ـ قد قصدتك في مسألة اخترتك لها.

قلت: وما هي؟

فقال: أخبرني عن نجم إبليس (برجه)، ونجم آدم ما هما؟ فإنّ هذين لا يسأل عنهما لعظم شأنهما إلاّ علماء الدين. فتعجّب منه كلّ من في المجلس، فقال الماوردي:

ـ يا هذا إنّ نجوم الناس لا تعرف إلاّ بمعرفة موالدهم، فإن ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله.

فقال: جزاك الله خيراً.

وانصرف.

أَحَبُّ يَوْمٍ

صعد عبد ربّه اليشكري المنبر، فحمد الله، وارتج عليه، فسكت قليلاً، ثم قال:

ـ والله إنّي لأكون في بيتي، فتجيء على لساني ألف كلمة، فإذا قمت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها من صدري، ولقد كنت، وما في الأيّام يوم

أحبّ إليّ من يوم الجمعة، فصرت وما في الأيّام يوم أبغض إليّ من يوم الجمعة، وما ذلك إلاّ لخطتكم هذه.

بين ضمّ وآخر

دخل أبو العيناء على عُبيد الله بن سليمان فضمّه إليه، فقال: أنا إلىٰ ضمّ الكفاية أحوج منّي إلىٰ ضمّ اليدين.

خمر ولكن بدون ثمن!

خَرَجَ الحسن بن هانىء، ومعه مطيط حاجبه حتىٰ أتيا دار خمّار. فقال أبو نواس لمطيط: أدْخُلْ بنا نَتَماجن على هذا الخمّار! فدخلا، فلّما سلّما ردّ عليهما السلام، فقال له الحسن: أعندك خمر عتيقة؟! قال عندي منها أجناس، فأيّ جنس تريد؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:

حُجِبَـتْ حِقْبَـةً وصِينَـتْ فَجَـاءَتْ   كَجِـلاءِ العَـرُوسِ بَعْـدَ الصِّيَـانِ
وكـأنّ الأكـفَ تُصْبَـغُ مـن ضَـوْءِ   سَنَـاهـا بـالـوَرْسِ والـزَّعْفَـرَانِ

فملأ الخمّار قدحاً من خمر صفراء كأنّها ذهب محلول، فشربه الحسن، وقال: أحسن من هذا! فقال الخمّار: أيّ نوع تريد؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:

رَقَّقَتْهـا أيـدي الهَـوَاجِـرِ حَتَّـىٰ   صَيَّـرَتْ جِسْمَهـا كَجِسْـمِ الهَـوَاءِ
فَهْـيَ كـالنُّـورِ فـي الإنَـاءِ وكـالنّـا   رِ إذا مـا تَصِيـرُ فـي الأحشـاء

فملأ الخمّار قدحاً من خمرة كأنّها العقيق، فشربه، وقال: أرفع من هذه أريد! قال: أيّ جنس؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:

فـإذا حسَـا منهـا الـوَضِيـعُ ثـلاثـةً   سَمَـحَ الـوَضِيـعُ بِفِعْـلِ ذي القَـدْرِ
فـي لَـوْنِ مـاءِ الغَيْـثِ إلاّ أنّهـا   بَيْـنَ الضُّلُـوعِ كَـوَاقِـدِ الجَمْـرِ

فملأ له القدح من خمرة بيضاء كأنّها ماء المُزْن، فشربه الحسن، وقال للخمّار: أتعرِفُني؟ قال: إي واللّهِ يا سيّدي، أنا أعرف الناس بك، قال: فمن أنا؟ قال: أنت الذي سكر من غير ثمن! فضحك وقال لمطيط: ادفع له ما معك من النفقة، فأعطاه مئة درهم وانصرف.

فليَبْدَأْ بنفسه

قيل: جاء ابن أبي دلامة إلىٰ أبيه، وهو في محفل منْ جيرانه وعشيرته جالس، فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم:

ـ إن شيخي، كما ترون، قد كبرت سنّه، ورقّ جلده، ودقّ عظمه، وبنا إلىٰ حياته حاجة شديدة، فلا أزال أُشير عليه بالشيء، يُمسك رمقه ويبقي قوّته فيخالفني فيه. وأنا أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم، فيها صلاح لجسمه، وبقاء لحياته، فاسْعُفُوني بمسألته.

فقالوا: نفعل حبّاً وكرامة.

ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم، وتناولوه بالعتاب حتىٰ رضي وهو ساكت، فقال:

ـ قولوا للخبيث فليقل ما يريد، فستعلمون أنّه لم يأتِ إلاّ ببليّة.

فقالوا له: قلْ.

فقال: إنّ أبي إنّما يقتله كثرة الجماع، فتعاونوني عليه حتىٰ أخصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء، فيكون أصحّ لجسمه، وأطول لعمره. فعجبوا من ذلك، وعلموا أنّه إنّما أراد أن يعبث بأبيه، ويخجّله حتىٰ يشيع ذلك عنه، فيرتفع له بذلك ذكر، فضحكوا منه. ثم قالوا لأبي دلامة:

ـ قد سمعتَ فأجبْ.

قال: قد جعلت أمّه حكماً بيني وبينه، فقوموا بنا إليها.

فقاموا بأجمعهم، فدخلوا إليها، وقصّ أبو دلامة القصّة عليها، وقال لها:

ـ قد حكّمتك.

فأقبلت على الجماعة، فقالت:

ـ إنّ ابني، أصلحه الله، قد نصح أباه، وبرّه ولم يألُ جهداً وما أنا إلىٰ بقاء أبيه بأحوج منّي إلىٰ بقائه، وهذا أمر لم تقع به تجربة منّا، ولا جرت بمثله عادة لنا، وما أشكّ في معرفته بذلك فَلْيَبْدأ بنفسه فَلْيَخْصِها، فإذا عُوفيَ ورأينا ذلك قد أثّر عليه أثراً محموداً استعمله أبوه. فنعر أبوه وجعل يضحك به، وخجل ابنه،

وانصرف القوم يضحكون، ويعجبون من خبثهم جميعاً، واتفاقهم في ذلك المذهب.

الحمد لله بعدد هذا كلّه

كان لأحد النسّاك قفّة يملأها حصىً ليسبّح بها ربّه.

فكان يسبح بواحدة واحدة، فإذا ضجر طرح اثنتين اثنتين، ثم ثلاثاً ثلاثاً، ثم قبضة قبضة. فإذا ضجر كثيراً أخذ القفّة وطرحها، قائلاً:

ـ الحمد لله بعدد هذا كلّه.

أبو دلامة والصلاة

قال أبو أيوب المورياني لأبي جعفر، وكان يبغض أبا دلامة:

ـ إنّ أبا دلامة معتكفٌ على شرب الخمر فما يحضر صلاة ولا مسجداً، وقد أفسد فتيان العسكر، فلو أمرته بالصلاة معك لأُجرت فيه وفي غيره من فتيان عسكرك بقطعه عنهم.

فلمّا دخل عليه أبو دلامة قال له:

ـ يابْنَ اللخناء، ما هذا المجون الذي يبلغني عنك؟!

قال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، ما أنا والمجون وقد شارفت باب قبري!

قال: دَعْني من استكانتك وتضرّعك، وإيّاك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي. فلئن فاتتاك لأُحسننّ أدبك ولأُطيلنّ حبسك.

فوقع في شرّ، ولزم المسجد أيّاماً، ثم كتب قصّته ودفعها إلىٰ المهديّ، فأوصلها إلىٰ أبيه، وكان فيها:

ألَـمْ تَعْلَمـا أنّ الخليفـة لـزّنـي ... بمَسْجِـدِهِ والقَصْـرِ مـا لـي وَلِلْقَصْـرِ

أُصَلّـي بـه الأولَـىٰ جَميعـاً وَعَصْـرَهـا ... فَوَيْلي منَ الأُولَىٰ وَوَيْلي مِن العَصْرِ

أُصَلّيهِمَـا بـالكُـرْهِ فـي غَيْـرِ مَسْجِـدِي ... فما ليَ في الأُولَىٰ ولا العَصْرِ مِنْ أجْر

لَقَـدْ كـان فـي قَـوْمـي مَسَـاجِـدُ جَمَّـةٌ ... سِـواهُ وَلٰكـن كـان قَـدْراً مِـنَ القَـدْرِ

يُكَلِّفُنـي مـن بَعْـدِمـا شِبْـتُ خُطَّـةً ... يَحُـطُّ بهـا عنّـي الثقيـلَ مِـنَ الـوِزْرِ

ومــا ضَــرَّهُ واللَّــهُ يَغْفِــرُ ذَنْبَــهُ   لَوَ انّ ذُنُوبَ العَالَمينَ على ظهري

قال: فلمّا قرأ المنصور قصّته، ضحك وأعفاه من الحضور معه، وأحلفه أن يصلّي الصلاة في مسجد قبيلته.

أبو نواس وعنان

قال أبو نواس: «قلت يوماً لأبي دعامة»: «ٱمْضِ بنا إلىٰ عنان».

قال: «هي تكره مجيئك إليها وعبثك بها».

فقلت له: «ليس عليها منّي بأس».

قال: «فجئنا... وكان الظهر، وهي ظاهرة، ثم تطلّعت فسلّمت، وسلّم عليها ولم يقل شيئاً». فقلت:

عِنَــانُ يــا مُنْيَتِــي ويــا سَكَنِــي: أمــا تــرَيْنــي أجُــولُ فــي سككِــك
مَلَكْتِنِــي اليَــوْمَ يــا مُعَــذِّبَتــي   فَصَيَّــرتنــي العُــدَاةُ فــي فَكَكِــكْ
فَعَجِّلِــي ذَاكَ وَٱرْحَمِــي قَلَقِــي   وَأبِينِــي المُبْــدَاةَ فــي صَكَكِــكْ

فضحكت وقالت:

لَــمْ يَبْــقَ مِمّــا نَطَقْــتَ قَــافِيَــةٌ   يَقُــولُهــا قــائِــلٌ سِــوىٰ عَكَكِــكْ
بَلَــىٰ وَأُخْــرىٰ إنْ قَــالَهــا فَطِــنٌ   يَقُــولُهــا فــي قَــريـضِ ذِي تِكَكِــكْ

ثم أغلقت الباب وقالت: «لا بارك الله فيك. ألمْ أقل لك لا تجئني به؟».

أبو دلامة وبائع التمر

مرّ أبو دلامة بتمّار في الكوفة، فقال له:

رَأَيْتُــكَ أطْعَمْتَنــي فــي المنــام   قَــوَاصِــرَ مَــنْ تَمْــرِكَ البــارحَــهْ
فَـــأُمُّ العِيــالِ وَصِبْيَــانُهــا   إلــىٰ البــابِ أَعْيُنُهــمْ طــامِحَــهْ

فأعطاه قفّتَي تمر وقال له:

ـ إنْ رأيت هذه الرؤيا ثانية لن يصحَّ تفسيرها.

فأخذهما وانصرف.

الظرف أبلغ من الحجّة

كتب أبو العيناء إلىٰ عبيد الله بن يحيىٰ: أمّا بعد أُعلم الوزير أنّ ابنك محمداً حمل عبدك على دابّة تسوء الأولياء وتسرّ الأعداء، تقف بالنثرة وتعثر بالبعرة كالقربة عجفاً والشنة دنفاً، تسعل وتحبق معاً، تضحك النّسوان وتلعب الصبيان، ولقد ركبتها ضمن وقفة وحبقة وسعلة، فمن قائل يقول نقّ شعيره وآخر يقول التقط واحتفظ، وآخر يقول اقطع قوائمه واجعله مسراحاً، وآخر يقول لا تمرّ به على العلّاف فتخنقه العبرة.

فوجه إليه عبيد الله ببرذون من براذينه بسرجه ولجامه. ثمّ اجتمع مع عبيد الله عند ابنه. فقال عبيد الله: شكوتَ دابّة محمد وقد أخبرني أنّه يشتريه الآن منك بمائة دينار، وما كان هذا ثمنه لا يُشتكىٰ.

فقال أبو العيناء: أعزّ الله الوزير لو لم أكذب مستزيداً، لم أنصرف مستزيداً، وإنّي وإيّاه لَكما قالت امرأة العزيز: **﴿الآن حصحص الحقّ أنا راودته عن نفسه وإنّه لمن الصادقين﴾**.

فضحك عبيد الله وقال: يا أبا عبد الله، حجّتك الدّاحضة بملاحتك وظَرْفك أبلغ من حجّة غيرك البالغة.

مستمعون ولكن...

قال بعضهم للشاعر الطريف كلثوم بن عمرو العتابي بينما كان يأكل خبزاً على الطريق:

ـ وَيْحَكَ يا عتابي، ألا تستحي؟

فقال العتابي: لو كنت في حظيرة، أكنت تستحي أن تأكل وما فيها من بقر يراك؟

ـ بالطبع، لا.

ـ إذا، انتظرْ حتىٰ أُريك أنّهم بقر.

فَوَقَفَ العتابي يخطب في الناس، ويعظ، ويدعو حتىٰ كثر عليه الزحام، ثم قال لهم:

رویٰ لنا غير واحد أنّه من بلغ لسانه أرنبة أنفه دخل الجنة!

فأخذ كل واحد من الحضور يخرج لسانه، ويقيسه ليراه إذا بلغ أرنبة أنفه أم لا.

ولمّا تفرّق الجمع، قال العتّابي للرجل:

ألم أقلْ لك إنّهم بقر؟!

وعد الحرّ دين

دخلت عَزَّةُ على أمّ البَنين، بنت عبد العزيز، فقالت لها: «ما الحقّ الذي مطلته كثيراً إذ قال:

قَضَىٰ كُلّ ذي حَقٍّ فوفَىٰ حُقُوقَهُ وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها؟»

فقالت: وعدته قبلة. فقالت: أنْجزيها وعليّ إثمها.

ولكن بينهما جوع

شكا أبو العيناء إلىٰ صديق له سوء الحال، فقال: اشكر فإنّ الله قد رزقك الإسلام والعافية.

قال أبو العيناء: ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد.

زوجة أبي دلامة

قال أبو دلامة في هجاء زوجته:

عَجِبْتُ مِنْ صِبْيَتي يوماً وأمِّهِم أُمِّ الدلامةِ لمّا هاجها الجَزَعُ

لا باركَ اللّهُ فيها مِنْ مُنَبِّهَةٍ هَبَّتْ تَلُومُ عِيالي بَعْدَما هَجَعُوا

وَنَحْنُ مُشْتَبِهُو الألْوانِ أوْجُهُنا سُودٌ قِباحٌ وفي أسْمَائنا شَنَعُ

أذَابَكَ الجُوعُ مُذْ صارَتْ عِيالَتُنا على الخَليفَةِ مِنْهُ الريُّ والشَّبَعُ

لا والـذي يـا أميرَ المـؤمنيـن قَضَـىٰ ... لَـكَ الخِـلافَـةَ فـي أسْبَـابِهـا الـرِّفَـعُ
مـا زِلْـتُ أُخْلِصُهـا كَسْبِـي فَتَـأكُلُـهُ ... دُونـي ودونَ عِيـالـي ثـمّ تضْطَجـع
شَـوْهَـاءُ مَشْنَـأَةٌ فـي بَطْنِهـا نَجَـلٌ ... وفـي المَفَـاصِـلِ مِـنْ أوْصَـالها فَـدَعُ
ذَكَّـرْتُهـا بِكِتَـاب اللَّـهِ حُـرْمَتَنـا ... وَلَـمْ تكـنْ بِكتـابِ اللَّـهِ تَنْتَفِـعُ
فَٱخْرَنْطَمَتْ ثمّ قالَتْ وهي مُغْضَبَةٌ ... أَأَنْـتَ تَتْلُـو كِتَـابَ اللَّـهِ يـا لُكَـعُ
اخْـرُجْ لِتَبْـغِ لَنَـا مـالاً ومَـزْرَعَـةً ... كمـا لِجِيـرَانِنـا مَـالٌ ومُـزْدَرَعُ
وٱخْـدَعْ خَلِيفَتَنـا عَنْهـا بمسـألَـةٍ ... إنّ الخليفـة للسّـؤّال يَنْخَـدِعُ

المجلد الفقهي

كان لأحدهم طفل لا يكفّ عن البكاء، فقالت له زوجته:

ـ اعملْ له حجاباً علّه ينام.

فقال لها: هاتي المجلّد الأسود، وضعيه أمامه وتصفّحيه، فينام.

فامتعضت الزوجة وقالت: أتريد أن تمزح؟ ما هذا المجلّد؟ وماذا فيه؟

فقال: خفّضي صوتك يا امرأة، هذا كتاب الفقه الذي أقرأه في المسجد على الناس، فيستولي على بعضهم النعاس، وعلى بعضهم الآخر الشخير، فإذا كان الكبار ذوو اللحىٰ ينامون من تأثيره فكيف لا يؤثّر في هذا الطفل الصغير؟

ليس له عليّ شيء

ادّعىٰ أحدهم على آخر، فاحتكما أمام القاضي.

فلمّا سأل القاضي المدّعىٰ عليه عن القضيّة أنكرها، فطلب من المدّعي بيّنة، فعدمها؛ عندئذٍ طلب استحلاف الخصم، قائلاً:

ـ أتحلف؟

قال: ليس له عليّ شيء كيف أحلف، ولو كان له عليّ شيء لَحَلَفْتُ له وأكرمته.

إنَّ الله مع الصابرين

قال أبو العيناء: كان لي خصومة مع ظَلَمة، فشكوتُهم إلىٰ أحمد بن أبي دؤاد، وقلت: قد تضافروا عليّ وصاروا يداً واحدة، فقال: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾، فقلتُ: إنّ لهم مكراً، فقال: ﴿**ولا يحيق المكر السيّئ إلاّ بأهله**﴾ فقلتُ: هم كثير، فقال: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين**﴾.

فقلتُ: لله درّ القاضي فهو كما قالت الصموت الكلابية:

لِلّـــهِ درُّكَ أيُّ جُنَّـــةِ خــائِـــفٍ ... ومَتَـــاع دُنْيــا أنــتَ لِلْحَـدَثـــانِ
مُتَخَمِّـطٌ يَطَــأُ الــرِّجــالَ شَهَــامــةً ... وَطْءَ الفَنِيـــقِ مـــدارجَ القِـــرْدانِ
وَيَكبُّهـــم حتـــىٰ تَظَـــلَّ رؤوسُهــم ... مَــأْمــومــةً تَنْحَـــطُّ لِلْغِـــربـــانِ
ويُفَــرِّج البــابَ الشّــديـدَ رِتــاجُـهُ ... حتــىٰ يَصيــرَ كــأَنَّــهُ بــابــانِ

وكانت هذه المجاوبة بين أبي العيناء وبين أبي العلاء المِنْقري، وكان قد استجاش عليه قوماً من أهل البصرة.

ما أرانا إلاّ كما كنّا

كان موسىٰ بن عبد الملك قد اغتال الحجّاج بن سلمة في شراب شربه عنده، فقال المتوكّل لأبي العيناء بعد ذلك: ما تقول في الحجّاج بن سلمة؟ فقال: ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**فوكزه موسىٰ فقضىٰ عليه**﴾ فاتصل ذلك بموسىٰ، فعتب عليه، وقال له: أردت قتلي! فاعتذر له، وافترقا عن صلح، فلقيه بعد ذلك موسىٰ، فقال له: يا أبا عبد الله، قد اصطلحنا فما بالك لا تأتيني؟ فقال: ﴿**أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس**﴾؟ فقال موسىٰ: ما أرانا إلاّ كما كنّا.

خائـن

استودع رجل رجلاً من أمناء إياس بن معاوية مالاً، وخرج المودع إلىٰ مكّة؛ فلمّا رجع طلب ماله فجحده، فأتىٰ إياساً القاضي فأخبره. فقال له إياس:

ـ أعَلِمَ أنّك جئتني؟

قال: لا.

قال: فنازعته عند أحد؟

قال: لا، لم يعلم أحد بهذا بعدُ.

قال: انصرف وَٱكْتُمْ أمرك، ثم عد بعد يومين.

فمضىٰ الرجل، ودعا إياس أمينه ذلك، وقال له:

ـ قد حضر مال كثير أريد أن أسلّمه إليك، أَفَحصِينٌ منزلك؟

قال: نعم.

قال: فأعِدّ موضعاً للمال، وقوماً يحملونه.

وعاد الرجل إلىٰ إياس، فقال له إياس:

ـ انطلقْ إلىٰ صاحبك، فاطلب مالك، فإن أعطاك فذاك وإن جحدك فقل له: إنّي أُخبر القاضي.

فأتىٰ الرجل صاحبه فقال:

ـ مالي، وإلاّ أتيت القاضي، وشكوت إليه، وأخبرته بما جرىٰ.

فدفع إليه ماله، ورجع الرجل إلىٰ إياس فأخبره قائلاً: قد أعطاني المال. وجاء الأمين إلى إياس لموعده، فانتهره وزجره قائلاً: لا تقربني يا خائن.

أصبح بلا بغل

وعد ابن المدبِّر أبا العيناء بدابّة فلمّا طالبه قال: أخاف أن أحملك عليها فتقطعني ولا أراك. فقال: عدني أن تضمّ إليها حماراً لأواظب مقتضياً.

ووعده يوماً أن يعطيه بغلاً، فلقيه في الطريق، فقال: كيف أصبحت يا أبا العيناء؟ فقال: أصبحتُ بلا بغل.

فضحك منه وبعث به إليه.

ظرف أهل الحجاز

نظر ناسك إلىٰ امرأة حسناء مسفرة، تطوف بالبيت، فقال لها:

ـ أيّتها المرأة، اتّقي الله، قد شغلت الناس عن الطواف.

فقالت: أوَ ما تعرفني؟

قال: لا، مَنْ أنتِ؟

فقالت:

مِن اللائي لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكــن لِيَقْتُلْــنَ البَــرِيءَ المُغَفَّــلا

فقال: فإنّي أسأل الله ألاّ يعذّب هذا الوجه الحسن بالنار.

فبلغ ذلك إلىٰ سعيد بن المسيب، فقال:

ـ إنّه ظرف أهل الحجاز، والله لو كان من عبّاد أهل العراق لقال: أُغْربي يا عدوّة الله.

ليس لي قلبان

عشق أبو نواس جاريةً مغنّيةً من جواري بني المهلب، فكانت تراسله ويراسلها. فأرسلت إليه يوماً وصيفتها، وكانت لطيفة جداً، فعبث بها؛ ولمّا عادت أخبرت بذلك سيّدتها. فكتبت إليه تقول:

ليس الفَتَىٰ الحُرُّ المحِبُّ مُجَمِّشاً لِـرَسُـولِ حَبَّـةِ قَلْبِـهِ المُـرْتَـاحِ
ذاك الخَلِـيُّ مِـنَ الهَـوَىٰ وَعَـذابِـهِ وَحَلِيــفُ كُــلِّ إرادَةٍ ومِــزاحِ

فكتب إليها:

زَعَـمَ الـرَّسُـولُ بـأنّنـي جَمَّشْتُـهُ كَـذَبَ الـرَّسُـولُ وفـالِـق الإصْبَـاحِ
إنْ كُنْتُ جَمَّشْتُ الرَّسُولَ فما قَصَتْ رُوحِـي أَنَـامِـلُ قَـابِـضِ الأَرْواحِ
شُغْلي بِحُبِّكِ عَنْ سِوَاكِ وَلَيْسَ لي قَلْبَـانِ: مَشْغُـولٌ وآخَـرُ صَـاحِ
قَلْبِـي الـذي لـم يُبْـقِ فيـه هَـوَاكُـمُ فضــلاً لِتَجْميــشٍ ولا لِمِــزَاحِ

جَمْع بين القيام والصّلاة

قال أبو العيناء لابن مكرم: قُمْ وَصَلِّ.

فقال: قد جمعتُ بينهما.

فقال: نعم بالتَّرْك.

مرّة أغلب ومرّةً أغلب

قال المتوكل لأبي العيناء: ما تُحسن؟ قال: أفهمُ وأُفهِم، وآخذ من المجلس ما حوىٰ، فمرةً أَغلب ومرةً أُغلب.

جواب ذكيّ

وقال له المتوكّل يوماً: إنّ سعيد بن عبد الملك يضحك منك! فقال أبو العيناء: ﴿إنّ الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾.

ولقد ذكرتك

قال عنترة بن شدّاد متذكّراً حبيبته وهو في خضمّ المعركة:

وَلَقَـدْ ذَكَـرْتُـكِ والـرِّمـاحُ نَـوَاهِـلٌ ... مِنِّـي وَبِيـضُ الهِنْـدِ تَقْطُـرُ مِـنْ دَمِـي

فَـوَدَدْتُ تقبيـلَ السُّيُـوفِ لأنَّهـا ... لَمَعَـتْ كَبَـارِقِ ثغـرك المتبَسِّـمِ

وقد قلّد هذا المستهلّ عدد من الشعراء نذكر منهم القاضي بدر الدين بن الصاحب، إذ قال:

وَلَقَـدْ ذَكَـرْتُـكِ والخُمَـارُ يَهُـزُّنـي ... والخَمْـرُ أَبْغَـضُ للنُّفُـوسِ مِـنَ الـدَّمِ

وَحَبَبْتُ تَقْبِيـلَ الكُـؤُوسِ وَقَـدْ جَلَـتْ ... حَبَبـاً كَبَـارِقِ ثَغْـرِكِ المتَبَسِّـمِ

وقال أيضاً:

وَلَقَـدْ ذَكَـرْتُـكِ والمَنَـايـا شُـرَّعٌ ... نَحْوِي وَنبْلُ المَوْتِ يَرْشقُ مُهْجَتِي

وَحَبَبْتُ سَهْمَ المَوْتِ مِنْك أعدُّهُ   سَهْماً تَوَفَّرَ مِنْ لِقَاءِ أحِبَّتِي

وقال الشهاب محمود الكاتب :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ والسُّيُوفُ لَوَامِعٌ   والمَوْتُ يَرْقُبُ تحت غُصْنِ المَرْقَبِ
والحُصْن في شَفَقِ الدُّرُوع تَخَالُهُ   حَسْنَاءَ تَرْفُلُ في رِدَاءٍ مُذْهَبِ
سَامَىٰ السماء فمن تطاول نحوَهُ   للسَّمْع مُسترقاً رَمَاهُ بكوكبِ
والمَوْتُ يَلْعَبُ بالنُّفُوسِ وَخَاطِرِي   يَلْهُو بِطَيِّبِ ذِكْرِكِ المُسْتَعْذِبِ

وقال الشريف البَيَاضي :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ والطَّبِيبُ مُعَبِّسٌ   والجُرْحُ مُنْغَمِسٌ بِهِ المِسْبَار
وأديمُ وَجْهِي قَدْ فَرَاهُ حَدِيدُهُ   وَيَمِينُهُ حَذراً عَلَيَّ يَسَارُ
فَشَغَلْتِنِي عَمّا كَوَيْتُ وأنَّهُ   لتضيق مِنْهُ بِرَحْبِهَا الأقْطَارُ

وقال ابن مطروح :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ والصَّوَارِمُ لُمَّعٌ   مِنْ حَوْلِهَا والسَّمْهَرِيَّةُ شُرَّعُ
وعلى مُكَافَحَةِ العَدُوِّ فَفِي الحَشَا   شَوْقٌ إلَيْكِ تَضِيقُ عَنْهُ الأضْلُعُ
وَمِنَ الصِّبَا وَهَلُمّ جراً شِيمَتِي   حِفْظُ الوِدَادِ فَكَيْفَ عَنْهُ أرْجِعُ

وقال ابن رشيق :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ في السَّفِينَةِ والرَّدَىٰ   مُتَوَقَّعٌ لِتَلاطُمِ الأمْوَاجِ
والغيثُ يَهْطِلُ والرِّيَاحُ عَوَاصِفٌ   واللَّيْلُ مُنْسَدِلُ الذَوَائِبِ دَاجِ
وَعَلَى السَّوَاحِلِ لِلأعَادِي غَارَةٌ   يَتَوَقَّعُونَ لِغَارَةٍ وَهِيَاجِ
وَعَلَتْ لأصْحَابِ السَّفِينَةِ ضَجَّةٌ   وأنا وَذِكْرُكِ في ألذّ تَنَاجِي

وقال أبو المحاسن محمد بن علي العبدري الشيبي :

إنّي ذَكَرْتُكِ والأرْوَاحُ قَدْ عَصَفَتْ   جُنْحَ الدَّيَاجي وَمَوْجُ البَحْرِ يَلْعَبُ بي
في سَاعَةٍ مثل يوم الحَشْرِ قَدْ ذَهَلَتْ   لها العُقُولُ وَصَارَ الخَلْقُ في تَعَبِ
وَضَجَّتِ الناسُ مِنْ أهْوَالِ ما لَقِيُوا   وَأيْقَنُوا أنَّهُمْ في سَاعَةِ الغَضَبِ
هذا وَذِكْرُكِ في قلبي ألَذّ به   جلا هُمُومي ونجّاني مِنَ العَطَبِ

وقال الشيخ شمس الدين الجزري:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالمَنِيَّةُ قَدْ دَنَتْ ... وَحَشَايَ بَيْنَ تَوَهُّجٍ وَضِرامِ
والعَيْنُ غارَتْ واللِّسانُ مُلَجلجٌ ... والقَلْبُ مُضْطَرِبٌ لِوَقْعِ حِمَامِ
والرُّوحُ قد بَلَغَتْ إلىٰ حلْقُومِهَا ... وأنا وَذِكْرُكِ في ألذِّ كَلاَمِ

أنكر الأصوات

قال الجماز لأبي العيناء: كيف ترىٰ غنائي؟

فقال: كما قال الله تعالىٰ: ﴿**إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾.

فتوىٰ أبي حنيفة

قال رجل لأبي حنيفة:

ـ ما تقول في رجل قال: «لا أرجو الجنّة، ولا أخاف النار، وآكل الميتة، وأشهد بما لم أرَ، ولا أخاف الله، وأصلّي بلا ركوع ولا سجود، وأبغض الحقّ، وأحبّ الفتنة».

فقال أبو حنيفة، وكان يعرفه شديد البغض له:

ـ يا فلان، ما سألتني عن هذه المسألة، ولك بها علم؟

قال: لا، ولكن لم أجد شيئاً هو أشنع من هذا فسألتك عنه.

فقال أبو حنيفة لأصحابه: ما تقولون في هذا الرجل؟

قالوا: شرّ رجل، هذه صفة كافر.

فتبسّم أبو حنيفة، وقال: لقد شنعتم فيه القول.

ثم قال: هو والله من الأولياء.

ثم التفت إلىٰ الرجل وقال له: إن أخبرتك أنّك من أولياء الله تعالىٰ حقاً تكفّ عنّي شرّك، ولا تُملِ على الحفظة ما يضرّك؟

قال: نعم.

قال: أمّا قولك: «**ولا أرجو الجنّة، ولا أخاف النار**» هذا يعني أنّك ترجو

ربّ الجنّة، وتخاف ربّ النار.

وأمّا قولك **«وآكل الميتة»**، أي تأكل السمك.

وأمّا قولك: **«أشهد بما لم أرَ»** أي أنّك تشهد شهادة الحق، أي: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله.

وأمّا قولك: **«ولا أخاف الله»** أي أنّك لا تخاف ظلمه ولا جَوْرَه قال الله تعالىٰ **﴿وما ربك بظلاّم للعبيد﴾**.

وأمّا قولك: **«أصلّي بلا ركوع ولا سجود»** أي أنّ أكثر عملك الصلاة على النبي (ص)، وقد لزمت موضع الجنائز فأنت تصلّي عليها، وتعتبر بقصر أملك، وتصلّي على كلّ مسلم ومسلمة، وتدعو للأحياء والأموات. وأمّا قولك **«أبغض الحق»** أي أنّك تحب البقاء حتىٰ تطيع الله، وتكره الموت وهو الحق. قال تعالىٰ **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾**.

وأمّا قولك: **«أحبّ الفتنة»** فإنّ القلوب مجبولة على حبّ المال والولد، وذلك من الفتنة العظيمة على قلوب المؤمنين. قال تعالىٰ **﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾**.

فأذعن الرجل، ورجع عن بغضه لأبي حنيفة، وتاب إلىٰ الله عزّ وجلّ.

أبو دلامة يستعطف الخليفة

شكا أبو دلامة فقره وسوء حاله إلىٰ المنصور، فخاطبه بقوله:

هاتيكَ والِدتي عَجُوزٌ هِمَّةٌ ... مِثْلُ البَلِيَّةِ دِرْعُها في المشجبِ
مَهْزُولَةُ اللَّحْيَيْن مَنْ يَرَهَا يَقُلْ ... أبْصَرَتْ غولاً أو خَيالَ القطرب
ما إنْ تركتُ لها ولا لابْنٍ لها ... مالاً يُؤَمَّلُ غير بكرٍ أجْرَبِ
ودجائجاً خمساً يرحْنَ إليهمُ ... لَمّا يَبِضْنَ وغَيْرِ عَيْرٍ مغربِ
كَتَبُوا إلَيّ صَحِيفَةً مَكْتُوبة ... جَعَلُوا عليها طينةً كالعقربِ
فعلمتُ أنّ الشَّرَّ عِنْدَ فكاكها ... ففككتها عَنْ مِثْلِ ريحِ الجَوْرَبِ
وإذا شبيهٌ بالأفاعي رُقِّشَتْ ... يُوعِدْنَني بِتَلَمُّظٍ وتَوثُّبِ
يشكون أنّ الجوعَ أهْلَكَ بَعْضَهُمْ ... لَزَباً فهل لك في عِيالٍ لُزَّبِ

لا يَسْأَلُونَكَ غَيْرَ طَلٍّ سَحَابَةٍ تَغْشَاهُمُ مِنْ سيلك المتحلّبِ
يا باذِلَ الخَيْراتِ يابْنَ بَذُولِها وٱبنَ الكرامِ وَكُلِّ قَوْمٍ مُنْجِبِ
أَنْتُمْ بنو العبّاسِ يَعْلَمُ أنّكُمْ قِدْماً فَوَارِسُ كلّ يومٍ أشهبِ
أَحْلاسُ خَيْلِ اللَّهِ وهي مغيرةٌ يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الغبارِ الأكهبِ

فلمّا أنشده هذه الأبيات رقّ له المنصور، وأمر له بدار وكسوة ودراهم.

وحدث أن المنصور أمر بضم الدار إلىٰ قصره، وكانت قريبة منه، فدخل عليه أبو دلامة شاكياً حاله، فأنشده:

يا ابنَ عمّ النبيّ دَعْوَةُ شَيْخٍ قد دنا هَدْمُ داره ودمارُهْ
فهو كالماخض التي اعْتَادَها الطَّلْقُ فَقَرَّتْ وما يقرّ قَرَارُهْ
إنْ تَحُزْ عَسْرَهُ بكفَّيْكَ يوماً فَبِكَفَّيْكَ عَسْرُهُ وَيَسارُهْ
أوْ نَدَعْهُ فلِلْبَوارِ وأنّىٰ ولماذا وأنت حيٌّ بوارُهْ
هل يَخَافُ الهَلاَكَ شاعِرُ قَوْمٍ قَدُمَتْ في مَدِيحِهِم أشْعارُه
لكم الأرضُ كُلُّها فَأَعِيرُوا شَيْخَكُمْ ما ٱحْتَوَىٰ عليه جِدارُهْ
فكأنْ قد مضىٰ وَخَلَّفَ فيكم ما أعرْتُمْ وأقْفَرَتْ مِنْهُ دَارُهْ

فاعتبر المنصور، وأمر بتعويض أبي دلامة داراً خيراً منها، ووصله.

نشوء البرق

مرّ أحد الفقهاء قرب واد، فاعترضه راعٍ وسأله:

ـ هل أنت فقيه؟

قال: نعم.

فقال الراعي: انظر إلىٰ هذا الوادي، وإلىٰ هؤلاء المطروحين فيه، فإنني قتلتهم جميعاً، لتظاهرهم بالعلم، وعجزهم عن جواب لسؤال واحد سألتهم إياه.

فقال الفقيه: وما السؤال؟

قال: إنّ القمر حين يكون هلالاً نراه صغيراً، ثم يكبر حتىٰ يصبح بدراً، ثم يعود فيصغر إلىٰ أن يغيب، ويطلع غيره، فماذا يصنعون بالقمر القديم؟

فتنحنح الفقيه وقال: يا لهؤلاء الجهلة، ألم يكن فيهم من يعرف أنّ الأقمار القديمة تخبّأ للشتاء، ثم يدقّونها، ويصيّرونها رفيعة، ويعملون منها البرق؟

عند ذلك انحنىٰ الراعي على يد الفقيه وراح يقبّلها، وهو يقول:

ـ أحسنت والله، هذا ما خطر ببالي. وقدّم له هديّة.

حكمة ونباهة

قال رجل لامرأته وهي تصعد السلّم:

ـ أنتِ طالق، إن صعدتِ، وطالق إن نزلتِ، وطالق إن وقفتِ.

فألقت نفسها على الأرض.

فقال لها: فداكِ أبي وأمّي، إن مات الإمام مالك، احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

قم قبّحك الله

سأل الأعمش بعض أصحابه من الفقهاء أن يصلح بينه وبين زوجته، فدخل إليها وقال:

ـ إنّ أبا محمد شيخ كبير، فلا يزهدنّك فيه عمش عينيه، ودقّة ساقيه، وضعف ركبتيه، ونتن إبطيه، ورائحة فمه الكريهة، وجمود كفّيه...

فقاطعه الأعمش بقوله: قم قبّحك الله، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه.

كلمة عذراء

دخل أبو دلامة على المهدّي وعنده شاعر ينشده، فقال له:

ـ ما ترىٰ فيه؟

قال: إنّه قد جهد نفسه لك، فاجهدْ نفسك له.

فقال المهديّ: وأبيك، إنّها لكلمة عذراء منك، أحسبك تعرفه.

قال: لا، والله ما عرفته، ولا قلت أنا إلاّ حقّاً.

فأمر للشاعر بجائزة، ولأبي دلامة بمثلها.

ابن ظريف

قال أبو العيناء: ما أخجلني أحد مثل ما أخجلني ابن ظريف لعبد الرحمٰن بن خاقان. كنتُ يوماً عندهم، فقلت لأبيه: وددتُ أن لي ابناً مثل ابنك! فقال الابن: هذا أمر هيّن، ابعث لي بأمّ عيالك، فإنّها تأتيك بابن مثلي.

فعلت أنا وجاز

تقدم رجل إلىٰ أحد الفقهاء، فقال له:

ـ إذا خرجت ريح من رجل هل تجوز صلاته؟

قال: لا.

قال: قد فعلت أنا وجاز.

أبو دلامة والصوم

صام الناس في سنة شديدة الحرّ على عهد المهدي، وكان أبو دلامة يتنجّز جائزة أمر له المهديّ بها. فكتب إليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذىٰ الحرّ والصوم، وهي:

أدْعُوكَ بالرَّحِمِ التي هي جمَّعَتْ ... في القُرْب بين قريبنا والأبْعَد

إلاّ سَمِعْتَ وأنْتَ أكْرَمُ مَنْ مَشَىٰ ... مِنْ مُنْشِدٍ يَرْجُو جَزَاءَ المُنْشِدِ

جَاءَ الصِّيامُ فَصُمْتُهُ مُتَعَبِّداً ... أرْجُو رَجَاءَ الصَّائِمِ المُتَعَبِّدِ

وَلَقِيتُ مِنْ أمْرِ الصِّيَام وَحَرِّهِ ... أمْرَيْنِ قِيسَا بالعَذاب المؤصَدِ

وَسَجَدْتُ حتّىٰ جَبْهَتي مَشْجُوجَةٌ ... ممّا يُنَاطِحُني الحَصَا في المَسْجِدِ

فَامْنُنْ بِتَسْريحي بِمَطْلِكَ بالذي ... أسْلَفْتنيه مِنَ البَلاَءِ المرصدِ

فلمّا قرأ المهدي رقعته غضب وقال:

ـ يا عاضّ كذا من أمّه أيَّ قرابة بيني وبينك؟

قال: رحم آدم وحوّاء، أَنَسيتهما يا أمير المؤمنين؟!

فضحك وقال: لا والله ما نسيتهما.

وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه.

قوس بدينار

ساوم أشعب رجلاً بقوس عربيّة، فقال الرجل:

ـ لا أنقصها عن دينار.

قال أشعب: أعتق ما أملك لو أنّها إذا رُمِيَ بها طائر في جوّ السماء، ووقع مشويّاً بين رغيفين ما أخذتها بدينار.

وإذا يُحاس الحيس

قيل لأبي العيناء: ما حالك مع فلان مذ تولّىٰ؟ فقال: أنا معه غير جندب، يعني قول الشاعر:

وإذا تكونُ كريهةٌ أُدعىٰ لها ... وإذا يُحاسُ الحيسُ يُدعىٰ جندبُ

أوّل من آمن وصدّق

ادّعىٰ أحد المتنبّئين في زمن المأمون أنّه إبراهيم الخليل، فقال له المأمون:

ـ إنّ إبراهيم كانت له معجزات وبراهين.

قال: وما براهينه؟

قال: أُضرمت له نار، وأُلقيَ فيها، فصارت برداً وسلاماً، ونحن نوقد لك ناراً ونطرحك فيها، فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك.

قال: أريد واحدة أخفّ من هذه.

قال: فبراهين موسىٰ؟

قال: وما براهينه.

قال: ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى، وضرب فيها البحر فانفلق، وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء.

فقال: وهذه أصعب من الأولىٰ.

قال: فبراهين عيسىٰ؟

قال: وما براهين عيسىٰ؟

قال: إحياء الموتىٰ.

قال: مكانك، قد وصلت؛ أنا أضرب رقبة القاضي يحيىٰ بن أكثم، وأحييه لكم الساعة.

فقال القاضي يحيىٰ، وكان حاضراً:

ـ أنا أوّل من آمن بك وصدّق.

عمر الأبد

سمع أشعب حُبّى المدينيّة تقول:

ـ اللّهمّ لا تُمتني حتىٰ تغفر لي ذنوبي.

فقال لها: يا فاسقة، أنتِ لم تسألي الله المغفرة، إنّما سألته عمر الأبد.

يريد أنّه لا يغفر لها أبداً.

رعبتني، رَعَبَك الله

غذا أشعب جدياً بلبن زوجته وغيرها حتىٰ بلغ الغاية. ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته:

ـ أي ابنة وَرْدَان، إنّي أحبّ أن ترضعيه بلبنك.

ففعلت. ثم جاء به إلىٰ إسماعيل بن جعفر بن محمّد فقال:

ـ بالله إنّه لابني، قد رضع بلبن زوجتي، وقد وهبتك إيّاه، ولم أر أحداً يستأهله سواك.

فنظر إسماعيل إلىٰ فتنة من الفتن، فأمر به فذُبح وسُمط فأقبل عليه أشعب فقال:

ـ المكافأة.

فقال: ما عندي والله اليوم شيء، ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك.

فلمّا يئس منه، قام من عنده، فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثمّ اندفع يشهق حتىٰ التقتْ أضلاعه، ثم قال:

ـ اجعلْني في خلوة معك.

قال: ما معنا أحد يسمع، ولا عين عليك.

قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه.

فارتفع جعفر وصاح: ويلك وفيم؟ وتريد ماذا؟

قال: أمّا ما أريد فوالله ما لي في إسماعيل حيلة، ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك.

فجزاه خيراً، وأدخله منزله، وأخرج إليه مئتي دينار، وقال له:

ـ خذ هذه ولك عندنا ما تحبّ.

وخرج إلى إسماعيل، لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مترسِّل في مجلسه. فلمّا رأىٰ وجه أبيه قام إليه، فقال:

ـ يا إسماعيل، أو فعلتها بأشعب؟ قتلت ولده.

فاستضحك وقال: جاءني بجدي صفته كذا، وخبّره الخبر.

فأخبره أبوه ما كان منه، وصار إليه. فكان جعفر يقول لأشعب:

ـ رَعَبْتني رَعَبَك الله.

فيقول: روعة ابنك والله إيّاي في الجَدْي أكبر من روعتك أنت في المئتي دينار.

الرشيد وأبو نواس والمستحمة

دخل الرشيد يوماً على إحدىٰ جارياته، فرآها تستحمّ، وعندما شاهدته داخلاً، أسدلَتْ شعرها الطويل، فستَرَتْ به عريَها، فأعجب الرشيد بتصرفها، وخرج، وقال: مَنْ في الباب من الشعراء؟ فقيل له: أبو نواس. فقال: أدْخِلوه، فلمّا دخل، أخبره الرشيد عمّا رأىٰ، وطلب إليه أن يصف ذلك شعراً، فقال:

نَضَــتْ عَنْهــا القمِيــصُ لِصَــبِّ مــاءٍ ... فَــورَّدَ وَجْهَهــا فَــرْطُ الحَيــاء
وقــابلــتِ الهــواءَ وَقَــدْ تَعَــرَّتْ ... بِمُعْتَــدِلٍ أَرَقَّ مِــن الهَــواءِ
ولَمّــا أَنْ قَضَــتْ وَطَــراً وَهَمَّــتْ ... علــى عَجَــلٍ لِتَــأخُــذَ بــالــرِّداءِ
رأَتْ شَخْـصَ الـرَّقِيـبِ علـى اقتِرابٍ ... فَــأَسْــدَلَــتِ الظَّــلامَ علــى الضِّيــاءِ
وغــابَ الصُّبْــحُ مِنْهــا تَحْــتَ لَيْــلٍ ... وَظَــلَّ المــاءُ يَجْــرِي فَــوْقَ مــاءِ
فَسُبْحــانَ الإلٰــهَ وَقَــدْ بَــرَاهــا ... كــأَحْسَــنَ مــا تكــونُ مــنَ النِّســاءِ

أريد بطّيخاً الساعة

ادّعىٰ أحدهم النبوّة في عهد المأمون، فقال له المأمون:

ـ أريد منك بطيخاً في هذه الساعة.

فقال الرجل: أمْهلني ثلاثة أيّام.

قال: لا، لا أريد البطّيخ إلاّ الساعة.

فقال: ما أنصفتني يا أمير المؤمنين... فالله تعالىٰ، خالق السموٰات والأرض في ستّة أيّام، لا يخرجه من الأرض إلاّ في ستّة أشهر، أفلا تصبر عليّ ثلاثة أيّام؟!

فضحك المأمون وأجازه بعد أن وقف على توبته.

أبو دلامة وجارية الخيزران

حجّت الخيزران، فلمّا خرجت صاح أبو دلامة بها. قالت:

ـ سلوه ما أمره.

فقالوا له: ما أمرك؟

فقال: أدْنُوني من محملها.

قالت: أدْنوه.

فأُدْنيَ، فقال: أيّتها السّيدة، إنّي شيخ كبير وأجرك فيّ عظيم.

قالت: فَمَهْ.

قال: تَهبِين لي جارية من جواريك تؤنسني وترفق بي، وتريحني من عجوز عندي قد أكلت رِفْدي، وأطالت كدّي، وقد عاف جلدي جلدها، وتمنّيت بُعْدَها، وتشوّقت فَقْدَها.

فضحكت الخيزران وقالت: سوف آمر لك بما سألت.

فلمّا رجعت تلقّاها وذكّرها، وخرج معها إلىٰ بغداد فأقام حتىٰ ضجر. ثم دخل على أمّ عبيدة حاضنة موسىٰ وهارون، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلىٰ الخيزران فيها:

أَبْلِغــي سيّــدتــي بــاللَّــهِ	يـــــا أمّ عُبَيْــــــدَهْ
أنّهـــا أرْشَـــدَهـــا اللَّـــهُ	وإنْ كـــانَـــتْ رشيـــدَهْ
وَعَـــدَتْنـــي قَبْـــل أنْ تَخْـــرُجَ	لِلْحَـــــجِّ وَليـــــدَهْ
فَتَـــأنَّيْـــتُ وَأرْسَلْـــتُ	بِعِشْـــرِيـــنَ قَصِيـــدَهْ
كُلَّمـــا أخْلَقْـــنَ أخْلَفْـــتُ	لهـــا أُخْـــرىٰ جَـــدِيـــدَهْ
لَيْـــسَ فـــي بَيْتِـــي لِتَمْهِيـــدِ	فِـــراشِـــي مـــن قَعِيـــدَهْ
غَيْـــرُ عَجْفَـــاءَ عَجُـــوزٍ	سَـــاقُهـــا مِثْـــلُ القَـــدِيـــدَهْ
وجهُهـــا أقبـــحُ مِـــنْ حُـــوتٍ	طَـــرِيٍّ فـــي عَصِيـــدَهْ
مـــا حَيَـــاةٌ مَـــعَ أنْثَـــىٰ	مِثْـــلِ عِـــرْسِـــي بِسَعِيـــدَهْ

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت، واستعادتها لقوله: «حوت طريّ في عصيدة»، وجعلت تضحك، ودعت بجارية من جواريها فائقة فقالت لها:

ـ خذي كلّ ما لك في قصري.

ففعلت، ثم دعت أحد الخدم، وقالت له:

ـ سلّمها إلىٰ أبي دلامة.

فانطلق الخادم بها فلم يصادفه في منزله، فقال لامرأته:

ـ إذا رجع فادفعيها إليه، وقولي له: تقول لك السيّدة، أحْسِنْ صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها.

فقالت: نعم.

فلمّا خرج دخل ابنها فوجد أمّه تبكي. فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت:

ـ إن أردت أن تبرّني يوماً من الدهر فاليوم.

قال: قولي ما شئت فإنّي أفعله.

قالت: تدخل عليها فتعلمها أنّك مالكها، وتطأها فتُحرم عليه، وإلاّ ذهبتْ بعقله وجفاني وجفاك.

ففعل؛ ودخل إلىٰ الجارية فوطئها، ووافقها ذلك منه، وخرج. ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية؟

قالت: في ذلك البيت.

ـ فدخل إليها شيخ محطّم ذاهب، فمدّ يده إليها وذهب ليقبلّها، فقالت له:

ـ ما لك ويلك! تَنحَّ وإلاّ لطمتك لطمة دققتُ منها أنفك.

فقال لها: أبهذا أوصتك السيّدة؟

فقالت: إنّها قد بعثت بي إلىٰ فتىٰ من حاله وهيئته كيت وكيت، وقد كان عندي آنفاً، ونال مني حاجته.

فعلم أنّه دُهِيَ من أمْ دلامة وابنها. فخرج أبو دلامة إلىٰ ابنه ولطمه، وحلف ألاّ يفارقه إلاّ عند المهدي. فمضىٰ به حتىٰ وقف على باب المهدي، فعُرّف خبره، وأنّه قد جاء بابنه على تلك الحالة. فأمر بإدخاله، فلمّا دخل قال له:

ـ ما لك ويلك؟!

قال: عمل بي هذا ابن الخبيثة ما لم يعمل ولد بأبيه، ولا ترضيني إلاّ أن تقتله.

فقال له: ويلك فما فعل؟

فأخبره الخبر. فضحك حتىٰ استلقىٰ، ثم جلس، فقال أبو دلامة:

ـ أعجبك فعله فتضحكَ منه؟

فقال: عليّ بالسيف والنطع.

فقال له دلامة: قد سمعت حجّته يا أمير المؤمنين، فاسمعْ حجّتي.

قال: هاتِ.

قال: هذا الشيخ أصفق الناس وجهاً (. . .) أمّي منذ أربعين سنة ما غضبتُ و (. . .) جاريته مرّة واحدة فغضب، وصنع بي ما ترىٰ.

فضحك المهديّ أكثر من ضحكه الأوّل ثم قال:

ـ دَعْها له يا أبا دلامة، وأنا أعطيك خيراً منها.

قال: على أن تخبئَها لي بين السماء والأرض، وإلاّ (. . .) كما (. . .) هذه.

فتقدّم إلىٰ دلامة ألاّ يعاود بمثل فعله، وحلف أنّه إن عاود قتله، ووهب له جارية أُخرىٰ كما وعده.

أشعب والحيتان

بينما قوم جلوس عند رجل من المدينة يأكلون عنده حيتاناً، إذ استأذن عليهم أشعب الطفيليّ، فقال أحدهم:

ـ إنّ من شأن أشعب البسط إلىٰ آخر الطعام، فاجعلوا كبار الحوت في صحفة ناحية، ويأكل معنا الصغار! ففعلوا وأُذنَ له، فدخل، فقالوا له:

ـ كيف رأيك بالحيتان يا أشعب؟

قال: والله إنّ لي عليها حنقاً شديداً، لأنّ أبي مات في البحر، وأكلته الحيتان!

فقال له القوم: دونك فَخُذْ بثأر أبيك!

فجلس، ومدّ يده إلىٰ حوت منها صغير، ثمّ وضعه عند أذنه، وقد نظر إلىٰ الصحفة التي فيها الحيتان الكبار، فقال: أتدرون ما تقول هذه الحوتة؟

قالوا: لا ندري.

قال: تقول إنّها لم تحضر موت أبي، ولا أدركته، لأنّها أصغر سنّاً من ذلك، ولكن عليك بتلك الكبار التي في زاوية البيت فهي أكَلَتْ أباك.

خوف الصيانة

قال أبو العيناء: لمّا أُدخلتُ على المتوكّل عابني جُلَساؤه، فلمّا برّزتُ عليهم

قال المتوكّل: ادفعوا إليه عشرة آلاف درهم اتقاءً للسانه.

فقلت: قد قتلتني والله يا أمير المؤمنين.

قال لي: ويحك، وكيف ذلك؟

قلت: لأنّ مَن خِفْتَه لا يعيش. فقال: ليس خوفَ فَرَقٍ ولكن خوف صِيانةٍ.

مُطْلق اليُمْنىٰ

توضّأ أشعب، فغسل رجله اليسرىٰ، وترك اليمنىٰ، فقيل له:

ـ لِمَ تركت غسل اليمنىٰ؟

قال: لأنّ النبيّ (ص) قال: أمّتي غرّ محجّلون من آثار الوضوء، وأنا أحبّ أن أكون أغرّ محجّلاً مطلق اليمنىٰ.

البليّة في شهر أصلح منها في طول الدهر

أعفىٰ أبو جعفر أبا دلامة من حضور مسجده بعد إلزامه به، ولكن على ألاّ يدع القيام معه في ليالي شهر رمضان، فقال أبو دلامة:

ـ أفعل.

قال أبو جعفر: إنّك إن تأخّرت لشرب الخمر علمت ذلك، ووالله لئن فعلت لأحدّنّك.

فقال أبو دلامة: البليّة في شهر أصلح منها في طول الدهر، سمعاً وطاعة. فلمّا حضر شهررمضان لزم المسجد، وكان المهديّ يبعث إليه في كلّ ليلة حرسيّاً يجيء به فشقّ ذلك عليه، وفزع إلىٰ الخيزران وأبي عبيد الله، وكلّ من كان يلوذ بالمهدي ليشفعوا له في الإعفاء من القيام، فلم يجبهم، فقال له أبو عبد الله:

ـ الدالّ على الخير كفاعله. فكيف شكرك؟

قال: أتمّ الشكر.

قال: صدقت والله.

ثم رفع إليها رقعة يقول فيها:

أبْلِغَــا ريطَـــةَ أنّـــي كُنْـــتُ عَبْـــداً لأبيهـــا
فَمَضَـــىٰ يَـــرْحَمُـــهُ اللَّـــهُ وَأَوْصَـــىٰ بـــي إليهـــا
وأرَاهَـــــا نَسِيَتْنـــــي مِثْـــل نِسْيَـــانِ أخيهـــا
جَـاءَ شَهْـرُ الصَّـوْمِ يَمْشـي مِشْيَـــةً لا أشْتَهِيهـــا
تَنْطَـــحُ القُبْلَـــةَ شَهْـــراً جَبْهَتـــي لا تـــأتليهـــا
وَلَقَـــدْ عِشْـــتُ زَمَـــانـــاً فـــي فَيَـــافـــيَّ وجيهـــا
مـــا أبـــالـــي لَيْلَـــةَ القَـــدْرِ ولا تُسْمِعُنيهـــــــا
فَـــاْطلُبـــي لـــي فَـــرَجـــاً مِنْهـــا وأجـــري لـــك فيهـــا

فلمّا قرأت الرقعة ضحكت، وأرسلت إليه:

ـ اصطبرْ حتىٰ تمضي ليلة القدر.

فكتب إليها: إنّي لم أسألك أن تكلّميه في إعفائي عاماً قابلاً، وإذا مضت ليلة القدر، فقد فني الشهر.

وكتب تحتها أبياتاً:

خافي إلٰهَكِ في نَفْسٍ قَدِ احْتُضِرَتْ قـامَـتْ قِيَـامَتُهـا بَيْـنَ المُصَلّينـا
مـا لَيْلَـةُ القَـدْرِ مِـنْ همّـي فـأطْلُبُهـا إنّـي أخـافُ المَنَـايـا قَبْـلَ عِشْـرينـا
يـا ليلـة القَـدْرِ قَـدْ كسّـرتِ أرْجُلَنـا يـا ليلـة القَـدْرِ حَقّـاً مـا تَمَنّينـا؟
لا بَـارَكَ اللَّـهُ فـي خيـرٍ أُؤَمِّلُـهُ فـي لَيْلَـةٍ بَعْـدَمـا قُمْنَـا ثَـلاَثينـا

فلمّا قرأت الأبيات ضحكت، ودخلت إلىٰ المهديّ فشفعت له إليه، وأنشدته الشعرين، فضحك حتىٰ استلقىٰ، ودعا به وريطة في الحجلة، فدخل، فأخرج رأسه إليه، وقال:

ـ قد شفّعنا ريطة فيك، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم.

فقال: أمّا شفاعة سيّدتي فيّ حتىٰ أعفيتني، فأعفاها الله من النار، وأمّا السبعة آلاف درهم فما أعجبني ما فعلته، إمّا أن تتّمها بثلاثة آلاف، فتصير عشرة، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف، فإنّي لا أحسن حساب السبعة.

فقال: قد جعلتها خمسة.

قال: أعيذك بالله أن تختار أدنىٰ الحالين وأنت أنت.

فبعث به المهدي ساعة، ثم تكلّمت فيه ريطة، فأتمّها له عشرة آلاف درهم.

يكره في شوال

سأل رجل أحل الفقهاء عن القبلة للصائم في رمضان، فأجاب:

ـ تكره للشاب ويرخّص فيها للشيخ.

فقال: إنّها في معشوقة؟

قال: يابن أخي، هذا يكره في شوال.

الحطيئة وأمه

سأل الحطيئة أمَّهُ الضرّاء: مَنْ أبي؟ فَخَلَطَتْ عليه، فقال:

تَقُولُ لِيَ الضـرّاءُ لَسْتَ لِوَاحِدٍ ... وَلاَ ٱثْنَيْنِ فَٱنْظُرْ كَيْفَ شِرْكُ أُوْلٰئِكَا

وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ تَبْغِي أباً قَدْ ضَلَلْتَهُ ... هَبِلْتَ أَلَمّا تَسْتَفِقْ مِنْ ضَلاَلِكَا

الماء الطاهر

قال الأهوازي الفقيه:

ـ كنت عند يحيىٰ بن محمد بن صاعد، فجاءته امرأة فقالت له:

ـ أيّها الشيخ، ما تقول في بئر سقطت فيها دجاجة فماتت؟ هذا الماء طاهر أو نجس؟

فقال يحيىٰ: ويحك! كيف سقطت الدجاجة في البئر؟

قالت: لم تكن البئر مغطّاة.

قال يحيىٰ: ألا غطّيتها حتىٰ لا يقع فيه شيء؟!

فقال الأهوازي: يا هذه، إن كان الماء قد تغيّر، وإلاّ فهو طاهر.

وصفة أبي دلامة

دخل أبو دلامة على إسحٰق الأزرق يعوده، وكان إسحٰق قد مرض مرضاً شديداً، ثم تعافى منه وأفاق، فكان من ذلك ضعيفاً، وعند إسحٰق طبيب يصف له أدوية تقوّي بدنه. فقال أبو دلامة للطبيب.

ـ يابن الكافرة أتصِفُ هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض! ما أردتَ والله إلاّ قتله.

ثم التفت إلىٰ إسحٰق فقال: اسمعْ أيّها الأمير منّي.

قال: هاتِ ماعندك يا أبا دلامة.

فأنشأ يقول:

نَـحِّ عَنْـكَ الطبيـبَ واسْمَـعْ لِنَعْتـي	إنّـــي نـــاصِـــحٌ مِـــنَ النُّصّـــاحِ
ذُو تَجـارِيـبَ قَـدْ تَقَلَّبْـتُ فـي الصِّحَـةِ	دَهْـــراً وفـــي السِّقـــامِ المُنـــاحِ
غـــادِ هـــذا الكَبَـــابَ كُـــلَّ صَبَـــاحِ	مِـــنْ مُتُـــونِ الفَتِيَّـــةِ السحّـــاحِ
فـإذا مـا عَطِشْـتَ فـأشْـرَبْ ثـلاثـاً	مِـنْ عَتِيـقٍ فـي الشَّـمِّ كـالتّفـاحِ
ثُـمَّ عِنْـدَ المَسَـاءِ فـاعْكُـفْ عَلَـىٰ ذا	وَعَلَـــىٰ ذا بــأعْظَـــمِ الأقْـــداحِ
فَتُقَـوّي ذا الضُّعْـفَ مِنْـكَ وتُلْفَـىٰ	عــن لَيَـالٍ أصَـحَّ هـذي الصِّحَـاحِ

فضحك إسحٰق وعوّاده، وأمر لأبي دلامة بخمسمئة درهم. وكان الطبيب نصرانياً فقال:

ـ أعوذ بالله من شرّك يا «رَكُل» (يريد يا رَجُل).

وقال الطبيب: اقْبَلْ منّي أصلحك الله، ولا تسألني عن شيء قدّامه.

فقال أبو دلامة: أمّا وقد أخذت أجرة صفقتي وقضيت الحقّ في نصح صديقي، فانعتْ له الآن أنت ما أحببت.

ينفرد بالتعجّب

لقي أبو العيناء رجلاً من إخوانه في السحر، فجعل يعجب من بكوره، فقال له: أراك تشاركني في الفعل، وتنفرد دوني بالتعجّب.

عتاب

عاتب الشافعيّ صديقه بقوله:

اذْهَبْ فإنّكَ من وِدَادي طالقٌ ... لا طالقٌ منّي طلاقَ البين

فإن ٱرْعَوَيْتَ فإنّها تَطْلِيقَةٌ ... وَيُقيمُ وِدُّكَ لي على ثِنْتَيْنِ

وَإنِ ٱعوَجَجْتَ شَفعتُها بِمِثَالها ... فيكون تَطْليقَيْنِ في قُرْءَيْنِ

وإنِ الثلاثُ أتَتْكَ منّي بَتَّةً ... لم يُغْنِ عَنْكَ شَفَاعَةُ الثَّقَلَيْن

غزل عروة

وقفت امرأة على عروة بن أذينة، وهو فقيه من فقهاء المدينة وعبادها، وقالت له:

ـ أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول:

إذا وَجَدْتِ أُوارَ الحُبِّ في كَبِدِي ... غَدَوْتُ نحو سقاءِ الماءِ أَبْتَرِدُ

هَبْنِي بَرَدْتُ بِبَرْدِ المَاءِ ظاهِرَهُ ... فَمَنْ لنارٍ على الأحْشاءِ تَتَّقِدُ؟

والله ما قال هذا رجل صالح.

ضعف الإسناد

اجتمع محدّث ونصرانيّ في سفينة، فصبّ النصرانيّ من ركوة كانت معه وشرب، وصبّ وعرض على المحدّث، فتناولها من غير مبالاة. فقال النصرانيّ:

ـ جعلت فداك، هذا خمر!

فقال: من أين علمت أنّها خمر؟

قال: اشتراها غلامي من خمّار يهوديّ، وحلف أنّها خمر عتيق. فشربها بالعجلة وقال للنصرانيّ:

ـ أنت أحمق؛ نحن أصحاب الحديث نروي عن الصحابة والتابعين،

أفنصدّق نصرانياً عن غلامه، عن يهوديّ؟ والله ما شربتها إلاّ لضعف الإسناد.

تبرير

قيل لأبي العيناء: لمَ اتّخذتَ خصياً أسود؟

فقال: أمّا الأسود فلئلا أتهم به، وأمّا الخصيّ فلئلا يُتهم بي.

يحفظ القرآن ولا يعمل به

ساق رجل ولده إلىٰ القاضي قائلاً:

ـ سيّدي، إنّ ولدي هذا يشرب الخمر ولا يصلّي. ولمّا أنكر الولد قال الوالد:

ـ أفتكون صلاة بغير قراءة؟!

فقال الولد: إنّي أقرأ القرآن.

فقال القاضي: اقْرَأ حتىٰ أسمع.

فقال:

عَلِقَ القَلْبُ الرَّبَابَا بَعْدَمَا شَابَتْ وَشَابَا

إنّ دِينَ اللَّهِ حَقٌّ لا أرَىٰ فيهِ ٱرْتِيَابَا

فقال أبوه: إنّه لم يحفظ هذا إلاّ البارحة، عندما سرق مصحف الجيران.

فقال القاضي: وأنا أيضاً أحفظ آية، وهي:

فارْحَمِي مُضْنىً كئيباً قَدْ رَأى الهَجْرَ عذابا

ثم قال: يحفظ أحدكم القرآن ولا يعمل به، قاتلكم الله.

الظبية صارت لصة!

كان أبو نواس يوماً بحضرة الرشيد، فأخذتْ إحدىٰ الجاريات، كأسه، وخبّأته بين رجليها تحت ثوبها، فقال أبو نواس:

قِصَّتي أعْظَمُ قِصَّهْ صَارتِ الظَّبْيَةُ لِصَّهْ

سَـرَقَـتْ كَـأْسَ مُـدامـي وامْتِصـاصـي مِنْـهُ مَصَّـهْ
وَضَعَتْـهُ فـي مكـانٍ فـي فُـؤادي مِنْـهُ غصَّـهْ
لا أُسَمِّيـهِ احْتِـرامـاً لِـلأَمِيـرِ فِيـهِ حِصَّـهْ

لو سألني...

قيل: إنّ أهل الحجاز قد جُبلوا على الظرف، فشاع بينهم روح التسامح حتىٰ بين فقهائهم الكبار، كسعيد بن المسيب مفتي المدينة، وسيّد التابعين كما وصفه الإمام ابن حنبل. وكان يفتي وأصحاب رسول الله (ص) أحياء.

وكان هذا العالم يحبّ إنشاد الشعر الغزلي، ويحكم بجودته أحياناً، حتىٰ قال أحدهم:

سَـأَلْـتُ سَعِيـدَ بْـنَ المُسَيّـبِ مُفْتـي المَدِينَةِ: هَلْ في حُبِّ لمْيَاءَ مِنْ وِزْرِ
فقـال سَعِيـدُ بْـنُ المَسَيِّـبِ: إنّمـا تُـلاَمُ علـى مـا تَسْتَطِيـعُ مِـنَ الأمْـرِ

فلما سمعها ابن المسيّب قال:

ـ والله ما سألني أحد عن هذا، ولو سَألني ما كنت أجيب إلاّ به.

لعَنَك الله يا فاسق

قال أشعب لأمّه:

ـ رأيتُك في النوم مطليّة بعسل، وأنا مطلي بِعَذِرَة.

فقالت: يا فاسق هذا عملك الخبيث كَسَاكَهُ الله عزّ وجلّ.

قال: إنّ في الرؤيا شيئاً آخر.

قالت: ما هو؟

قال: رأيتني أَلْطَعُك، وأنت تَلْطَعينني.

قالت: لعنك الله يا فاسق.

في دون هذا ما تنكر المرأة صاحبها

روي أنّ أول مَنْ قال: «**في دونِ هذا ما تُنكِرُ المرأةُ صاحبها**» جارية مِنْ مُزَينة، وذلك أن الحكم بن صخر الثقفي قال: خرجت منفرداً، فرأيت بإمَّرَة ـ وهي موضع ـ جاريتين أُختين لم أرَ كجمالهما وظرفهما، فكسوتُهما، وأحسنتُ إليهما، قال: ثمّ حججتُ من قابل ومعي أهلي، وقد اعتلَلْتُ، ونصل خِضابي؛ فلما صِرْتُ بإمَّرَة إذا بإحداهما قد جاءت، فسألت سؤال منكرةٍ؛ قال: فقلت فلاته؟ قالت: فدىً لك أبي وأمي، وأنّى تعرفني وأُنكرك! قال: قلت: الحكم بن صخر قالت: فِدىً لك أبي وأمّي، رأيتك عام أول شاباً سُوقةً، وأراك العام شيخاً ملكاً، و«في دون هذا ما تُنكِرُ المرأةُ صاحبها»، فذهبت مثلاً. قال: قلت: ما فعلت أختُك، فتنفَّست الصُّعداء، وقالت: قدم عليها ابن عم لها فتزوجها، .وخرج بها، فذاك حيث تقول:

إذَا مَـا قَفَلْنَـا نَحْـوَ نَجْـدٍ وَأَهْلِـهِ فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا قُفُولي إلىٰ نَجْدِ

قال: قلت: أما إني لو أدركتها لتزوجتها، قالت: فدىً لك وأبي وأمي، ما يمنعك من شريكتها في حسبها، وجمالها، وشقيقتها؟ قال: قلت: يمنعني من ذلك قول كُثيِّر:

إذَا وَصَلَتْنَـا خُلَّـةٌ كـي تُـزِيلَهـا أبَيْنَـا وَقُلْنَـا: الحَـاجِبِيَّـةُ أوَّلُ

فقالت: كثيّر بيني وبينك، أليس الذي يقول:

هَـلْ وَصْـلُ عَـزَّةَ إلاّ وَصْـلُ غـانِيَـةٍ في وَصْلِ غانِيَةٍ مِنْ وَصْلِها خَلَفُ

قال الحكم: فتركت جوابها، وما ينبغي من ذلك إلاّ العِيّ.

أكْرَهُ أن أدَعَها فَتَنْفَلِتُ منّي

أخبر المدائني قال:

ـ رأيت أشعب بالمدينة يقلّب مالاً كثيراً، فقلت له:

ويحك ما هذا الحرص؟! ولعلّك أن تكون أيسر ممّن تطلب منه

قال: إنّي قد مَهَرْتُ في هذه المسألة، فأنا أكره أن أدعها فتنفلت مني.

بارقة وصاعقة

كان أحد المتنسكين يجلس في المسجد الحرام، وكان النساء يمرون على النوق والهوادج، فكان إذا مرّت الحسناء، قال من حضر من القرشيين:

ـ بارقة.

وإذا مرّت القبيحة، سكتوا. فمرت بهم يوماً قبيحة، فسكتوا فقال المتنسّك:

ـ صاعقة.

فتعجب القوم من ذلك مع زهده وتنسّكه.

أبو دلامة والمخنّث

قال أبو العيناء: قلتُ لمخنَّث: كيف جوفُك؟

قال: أدخل لسانك وذُقْه.

أبو دلامة وعلي بن سليمان

خرج المهديّ إلىٰ الصَّيد برفقة عليّ بن سليمان الذي كان أبو دلامة يكرهه كثيراً. فاصطاد المهديّ ظَبْياً، واصطاد عليّ بن سليمان كلباً من كلاب الصَّيد. فارتجل أبو دلامة:

قَدْ رَمَىٰ المَهْدِيُّ ظبياً ... شَكَّ بالسَّهْمِ فُؤادَهْ
وعليُّ بْنُ سُلَيْمانَ ... رَمَىٰ كَلْباً فَصَادَهْ
فَهَنيئاً لَهُما كُلُّ ... فتىً يَأكُلُ زَادَهْ!

أبو دلامة يحتال على العباس بن محمد

دخل أبو دلامة على المهدي، فحادثه ساعة وهو يضحك، وقال له:

ـ هل بقي أحد من أهلي لم يصلك؟

قال: إن أمّنتني أخبرتك، وإن أعفيتني فهو أحبّ إليّ.

قال: بل تخبرني وأنت آمن.

قال: كلّهم قد وصلني إلاّ حاتم بني العبّاس.

قال: ومن هو؟

قال: عمّك العباس بن محمد.

فالتفت إلىٰ خادم على رأسه وقال:

جَاء عُنُق العاضّ بظر أمه.

فلمّا دنا منه صاح به أبو دلامة:

ـ تنحَّ يا عبد السوء، لا تُحنث مولاك، وتَنْكُثْ عهده وأمانه.

فضحك المهدي، وأمر الخادم فتنحىٰ عنه، ثم قال لأبي دلامة:

ـ ويلك! والله عمّي أبخل الناس.

فقال أبو دلامة: بل هو أسخىٰ الناس.

فقال له المهديّ: والله لو متَّ ما أعطاك شيئاً.

قال: فإن أنا أتيته فأجازني.

قال: لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم.

فانصرف أبو دلامة يحبّر للعباس قصيدة، ثم غدا بها عليه وأنشده إيّاها وهذا مطلعها:

قِفْ بالديار وأيَّ الدَّهْرِ لم تَقِفِ   على المنازِلِ بين الظَّهر والنجف

ولما انتهىٰ منها ضحك العباس، وقال: ويحك أصادق أنت؟

قال: نعم، والله.

قال: يا غلام، ادْفع إليه ألفَيْ درهم ثمنها.

فأخذها، ثم دخل على المهديّ، فأخبره القصّة وما احتال له به. فأمر المهديّ بستّة آلاف درهم، وقال له المهدي:

ـ كيف لا يضرّهم ذلك؟

قال: لأنّي مُعْدِم، لا شيء عندي.

موته لا يضرّ

ذُكر أحمد بن الخطيب عند أبي العيناء، فقال: إن دنوتَ منه غرّك، وإن بعدتَ منه ضرّك! فبلغ كلامه أحمد فقال: تفسيره أنّ حياته لا تنفع وموته لا يضرّ.

من هو الهجين؟

جاء أحدهم إلىٰ أبي بشر عبيد بن يزيد الفقيه، فقال له:

ـ يا أبا بشر، إنّ فلاناً قد دعاني هجيناً!

فقال أبو بشر: ليس من ولد آدم هجين، كلّهم لآدم وحوّاء. ولكن سأخبرك بالهجين منكم: هم الذين أجسادهم بين أجساد بني آدم، وقلوبهم قلوب الشياطين.

لماذا خلق الله الذباب

قيل: إن المنصور كان جالساً، فألحّ عليه الذباب حتىٰ أضجره، فقال:

ـ أنظروا من بالباب من العلماء؟

فقالوا: مقاتل بن سليمان.

فدعا به ثم قال له: هل تعلم لماذا خلق الله الذباب؟

فقال: ليذلّ به الجبابرة.

قال: صدقْت.

الرحىٰ أحوج إلىٰ بغلتين

غاب رجل عن امرأته فبلغها أنّه اشترىٰ جارية، فاشترت غلامين. فبلغه ذلك، فجاء مبادراً، وقال لها:

ـ ما هذا؟

قالت: أما علمت أنّ الرحىٰ إلىٰ بغلين أحوج من البغل إلىٰ رحيين، ولكن بعِ الجارية حتىٰ نبيع الغلامين.

ففعل ذلك، ففعلت.

وقيل: قالت: فاعلم أنّ المرأة إلىٰ رجلين أحوج من الرجل إلىٰ امرأتين.

كلّما طاوعتك خالفتني

سأل أحدهم الحسن البصري:

ـ ما تقول في رجل مات، وترك أبيه وأخيه؟

فقال الحسن: يقال: ترك أباه وأخاه.

ـ فما لأباه وأخاه؟

فقال الحسن: فما لأبيه وأخيه.

فقال الرجل: ما لي أراك كلّما طاوعتك تخالفني.

أهل الزمان

قيل لأشعب: كيف ترىٰ أهل زمانك؟

قال: يسألونك عن أحاديث الملوك، ويعطون إعطاء العبيد.

الحبّ المكسور وخيوط الريح

قال الشعبيّ لخيّاط: عندنا حبّ مكسور، فهل تخيطه؟

فقال الخيّاط: نعم، إن كان عندك خيوط من ريح.

قبّحك الله، خذ الدراهم

قيل: لما أعطىٰ العباس لأبي دلامة الألفي درهم قال لأبي دلامة:

ـ شاركني في هذه الجارية.

فقال أبو دلامة: أفعل، ولكن على شرط.

قال: وما هو؟

قال: اشترِ أخرىٰ ليبعث كلّ منّا إلىٰ صاحبه ما عنده، ويأخذ الأُخرىٰ مكانها ليلة وليلة.

فقال له العباس: قبّحك الله، وقبّح ما جئت به! خذ الدراهم، لا بارك الله لك فيها، وانصرف.

وفِّق بالتحديد

قال ابن ثَوابة يوماً لأبي العيناء: أنا، والله، أحبك بكل جوارحي.

فقال أبو العيناء: إلاّ بعضو واحد، أيّدك الله.

فبلغ ذلك ابن أبي دؤاد فقال: قد وُفِّق في التحديد عليه.

لو حدّثت الشيطان لأضحكه

دخل أبو دلامة على أمّ سلمة بنت يعقوب بعد وفاة زوجها أبي العباس، فعزّاها به وبكىٰ، وبكت معه ثم أنشدها:

مَنْ مُجْمِلٌ في الصَّبْرِ عَنْكَ لم يَكُنْ صَبْـرِي عَلَيْـكَ غَـدَاةَ بِنْـتَ جميـلا

يَجِـدُونَ أبْـدالاً بِـه وَأَنــا آمْـرُؤٌ لَـوْ مُـتُّ وَجْـداً مـا وَجَـدْتُ بـديـلا

إنّـي سَـأَلْـتُ النـاسَ بَعْـدَكَ كُلَّهُـمْ فَـوَجَـدْتُ أجْـوَدَ مَـنْ سَـأَلْـتُ بخيـلا

فقالت أم سلمة: لم أر أحداً أُصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة.

فقال: ولا سَوَاء، يرحمك الله، لك منه ولد، وما ولدت أنا منه.

فضحكت ولم تكن منذ مات أبو العباس ضحكت إلاّ ذلك الوقت ـ وقالت له:

ـ لو حدّثت الشيطان لأضحكته.

أبو دلامة وابنا ذؤال

دخل أبو دلامة على المهدي، وعنده مُحرزِ ومقاتل ابنا ذؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة، ويعيبانه عنده. فقال أبو دلامة:

أَلاَ أيّها المهديُّ هَلْ أنْتَ مُخْبِري وإنْ أنتَ لم تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ سَائِلي
أَلَمْ تَرْحَمِ اللَّحْيَيْنِ مِنْ لِحْيَتَيْهِمَا وَكِلْتَاهُمَا في طولها غَيْرُ طائِلِ
وإنْ أَنْتَ لم تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ مُكْرِمي بِحَلْقِهِما مِنْ مُحْرِزٍ ومُقَاتِلِ
فإنْ يَأْذَنِ المَهْدِيّ لي فيهما أَقُلْ مَقَالاً كَوَقْعِ السيفِ بين المفاصل
وإلاّ تَدَعْني والهُمُومُ تَنُوبُني وَقَلْبي مِنَ العِلْجَيْنِ جَمُّ البَلابِلِ

فقال: أو آخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفدِيان بها أعراضهما منك؟

قال: ذلك إلىٰ أمير المؤمنين.

فأخذها له منهما، وأمسك عنهما.

هذا أمان لك من الغداء

دخل أبو العيناء على بعض الرؤساء بكرةً، فاستسقىٰ ماء، فقال له الرّجل: أفي هذا الوقت تعطش؟

قال أبو العيناء: أصلحك الله، هذا أمان لك من الغداء.

أبو دلامة يهجو نفسه

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسىٰ بن موسىٰ، والعباس بن محمد، ومحمد بن إبراهيم الإمام، وجماعة من بني هاشم. فقال له:

ـ أنا أعطي الله عهداً لئن لم تَهْجُ واحداً مِمّن في البيت لأقطعنّ لسانك.

فنظر إليه القوم، فكلّما نظر إلىٰ واحد منهم غمزه بأنّ عليه رضاه. قال أبو دلامة:

ـ فعلمت أنّي قد وقعت، وأنّها عزمة من عزماته لا بدّ منها، فلم أر أحداً أحقّ بالهجاء منّي، ولا أدعىٰ إلىٰ السلامة من هجاء نفسي، فقلت:

ألا أبْلِغْ إلَيْكَ أبا دُلامَهْ فَلَيْسَ مِنَ الكِرَام وَلاَ كَرَامَهْ
إذا لَبِسَ العِمَامَةَ كانَ قِرْداً وَخِنْزِيراً إذا نَزَعَ العِمَامَهْ
جَمَعْتَ دَمَامَةً وَجَمَعْتَ لُؤْماً كَذاكَ اللُّؤم تَتْبَعُهُ الدَّمَامَهْ

فَـإِنْ تَـكُ قَـدْ أَصَبْـتَ نَعِيـمَ دُنْيَـا ... فَـلاَ تَفْـرَحْ فَقَـدْ دَنَـتِ القِيَـامَـهْ

فضحك القوم ولم يبق أحد إلاّ أجازه.

غزل فقيه

قال عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أحد فقهاء المدينة في امرأة من هُذيل قدمت المدينة، ففتن بها الناس ورغبوا فيها خاطئين:

أُحِبُّـكِ حبّـاً لَـوْ عَلِمْـتِ بِبَعْضِـهِ ... لَجُـدْتِ ولـم يَصْعُـبْ عَلَيْـكِ شَـديـدُ

وَحُبُّـكِ يـا أمّ الـوليـد مُـوَلِّهِـي ... شَهِيـدي أبـو بَكْـرٍ فَنِعْـمَ شَهِيـدُ

وَيَعْلَـمُ وَجْـدِي قَـاسِـمُ بْـنُ محمـدٍ ... وَعُـرْوَةُ مـا أخْفِـي بكـم وسَعِيـدُ

وَيَعْلَـمُ مـا أَلْقـىٰ سُلَيْمـانُ عِلْمَـهُ ... وَخَـارِجَـةُ يُبْـدِي بنـا وَيُعِيـدُ

مَتَـىٰ تَسْـأَلـي عَمَّـا أَقُـولُ تُخَبَّـرِي ... فَلِلَّـهِ عِنْـدي طـارِفٌ وَتَلِيـدُ

الظبية بحاجة إلىٰ غزال

خطب ثمامة العوفيّ امرأةً، فسألت عن حرفته، فكتب إليها يقول:

وَسَـائلـةٍ عـن حِـرْفَتـي قُلْـتُ حِـرْفتـي ... مُقَـارَعَـةُ الأَبْطـالِ فـي كـلِّ مَـازِقِ

وَضَرْبي طُلَىٰ الأبطالِ بالسَّيْفِ مُعْلَماً ... إذا زحـف الصفّـانِ تحـت الخـوافِـقِ

فلمّا قرأت الشعر قالت للرسول:

ـ قل له: فديتك، أنت أسد، فاطلب لك لبوءة، فإنّي ظبية أحتاج إلىٰ غزال.

ما أرىٰ شيئاً

تراءىٰ هلال شهر رمضان لجماعة من الناس وفيهم أنس بن مالك وقد قارب المئة. فقال أنس: قد رأيته، هو ذاك.

فقال إياس: أشر إلىٰ موضعه.

فجعل أنس يشير إليه، ولا يرونه، ونظر إياس إلىٰ أنس فإذا بشعْرةٍ بيضاء من حاجبه قد انثنت فصارت على عينه، فمسحها إياس وسوّاها بحاجبه، ثم قال له: يا

أبا حمزة، أرنا موضع الهلال.

فجعل ينظر، ثم قال: ما أراه، ما أرىٰ شيئاً.

الورّاق المغفّل

رأىٰ أبو العيناء يوماً في الورّاقين منادياً مغفلاً في يده مصحف مخلق الأداة. فقال له: نادِ عليه بالبراءة من العيب، وأنا أعني به الأداة، فأقبل ينادي بالبراءة مما فيه، فأوقعوا به.

كيد النساء

قيل: إن امرأة كان لها عشيق، فحلف قائلاً:

ـ إن لم تحتالي حتىٰ أطأك بمحضر من زوجك لم أكلّمك.

فوعدته أن تفعل ذلك، فواعدها يوماً، وكان في دارهم نخلة طويلة، فقالت لزوجها:

ـ أشتهي أن أصعد هذه النخلة فأجتني من رطبها بيدّي.

فقال: افعلي.

فلمّا صارت في رأس النخلة أشرفت على زوجها وقالت:

ـ يا فاعل، من هذه المرأة التي معك؟ ويلك أما تستحي، تجامعها بحضرتي.

وأخذت تشتمه وتصيح، وهو يحلف لها أنّه وحده، وما معه أحد. فنزلت، فجعلت تخاصمه، ويحلف بطلاقها أنّه ما كان إلاّ وحده، ثم قال لها:

ـ اقعدي حتىٰ أصعد أنا.

فلمّا صار إلىٰ رأس النخلة استدعت صاحبها، فوطئها، فاطّلع الزوج، فرأى ذلك، فقال لها:

ـ جعلت فداكِ، لا يكون في نفسك شيء ممّا رميتني به فإنّ كلّ من يصعد هذه النخلة يرىٰ مثل ما رأيت.

القوّادة هي الأصل

اقترح بعضهم على جاريته أن تغنّي له:

سِــرِّي وسِــرُّكِ لــم يسمعهمــا أحــد إلاّ الإلٰــه وإلاّ أنــت ثــم أنــا

فقالت:

ـ يا سيّدي والقوّادة لا تنساها فهي الأصل.

رحمة

دعا أبو العيناء ضريراً يعشّيه، فلم يترك هذا الضرير شيئاً إلاّ أكله. فقال له أبو العيناء: يا هذا! دعوتُكَ رحمة، فصيّرتَني رحمة.

من مكارم الأخلاق

تقدّمت امرأة إلىٰ مجلس القاضي موسىٰ بن إسحاق بمدينة الريّ بدعوىٰ تطالب فيها زوجها بالمهر. فادّعىٰ وكيلها بأنّ لموكّلته على زوجها خمسمئة دينار. فأنكر زوجها. فقال القاضي لوكيل الزوجة: شهودك.

قال: أحضرتهم.

فطلب بعض الشهود أن ينظر إلىٰ المرأة ليشير إليها في شهادته. فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي.

فقال الزوج: ماذا تفعلون؟

قال الوكيل: ينظرون إلىٰ امرأتك، وهي مسفرة لتصحّ عندهم معرفتها.

فقال الزوج: وإنّي أُشهد القاضي أنّ لها عليّ هذا المهر الذي تدّعيه ولا تُسفر عن وجهها.

فردّت المرأة، وقد أخبرت بما كان من زوجها، فقالت:

ـ فإني أُشهد القاضي أنّي وهبت له هذا المهر وأبرأت ذمّته في الدنيا والآخرة.

فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق.

كنتُ أنا أكذب

شكت امرأة زوجها لدىٰ ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك، وهو قاضٍ، وادّعت مهرها ألف درهم. فقال:

ـ ألَكِ بيّنة؟

قالت: لا.

ـ فأُحلّفه لكِ؟

قالت: لا، إنّه فاجر، ولكن ابعثّ إلىٰ إسحاق بن سويد الفقيه، فسله أن يحلف عنه.

فأرسل إلىٰ إسحاق بن سويد. فلمّا حضر قال له:

ـ إحلف لهذه المرأة مالُها على زوجها ألف درهم.

فقال إسحاق: ما أنا وهذا؟

قال ثمامة:

ـ فيبطل حقّ هذه المرأة. لتحلفنّ لها أو لأحبسنّك.

فلم يحلف، فحبسه. فأتاه ابن سيرين فقال:

ـ لا ألومك على حبسك إسحاق، ولكن لِمَ ولّيت القضاء؟

قال: أكرهَني عليه السلطان.

قال: كنت تُعْلِمُه أنّك لا تحسنه.

قال: كنتُ أنا أكذِبُ.

هو والدّابة

حملَ أبا العيناء بعضُ الوزراء على دابّة فانتظر عَلَفَها فلمّا إبطأ عليه، قال أبو العيناء: أيّها الوزير، هذه الدّابة حَمَلْتَني عليها أو حَمَلْتَها عليّ؟

اللّه كريم

قال أبو العيناء لأعرابي: إنّ الله مُحاسِبُك!

فقال الأعرابي: سررتني، إنّ الكريم إذا حاسب تفضّل!

طمع أبي دلامة

قال أبو دلامة:

ـ كنت في عسكر مروان أيّام زحف إلىٰ سنان الخارجيّ. فلمّا التقىٰ الزحفان خرج منهم رجل فنادىٰ:

ـ من يبارز؟

فلم يخرج إليه أحد إلاّ أعجله ولم يُنَهْنِهْهُ. فغاظ ذلك مروان وجعل يندب الناس على خمسمئة، فقتل أصحاب الخمسمئة؛ فزاد مروان وندبهم على ألف، ولم يزل يزيدهم حتىٰ بلغ خمسة آلاف درهم. وكان تحتي فرس لا أخاف خونه؛ فلما سمعت بالخمسة آلاف ترقّبته واقتحمت الصفّ. فلمّا نظرني الخارجيّ علم أنّي خرجت للطمع؛ فأقبل إليّ متهيّئاً، وإذا عليه فرو قد أصابه المطر فابتلّ، ثم أصابته الشمس فتقبّض، وإذا عيناه تتقدان كأنّهما من غورهما في وقبين. فلمّا دنا منّي أنشأ يقول:

وخارجٍ أخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعْ فَرَّ مِنَ المَوْتِ وفي المَوْتِ وَقَعْ

مَنْ كانَ يَنْوي أهلَهُ فلاَ رَجَعْ

فلما وقرتْ في أذني انصرفت عنه هارباً، وجعل مروان يقول:

ـ من هذا الفاضح؟ إيتوني به.

فدخلت في غمار الناس فنجوت.

أمّه منه على جهد جهيد

قال أحدهم:

ـ كنت مجتازاً ببعض الطرقات، فإذا أنا بامرأتين، وكنت راكباً على أتان،

فضرطت، فقالت إحداهما للأُخرىٰ:

ـ ويْ، أتان الشيخ تضرط.

فغاظني قولها، فقلت لها:

ـ إنّه ما حملتني أنثىٰ قطّ إلاّ وضرطت.

فضربت بيدها على كتف الأُخرىٰ وقالت:

ـ كانت أمّ هذا منه تسعة أشهر على جهدٍ جهيدٍ.

أهذه صحفة أم قبر

مرّ أبو العيناء بموسىٰ بن المتوكّل، فقال له: انزل على ما حضر! فقدّم له صحفة بلحم، وخبزاً، فأدخل أبو العيناء يده، فقلبها، فما وقعت يده إلاَ على عظم، فقال: يا سيّدي! هذه صحفة أم قبر؟ فضحك موسىٰ، وأمر له بإحضار شيء آخر.

أبو دلامة والخارجيّ

عن أبي دلامة قال: أُتي بي المنصور أو المهديّ وأنا سكران، فحلف ليُخرجنّي في بعث حرب، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلّبي لقتال الخوارج.

فلمّا التقىٰ الجمعان قلت لروح:

ـ أما والله، لو أنّ تحتي فرسك، ومعي سلاحك لأثّرت في عدوّك اليوم أثراً ترتضيه.

فضحك وقال: والله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك، ولآخذنك بالوفاء بشرطك.

ونزل عن فرسه، ونزع سلاحه، ودفعهما إليّ، ودعا بغيرهما فاستبدل بهما. فلمّا حصل ذلك في يدي، وزالت عنّي حلاوة الطمع، قلت له:

ـ أيّها الأمير، هذا مقام العائذ بك، وقد قلت بيتين فاسمعهما.

قال: هات.

فأنشدته:

إنّي استجرتُكَ أن أُقدَّمَ في الوَغَىٰ   لِتَطَاعُنٍ وَتَنَازُلٍ وضِرابِ

فَهَبِ السُّيُوفَ رأيتُها مَشْهُورةً فَتَرَكْتُها وَمَضيتُ في الهرّابِ
ماذا تقولُ لما يجيءُ وَمَا يُرىٰ مِنْ وارداتِ المَوْتِ في النُّشّابِ

فقال: دع عنك هذا وستعلم.

وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة، فقال:

اخرجْ إليه يا أبا دلامة.

فقلت: أنشدكَ الله أيّها الأمير في دمي.

قال: والله لتخرجنّ.

فقلت: أيها الأمير فإنّه أوّل يوم من الآخرة، وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما شبِعَتْ منّي جارحة من الجوع، فمرْ لي بشيء آكله، ثم أخرج.

فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف. فلمّا رآني الخارجيّ أقبل نحوي، عليه فرو قد أصابه المطر فابتلّ، وأصابته الشمس فتقبّض، وعيناه تتّقدّان، فأسرع إليّ. فقلت له:

ـ على رسلك يا هذا كما أنت.

فوقف، فقلت: أتقتل من لا يقاتلك؟

قال: لا.

قلت: أتقتل رجلاً على دينك؟

قال: لا، فاذهبْ عنّي إلىٰ لعنة الله.

قلت: لا أفعل أو تسمع منّي.

قال: قُلْ.

قلت: هل كانت بيننا قط عداوة أو ثأر، أو تعرفني بحالٍ تُحفظك عليّ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وِتْرٌ؟

قال: لا، والله.

قلت: ولا أنا، والله، ما لك إلاّ جميل الرأي، وإنّي لأهواك وأنتحل مذهبك، وأدين دينك، وأريد السوء لمن أراده لك.

قال: يا هذا، جزاك الله خيراً، فانصرفْ.

قلت: إنّ معي زاداً أحبّ أن آكله معك، وأحبّ مواكلتك لتتوكّد المودّة بيننا، ويرىٰ أهل العسكر هوانهم علينا.

قال: فافعلْ.

فتقدّمتُ إليه حتّىٰ اختلفتْ أعناق دوابّنا، وجمعنا أرجلنا على معارفها، والناس قد غُلبوا ضحكاً. فلمّا استوفينا ودّعني.

ثم قلْت له: إنّ هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فَتُتْعِبُنِي وتتعب، فإن رأيت ألاّ تبرز اليوم فافعل.

قال: قد فعلت.

ثم انصرف وانصرفت.

فقلت لروح: أمّا أنا فقد كفيتك قرني، فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك. فأمسك. وخرج آخر يدعو إلىٰ البراز فقال لي: اخرجْ إليه.

فقلت:

إنّــي أَعُــوذُ بِــرَوْحٍ أن يُقَــدِّمَنــي ... إلـىٰ البـراز فَتَخْـزَىٰ بـه بنـو أسـدِ
إنّ البــراز إلــىٰ الأَقْــرانِ أعلَمُــه ... ممّـا يُفَـرِّقُ بيـن الـرُّوحِ والجسـدِ
قَدْ حالفتكَ المنايا إذْ صَمَدْتَ لها ... وأصْبَحتْ لجميع الخلق بالـرَّصَدِ
إنّ المهلّـب حُـبَّ المَـوْتِ أوْرَثكـم ... وما وَرِثْتُ اخْتِيَارَ الموتِ عنْ أحَدِ
لو أنّ لي مُهْجةً أُخرىٰ لَجُدْتُ بها ... لٰكِنّهـا خُلِقَـتْ فَـرْداً فلـم أجُـدِ

فضحك وأعفاني.

أبو دلامة والسيّد

عن علي بن إسماعيل قال:

ـ كنت أسقي أبا دلامة والسيّد، إذ خرجت بنت لأبي دلامة، فقال فيها أبو دلامة:

فمـا وَلَـدَتْـكِ مـريـم أم عيسـىٰ ... ولا ربّـاك لُقْمَـانُ الحَكِيـمُ

أَجِزْ يا أبا هاشم.

فقال السيّد:

ولكـــنْ قَـــدْ تضُمُّـــكِ أمُّ سَـــوْءٍ إلـــىٰ لَبَّـــاتِهـــا وأبٌ لَئِيـــمُ

فضحك لذلك؛ ثم غدا أبو دلامة إلىٰ المنصور، فألقاه في الرحبة يصلح فيها شيئاً يريده، فأخبره بقصّة بنته، وأنشده البيتين، ثم اندفع بعدهما:

لو كانَ يَقْعُدُ فوقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَـومٌ لَقِيـلَ ٱقْعُـدُوا يـا آلَ عبّـاسِ
ثم ٱرْتَقُوا في شُعَاعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمُ إلـىٰ السَّمـاءِ فـأَنْتُـمْ أطْهَـرُ النـاسِ
وَقَـدِّمُـوا القـائـمَ المَنْصُـورَ رَأْسَكُـمُ فالعَيْنُ والأنْفُ والأذنَانِ في الراسِ

فاستحسنها، وقال له:

- بأيّ شيء تحبّ أن أعينك على قُبْح ابنتك هذه؟

فأخرج خريطة كان قد خاطها من الليل، فقال:

- تملأ لي هذه دراهم.

فَمُلئت فوسعت أربعة آلاف درهم.

يدخل سورة في سورة

روىٰ الجاحظ:

مررت بمعلّم وقد كتب لغلام ﴿وإذْ قَالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وهو يعظه، **يا بنيّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ على إخْوتِك فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً، وأَكيدُ كَيْداً. فَمَهِّلِ الكافِرِينَ أمْهِلْهُمْ رُوَيْداً**﴾، فقلت له:

- ويحك! فقد أدخلت سورة في سورة!

قال: نعم، إذا كان أبوه يدخل شهراً في شهر، فأنا أدخل سورة في سورة، فلا آخذ شيئاً، ولا ابنه يتعلّم شيئاً.

أوَ كُنْتَ ضاربي

كان المنصور يحبّ العبث بأبي دلامة، فسأل عنه بعد انقطاع، فقيل له:

- إنّه منقطع إلىٰ عَبَثِهِ في بيوت الخمارين.

فأمر حاجبه أن يوكل به من يحضره الصلوات معه. ففعل. فشقّ ذلك على أبي دلامة، وقال:

يكلّفني من بعدِ ما شِبْتُ تَوْبَةً يحطُّ بها عنّي المثاقيلَ مِنْ وِزْري
لقد كان في قومي مَسَاجِدُ جمّةٌ ولم يَنْشَرِحْ يَوْماً لغشيانها صدري
واللّـه ما لي نيّةٌ في صلاته ولا البرّ والإحْسانُ والخيرُ منْ أمري
وما ضرّهُ واللّه يَغْفِرُ ذنبَهُ لَوَ أنَّ ذُنُوبَ العالمين على ظهري

فبلغت الأبيات أبا جعفر فضحك، وأمر بإحضاره، فلمّا حضر قال:

ـ ما هي قصّتك؟

قال: دفعت إلىٰ أبي أيوب رقعة مختومة أسأل فيها إعفائي من لزوم ما أمر أمير المؤمنين به.

فقال له أبو جعفر: اقرأها.

قال: ما أحسن أن أقرأ.

وعلم أنّه إن أقرّ بكتابته لها يحدُّه بذكره الصلاة، وتعريضه بها؛ فلمّا رآه يحيد عن ذلك قال له:

يا خبيث، أما لو أقررت لضربتك الحدّ.

ثم قال: لقد أعفيتك من لزوم المسجد.

فقال أبو دلامة: أوَكنتَ ضاربي يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم.

قال: مع قول الله عزّ وجلّ: ﴿**يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ**﴾.

طبق أشعب

وقف أشعب على امرأة تعمل طبق خوص، فقال:

ـ لتكَبِّريه.

فقالت: لِمَ؟ أتريد أن تشتريه؟

قال: لا، ولكن عسىٰ أن يشتريه إنسان، فيُهديه إليّ، فيكون كبيراً خير من أن يكون صغيراً.

ما تصنعين بالسراج؟

قال أحدهم: خرجت ليلة من قرية لبعض شأني، فإذا أنا بامرأة عمياء تحمل على عاتقها جرّة، وبيدها سراج، فلم تزل تسير حتىٰ وصلت إلىٰ النهر، وملأت جرّتها، وعادت. فقلت لها:

ـ يا هذه! أنت عمياء، والليل والنهار عندك سواء، فما تصنعين بالسراج؟

قالت: يا كثير الفضول، حملته لأعمىٰ القلب مثلك يستضيء به، لئلاّ يعثر في الظلمة، فيقع عليّ ويكسر جرّتي.

حطبنا رطب

وقف سائل على باب، وكانت صاحبة الدار تبول في البالوعة، فسمع السائل صوت بولتها، فظنّه نشيش المقلىٰ، فقال:

ـ أطعمونا من هذا الذي تقلونه.

فضرطت المرأة وقالت:

ـ حطَبُنا رطب ليس يُشعل.

ردّ الهدهد على سليمان

دخل أبو العيناء على إسماعيل القاضي، وأخذ يردّ عليه إذا غلط في اسم رجل وكنية آخر، فقال له بعضُ من حضر: أتردّ على القاضي أعزّه الله؟

قال: نعم لـمَ لا أردّ على القاضي وقد ردّ الهدهدُ على سليمان، وقال: أحطت بما لم تُحِطْ به، وأنا أعلمُ من الهدهد، وسليمان أعلمُ من القاضي.

ردّه أقبح من خلقته

قال أبو العيناء في ابن حمدان: لئن فضحته القدرة لقد جمّلته النكبة. وقال لموسىٰ بن فرخشاه: الحمد لله الذي أذلّ عزّتك وأذهب سطوتك، وأزال مقدرتك، فلئن أخطأت فيك النّعمة لقد أصابت فيك النّقمة، ولئن كانت الدّنيا أبدت مقابحها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك. فقيل له: يا أبا عبد الله لقد بالغتَ في السبّ، فما كان الذنب؟ قال: سألتُهُ حاجةً أقلَّ من قيمته، فردّني عنها بأقبح من خلْقته.

التِّسع الخِصَال لك

قال رجل لأشعب: لو تحدّثت عندي العشيّة.

فقال: أكره أن يجيء ثقيل.

فقال الرجل: ليس غيرك وغيري.

قال: فإذا صلّيت الظهر فأنا عندك.

فصلّىٰ وجاء، فلمّا وضعت الجارية الطعام إذا بصديق للرجل يدقّ الباب، فقال:

ـ ألا ترىٰ قد صرت إلىٰ ما أكره؟

قال الرجل: إنّ عندي فيه عشر خصال.

قال: فما هي؟

قال: أوّلها أنّه لا يأكل ولا يشرب.

قال: التسع الخصال لك.

ما أساء من أنصف

دخل أبو دلامة على سعيد بن دعلج مولىٰ بني تميم، فقال:

إذا جِئْـتَ الأميـرَ فَقُـلْ سَـلامٌ   عَلَيْـكَ وَرَحْمَـةُ اللّـهِ الـرَّحيـمِ

وأمّـا بَعْـدَ ذاكَ فَلِـي غَـرِيـمٌ   مِـنَ الأعْـرابِ قُبِّـحَ مِـنْ غَـرِيـمِ

غَـــريـــمٌ لازِمٌ بِفِنَـــاءِ بَيْتـــي ... لـزوم الكَلْـبِ أصْحَـابَ الـرقيـمِ
لـــه مِئَـــةٌ عَلَـــيَّ ونِصْـــفُ ... النِّصْـــفِ فـــي صَـــكٍّ قَـــديـــمِ
دَرَاهِـــمُ مـــا ٱنْتَفَعْـــتُ بهـــا ولكـــن ... وَصَلْـــتُ بهـــا شُيُـــوخَ بَنـــي تَمِيـــمِ
أتَـــوْنـــي بـــالعَشِيـــرةِ يَسْـــألُـــونـــي ... وَلَـــمْ أكُ فـــي العَشِيـــرَةِ بـــاللَّئِيـــمِ

فضحك، وأمر له بمئتين وخمسة وسبعين درهماً، وقال:

ـ ما أساء من أنصف، وقد كافأتك عن قومك، وزدتك مئة.

أبو دلامة والنخّاس

مرّ أبو دلامة بنخّاس يبيع الرقيق، فرأىٰ عنده منهنّ من كُلّ شيء حسن، فانصرف مهموماً فدخل إلىٰ المهديّ فأنشده:

إن كُنْتَ تَبْغي العَيْشَ حُلْواً صافياً ... فـالشِّعْـرَ أغْـزِبْـهُ وَكُـنْ نَخَّـاسَـا
تَنَـلِ الطَّـرَائِـفَ مِـنْ ظِـرافٍ نُهَّـدٍ ... يُحْـدِثْـنَ كُـلّ عَشِيّـةٍ أعْـراسَـا
والـربـحُ فيمـا بَيْـنَ ذلـكَ رَاهِـنٌ ... سَمْحـاً بِبَيْعِـكَ كنـت أوْ مكّـاسـا
دَارَتْ علـى الشُّعَـراء حِـرْفَـةُ نَـوْبَـةٍ ... فَتَجَـرَّعُـوا مِـنْ بَعْـدِ كـأسٍ كـاسَـا
وَتَسَـرْبَلْـوا قُمُـصَ الكَسَـادِ فَحَـاولُـوا ... بـالنَّخْـسِ كَسْبـاً يُـذْهِـبُ الإفـلاسـا

فجعل المهدي يضحك منه.

تهديد بالعافية

قدم محمّد بن مكرم من الجبل، فقال له أبو العيناء: ما لك لم تُهْدِ إلينا شيئاً؟

فقال ابن مكرم: والله ما قدمتُ إلاّ في خُفّ.

قال: كذبت، ولو قدمتَ في خُفّ خفّت روحك.

وأكثر عليه أبو العيناء من المهاترة. فقال: إن زدتَ عليّ قمت.

قال أبو العيناء: أراك تتهدّدنا بالعافية؟!

أبو الشمقمق والبغال

قال أبو الشمقمق في حب ركوب البغال، وكان قال له رجلٌ «أخبرني عن اسمك وبلدك ونسبك وشهوتك». قال: أما اسمي ونسبي، فأنا مروان بن محمد، مولىٰ مروان بن محمد، وأما بلدي فالبصرة، وأما شهوتي فالنبيذ على اللحم السمين!»، وأنشد:

مناي من دنياي هاتي التي ... تسلح بالرزق على غيري
الجردق الحاضر مع بضعة ... من ماعز رخص ومن طير
وجرةٌ تهدر ملآنة ... تحلي قراة القَسِّ في الدير
وجبة دكناءُ فضفاضة ... وطيلسان حَسَنُ النير
وبغلة شهباء طيارة ... تطوي لي البلدان في السير
وقينة حسناء ممكورة ... يصرعها الشوق إلىٰ خيري
وبدرة مملوءة عسجداً ... ما بالذي أذكر من ضير
ومنزل في خير ما جيرة ... قد عرفوا الخير والمير
وصاحب يلزمني دهره ... مثل لزوم الكَيس للسير
مساعد يعجبني فهمه ... مرتفع الهمةِ في الخير
كم من فتىً تبصر ذا هيئةٍ ... أبلد في المجلس من عيرِ

وذكر أيضاً البغال، فقال:

ما أراني إلاّ سأترك بغدا ... دَ وأهوىٰ لكورة الأهواز
حيث لا تنكر المعارفُ واللـ ... ـهوُ وشرب الفتىٰ من التقماز
وجوارٍ كأنهنَّ نجوم الـ ... ـليل زُهر مثل الظباء الجوازي
واضحات الخدود أدم وبيض ... فتنات مثل من الإعجاز
بن عوّادة وأُخرىٰ يَصنْج ... في بساتينها وفي الأحواز
ذاك خير من التردد في بغـ ... ـداد تنزو بي البغال النوازي
كل يوم في كُمَّةٍ وقميص ... ورداء من الغبار طرازي

لـم يحكـه النسـاج يـومـاً لبيـع لا ولا يشتـــرى مـــن البـــزَّاز
أخـذت أهلهـا الشيـاطيـن بـالـركـ ـضِ لطـول الشقـاء والإعـواز
كـل شيـخ تخـالُـهُ حيـن يبـدو فـوق بـرذونـه كشخـص حجـازي
وجمـل الغسيـل اعنـي ابـن محفـو ظٍ عـدو النـدى وسلـم المخـازي
ألفــت إستُــهُ القبــائــل حتــىٰ مـــا تشكَّــىٰ للطعــن بـــالعكــاز
يـأخـذُ الأسـود الـذي يفـرق الحَـوَّ اءُ منـــه كـــدستـــج المنحــاز
ليـث غـاب بـدبـره حيـن يلقـىٰ وجبـانٌ فـي الحـرب يـوم البـراز
بعـــــدت داره فــــلا ردَّه اللـ ـــهُ ولا زال نـائـي الـدار سـازي
ذاك شخـص بـــه علــيَّ هـــوانٌ كهـــوان الحُصَـــىٰ علـــى الخَبَّـــاز

المهدي وجاريته

دخل المهدي إلىٰ بعض حُجر الحرم فنظر جارية تغتسل؛ فلمّا رأته خجلت، ووضعت يدها على فرجها، فأنشأ يقول:

نَظَـــرَتْ عَيْنـــي لِحَيْنـــي

ثم امتنع عنه، فقال:

ـ من بالباب من الشعراء؟

فقيل له: بشار.

فأذن له فدخل، فقال له: أجز:

نَظَـــرَتْ عَيْنـــي لِحَيْنـــي

فقال بشار:

نَظَـــرَتْ عَيْنـــي لِحَيْنـــي نظـــراً وافَـــق شَيْنـــي
سَتَـــرَتْ لَمَّـــا رأَتْنـــي دُونَـــهُ بـــالـــراحَتَيْـــنِ
فضلـــتْ منـــه فُضُـــولٌ تحـــت طـــيّ العكنتيـــن

فقال له المهدي:

ـ قبّحك الله، ويحك! أكنت ثالثنا؟ ثم ماذا؟

فقال:

فَتَمَنَّيْتُ وَقَلْبي ... لِلْهَوىٰ في زَفْرَتَيْنِ
أنني كُنْتُ عليه ... سَاعَةً أو سَاعَتَيْنِ

فضحك المهدي، وأمر له بجائزة.

شهادة أبي دلامة

شهد أبو دلامة لجارة له عند أبي ليلىٰ على أتان نازعها فيها رجل. فلمّا فرغ من الشهادة قال:

ـ اسمع ما قلت فيك قبل أن آتيك، ثم اقضِ ما شئت.

قال: هاتِ.

فأنشده:

إنِ الناسُ غطّوني تَغَطَّيْتُ عَنْهُمُ ... وإنْ بَحَثوا عنّي ففيهم مباحِثُ
وإنْ حَفَرُوا بِئْرِي حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ ... لِيُعْلَمَ يَوْماً كيفَ تِلْكَ النبائِثُ

ثم أقبل على المرأة فقال:

ـ أتبيعينني الأتان؟

قالت: نعم.

قال: بكم؟

قالت: بمئتي درهم.

قال: ادفعوها إليها.

ففعلوا؛ وأقبلوا على الرجل فقال: قد وهبتها لك.

وقال لأبي دلامة:

ـ قد أمضيتُ شهادتك، ولم أبحث عنك، وابتعتُ ممّن شهدتَ له، ووهبتُ ملكي لمن رأيتُ. أرَضِيتَ؟

قال: نعم.

وانصرف.

جواب بليغ

قال المتوكّل لأبي العيناء: ما أشدّ ما عليك في ذهاب بصرك؟

قال: ما حرمته، يا أمير المؤمنين، من رؤيتك، مع إجماع الناس على جمالك

يلقاه بما يشبهه

قال رجل لأبي العيناء:

ما أَنتن إبطك!

قال: نلقاك، أعزّك الله، بما يشبهُكَ.

يقول: كلاهما

سئل أبو العيناء عن رجلين فقال: هما الخمر والميسر، إثمهما أكبر من نفعهما!

وتفاخر رجلان في الكلام وتراضيا بأبي العيناء فحكّماه فقال: أنتما كما قال الشاعر:

حمارا عباديٍّ إذا قيل: نَبِّنا ... بِشَرِّهما يوماً، يقول: كلاهما!

...وأنت في عافية

قرأ إمام: «ولا الظالين» (بالظاء المعجمة). فرفسه رجل من خلفه، فقال الإمام:

ـ آه ضَهْري.

فقال له الرجل: يا كذا وكذا، خذ الضاد من «ضهرك» واجعلها في «الظالين»، تكن في عافية.

جئتك مستجدياً لا مستفتياً

دخل أعرابيّ على المأمون، وقال له:

ـ يا أمير المؤمنين، أنا رجل من الأعراب.

قال المأمون: لا عجب.

قال: إنّي أريد الحجّ.

قال: الطريق واسعة.

قال: ليس معي نفقة؟

قال: سقط عنك الحجّ.

قال: أيها الأمير جئتك مستجدياً لا مستفتياً.

فضحك المأمون ووصله.

الحموضة تمحو حلاوة الإيمان

دخل أبو العيناء يوماً على المتوكّل، فقُدِّم إليه طعام، فغمسَ أبو العيناء لقمته في خَلٍّ كان حاضراً وأكلها فتأذّىٰ بالحموضة، وفطن المتوكّل له فجعل يضحك، فقال أبو العيناء: لا تلمني يا أمير المؤمنين، فقد محت حلاوة الإيمان من قلبي.

ألبسك الله العافية

مرض الأعمش، فعاده رجل، وأطال الجلوس، ثم قال:

ـ يا أبا محمّد، ما أشدّ ما مرّ بك في علّتك هذه؟

قال: دخولك عليّ.

وعاده آخر فقال: كيف تجدك؟

قال: في جهد من رؤيتك.

قال: ألبسك الله العافية.

قال: نعمة منك.

لا أدري

نظر المأمون إلىٰ غلام حسن الوجه، فقال له: يا غلام، ما اسمك؟

قال الغلام: لا أدري.

قال: أوَ يكون أحد لا يعرف اسمه؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، اسمي الذي أُعرف به «لا أدري».

سلاماً سلاماً

كان إبراهيم بن المهدي شديد الانحراف على الإمام عليّ (ع). وذات يوم حدّث المأمون بأنّه رأىٰ عليّاً في المنام.

قال: فمشينا حتىٰ جئنا قنطرة، فذهب يتقدّمني لعبورها، فأمسكته وقلت له: إنّما أنت تدّعي الأمر بامرأة، ونحن أحقّ به منك، فما رأيت له في الجواب بلاغة كما يروىٰ عنه.

فقال المأمون.

ـ وماذا قال:

قال: ما زادني على قوله: سلاماً سلاماً.

فقال المأمون: لقد أجابك، والله، أبلغ جواب، فعرّفك أنّك جاهل، وقد جاء في القرآن الكريم **﴿وإذا خَاطَبَهُمْ الجاهِلُونَ قالُوا سلاماً﴾** فخجل إبراهيم وسكت.

كم تذبح يا أبا دلامة

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده:

أَمَا وَرَبِّ العادياتِ ضَبْحَا ... حَقّاً وَرَبِّ المُورِياتِ قَدْحَا

إنّ المُغيراتِ عَلَيَّ صُبْحا ... والناكِئاتِ من فؤادي قَرْحَا

عَشْرُ ليالٍ بَيْنَهُنَّ ضَبْحا ... يَجْلُفْنَ مالي كُلَّ عامٍ صُبْحَا

فقال له أبو جعفر: وكم تذبح يا أبا دلامة؟

قال: أربعاً وعشرين شاةً.

ففرض على كلّ هاشميّ أربعة وعشرين ديناراً، فكان يأخذها منهم. فأتىٰ العبّاس بن محمد في عَشْر الأضحىٰ يتنجّزها، فقال:

ـ يا أبا دلامة، أليس قد مات ابنك؟

قال: بلىٰ.

قال: انقصوه دينارين.

قال: أصلح الله الأمير، لا تفعل، فإنّه ترك عليّ ولدين.

فأبىٰ إلاّ أن ينقصه، فخرج وهو يقول:

أخْطَـاكَ مـا كُنْـتَ تَـرْجُـو وتَـأْمُلُـهُ ... فاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنَ العباس بالياس

وَٱغْسِـلْ يَـدَيْـكَ بـأشْنَـانٍ فَـأنْقِهمـا ... مِمّـا تـؤمِّـلُ مِـن مَعْـرُوفِ عبّـاسِ

جَـزَاكَ ربُّـكَ يـا عَبَّـاسُ عَـنْ فَـرَجٍ ... جَنَّـاتِ عَـدْنٍ وَعَنّـي جُـرْزَتَـي آسَ

فبلغ ذلك أبا جعفر، فضحك، واغتاظ العبّاس، وأمره أن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أُخرىٰ . . .

العناية والشكر

حدّث أبو العيناء، قال: كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي: أريد الخروج إلىٰ فلان العامل، وأحببتُ أن تكون معي إليه وسيلة، وقد سألتُ مَن صديقه، فقيل لي: أبو عثمان الجاحظ، وهو صديقك، فأحبّ أن تأخذ لي كتابه إليه بالعناية.

قال: فصرتُ إلىٰ الجاحظ، فقال لي: في أيّ شيء جاء أبو عبد الله؟ فقلتُ: مُسلّماً وقاضياً الحقَ، وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا. فقال: لا تشغلنا الساعة عن المحادثة، فإنّي في غد أوجّه إليك بالكتاب.

فلمّا كان من الغد وجّه إليّ بالكتاب مختوماً فقلت لابني: وجّه هذا الكتاب إلىٰ فلان، ففيه حاجته، فقال لي: إنّ أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن تفضّه وتنظر ما فيه، ففعل فإذا في الكتاب: «كتابي إليك مع مَن لا أعرفه، وقد كلّمني فيه مَن لا أوجب حقّه، فإن قضيت حاجته، لم أحمدْكَ، وإن رددته لم أذممْك».

فلمّا قرأت الكتاب مضيت من فوري إلىٰ الجاحظ، فقال: يا أبا عبد الله، قد

علمتُ أنّك أنكرت ما في الكتاب، فقلتُ: أو ليس موضع نكرة؟ فقال: لا، هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعتني به. فقلتُ: لا والله، ما رأيتُ رجلاً أعلم بطبعك وما جُبلت عليه من هذا الرجل ـ أعني صاحب الحاجة ـ أعلمت أنّه لمّا قرأ الكتاب قال: أمّ الجاحظ عشرة آلاف، وأمّ من يسأله... فقلتُ: يا هذا أتشتم صديقاً؟ فقال: هذه علامتي فيمن أشكره!

يخاف أن يموت من الفرح

شكا رجلٌ امرأته إلىٰ أبي العيناء، فقال له أبو العيناء: أتحبُّ أن تموت هي؟

قال: لا والله الذي لا إله إلاّ هو.

قال: لمَ، ويحك، وأنتَ معذّب بها؟

قال: أخشىٰ، والله، أن أموت من الفرح.

كيف عقل الوالدة

قال ابن مكرم: ما أحد أعقل من مغنّية تأكل وتشرب وتتلذّذ وتأخذ دراهم! فقال له أبو العيناء: فكيف عقل الوالدة حفظها الله؟

المهدي والأعرابيّ

خرج المهديَ يتصيّد، فغار به فرسه حتىٰ وقع في خباء أعرابيّ فقال له:

ـ يا أعرابيّ، هل من قِرىً؟

قال: إن احتملت الموجود قَرَبناه لك.

قال: هاتِ ما عندك.

فأخرج له قرص شعير، فأكله، ثمّ أخرج له فضلة من لبن، فسقاه، ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه قدحاً، فقال المهديّ: أتدري من أنا؟

فقال الأعرابيّ: لا، واللّهِ!

قال: أنا من خدم الأمير.

فقال الأعرابيّ: بارك الله في موضعك.

ثمّ سقاه قدحاً آخر، فشرب، فقال: يا أعرابيّ، أتدري مَنْ أنا؟

قال: نعم، زعمت أنّك من خدم أمير المؤمنين.

قال: لا، أنا أحد قوّاد أمير المؤمنين.

قال: رَحُبت دارك وطاب مزارك.

ثم سقاه ثالثاً، فلمّا شرب قال:

ـ أتدري من أنا؟

قال: زعمت أنّك أحد قوّاد أمير المؤمنين.

قال: لا، أنا أمير المؤمنين.

فأخذ الأعرابي ركوته، فوضعها جانباً، فقال المهدي: اسْقِنا.

قال: لا والله. سقيناك قدحاً فزعمت أنّك من خدم الأمير، فاحتملناها لك، ثم سقيناك آخر فزعمت أنك أحد قوّاد الأمير، فاحتملناها لك، ثم سقيناك ثالثاً فزعمت أنّك أمير المؤمنين، فما آمن، والله، إن سقيتك الرابع أن تقول: إنّك رسول الله.

فضحك المهدي. ثم ما لبث أن أحاطت به الخيل، ونزل إليه أبناء الملوك والأشراف، فطارت نفس الأعرابيّ خوفاً. فقال له المهدي: لا بأس عليك!

وأمر له بصلة وكسوة.

صفة الخمر

أنشد عكاشة بن عبد الصمد المهديّ قوله في الخمر:

حَمْـــراءُ مِثْــلُ دَمِ الغَـــزَالِ وَتـــارَةً   عِنْـــدَ المِـــزَاجِ تخـــالهـــا زريـــابـــا

فقال المهديّ:

ـ لقد أحسنت في وصفها إحسان من قد شربها، ولقد استحققت بذلك الحدّ.

فقال عكاشة: أيؤمّنني أمير المؤمنين حتىٰ أتكلّم بحجّتي؟

قال المهديّ: أمّنتك.

قال عكاشة: وما يدريك يا أمير المؤمنين أنّي أحسنت وأجدت وصفها إن كنت لا تعرفها؟

فقال المهديّ: اغربْ قبّحك الله.

سَلْه هل هو منك

قال أبو العيناء: ما أخجلني قطّ إلاّ رجل دخل إليّ وقد وُلد لي مولود وعندي منجِّم يعمل مولده، فقال: أيّ شيءٍ يعمل هذا المنجّم؟ فقلتُ: يعمل مولّداً لابني هذا، فقال: سَلْهُ قبلُ هل هو منك؟

ذمّ

ذمّ أبو العيناء رجلاً فقال: له ضحك كالبكاء، وتودّد كالسِّباب والافتراء، ونوادر كندب الموتىٰ.

اخْتَرْ كما تريد

أراد نوح ابن أبي مريم أن يزوّج ابنته، فاستشار جاراً له مجوسيّاً، فقال المجوسي:

ـ سبحان الله! الناس يستفتونك، وأنت تستفتيني؟

قال: لا بدّ أن تشير عليّ.

فقال: إنّ رئيس الفرس كسرىٰ كان يختار المال، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال، ورئيس العرب كان يختار الحسب والنسب، ورئيسكم محمّد (ص) كان يختار الدين، فانظر لنفسك بمن تقتدي.

المهديّ وسلمة ومهر أبي دلامة

دخل أبو دلامة على المهديّ، وبين يديه وصيفه «سَلَمة» واقفاً.

فقال:

ـ إنّي أهديت إليك يا أمير المؤمنين مهراً رشيقاً ليس لأحد مثله. فإن رأيت أن تشرّفني بقبوله.

فأمر بإدخاله عليه.

فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته، فإذا به حمار محطّم أعجف هرم يسير بصعوبة. فقال المهدي:

ـ أيّ شيء هذا ويلك!! ألم تزعم أنّه مهر؟!

فقال له:

ـ أوَ ليس هذا سَلَمَة بين يديك قائماً تسمّيه الوصيف، وله ثمانون سنة، فإن كان سلمة وصيفاً فهذا مهر.

فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك.

أتعجّب من رضا أمّي بك

خرج الأعمش يوماً وهو يضحك، فقال لأصحابه:

ـ أتدرون لماذا أضحك؟

قالوا: لا.

قال: كنت قاعداً في البيت، فجعلت ابنتي تنظر في وجهي، فقلت: يا بنيّة ما تنظرين في وجهي؟

قالت: أتعجّب من رضا أمّي بك!!

سُرق حماره

دخل أبو العيناء على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير يوماً فقال له: ما الذي أخّرك عنا يا أبا العيناء؟

فقال: سُرق حماري.

فقال: وكيف سُرق؟

قال: لم أكن مع اللصّ فأُخبرك.

قال: فهلاّ أتيتنا على غيره؟

قال: قعد بي عن الشّراء قلّة يساري وكرهتُ ذلّة المُكاري، ومِنّة العَواري.

... ولكِ دينار واحد

جاءت إلىٰ المأمون امرأة فقالت:

ـ يا أمير المؤمنين، مات أخي، وخلّف ستمئة دينار، فأعطوني ديناراً، وقالوا: هذا نصيبك.

فقال المأمون: هذا خلّف أربع بنات.

قالت: نعم.

قال: لهنّ أربعمئة دينار؛ وخلّف والدة؟

قالت: نعم.

قال: لها مئة دينار؛ وخلف زوجة لها خمسة وسبعون ديناراً؛ بالله ألَكِ اثنا عشر أخاً؟

قالت: نعم.

قال: لكلّ واحد ديناران، ولك دينار واحد.

برَّدها الله بشعرك

اجتمع أبو هِفّان وأبو العيناء على مائدة، فقدّمت إليهم فالوذَجة، فقال أبو هِفّان لأبي العيناء: هذه، والله، أشدّ حرّاً من مكانك في لَظىٰ.

فقال أبو العيناء: برّدها اللّهُ بشِعرك.

أيّهما أطيب

اختلف الرشيد وأمّ جعفر في اللوزينج والفالوذج أيّهما أطيب، فمالت زبيدة إلىٰ تفضيل الفالوذج، ومال الرشيد إلىٰ تفضيل اللوزينج. فتراهنا على مئة دينار.

فأحضرا أبا يوسف القاضي، وقالا له:

ـ يا يعقوب، قد اختلفنا في كذا على كذا وكذا، فاحكم فيه.

فقال: يا أمير المؤمنين ما يُحكم على غائب.

فأمر الرشيد بإحضارهما، فجعل يأكل من هذا مرّة، ومن هذا مرّة، وتحقّق إنْ حكم للرشيد لم يأمن غضب زبيدة، وإنْ حكم لزبيدة لم يأمن غضب الرشيد. فلم يزل يأكل حتىٰ قضىٰ عليهما تماماً، ثم قال للرشيد:

ـ يا أمير المؤمنين، ما رأيت خَصْمَين أجدل منهما، كلّما أردت أن أسجّل لأحدهما، أدلىٰ الآخر بحجّته، وعطّل الحكم.

فضحك الرشيد وأعطاه المئة دينار، وانصرف.

تعزية بليغة

عزّىٰ أبو العيناء رجلاً بامرأته فقال: تقديم الحُرمة من جزيل النّعمة. فأنت إلىٰ التّهنئة بالنّعمة في هذه المصيبة أولىٰ منك بالتّعزية، فالحمد لله الذي جعل لك أجرها، ولم يجعلك لها ثواباً، وإن عظم الفقدُ لطول الأُنس والصحبة، فثواب الله أعظم وأجزل.

الرشيد الشاعر

قيل: نظم هارون الرشيد بيتاً من الشعر ليلاً، وأراد أن يشفعه بآخر، فامتنع القول عليه، فقال:

ـ عليّ بالعباس بن الأحنف.

ولما طرق عليه ذُعر وفزع أهله. ولمّا وقف بين يدي الخليفة قال له:

ـ وجهت إليك بسبب بيت قلته ورمت أن أشفعه بمثله فامتنع القول عليّ.

فقال: يا أمير المؤمنين، دعني حتىٰ ترجع إليّ نفسي، فإنّي تركت عيالي على حال من القلق عظيمة، ونالني من الخوف ما يتجاوز الحدّ والوصف.

وبعد هنيهة أنشده:

جِنَانٌ قَدْ رَأَيْنَاهَا وَلَمْ نَرَ مِثْلَهَا بَشَرا

فقال العباس:

يَــزِيــدُكَ وَجْهُهــا حُسْنــاً إذا مـــا زِدْتَــــهُ نَظَـــرا

فقال: زدني.

فقال:

إذا مــا اللَّيْــلُ سَــالَ عَلَيْــك بـــالإظـــلام وَاعْتَكَـــرَا
وَدَجَّ فَلَــمْ تَــرَ قَمَــراً فــأبْــرِزْهــا تَــرَ القمــرا

فقال الرشيد: لقد ذعرناك وأفْزَعنا عيالك، وأقلّ الواجب أن نعطيك ديتك.

وأمر له بعشرة آلاف درهم.

الهرب من الموت

كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أميّة، فدعا رجل إلىٰ البراز، فقال له أبو مسلم: ابْرُزْ له.

فأنشأ يقول:

أَلاَ لا تَلُمْنــي إنْ فَــرَرْتُ فــإنّنــي أخَــافُ علــى فخّــارَتــي أن تحطّمــا
فلــو أنّنــي فــي الســوق ابتــاع مثلهــا وجــدّك مــا بــالَيْــتُ أن أتقــدّمــا

المهدي يمازح أعرابيّاً

خرج المهديّ إلىٰ الصيد، فرأىٰ أعرابياً، فأحبّ أن يمازحه، فقال لغلامه:

ـ ائتني بالأعرابيّ.

فذهب الغلام وقال للأعرابيّ:

ـ أجب أمير المؤمنين.

فقال: ما لي ولأمير المؤمنين.

فشتمه واقتاده عنوة.

ولما وصل قال الأعرابيّ:

ـ يا أمير المؤمنين، هذا شتمني.

فقال المهدي: يا غلام، أعطه دانقاً.

فقال الأعرابيّ: أدِية فريتكم دانق يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم.

قال: أنت ابن كذا وكذا، ووالدك ابن كذا وكذا، وخذ هذا الدرهم، ومرّ في حفظ الله.

فأغرب المهدي في الضحك، ثم طيّب خاطره واسترضاه.

الفاتحة في عهد عمر

دخل على حاتم العقيلي شيخ من أهل الريّ فقال:

ـ أنت الذي تروي أنّ النبي (ص) أمر بقراءة الفاتحة خلف الإمام؟

قال: قد صحّ الحديث عن النبيّ (ص) في ذلك.

فقال له: كذبت، إن فاتحة الكتاب لم تكن في عهد النبيّ (ص)، وإنّما نزلت في عهد عمر بن الخطاب.

كنّا اثنين فصرنا ثلاثة

قيل: أمر الخليفة العباسي موسىٰ الهادي بإحضار بهلول وعُليّان. فأُحضرا؛ فلمّا دخلا عليه قال لعلّيان:

ـ إيش معنىٰ عُلَيّان؟

فقال عُليّان: وإيش معنىٰ موسىٰ أطْبقْ؟

فغضب الهادي، وقال: خذوا برجل ابن الفاعلة.

فالتفت عُليّان إلىٰ بهلول وقال:

ـ خذها إليك، كنّا اثنين فصرنا ثلاثة.

محرومون ومرحومون

قال أبو العيناء لصاعد بن مخلد: نحن في دولتك محرومون، وفي عطلتك مرحومون.

مولىٰ القوم منهم

قال المتوكّل يوماً لأبي العيناء: بلغني أنك مأبون. فقال له: يا أمير المؤمنين، مولىٰ القوم منهم. وكان أبو العيناء من موالي بني العبّاس. فقال المتوكّل: قاتله الله! أردت أن أشتفي منه فاشتفىٰ مني.

أبو العيناء وأبوه

قال المتوكّل لأبي العيناء: أكان أبوك مثلك في البيان؟ قال: واللَّهِ يا أمير المؤمنين لو رأيته لرأيتَ، واللَّهِ، عبداً لك لا ترضاني أكون عبداً له.

لي فضل النّية

كتب أبو العيناء إلىٰ بعض الوزراء: قد بعثتُ إلىٰ الوزير بباكورة عنب، فإن كنتُ سبقتُ المُهْدين لها فلي فضل السَّبَق، وإن كنتُ مسبوقاً فلي فضل النّيَّة.

فرخ البط...

قال أبو العيناء لابنه وهو مريض: أيّ شيء تشتهي؟

قال الابن: اليُتْم.

ليكنْ وجهك إلىٰ ثيابك

قال رجل للشافعي:

ـ إذا نزعت ثيابي، ودخلت النهر أغتسل، فإلىٰ القبلة أتوجّه أم إلىٰ غيرها؟

فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلىٰ ثيابك لئلا تُسرق.

يد تسرق، واست تضرط

سأل المتوكّل أبا العيناء رأيه في وزيره عبيد الله بن يحيىٰ بن خاقان، فقال: نعم العبد، منقسم بين طاعة الله تعالىٰ وخدمتك.

ودخل ميمون بن إبراهيم صاحب ديوان البريد، فقال له: ما تقول في ميمون؟ قال: يد تسرق، وإست تضرط، وهو بمنزلة يهودي قد سرق نصف خزينة، له إقدام ومعه إحكام، إحسانه تكلّف، وإساءته طبيعة. فأضحكه ذلك منه، ووصله وصرفه.

المهدي والخيزران

قيل: إنّ المهدي قال للخيزران:

ـ أريد أن أتزوج.

فقالت له: لا يحلّ لك أن تتزوّج عليّ.

قال: بلىٰ.

قالت له: بيني وبينك من شئت.

قال: أترضين سفيان الثوريّ؟

قالت: نعم.

فوجّه في طلبه، فقال: إنّ أمّ الرشيد تزعم أنّه لا يحلّ لي أن أتزوّج عليها، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿فانكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وثُلاَث ورباع﴾ ثم سكت.

فقال له سفيان:

ـ أتِمَّ الآية يريد قوله: ﴿فإنْ خِفْتم ألاّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَة﴾، وأنت لا تعدل.

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فأبىٰ أن يقبلها.

أيّ غلام

قال ابن مكرم يوماً لأبي العيناء إثر مزاح كان بينهما: الساعة، والله آمر غلامي أن يصفعك!

فقال له أبو العيناء: أيّ غلام، الذي يركبك إذا نزلت أم الذي يخلفك في العيال إذا ركبت؟

إذن لا يعود إلينا منك شيء

كان ابن مكرم وأبو العيناء يشربان يوماً عند صديق لهما، فقال ابن مكرم لصاحب الدّار: أقوم إلىٰ الخلاء.

فقال أبو العيناء: إذاً لا يعود إلينا منك شيء.

المهدي والعجوز

وقف المهدي على عجوز من العرب، فقال:

ـ ممّن أنتِ؟

قالت: من طيّىء.

قال: ما منع طيّئاً أن يكون فيهم مثل حاتم؟

فقالت: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك.

فعجب من جوابها ووصلها.

ميت يقضي بين الأحياء

قدمت امرأة إلىٰ قاضٍ فقال لها:

ـ جامَعَكِ شهودُك؟

فسكتت.

فقال كاتبه: يقول لك حضرة القاضي: جاءَ شهودك معك؟ قالت:

ـ نعم. هلاّ قلت مثل ما قال كاتبك، كبُر سنّك، وقلّ عقلك، وعظمت

لحيتك حتىٰ غطّت على لبّك؛ ما رأيت ميتاً يقضي بين الأحياء غيرك.

وجدته لا يعود إليه حرّ

قيل لأبي العيناء: كيف وجدت فلاناً لمّا قصدتَه؟ قال: وجدتُه لا يعود إليه حرّا!

لو كُلِّفتُ... كيف أعمل؟

وعظ أحدهم، فقال:

ـ إذا كان يوم القيامة خرج من النار رأس عظيم، من صفته كذا وكذا.

وكان في المجلس رجل، فأخذ بالاضطراب والخوف فقال له الواعظ:

ـ ما الذي حصل لك؟ أتنكر قدرة الله تعالىٰ؟

قال: لا، بل إنّي مزيّن، فلو كُلِّفتُ حلق هذا الرأس، كيف أعمل؟

مجنـون

قال رجل لابن عقيل:

ـ إنّي كلّما أنغمس في النهر غمستين أو ثلاثاً لا أتيقّن أنّه قد غمسني الماء، ولا أنّي قد تطهّرت، فكيف أصنع؟

قال له: لا تصلّ.

فقيل: كيف قلت هذا؟

قال: لأنّ النبيّ (ص) قال: «رفع القلم عن ثلاث: عن الصبيّ حتىٰ يبلغ، وعن النائم حتىٰ ينتبه، وعن المجنون حتّىٰ يفيق، ومن ينغمس في النهر مرّة أو مرتين أو ثلاثاً ويظنّ أنه ما اغتسل فهو مجنون».

دابّة للآخرة

وعد رجل أبا العيناء دابّة فأخّرها. فكتب إليه: إن كانت الدّابّة التي وعدتَني

بها دابّة الأرض فقد مضىٰ خبرها مع منسأة سليمان، وإن كانت دابّة الصفا انتظرنا خبرها مع سابق الحاج، وإن كانت من دوابّ الدنيا فقد جاز عمر وعدك عمرَ الدّوابّ، فهيّئ لي غيرها، وإن كانت دابّة تدفعها إليّ في الآخرة فإنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿**لكلّ امرىءٍ منهم يومئذٍ شأن يغنيه**﴾.

باب الفاعل والمفعول به

دخل أبو العيناء على إبراهيم بن المدبِّر وعنده الفضل بن اليزيد، وهو يلقي على ابنه مسائل في النحو، فقال في أيّ باب هذا؟

فقال: في باب الفاعل والمفعول به!

فقال: هذا بابي وباب الوالدة حفظها الله!

فغضب الفضل وانصرف.

لا تصم إلاّ ويدك مغلولة

جاء رجل إلىٰ فقيه فقال:

ـ أفطرت يوماً في رمضان.

فقال: اقضِ يوماً مكانه.

قال: قضيت، وأتيت أهلي. وقد عملوا مأمونيّة، فسبقتني يدي إليها فأكلت منها.

قال: اقضِ يوماً آخر مكانه.

قال: قضيت، وأتيت أهلي، وقد عملوا هريسة، فسبقتني يدي إليها فأكلت منها أيضاً.

فقال له: أرىٰ أن لا تصوم إلاّ ويدك مغلولة إلى عنقك.

حاجتي إذاً صيفيّة

سأل أبو العيناء أحمد بن صالح حاجةً فوعده بها، فلمّا طالبه بالاقتضاء، قال أحمد: ما ترىٰ هذا الطّين والمطر؟

قال أبو العيناء: فحاجتي إذاً صيفيّة؟
فضحك وقضىٰ حاجته.

قرْب وحرمان

قال أبو العيناء لعبيد الله بن سليمان الذي طلب أن يقرب منه: أيّد الله الوزير! لي منكَ قربُ الوليّ وحرمان العدوّ.

مزاح

قال الإمام الشافعي:

ـ تزوّجت امرأة من قريش بمكّة، وكنت أمازحها فأقول:

ومِنَ البليّة أن تُحِبَّ ... فلا يُحِبُّكَ من تُحِبُّهْ

فتقول هي:

وَيَصُدُّ عَنْكَ بِوَجْهِهِ ... وَتَلِحُّ أنّتَ فلا تَغِبُّهْ

لا يعرف المدح من الهجاء

خاصم رجل أبا دلامة في داره، فارتفعا إلىٰ عافية القاضي، فأنشأ أبو دلامة يقول:

لَقَدْ خَاصَمَتْني دُهَاةُ الرِّجالِ ... وَخَاصَمْتُها سَنَةً وَافيَهْ
فما أدْحَضَ اللّهُ لي حُجَّةً ... ولا خيَّبَ اللّهُ لي قافِيَهْ
ومَنْ خِفْتُ مِنْ جَوْرِهِ في القَضَاءِ ... فَلَسْتُ أخَافُكَ يا عافِيَهْ

فقال له عافية:

ـ أما والله لأشكونَّك إلىٰ أمير المؤمنين، ولأُعلمنّه أنّك هجوتني.

قال: إذن يعزلك.

قال: ولِمَ؟

قال: لأنّك لا تعرف المديح من الهجاء.

فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دلامة بجائزة.

وللعاهر الحجر

ولد لأبي العيناء ولد، فأتىٰ ابن مكرم، فسلّم عليه، ووضع حجراً بين يديه وانصرف، فأحسّ به، فقال: مَنْ وضع هذا الحجر؟ قيل له: ابن مكرم! قال: لعنه الله! إنّما عرض لقول النبي (ص): الولد للفراش وللعاهر الحجر.

في إستها منجنيق

كان المأمون جالساً مع ندمائه، مشرفاً على دجلة، يتذاكرون أخبار الناس، ويتنادرون برقاعة طوال اللّحىٰ؛ فمرّ رجل كبير اللحية، فأجلسه وسأله عن اسمه، فقال: علويّة.

قال: فما الكنية؟

قال: أبو أحْمَدَوَيْهِ.

فضحك المأمون، وغمز جلساءه، ثم قال له: ما صنعتك؟

قال: فقيه.

قال: ماذا تقول في رجل اشترىٰ شاة، فلمّا تسلّمها وقضىٰ الثمن ضرطت، فخرج من إستها بعرة فقأت عين رجل، أَفَتُوجِبَنَّ الدية على البائع أم على المشتري.

فخطّ الرجل بإصبعه الأرض ثم قال: على البائع.

فقال المأمون: ولماذا على البائع؟

قال: لأنّه لما باعها لم يعلن أنّ في إستها منجنيقاً.

وتدعنا امرأتك نصوم

قال محمد بن مُكْرِم لأبي العيناء: أما تعرفني؟

قال أبو العيناء: بلىٰ، ولكن معرفة أرثي لك منها.

وقال له يوماً: يا أبا عبد الله، هل تصوم معنا في هذا الشهر شيئاً، وكان شهر رمضان.

فقال أبو العيناء: وتدعنا امرأتك نصوم؟

صار هذا مذ تزوّجت أمَّك

قال ابن مكرّم لأبي العيناء: أَلستُ عفيفاً؟

قال: أنتَ عفيفُ النّفس زاني الحُرَم.

قال: إنّما صار هذا مُذْ تزوَّجتُ أمَّك.

مداعبة

داعب ابن المرزبان أبا العيناء، فقال له: لمَ لبست جبّاعة؟

فقال أبو العيناء: وما الجبّاعة؟

قال: التي بين الجبّة والدّرّاعة.

فقال أبو العيناء: ولمَ أنتَ صفديم؟

قال ابن المرزبان: وما صفديم؟

قال: الذي بين الصفعان والنّديم.

جواب بليغ

قال المتوكّل لأبي العيناء: كنت أشتهي منادمتك لولا أنّك ضرير البصر!

قال: إن أعفاني أمير المؤمنين من قراءة نقش الفصوص ورؤية الأهلّة، فأنا أصلح للمنادمة.

كثرت الفتوح

قال عليّ بن الجهم: اشتريت جارية فقلت لها.

ـ ما أحسبك إلاّ بكراً.

فقالت: يا سيدي، كثرت الفتوح في زمان الواثق.

وقلت لها ذات ليلة: كم بيننا وبين الصبح؟

قالت: عناق مشتاق.

مدح النّاس وذمّهم

قال المتوكّل لأبي العيناء: إلىٰ كم تمدح الناس وتذمّهم؟ فقال: ما أحسنوا وأساؤوا، وذلك دأب الله عزّ وجلّ، رضي عن عبد فمدحه وقال: ﴿**نعم العبد إنّه أوّاب**﴾، وغضب على آخر فزنّاه فقال: ويلك وكيف زناه؟ قال: إنّه قال في الوليد: ﴿**عتل بعد ذلك زنيم**﴾؛ والزنيم هو الداخل في القوم وليس منهم؛ ثم أنشد:

إذا أنا بالمعروفِ لم أثْنِ صادِقاً ... ولم أذْمِمِ الحبيسَ اللَّئيمَ المُذَمَّما

ففيمَ عرفتُ الخَيْرَ والشرّ باسْمِهِ ... وشقَّ ليَ اللَّهُ المسامِعَ والْفَما؟

وإن كان الشرّ الذي بلغك عنّي كفعل العقرب الذي تلدغ النبيّ والذّميّ بطبع لا بتمييز، فقد صان الله عبدك عن ذلك.

والنّار لك

قال أبو العيناء لرجل: واللَّهِ ما فيك من العقل شيء إلاّ بمقدار ما تجب به الحجّة عليك، والنار لك.

جئتك بثلج

دخل أبو العيناء على عبيد الله بن سليمان الوزير، وبين يديه شطرنج يلعب به مع بعض أولاده، فقال له عبيد الله: مع أيّ الحزبين تريد أن تكون؟ قال: معك! فلم يكن بأسرع من أن قال:

قد غُلِبنا ولزمك من القمار عشرون رطلاً من الثلج. قال: أحضره أيّها الأمير، ولكن تأذن لي أن أمضي إلىٰ داري أوصيهم بما أحتاج إليه حتىٰ يدرك الطعام، وأُوافيك بالثلج! فقال: امضِ ولا تتأخّر!

فركب حماره، ومضىٰ لأبي العبّاس بن ثوابة فقال له: الأمير يدعوك الساعة! فلبس ابن ثوابة ثيابه، وركب دابته وصار معه أبو العيناء، فما شعر عبيد الله إلاّ بأبي العيناء مع ابن ثوابة قد وافىٰ، فسرّ بذلك، فقال أبو العيناء: كلّفونا أربعين رطلاً من الثلج، وقد جئتك بثلج فذاب كلّه، فخذ منه ما شئت! فضحك عبيد الله حتىٰ استلقىٰ.

استثناء

خاصم أبو العيناء يوماً رجلاً من العلويين، فقال له العلويّ: تخاصمني وأنت تقول كلّ يوم: اللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد؟

فقال أبو العيناء: لكنّي أقول: الطيّبين الطاهرين، ولستَ منهم.

حكايــة

روىٰ أبو العيناء هذه الحكاية فقال: استودع رجل عند إمام محلّته قارورة زنبق فجحده إياها، وقام يصلّي بهم شهر رمضان وقرأ: «قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون» وكرّرها. فقال الرجل صاحب الوديعة: قارورة زنبق.

إيّاك أن يسمع أحد منك هذا

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد، وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها، وأن يعلّقوا السيوف في المناطق، ويكتبوا على ظهورهم ﴿فَسَيَكفِيكَهُمُ اللَّهُ وهو السَّمِيعُ العليم﴾. فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزيّ. فقال له أبو جعفر:

ـ ما حالك؟

قال: شرّ حال، وجهي في نصفي، وسيفي في استي، وكتاب الله في ظهري، وقد صبغت بالسواد ثيابي.

فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك، وقال له:

ـ أياك أن يسمع هذا منك أحد.

مظلومة

خاصمت امرأة زوجها إلىٰ الشعبيّ، فبكت، فقال الشعبيّ:

ـ أظنّها مظلومة.

فقال زوجها: إنّ إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون، وكانوا ظالمين.

اشربيه أنتِ من الطمع

كان أشعب يتحدّث إلىٰ امرأة بالمدينة حتىٰ عُرف ذلك، فقالت لها جارتها يوماً:

ـ لو سألته شيئاً، فإنّه موسِر.

فلمّا جاء قالت: إنّ جاراتي ليَقُلْنَ لي ما يَصِلُكِ بشيء.

فخرج نافراً من منزلها، فلم يقربها شهرين، ثم إنّه جاء ذات يوم، فجلس على الباب، فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماءً، فقالت:

ـ اشرب هذا من الفزع.

فقال: اشربيه أنت من الطمع.

طمع أشعب

قيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟

قال: ما رأيت اثنين يتسارّان قطّ إلاّ كنت أراهما يأمران لي بشيء.

العجلة

قيل لأبي العيناء: لا تعجلْ، فإنّ العجلة من الشيطان.

فقال: لو كانت العجلة من الشيطان لما قال كليم الله عليه الصلاة والسلام: ﴿وعجلتُ إليكَ ربِّ لترضىٰ﴾.

أقتلها

قيل للشعبيّ:

ـ ما تقول في رجلٍ إذا وطئ امرأة تقول: قتلتني، أوجعتني. . .

قال: أقتلها ودمها في عنقي.

سِرٌّ ولكن أمام ألف

قال أبو العيناء: قال لي المتوكّل: امضِ إلىٰ موسىٰ بن عبد الملك واعتذر إليه، ولا تعرّفه أنّي وجّهتُكَ. فقلت له: تستكتمني بحضرة ألف؟ قال: إنّما عليكَ أن تنفذ فيما تُؤمر به، فقلتُ: وعليّ أن أحترسَ ممّا أخافُ منه.

إبعاد

كان أبو العيناء يوماً على بابه، فمرّ به رجل فسلّم عليه، وقام يمشي معه.

فقال الرجل: لا تُعْنِ يا أبا عبد الله.

فقال أبو العيناء: ما عنىٰ مَنْ أَبْعَدَكَ عن داره!

جواب بليغ

دخل أبو العيناء يوماً على عبد الرحمٰن بن خاقان، وكان يوماً شاتياً، فقال له عبد الرحمٰن: كيف تجدُ هذا اليوم يا أبا عبد الله؟

قال: تأبىٰ نُعماك أن أجده.

هو والمتوكل

قال المتوكّل لأبي العيناء: إبراهيم بن نوح النّصراني واجد عليك!

قال أبو العيناء: ﴿ولن ترضىٰ عنك اليهود ولا النّصارىٰ حتّىٰ تتبع ملّتهم﴾.

اخْتَرِ الأسهل

لما قدم المهديّ من الريّ دخل عليه أبو دلامة، فأنشأ يقول:

إنّـي نَـذَرْتُ لَئِـنْ رَأَيْتُـكَ سَـالمـاً بِقُـرَىٰ العِـراقِ وأنـتَ ذو وَفْـرِ
لَتُصَلِّيَـنَّ علـى النبـيّ مُحَمَّـدٍ ولتَمْـلأَنَّ دَرَاهِمـاً حِجْـرِي

فقال (ص): وأمّا الدراهم فلا.

فقال له: أنت أكرم من أن تفرّق بينهما ثم تختار أسهلهما. فأمر أن يملأ حجره دراهم.

القدرة والعفو

دخل أبو العيناء يوماً إلىٰ محمد بن عبد الملك الزيّات، فلم يرفع طرفه إليه، ولا كلّمه. فقال: إنّ من حقّ نعمة الله عليك، لما أهّلك له في الحال التي أنت عليها، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك خُلقاً، فإنّ مَن أُوحش انقبض عن المسألة، وبكثرة السؤال مع النجح يدوم السرور، وبقضاء الحاجات تدوم النّعم.

فقال له محمد: إنّي أعرفك فضولياً كثير الكلام. ترى، أنَّ طول لسانك يمنع من تأديبك إذ زللت؟ وأمر به إلىٰ الحبس. فكتب إليه أبو العيناء من الحبس: قد علمت أنّ الحبس لم يكن لذنب تقدم إليك، ولكن أحببت أن تريني قدرتك عليّ، لأنّ كلّ جديد يُستلذّ. ولا بأس أن ترينا من عفوك ما أريتنا من قدرتك. فأمر بإطلاقه.

فلقيه بعد مدة طويلة على الطريق، فحبس محمد دابته وقال: ما أراك أبا عبد الله تواصلنا بحسب إنجائنا لك. فقال أبو العيناء: أمّا المعرفة بعنايتك فمتأكدة، ولكنني أحسب الذي جدّد استبطاءك لي فراغ حبسك ممّن فيه، فأردت أن تعمره بي.

هو ومالك بن طوق

سئل أبو العيناء يوماً عن مالك بن طوق فقال: لو كان في بني إسرائيل حين نزلت آية البقرة ما ذبحوا غيره.

قيل: فأخوه عمر؟ قال: ﴿كسرابٍ بِقيعةٍ يحسبه الظمآن ماء حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾.

حال أبي العيناء

قال عُبيد الله بن يحيىٰ لأبي العيناء: كيف الحال؟

قال: أنتَ الحال، فانظر كيف أنتَ لي. فأحسن صلته.

لا تعد تتحلّم عليّ ثانية

دخل أبو دلامة على المنصور وأنشده:

رَأَيْتُكَ في المنامِ كسَوْتَ جِلْدِي ثِيَاباً جَمَّةً وَقَضَيْتَ دَيْني

فكانَ بَنَفْسَجِيَّ الخزِّ فيها وَسَاجٌ ناعِمٌ فأَتَمَّ زَيْني

فَصَدِّقْ يا فَدَتْكَ النَّفْسُ رُؤْيا رَأَتْها في المنامِ كَذَاكَ عيني

فأمر له بذلك وقال له:

ـ لا تَعُدْ أن تتحلّم عليّ ثانية، فأجعل حُلمك أضغاثاً ولا أُحقّقه.

ما أحسن جواب

سأل المنتصر أبا العيناء: ما أحسنَ الجواب؟

قال أبو العيناء: ما أسكتَ المُبْطِل، وصبَّرَ المُحِقّ!

وُلِدَ شَحّاذاً

قال أبو علي البصري لأبي العيناء: إنّي ولدتُ قبل طلوع الشمس بيسير!

قال: فلذلك كنتَ شحّاذاً سائلاً لأنه وقت انتشار السؤّال.

وصيّة

كتب أبو العيناء إلىٰ صديق له تولّىٰ عملاً: أمّا بعد فإنّي لا أعظك بموعظة الله

تعالىٰ، لأنّك غنيّ عنها، ولا أخوّفك إيّاه لأنّك لا تخافه، ولكنّي أقول ما قاله الشاعر:

أَحَارِ بنَ عمرٍو وقد وُلّيتَ ولايةً   فكنْ جَرَذاً فيها تخونُ وتسرقُ
وباهِ تميماً بالغنىٰ إنّ للغنىٰ   لساناً به المرءُ الهيوبةُ ينطقُ

واعلم أنّ الخيانة فطنة والأمانة خرقة، والجمع كيس والمنع صرامة، فاذكر أيّام العطلة في حال الولاية، ولا تحقرنْ شيئاً صغيراً فالذود إلىٰ الذود إبل، والولاية رقدة، فتنبّه قبل أن تنبه، وأخو السلطان أعمىٰ عن قليل سوف يبصر، وما هذه الوصية كما أوصىٰ به الحكماء، ولكنّي رأيتُ الحزم في أخذ العاجل وترك الآجل!

قشر الموز أطيب من الهندبا

قال أبو العيناء: قلتُ لرقيعٍ كان في جواري وهو يأكل قشور الموز: ويحك أيش هذا؟ هذا ممّا يؤكل؟

فقال: هو على كلّ حال أطيب من الهندبا.

... وماذا يكون كذبه؟

سأل أبو العيناء إبراهيم بن ميمون حاجةً، فاعتذر إليه وحلف أنّه صادق في اعتذاره، فقال: من كان الصدق حرمان صديقه ماذا يكون كذبه؟

وعد الشيطان

قيل لأبي العيناء: كيف تركتَ فلاناً مع قومه؟ قال: ﴿**يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً**﴾.

مسح اللحية

سأل رجل الشعبيّ عن مسح اللحية فأجاب: خَلِّلْها.

فقال الرجل: أتخوّف أن لا نبلّها.

فقال الشعبيّ: إن تخوّفتَ فانْقَعْها من أوّل الليل.

ما في صناديقه أبعد من مصر

سأل أبو العيناء صاعد بن مخلد كتاباً يكتبه إلىٰ مصر. فجعل يقول: إلىٰ مصر يا أبا العيناء إلىٰ مصر؟

فقال: وما استبعادك، أعزّك الله، إلىٰ مصر؟ والله، لما في صناديقك أبعد عليّ ممّا في مصر.

بعد وقُرْب

قال أبو العيناء يوماً لأبي الصّقر بن بُلبل وهو زائر: أنتَ، والله، تقربُ منّا إذا احتجنا إليك، وتبعد منّا إذا احتجت إلينا.

حمار وحمار

زاحم أبا العيناء رجلٌ بالجسر راكبٌ على حمار، فضرب بيده على الحمار، وقال: يا رجل، قل للحمار الذي عليك يقول: «الطريق».

لكل جديد لذّة

استأذن أبو العيناء على الوزير صاعد بن مخلد، فقال له الحاجب:

الوزير مشغول فانتظر.

فلمّا أبطأ إذنه قال للحاجب:

ما صنع الوزير؟

قال: يصلّي.

قال: صدقت لكلّ جديد لذّة.

يعيره بأنّه حديث عهد بالإسلام.

سكباج

كتب ابن مكْرِم إلىٰ أبي العيناء: عندي سكباج ترعب المجنون، وحديث يطرب المحزون، وإخوانك المحازون فلا تعلو عليّ واتون.

فأجابه أبو العيناء: ﴿**اخسئوا فيها ولا تكلّمون**﴾.

كلّهم في البئر

قيل لأبي العيناء: ما بقي في زماننا هذا أحد ينبغي أن يُلقىٰ.

قال: إلاّ في بئر.

السيّد والعبد

دخل أبو العيناء على المتوكل يوماً فقال: كيف كنتَ بعد؟

قال: في أحوال مختلفة؛ خيرها رؤيتكَ، وشرّها غيبتك.

فقال: قد واللّهِ اشتقتُكَ!

قال أبو العيناء: إنّما يشتاق العبد، لأنّه يتعذّر عليه لقاء مولاه، وأمّا السيّد فمتىٰ أراد عبدَه دعاه.

جواب مُفْحِم

قال ابن مكرم لأبي العيناء: إنّ ابن الكلبي تعجبه الرّائحة الخبيثة.

فقال أبو العيناء: يا سيدي، لو وجدك لترشّفك.

مغنٍّ محبوب

قال ابن الجمّاز المغنّي لأبي العيناء: هل تذكر سالف معاشرتنا؟

فقال أبو العيناء: إذ تُغنّينا ونحن نستعفيك؟

يصدّق صبيان الزّقاق

مرّ أبو العيناء يوماً بدرب بسرّ من رأىٰ، فقال له غلامه: إنّ بالدّرب جملاً سميناً، وليس معه أحد! فقال: خذه! فأخذه وسار به إلىٰ منزله.

فلمّا كان من الغد جاءته رقعة من بعض الرؤساء الساكنين في ذلك الدّرب مكتوب فيها: جعلت فداءك! ضاع لنا بالأمس جمل فأخبرني بعض صبيان الزّقاق أنّك أخذته، فاردده متفضلاً! فكتب إليه: يا سبحان الله! مشايخ عندنا يزعمون أنك عظيم فلم أقبل قولهم ولا صدّقتهم، وتصدّق أنت صبيّاً من صبيان دربك!

سيوف أهل الطاعة

كان عند المهديّ رجل من بني مروان، فدخل إليه وسلّم عليه. فأُتي المهدي بعلج، فأمر المروانيّ بضرب عنقه، فأخذ السيف، وقام بضربه فنبا السيف عنه، فرمىٰ به المروانيّ، وقال: ولو كان من سيوفنا ما نبا.

فسمع المهديّ الكلام فغاظه حتّىٰ تغيّر لونه، وبان فيه، فقام يقطين، فأخذ السيف، وحسر عن ذراعيه، ثم ضرب العلج فرمىٰ برأسه، ثم قال:

ـ يا أمير المؤمنين، إنّ هذه سيوف الطاعة لا تعمل إلاّ في أيدي الأولياء، ولا تعمل في أيدي أهل المعصية.

ثم قام أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين، قد حضرني بيتان أفأَقُولُهُما؟

قال: قلْ.

فأنشده:

أيّهــذا الإمــامُ سَيْفُــكَ مــاضٍ ... وَبِكَــفِّ الــوَلِــيِّ غَيْــرُ كَهَــام

فــإذا مــا نبــا بِكَــفٍّ عَلِمْنَــا ... أنّهــا كَــف مُبْغِــضٍ لــلإمــام

فسرّي عن المهديّ، وقام من مجلسه، وأمر حجّابه بقتل الرجل المروانيّ فقُتل.

هو والوزير

حضر أبو العيناء مجلس بعض الوزراء، فتعارضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود، فقال الوزير لأبي العيناء، وقد كان أمعن في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال: قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إيّاهم، وإنّما هذا من تصنيف الورّاقين وتأليف المحسنين.

فقال له أبو العيناء: فَلِمَ لا يكذب الورّاقون عليك أيّها الوزير.

وصف الفيل

رأىٰ أبو دلامة فيلاً عند المهدي كان قد أُهدي له، فولّىٰ أبو دلامة هارباً وهو يقول:

يا قومُ إنّي رأيتُ الفيلَ بَعْدكُمُ ... لا بارك اللّهُ لي في رؤية الفِيلِ
أبْصَرْتُ قَصْراً لَهُ عينٌ يقلّبها ... فكدتُ أرمي بِسَلْحِي في سراويلي

توبة أبي دلامة

عزم أبو دلامة على الحج بعد أن تاب. فلمّا صار إلىٰ طبرتاباذ لقيه أحد الخمّارين الذين كان يألفهم واسمه أبو بشر، فدعاه إلىٰ منزله، وأضافه، وأحضر له نبيذاً، فامتنع أبو دلامة عنه، وأخبره بتوبته وما عزم عليه، فقال الخمّار:

ـ إنّه مطبوخ.

فشرب منه، فلم يلبث أن دبّت سورته، فرفع صوته وأنشد:

سَقَاني أبو بِشْرٍ مِنَ الراحِ شربةً ... لها سورةٌ ما ذقتها لشَرَابِ
وما طَبَخُوها غير أنّ غُلاَمَهُمْ ... مَشَىٰ في نواحي كَرْمِها بِشهاب

مكة والحجر الأسود

قال الجاحظ:

ـ رأيت امرأة جميلة، فقلت: ما اسمك؟

قالت: مكّة.

فقلت: أتأذنين لي أن أقبّل الحجر الأسود منك.

قالت: إلاّ بالزاد والراحلة.

اسم لم يعرض على آدم

ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم، فقيل له:

ـ يا أبا العلاء أتعرف فلاناً؟

قال: ليس هذا من الأسماء التي عُرِضت على آدم.

الدّنيا في دارك

دخل أبو العيناء على المتوكّل في قصره المعروف بالجعفري، وذلك في سنة ستّ وأربعين ومائتين، فقال له: كيف قولك في دارنا هذه؟ فقال: إنّ الناس بنوا الدُّور في الدنيا، وأنت بنيت الدنيا في دارك.

الشاهد النتِن

قال أبو العيناء لابن ثَوابة يوماً: إذا شهدتْ على الناس ألسنتُهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، شهدَ عليك أنتنُ عضو فيك.

أخشىٰ

استأجر رجل داراً من أحد العلماء، وكان خشب السقف يطقطق كثيراً. فلمّا جاء صاحب الدار يطالبه بالأجرة قال له:

ـ أصلحْ هذا السقف فإنّه يطقطق.

قال: لا بأس عليك فإنه يسبّح الله.

فقال: أخشىٰ أن تدركه الجلالة الربّانية فيسجد.

رجعة

قال أبو العيناء للسيّد الحميري: بلغني أنّك تقول بالرجعة. قال: هو ما بلغك.

قال أبو العيناء: فأعطني ديناراً بمائة دينار إلىٰ الرجعة.

فقال السيّد: على أن توثِّق لي بمن يضمن أنّك ترجع إنساناً، أخاف أن ترجع قرداً أو كلباً فيذهب مالي.

قليل الوزير وكثيره

دخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فشكا ضيقته. فأمر له بخمسة آلاف درهم، فقال: أصلح الله الوزير لا أستقِلُّ قليلك ولا أستكثر كثيرك.

قال له: ولِمَ؟

قال: لا أستكثر كثيرك لأنّك أكثر منه، ولا أستقلّ قليلك، لأنّه أكثر من كثير غيرك.

فأُعجب بكلامه وقال: اكتبوه وزيدوا خمسة آلاف أُخرى.

هو والدقّ سواء

دقّ إنسانٌ على أبي العيناء البابَ فقال: مَن هذا؟

قال: أنا.

فقال أبو العيناء: أنا والدّقّ سواء.

حلّ المسألة

جاءت امرأة إلىٰ أحد الوعّاظ، وقالت له:

ـ يا سيّدي، اقرأ لي هذه الصحيفة.

فقرأها، فإذا فيها:

ـ«رجل قال لامرأته أنتِ طالق إنْ ثم وقف عند إنْ». فقال لها:
ـ فما حال وقف عند «إنْ».
قالت: لا أعرف عند «إن».
ولمّا أعاد القراءة مراراً، قال:
ـ فثمّ وقف عند «إن» هذا ولم يتمّ.
وكان قربه جماعة فقال لهم:
ـ انظروا.
فقرأوا كلّهم كما قرأ، فتنبّه أحد الحاضرين، فقال:
ـ إنّما هو رجل قال لامرأته: أنت طالق «إن»، ثم وقف عند «إن».

ما أوقحه!

قيل لأبي العيناء: ويحكَ ما أوقحك!
فقال: أما علمتَ أنّ للحياء شرائط ليست معي واحدة منهنّ؟
قيل: فصفهنّ.
قال: أوّلهنّ في العينين، ولستُ أبصر، والثانية اجتناب الكذب، وأنا من اليمامة من رهط مسيلمة الكذّاب، والثالثة أنّ النبيّ (ص)، قال: «الحياء من الإيمان» فأيّ إيمان ترون معي؟

كما تحبّ

مرّ أبو العيناء يوماً بباب عبد الله بن منصور، وكان يكرهه. وكان عبد الله مريضاً، وقد صحّ. فسأل أبو العيناء غلامه: كيف خبره؟
فقال: كما تحبّ.
فقال أبو العيناء: ما لي لا أسمع الصّراخ عليه؟

أبو العيناء وأبو الصقر

جرىٰ بين أبي الصّقر بن بلبل وبين ابن ثَوابَةَ كلامٌ أربىٰ فيه ابن ثَوابَةَ عليه، وكان أبو العيناء منقطعاً إلىٰ أبي الصّقر، فقال لابن ثوابة منتصراً له: ما منع أبا الصّقر من كلامك إلاّ أنّه سَهُلَ عليه دمك أن يسفكه، وعاف لحمك أن يأكُلَه، ولم يجدْ لك شرفاً فيهدمَه، ولا فضلاً فيثلمَه.

فقال له ابن ثوابة: ما أنتَ والدخول بيني وبين هؤلاء يا مُكَدِّي؟

فقال أبو العيناء: يحق لمن ذهب بصره، وضعفت قوّته، وجفاه سلطانه، وقصت عمالته، أن يعود على إخوانه فيأخذ من أموالهم فيستعين بها على دهره، ولكن أسوأُ حالاً منّي مَن يستنزل الماء من أصلاب الرجال في بطنه فيعظّم إجرامهم، ويقطع أنسابهم.

فقال ابن ثوابة: ما استبَّ اثنان إلاّ غلب ألأمُهما.

فقال أبو العيناء: فبذلك غلبتَ أبا الصّقر.

لا يعيش

قال رجل لامرأته:

ـ الحمد لله الذي رزقنا ولداً طيّباً

فقالت: الحمد لله الذي لم يرزق أحداً مثل ما رزقنا!

فناداه وسألاه:

ـ يا بنيّ، من حَفَرَ البحر؟

فأجاب: موسىٰ بن عمران.

وقالا: من بلّطه؟

قال: محمد بن الحجّاج.

فشقّت المرأة قميصها، ونثرت شعرها، وجعلت تبكي فقال لها زوجها:

ـ ما بك؟

قالت: ابني مع هذا الذكاء لا يعيش.

أبو العيناء وأحمد بن أبي دؤاد

أُدخل أبو العيناء على أحمد بن أبي دؤاد فقال: ما جئتُكَ مسلّياً ولا معزّياً، ولكن أحمد الله فيك إذ حبسك في جلدك، وأبقىٰ لك عيناً تنظر بها إلىٰ زوال النعمة عنك!

لو كنت ربّ البيت

بينا أشعب يوماً يتغدّىٰ، إذ دخلت جارة له، ومع أشعب امرأته تأكل، فدعاها لتتغدّىٰ، فجاءت الجارية، فأخذت العرقوب بما عليه «وأهل المدينة يسمونه عرقوب ربّ البيت». فقام أشعب، فخرج، ثم عاد فدقّ الباب، فقالت له امرأته:

ـ يا سخين العين ما لك!

قال: أأدخل؟

قالت: أتستأذن أنت، وأنت ربّ البيت؟

قال: لو كنت ربّ البيت ما كانت العرقوب بين يدي هذه.

وإن لم تغب الشمس

كان رجل في مجلس، وقد أطال صمته، فقيل له:

ـ ألا تتكلّم؟

قال: بلىٰ، متىٰ يفطر الصائم؟

قيل: إذا غابت الشمس.

قال: فإن لم تغب إلىٰ نصف الليل؟

فقيل له: أصبت في صمتك وأخطأنا في استدعائك للنطق.

نسيم الصبا

كان لابن الجوزي زوجة تدعىٰ «نسيم الصبا» فطلّقها، وندم كثيراً على ذلك حتىٰ أشرف على الهلاك؛ فحضرت في أحد الأيام مجلس وعظه، فلمّا رآها عرفها، واتّفق أن جاءت امرأتان، وجلستا أمامها، فحجبتاها عنه، فأنشد في الحال:

أيــا جَبَلَــيْ نُعْمَــانَ بــاللّــه خَلِّيَــا نَسِيــمَ الصّبــا يَخْلِـصْ إلــيَّ نسِيمُهــا

يكفر بلا خفارة

قال العبّاس بن رستم يوماً لأبي العيناء: أنا أكفر منك.

فقال أبو العيناء: لأنّك تكفر ومعك خفير مثل عُبَيْد الله بن يحيىٰ وابن أبي دؤاد، وأنا أَكْفُرُ بلا خَفارة.

المأمون وشبهه

طلب المأمون إلىٰ أصدقائه أن يطلعوه على كّل ما يسمعونه ويشاهدونه في العاصمة العباسيّة. وذات يوم أخبره بعضهم أنّ أعرابياً دخل بغداد، وأنّه شديد الشبه به قائلين:

ـ يخيّل إلينا يا أمير المؤمنين عندما تقع أعيننا عليه، أننا نراك، وقد تنكّرت بالملابس المتواضعة تطوف أحياء المدينة مستكشفاً أحوالها وأحوال شعبك.

فصُعق المأمون، وأمر بإحضاره.

فنشطت التحرّيات حتىٰ قبض عليه، وسيق إلىٰ الخليفة. ولمّا دخل عليه دهش الخليفة من هذا الشبه. فأخذ يحادثه فازداد إعجاباً لأجوبته المصيبة العاقلة، وسرعة بديهته، وخفّة روحه، ومظهره الذي يدلّ على النبل وكرم المحتد، ومشيته الثابتة في حضرة السيّد الحاكم.

وحاول المأمون أن يمتحن قدرته على التهرّب من الجواب المحرج، فقال له بسخرية:

ـ ألا قلْ لي، يا أخا العرب، أَسَبَقَ لأمّك أن أتت بغداد؟ فقال الأعرابيّ بسخرية لا تقلّ عن سخرية الخليفة:

ـ كلاّ يا أمير المؤمنين، لقد أتىٰ والدي إلىٰ بغداد!

فلم يكن من الخليفة إلاّ أن أمر له بصلة، وأمر بإخراجه من العاصمة على ألاّ يضع رجله فيها بعد ذلك اليوم.

دعاء لإبليس

جعل رجل عقب الصلاة يدعو:

ـ «اللّهمّ. اغفر لأعظمنا ذنباً، وأقسانا قلباً، وأقربنا بالخطيئة عهداً، وأشدّنا على الدنيا حرصاً».

فسمعه أبو يعقوب الخريمي، الشاعر، فقال له:

ـ امرأتي طالق إن كنت دعوت إلاّ لإبليس.

عَدْل مرغوب عنه

شكا أهل بلدة إلىٰ المأمون واليهم، فقال لهم المأمون:

ـ كذبتم: قد صح عندي عدله فيكم وإحسانه إليكم. فقام شيخ منهم وقال:

ـ يا أمير المؤمنين، فما هذه المحبّة لنا دون سائر رعيّتك؟ قد عدل فينا خمس سنين، فانقله إلىٰ غيرنا حتىٰ يشمل عدله الجميع، وتريح معنا الكلّ. فضحك المأمون وصرفه عنهم.

إقرار

رُوي أنّ أبا العيناء محمد بن القاسم اليماميّ حدّث بعض الزبيريّين بفضائل أهله فقال له الزبيريّ: أتجلب التّمرَ إلىٰ هَجَر؟

فقال له أبو العيناء: نعم، إذا أجدبت أرضها، وعاوم نخلُها.

الصغير أكْيَسُها

كان الشعبيّ كاتباً لبشر بن مروان، فدخل عليه يوماً وكانت عنده جارية تغنّيه فاحتشم منه بشر، فقال الشعبيّ:

ـ إن الرجل لا يستحيي من كاتبه وخادمه.

فأمرها بشر، فغنّتْ، فقال له:

ـ كيف تسمع؟

قال: الصغير أكْيَسها.

يعني الزير.

إنّك لتعلم ما أريد

خرج سالم بن عبد الله متنزّهاً بأهله وحرمه، فبلغ أشعب الخبر، فوافىٰ الموضع، فصادف الباب مغلقاً، فتعلّق بالحائط، فقال له سالم:

ـ ويلك يا أشعب تتكشّف على عيالي وبناتي؟

وقال: ﴿لقد عَلِمْتَ ما لَنَا في بنَاتكَ مِنْ حَقٍّ، وإنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ﴾.

فأخرج إليه من الطعام، فأكل وحمل.

وليمة زياد

كان زياد بن عبد الله الحارثي أبخل خلق الله، فأولم وليمة لطهر بعض أولاده، وكان الناس يحضرون، ويقدّم الطعام فلا يأكلون منه إلاّ تعلّلاً تشعّثاً لعلمهم به. فقدّم فيما قُدّم جدي، فلم يعرض له أحد، وجعل يردّده على المائدة ثلاثة أيّام، والناس يجتنبونه إلىٰ أن انقضت الوليمة، فأصغىٰ أشعب إلىٰ بعض مَنْ كان هناك فقال:

ـ امرأته طالق، إن لم يكن هذا الجدي بعد أن ذُبِحَ وشُوِيَ أطول عمراً، وأمدّ حياةً منه قبل أن يذبح.

فضحك الرجل، وسمعها زياد فتغافل.

جنىٰ عليه جهله

كان في بني الجرّاح فتىٰ خليع ماجن، فأراد العبث بأبي العيناء، فنهاه نصّاحه، فأبىٰ. فقالوا له: شأنك! فقال له: يا أبا العيناء، متىٰ أسلمت؟

قال: حين كفر أهلك وأبوك الذين لم يؤَدبوك!

فقال له الفتىٰ: إذاً فقد علمت أنّك ما أسلمت!

فقال أبو العيناء: شهادتك لأهلك دعوىٰ، وشهادتي عليهم بلوىٰ، وستعلم أيّ السلطانين أقوىٰ وأيّ الشيطانين أغوىٰ، وسيعلم أهلك ما جنىٰ عليهم جهلك!

مَنْ أسخىٰ النّاس

سأل المتوكّل يوماً أبا العيناء: مَن أسخىٰ مَن رأيت؟

قال: ابن أبي دؤاد. قال المتوكّل: تأتي إلىٰ رجل رفضته فتنسبه إلىٰ السخاء؟ قال: إنّ الصّدق يا أمير المؤمنين ليس في موضع من المواضع أنفق منه في مجلسك؛ وإنّ النّاس يغلطون في مَن ينسبونه إلى الجود؛ لأنّ سخاء البرامكة منسوب إلى الرّشيد، وسخاء الفضل والحسن ابني سهل منسوب إلىٰ المأمون، وجود ابن أبي دؤاد منسوب إلىٰ المعتصم. فإذا نسب الناس الفتحَ وعُبيد الله ابني يحيىٰ إلى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين.

أنتَ الذي اخترته

شكا أبو العيناء حاله إلىٰ عبد الله بن سليمان، فقال له: أليس قد كتبنا لك إلىٰ إبراهيم بن المدبّر؟ قال: قد كتبتُ إلىٰ رجل قد قصّر من همّته طول الفقر، وذلّ الأسر، ومعاناة محن الدهر، فأخفقت في طلبي. قال: أنتَ اخترتَه. قال: وما عليّ، عزّ الله الأمير، في ذلك؟ قد اختار موسىٰ قومه سبعين رجلاً، فما كان منهم رشيد، واختار النبيّ (ص)، ابن أبي سرح كاتباً، فرجع إلىٰ المشركين مرتداً، واختار عليّ (ع)، أبا موسىٰ حاكماً، فحكم عليه.

لا كثَّر الله مثلك

جاء رجل إلىٰ فقيه فقال:

ـ أنا أفسو في ثيابي حتىٰ تفوح منها رائحة كريهة، فهل يجوز أن أُصلّي في ثيابي؟

فقال له: نعم، لكن لا كثّر الله في المسلمين أمثالك.

الحقّ أكبر

وقف إياس، وهو صبيّ، ومعه شيخ، على قاضٍ، فقال إياس:

ـ أصلح الله القاضي، هذا الشيخ ظلمني، وأكل مالي.

فقال القاضي: أرفقْ بالشيخ، ولا تستقبله بمثل هذا الكلام.

فقال إياس: إنّ الحق أكبر منّي ومنك ومنه.

قال: اسكتْ.

فقال: وإن سكتّ فمن يقوم بحجّتي؟

قال: فتكلّمْ، والله لا تتكلّم بخير.

فقال: لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له.

فبلغ ذلك الخليفة، فعزل القاضي، وولّىٰ إياساً مكانه.

فُتِنَ الشعبيّ

حُكم على رجل كان قد تخاصم وزوجته لدىٰ الشعبيّ، ولدىٰ خروج الزوجة مرّت بالمتوكّل الليثي فقال:

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لمّا ... رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا
فَتَنَتْهُ بِبَنَانٍ ... حِينَ مَدَّتْ مِعْصَمَيْهَا
فقضىٰ جَوْراً علىٰ ... الخَصْمِ وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا
كَيْفَ لَوْ أَبْصَرَ مِنْهَا ... نَحْرَهَا أَوْ سَاعِدَيْهَا

لَصَبَــــا حَتَّـــىٰ تَـــرَاهُ   ســـاجِـــداً بيـــن يَـــدَيْهـــا

فلاقت هذه المقطوعة رواجاً بين الناس، ممّا حمل القاضي الشعبيّ على الاستعفاء من القضاء.

أشعب والصبيان

قال أشعب مرّة للصبيان:

ـ هذا عمرو بن عثمان يقسّم مالاً.

فمضوا، فلمّا أبطأوا عنه تبِعَهم، يحسب أنْ الأمر قد صار حقّاً.

هو العاقّ الأوّل

قال أبو العيناء: أنا أوّل من أظهر العقوق بالبصرة، قال لي أبي: يا بنّي، إنّ الله قرنَ طاعتَه بطاعتي فقال تعالىٰ: ﴿**أنِ أشكر لي ولوالديك**﴾.

فقلتُ: يا أَبَةِ إنّ الله ائتمنني عليك ولم يأتمنك عليّ فقال: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاق**﴾.

إن الدنيا دار اختبار

قال أبو العيناء لرجل سأله: ما بال الركيك الأحمق يرزق والأديب يحرم؟

فقال: لأنّ هذه الدنيا دار اختبار، وأحبّ الرَّازق أن يعلمهم أنّ الأمور ليست لهم، فإنّ غلّات السواد تباع بكفّ أنموذج فهلا اكتفىٰ في ذلك بنقرة؟

يموت على نحو سيبويه

عن أبي العيناء عن العطري الشاعر أنّه دخل إلىٰ رجل عندنا بالبصرة وهو يجود بنفسه، فقال له: يا فلان قل: (لا إلٰه إلاّ اللَّهُ) وإن شئتَ فقل (لا إلٰه إلاّ اللَّهَ) والأُوْلىٰ أحبّ إلىٰ سيبويه. ثمّ أتبع أبو العيناء ذاك بأن قال: سمعتم ابن الفاعلة يعرض أقوال النحويين على رجل يموت.

في الداء المرغوب

قيل لأبي العيناء: كيف أنتَ؟

قال: في الداء الذي يتمنّاه الناس؛ يعني الهرم.

الرجل الكامل

قال الأصمعي: إنّ أعرابياً سأل عن حال أحد الرجال، فقيل له: إنّه أحمق مرزوق.

فقال الأعرابي: ذاك والله هو الرجل الكامل.

... فكيف الأشرار

سمع أحد الصوفيين سوقيّاً ينادي:

ـ الخيار عشر بدرهم.

فلطم الصوفيّ وجهه وقال:

ـ إذا كان الخيار عشر بدرهم فكيف الأشرار؟!

عسر ويسر

حضر أبو العيناء علويّة المغنّي وكان يضرب بالعسر فقال: اسأل الله الذي جعل السرور بيسارك أن يعطيك كتابك بيمينك.

الأب أكمل

قال رجل لأبي العيناء: كان أبوك أكمل منك. قال أبو العيناء: إنّ أبي كنتُ به ولم يكُ بي، وهو أولىٰ بالكمال منّي.

ظُلْمة

قالوا:

ـ كانت ظُلْمة (فاجرة هذلية) التي يضرب بها المثل في القيادة صبيّة في الكتّاب، فكانت تضرب دويّ الصبيان وأقلامهم، فلمّا شبّت زنت؛ ولمّا أسنّت قادت؛ ولمّا قعدت اشترت تيساً تنزيه على العنز.

فصاحة

دخل أبو العيناء على أحمد بن عليّ وقد صُرف عن ولايته، فقال: إن صُرِفْتَ عن عملك لم تُصرَفْ عن كرمك. فأمر له بمال.

من الهجاء في العصر الحديث

قال أسعد رستم في رجل اعتذر عن ردّ الزيارة:

لَقَدْ زُرْتُ عَمْراً فما زارني ... وَلاَ عَجَبٌ إنْ قَبِلْتُ ٱعْتِذَارَهْ

فإنّ الحِمارَ بإصْطَبْلِهِ ... يُزَارُ وَلَيْسَ يَرُدُّ الزِّيارَهْ

* * *

وقال في هجاء مدّعٍ:

وَمُفْتَخِرٍ قال: إنّ الصَّحافي ... الفُلاَني بِنَثْريَ لم يَلْقَ غَلْطَهْ

فأعْطَىٰ رِيالاً على كُلِّ وَجْهٍ ... لِشَيْءٍ مِنَ النَّثْرِ أحْكَمْتُ ضَبْطَهْ

فَقُلْتُ: ولو كُنْتُ ذَاكَ الصَّحافي ... دَفَعْتُ على الوَجْهِ كفّاً وَلَبْطَهْ

* * *

وقال في هجاء رجل يدعىٰ سليمان:

سَمُّوكَ بِٱسْمِ سُلَيْمَانٍ وقد صَدَقُوا ... فليس بَيْنَكُما فَرْقٌ بذا الصَّدَدِ

فذاكَ وَدَّ نِسَاءً ما لها عَدَدٌ ... وأنْتَ ودَّك شُبَّانٌ بلا عَدَدِ

* * *

وقال في هجاء ثقيل:

سَـــأَلْــتُ الإلٰــهَ تَعَــالــىٰ أَرَبِّــي ... أراكَ حَــــزِيــــنَ الفــؤاد لمـــاذا؟
أجَــابَ مشيــراً إلــىٰ ابْــنِ فُــلانٍ ... لأنّــي خَلَقْــتُ علـى الأرض هَــذا؟

***

وقال في صاحب أنف طويل:

نَــرىٰ بَعْـضُ الأجـانـبِ مَـدَّ جِسْـرٍ ... يُقِـــلُّ العَـــالَمِيـــنَ إلـــىٰ بعيـــدِ
فَيَبْلُـــغُ طُـــولُـــهُ ميـــلاً ونِصْفـــاً ... وَتَـــدْعَمُـــهُ قــوائِـمُ مِـنْ حَـديـد
بنـــاهُ يَقْتَضِـــي وَقْتـــاً طَـــويـــلاً ... وَمَـــالاً مـــا عَلَيْـــهِ مِـــنْ مـــزيـــد
وهـــذا الجِسْـــرُ لـــم أرَ مِـــنْ لُـــزُومٍ ... لـــه مـــا دام أَنْفُـــكَ فـــي الـــوُجُـــود

***

وقال في هجاء رسم قبيح:

قَدْ قالَ مِنْ بَعْدِ طُولِ البَحْثِ دَرُوِينُ ... بِـــأَنَّ أجْـــدَادَنـــا قِـــدْمـــاً سعَـــادِيـــنُ
وَلَـوْ رأىٰ وَجْـهَ هـذا الـرسم كـان لَـهُ ... مِنْـــهُ لِتَـــأْيِيـــدِ دَعْـــوَاهُ بَـــرَاهِيـــنُ

***

كان عند الأرمني بدران آغا كلبة لها جروان، فطلب من الشاعر أسعد رستم تقريظاً ارتجالياً مشترطاً النكتة مهما كانت، فقال:

عِنْـد الصَّـديـقِ رَأَيْـتُ يـومـاً كَلْبَـةً ... حَسْنَـــاءَ فـــي أحضَـــانهـــا جَـــرْوَانِ
قَـــال الصَّـدِيـقُ إذا قَـدِرْتَ فَصِفْهُمـا ... شِعْـــراً فَقُلْـــتُ لـــه: همـــا بَـــدْران

***

وقال في هجاء نحويّ متباهٍ:

يــا أيُّهــا الــرَّجُــلُ المُبَــاهــي غَيْــرَهُ ... عِلْمـــاً وَبَعْـضُ العِلْـمِ لَيْـسَ يَجُـوزُ
فـــي النَّحْـــوِ أشْيَـــاءٌ تَجُـــوزُ وإنَّمـــا ... «أكْـلُ الهـوا» في النَّحْـو لَيْـسَ يَجُـوزُ

***

وقال في هجاء دنيء:

أُرَانـــي بـــالتَّقَمُّـــصِ ذا ٱعْتِقَـــادٍ   أُصَـدِّقُ مـا بـه مَـنْ كُـلِّ قَلْبـي
وأعْلَـــمُ عَـــنْ يَقِيـــنٍ أنّ هـــذا   قَـــدِ ٱنْتَقَلَـــتْ إليـــه رُوحُ كَلْـــب

* * *

اشترك شاكر الخوري في مسابقة شعريّة، فلم تستحسن اللجنة التحكيميّة شعره، فقال:

قـــد كـــان فـــي فحـــص شعـــري   كِـــــرٌّ وَجَحْـــــشٌ وعِيـــــرُ
لَـــــوْ أنّ شِعـــــري شعيـــــر   لاسْتَطْيَبَتْـــــــهُ الحَمِيـــــــرُ
لَكِـــــنَّ شِعْـــــري شُعـــــورٌ   هَـــــلْ لِلْحَمِيـــــرِ شُعـــــورُ؟

* * *

وقال في هجاء قسّ:

وَقَـــسٌّ لِلْفَسَـــادِ غَـــدَا إمـــامـــاً   ولـم يَقْـضِ الصَّـلاةَ وَلاَ الصِّيـامـا
ولـــم يَحْفَـــظْ مِـــنَ الإنْجِيـــلِ قَـــوْلاً   سِـوَىٰ مـا جِئْـتُ كـي أُلْقـي سلامـا

* * *

وقال في قَسٍّ قد عرفه في القدس:

وعِنْـدَمـا زُرْتُ قُـدْساً زُرْتُ أدْيِـرَةً   لِلْقُبْـطِ والـرُّوم سِـرْيَـانٍ وَلاَتِيـنِ
قَـدْ كـانَ مـا بَيْنَهُـمْ عِلْـجٌ يظـنُ بـهِ   فـي سِنٍّ خَمْسينَ أو فـي سنّ ستِّيـن
قَـدْ عَـرَّفُـونـي بِـهِ تَعْـرِيـفَ مُشْتَهِـرٍ   بـأنَّـهُ خَيْـرُ قَـسٍّ فـي فلسْطيـن
مِـنْ نَسْـلِ ذاك الـذي يَسُـوعُ سـرَّفَـهُ   إذْ قَـدْ عَـلا ظَهْـرَهُ يَـوْمَ الشعـانيـن

وقال في رهبان دير صير:

رهبـان صيـر قَـدْ عَـرَفنـا أنَّهُـمْ   لا يُـرْتَجَـىٰ مِنْهُـمْ جَمِيـلٌ لِلْبَشَـرْ
لـم يُشْبِهُـوا يَسُـوعَ فـي تـارِيخِهِـمْ   إلاّ بميـــلادٍ لَـــهُ بَيْـــنَ البَقَـــرْ

* * *

وقال في موت بطريرك:

تُوُفِّيَ بَطْرَكُ الدُّنْيَا ٱغْتِيالاً ... وَقَدْ تَرَكَ البِلادَ وَمَا وَرَاها

وسَلَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ طَوْعاً ... أَظُنُّ اللَّهَ لَنْ يَرْضَىٰ يَرَاها

* * *

وقال في بخيل أُشيع أنّه مات آخر السنة، وكان الخبر عارياً من الصحّة:

تَمَنَّىٰ يوسُفُ المَوْتَ ٱقْتِصَاداً ... وَقَبْلَ نِهَايَةِ السَّنَةِ الجَديدَهْ

لِكَيْ يَنْجُو بِلا تِكٍّ لإبْنِ ... «صباح الخير» في السنة الجديدة

* * *

دخل شاكر الخوري يوماً على رجل يلعب القمار، فغضب المقامر، وقال له: ما جاء بك الآن؟ فقد ألهيتني، فاغتمّ الدكتور شاكر ونظم على الفور:

أَلْهَيْتَني يا شاكراً ... ما هكذا فِعْلُ الصَّديقْ

فَأَجَبْتُهُ إنّي الذي ... يُلْهي الحمارَ عَنِ العَليقْ

* * *

دخل أحد الثقلاء عيادة الدكتور شاكر الخوري، وجلس على كرسي يرتكز على «جحشين» (ركيزتين) من خشب، فانكسر أحد «الجحشين»؛ ولمّا دخل الطبيب أخذ يعتذر عمّا حصل صابّاً جام غضبه على «الجحش» قائلاً: إنّه خِسْعٌ (أي فيه عاهة، وضعيف)؛

فقال الدكتور:

ثَقيلٌ قَدْ عَلاَ ديوانَ تَخْتِي ... فَحَطَّمَ «جَحْشَهُ» وَأَتَىٰ ٱعْتِذارا

وقال: «الجحشُ» خِسْعٌ، قُلْت: كلاّ ... لأنّ الجَحْشَ لا يَلْقَىٰ حِمَارا

* * *

هجاء ولاّدة لابن زيدون

قالت ولاّدة بنت المستكفي في هجاء ابن زيدون:

وَلُقِّبْتَ المُسَدَّسَ وَهْوَ نَعْتٌ ... تُفَارِقُكَ الحَيَاةُ ولا يُفَارِقْ

فَلُــــوطِـــــيٌّ وَمَـــأْبُــــونٌ وَزَانٍ   وَدَيُّـــوثٌ وَقَـــرْنَــــانٌ وَسَـــارِقْ

* * *

هجاء فقيه

وقال أبو بكر اليكّيّ في فقيه:

ثَمَـانـي خِصَـالٍ فـي الفقيـه وَعُـرْسِـهِ   وَثِنْتَـانِ والتَّحْقِيـقُ فـي الأمْـرِ شَيِّـقُ
وَيَكْـذِبُ أحْيَـانـاً وَيَحْلِـفُ حَـانِثـاً   وَيَكْفُـرُ تَقْلِيـداً وَيُـرشَـىٰ وَيَحْمُـقُ
وَعَـاشِـرَةُ الـذِّئْـبِ فيـهِ لأمِّـهِ   إذا ذُكِـرَتْ لـم يَبْـقَ لِلشَّتْـمِ مَنْطِـقُ

* * *

وقال فيه أيضاً:

أَعِـدِ الـوُضُـوءَ إذا نَطَفْـتَ بِـهِ   مُتَـذَكِّـراً مِـنْ قَبْـلِ أنْ تَنْسَـىٰ
وَٱحْفَـظْ ثِيَـابَـكَ إنْ مَـرَرْتَ بِـهِ   فـالظِّـلُّ مِنْـهُ يُنَجِّـسُ الشَّمْسَـا

* * *

هجاء نفسه

وقال ابن حزمون في هجاء نفسه:

تَـأَمَّلْـتُ فـي المِـرْآةِ وَجْهـي فَخِلْتُـهُ   كَوَجْهِ عَجُوزٍ قَدْ أشارَتْ إلىٰ اللَّهْوِ
إذا شِئْـتَ أنْ تَهْجُـو تَـأَمَّـلْ خَلِيقَتـي   فـإنّ بهـا مـا قَـدْ أرَدْتَ مِـنَ الهَجْـوِ
فَلَوْ كُنْتُ مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ لم أكُنْ   مِنَ الرائِقِ البَاهِي ولا الطَّيِّبِ الحُلْوِ

* * *

هجاء أبي دلامة علي بن صالح

قال أبو دلامة في هجاء علي بن صالح:

لِعَلـيّ بْـنِ صـالِـحِ بـن عَلِـيٍّ   حَسَـبٌ لـو يُعِينُـه بِسَمَـاحِ

وَمَــوَاعِيــدُهُ الــرِّيــاحُ فَهَــلْ أنْــتَ بِكَفَّيْــكَ قــابِــضٌ للــرِّيــاحِ
وَبَنُــو صــالــح كَثِيــرٌ وَلٰكِــنْ مــا لَنَــا فــي عَــديــدهــم مــن صــلاَحِ
غَيْــرَ فَضْــلٍ فــإنّ لِلْفَضْــلِ فضــلاً مُسْتَبِينــاً علــى قُــريــشِ البِطَــاحِ

وقال أبو دلامة في الدعابة والفكاهَةِ وهجاء زوجته:

إنّ الخليط أجَدَّ في البَيْنِ فَانْتَجَعُوا يَــوْمَ الــوَدَاعِ فمــا جــاؤوا وَمَــا رَتَعُــوا
واللَّــهُ يَعْلَــمُ أنْ كــادَتْ لِبَيْنِهِــمُ يَــوْمَ الفِــراقِ حَصَــاةُ القَلْــبِ تَنْصَــدِعُ
عَجِبْــتُ مِــنْ صِبْيَتِــي يــومــاً وَأُمِّهِــمُ أُمِّ الــدّلامَــةِ لمّــا هــاجهــا الجَــزَعُ
لا بــارك اللَّــه فيهــا مِــنْ مُنَبِّهَــةٍ هبــتْ تَلُــومُ عِيَــالــي بَعْــدَمــا هَجَعُــوا
ونحــن مُشْتَبِهُــو الألْــوانِ أوْجُهُنَــا سُــودٌ قِبَــاحٌ وفــي أسْمَــائِنَــا شَنَــعُ
أَذَابَــكَ الجُــوعُ مُــذْ صَــارَتْ عِيَــالَتُنَــا علــى الخَلِيفَــةِ منــه الــرِّيُّ والشِّبَــعُ
لا والــذي يــا أميــرَ المــؤمنيــن قَضَــىٰ لَــك الخِــلاَفَــةَ فــي أسْبَــابِهــا الــرِّقَــعُ
مــا زِلْــتُ أخْلِصُهــا كَسْبِــي فَتَــأْكُلُــهُ دُونِــي وَدُونَ عِيَــالــي ثُــمَّ تَضْطَجِــعُ
شَــوْهَــاءُ مَشْنَــأَةٌ فــي بَطْنِهَــا ثَجَــلٌ وفــي المَفَــاصِــلِ مِــنْ أوْصَــالِهــا فَــدَعُ
ذَكَّــرْتُهــا بِكِتَــاب اللَّــهِ حُــرْمَتَنَــا ولــم تَكُــنْ بكِتَــابِ اللَّــهِ تَنْتَفِــعُ
فَٱخْرَنْطَمَتْ ثمّ قالَتْ وهي مُغْضَبَةٌ أَأَنْــتَ تَتْلُــو كِتَــابَ اللَّــهِ يــا لُكَــعُ
ٱخْــرُجْ لِتَبْــغِ لنــا مــالاً وَمَــزْرَعَــةً كمــا لِجِيــرانِنــا مــالٌ وَمُــزْدَرَعُ
وَٱخْــدَعْ خَلِيفَتَنــا عَنْهــا بِمَسْــأَلَــةٍ إنّ الخَلِيفَــةَ لِلسُّــؤّالِ يَنْخَــدِعُ

هجائيات دعبل الخزاعي

دعبل بن عليّ بن رزين الخزاعي، أبو علي: شاعر هجّاء. أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد. وكان صديق البحتريّ. وصنف كتاباً في «طبقات الشعراء».

قال ابن خلكان في ترجمته: كان بذيء اللسان مولعاً بالهجو والحطّ من أقدار الناس، وهجا الخلفاء: الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق، فمن دونهم، وطال عمره فكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من

يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك! توفي ببلدة تدعىٰ الطيب (بين واسط وخوزستان) وكان طوالاً ضخماً أطروشاً، له «ديوان شعر» جمع فيه بعض الأدباء ما بقي متفرقاً من شعره.

قال في هجاء مالك بن طوق:

النـاسُ كُلُّهُـمْ يَسْعَـىٰ لِحَـاجَتِـهِ ... مـا بَيْـنَ ذي فَـرَحٍ مِنْهُـمْ وَمَهْمُـومِ
وَمَـالِـكٌ ظَـلَّ مَشْغـولاً بِنِسْبَتِـهِ ... يَـرُمُّ مِنها خـرابـاً غيـر مَـرْمُـومِ
يبنـي بيُـوتـاً خـرابـاً لا أنيـسَ بهـا ... ما بين طَوْقٍ إلىٰ عَمْرِو بنِ كُلْثومِ

❊ ❊ ❊

وقال أيضاً:

إنّ بنـي طـوقٍ لأُعْجُـوبَـةٌ ... تَحَـارُ فـي وَصْفِهِـمُ الفِكْـرَهْ
أبُـوهُـمْ أسْمَـرٌ فـي لَـوْنِـهِ ... والقَـوْمُ فـي ألْـوَانِهِـمْ شُقْـرَهْ
أظُنُّـهُ حيـن أتَـىٰ أُمَّهُـمْ ... صَيَّـرَ فـي نُطْفَتِـهِ مَغْـرَهْ

❊ ❊ ❊

وقال أيضاً:

لا خَيْـرَ فيـكَ سِـوَىٰ كَـلامٍ طَيِّـبٍ ... وَمَـوَاعِـدٍ تُـدْنـي وَفِعْـلٍ يُبْعِـدُ
وَأبُـوَّةٍ فـي تَغْلِـبٍ لَـوْ أنّهـا ... لِلْكَلْـبِ كـان الكَلْـبُ فيهـا يَـزْهَـدُ

❊ ❊ ❊

وقال في هجاء قينة ابن الزيات:

إنّ ابـن زيّـاتٍ لـه قَيْنَـةٌ ... أرْبَـتْ علـى الشَّيْطـانِ فـي القُبْـحِ
سَـوْدَاءُ شَـوْهَـاءُ لهـا شعْـرَةٌ ... كـأنّهـا نَمْـلٌ علـى مِسْـحِ
فَلَـوْ بَـدَتْ حـاسِـرَةً فـي الضُّحَـىٰ ... لاسْـوَدَّ منهـا فَلَـقُ الصُّبْـحِ

❊ ❊ ❊

وقال في هجاء رجل:

كـأنَّـهُ كَبْـشٌ إذا مـا بَـدَا ... لَكِنَّـهُ فـي طَبْعِـهِ نَعْجَـهْ

فَـأَنْـتَ إنْ تَقْعُـدْ إلـىٰ جَنْبِـهِ تخـال فـي خِصْيَتَيْـهِ قَنْجَـهْ

* * *

وقال في هجاء آخر:

تَمَّـتْ مقـابِـحُ وَجْهِـهِ فَكَـأَنَّـهُ طَلَـلٌ تَحَمَّـلَ سَـاكِنُـوهُ فـأوْحَشَـا

لَوْ كانَ لإسْتِكَ ضِيقَ صَدْرِكَ أو لصَدْ رِكَ رَحْبُ دُبْرِكَ كنت أكْحَلَ مَنْ مَشَىٰ

* * *

وقال أيضاً:

مـالـي رأَيْتُـكَ لَسْـتَ تُثْمِـرُ طيّبـاً عَـذْبـاً وَأَصْلُـكَ هـاشِمِـيّ المَغْـرِسِ

حتّـىٰ كـأَنَّـكَ نِقْمَـةٌ فـي نِعْمَـةٍ أو غُصْنُ شَوْكٍ في حَدِيقَةِ نَرْجِسِ

* * *

وقال في صاحب لحية:

يُلَـوِّثُ لِحْيَـةً عَـرُضَـتْ وَطَـالَـتْ ويُمْـرِثُهـا كَتَمْـرِيـثِ الخَمِيـرَهْ

فَيَـا لَـكِ لِحْيَـةً وَضـرَىٰ وشَيْبـاً كـأَنَّـكَ قَـدْ أَكَلْـتَ بهـا مَضِيـرَهْ

* * *

وقال في هجاء بخيل:

ما كُنْتُ إذْ طَلَبَتْ يَدَايَ بِكَ الغِنىٰ إلاّ كطـالـب خُطْبَـةٍ مـن أخْـرَسِ

والمَجْـدُ يُفْسِـدُه اللّئيـمُ بِلُـؤْمِـهِ كـالمِسْـكِ يَفْسُـدُ رِيحُـهُ بـالكنـدُسِ

* * *

وقال في هجاء بخيل آخر:

أَتُقْفِـلُ مَطْبَخـاً لا شـيءَ فيـه مِـنَ الـدُّنْيـا يُخَـافُ عليـه أكْـلُ؟

فهـذا المَطْبَـخُ اسْتَـوْثَقْـتَ مِنْـهُ فمـا بـالُ الكَنِيـفِ عَلَيْـهِ قُفْـلُ

وَلٰكِـنْ قـد بَخِلْـتَ بكـلّ شَـيْءٍ فَحَتَّـىٰ السَّلْـحُ منـك عليـه بُخْـلُ

* * *

وقال في هجاء مغنٍّ:

وَمُغَـــــنٍّ إنْ تغنّـــــىٰ ... أوْرَثَ النُّـــدْمَـــانَ هَمّـــا

أحْسَـــنُ الأقْـــوامِ حَـــالاً ... فيـــه مَـــن كـــان أصَمّـــا

* * *

وقال في هجاء أبي عمران البخيل:

رَأيْـتُ أبـا عِمْـرَانَ يَبْـذُلُ عِـرْضَـهُ ... وَخُبْزُ أبي عِمْرَانَ في أحْرَزِ الحِرْزِ

يَحِـنُّ إلـىٰ جـارَاتِـهِ بَعْـدَ شَبْعِـهِ ... وَجَـارَاتُـهُ غَـرْثَـىٰ تَحِـنُّ إلـىٰ الخُبْـزِ

* * *

وقال فيه أيضاً:

أتَيْـتُ آبْـنَ عمْـرَانَ فـي حَـاجَـةٍ ... هُـوَيِّنَـةِ الخَطْـب فَـالْتَـاثَهَـا

تظَـلُّ جِيـادِي علـى بَـابِـه ... تَـرُوثُ وتـأكُـلُ أرْوَاثَهَـا

غَـوَارِث تَشْكُـو إلـىٰ الخَـلا ... أطَـالَ ابْـنُ عِمْـرانَ إغْـراثَهـا

* * *

وقال في هجاء بخيل:

إنّ هـذا الفتَـىٰ يَصُـونُ رغيفـاً ... مـا إليـه لنـاظـر مـن سبيـلِ

هـو فـي سُفْـرَتَيْـنِ مـن أدَم الطـا ... ئِـفِ فـي سَلَّتَيْـن فـي منـديـلِ

خُتِمَـتْ كُـلُّ سَلَّـةٍ بِـرَصَـاصٍ ... وَسُيُـورٍ قُـدِدْنَ مِـنْ جِلْـدِ فيـلِ

في جرابٍ في جَوْفِ تابوتِ مُوسىٰ ... والمفـاتيـحُ عنْـدَ ميكـائيـل

* * *

وقال في هجاء مغنّية اسمها برهان:

بُـرْهَـانُ لا تُطْـرِبُ جُـلاّسَهـا ... حتَّـىٰ تُـريـكَ الصَّـدْرَ مَكْشُـوفـا

شبَّهْتُهـا لمّـا تَغَنَّـتْ لَهُـمْ ... بِنَعْجَـةٍ قَـدْ مَضَغَـتْ صُـوفـا

* * *

وقال في هجاء الخليفة المعتصم، وهو ثامن الخلفاء العباسيّين:

مُلُوكُ بَني العبّاسِ في الكُتْبِ سبْعةٌ ... وَلَـمْ تَـأْتِنَا عَـنْ ثـامِـنٍ لَهُـمْ كُتْـبُ
كذلِكَ أهْلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سَبْعةٌ ... خِيَـارٌ إذا عُـدُّوا وثـامِنُهُـمْ كَلْـبُ
وإنّـي لأُعْلـي كَلْبَهُـمْ عَنْـكَ رُتْبَـةً ... لأنّـك ذو ذَنْـبٍ وليـس لَـهُ ذَنْـبُ

❊ ❊ ❊

وبعد موت المعتصم وتولّي الواثق قال:

الحَمْـدُ لِلّـهِ لا صَبْـرٌ وَلاَ جَلَـدُ ... وَلاَ عَـزَاءٌ إذا أهْـلُ البَـلاَ رَقَـدُوا
خليفـة مَـاتَ لـم يَحْـزَنْ لـه أحَـدٌ ... وآخـرٌ قَـامَ لـم يفـرح بـه أحَـدُ
فَمَـرَّ هـذا وَمَـرَّ الشـؤْمُ يَتْبَعُـهُ ... وَقَـامَ هـذا فقـامَ الـوَيْـلُ والنَّكَـدُ

❊ ❊ ❊

وفي هجاء المتوكّل العباسيّ قال:

وَلَسْـتَ بِقَـائـلٍ قَـذْعـاً وَلٰكِـنْ ... لأمـرٍ مـا تَعَبَّـدَكَ العَبِيـدُ

❊ ❊ ❊

وفي هجاء أبي نصير بن حُميد الطوسي قال:

أبـا نُصَيْـرٍ تَحَلْحَـلْ عـن مَجَـالِسِنـا ... فـإنّ فيـك لِمَـنْ جـاراكَ مُنْتَقَصَـا
أنْـتَ الحِمَـارُ حَـرُونـاً إذ رَفَقْـتَ بِـهِ ... وإنْ قَصَـدْتَ إلـىٰ مَعْـرُوفِـهِ قَمَصَـا
إنّـي هَـزَزْتُـكَ لا آلـوت مُجْتَهِـداً ... لـو كُنْـتَ سَيْفـاً ولٰكِنّي هَـزَزْتُ عَصَـا

❊ ❊ ❊

وفي هجاء عمرو بن عاصم قال:

وَنُبِّئْـتُ كَلْبـاً مِـنْ كِـلاب يَسُبُّنـي ... وَمَحْـضُ كِـلابٍ يَقْطَـعُ الصَّلَـوَاتِ
فـإنْ أنـا لـم أُعْلِـمْ كـلابـاً بـأنَّهـا ... كِـلابٌ وَإنّـي بـاسِـلُ النقمـاتِ
فَكَـانَ إذَنْ مـن قَيْـسِ عَيْلاَنَ والـدي ... وكـانَـتْ إذَنْ أمّـي مِـنَ الحَبِطـاتِ

❊ ❊ ❊

هجائيات بشار بن برد

بشار بن برد العقيلي (٩٥ هـ/ ٧١٤ م ـ ١٦٧ هـ/ ٧٨٤ م) بالولاء، أبو معان: أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان غربي نهر جيحون ونسبته إلىٰ امرأة عقيلية قيل إنها أعتقته من الرق. وكان ضريراً. نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولىٰ، جمع بعضه في «ديوان» ٣ أجزاء منه.

قال الجاحظ: «كان شاعراً راجزاً، سجَّاعاً خطيباً، صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة». واتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط، ودفن بالبصرة. وكانت عادته، إذا أراد أن ينشد أو يتكلم، يتفل عن يمينه وشماله ويصفق بإحدىٰ يديه على الأُخرىٰ ثم يقول. وأخباره كثيرة. ولبعض المعاصرين كتب في سيرته، منها «بشار بن برد» لإبراهيم عبد القادر المازني، ومثله لأحمد حسين منصور، ولحسنين القرتي، ولمحمد علي الطنطاوي، ولحنا نمر، ولعمر فروخ.

قال في هجاء يعقوب بن داود:

بَنِـي أُمَيَّـةَ هُبُّـوا طـالَ نَـوْمُكُـمُ ... إنَّ الخَلِيفَـةَ يَعْقُـوبُ بْـنُ دَاوُدِ
ضاعَتْ خِلاَفَتُكُمْ يا قَوْمُ فَالْتَمِسُوا ... خَلِيفَـةَ اللَّـهِ بَيْـنَ النَّـايِ والعُـودِ

وقال في هجاء عبد الله بن قزعة:

خَلِيلَـيَّ مِـنْ كَعْـبٍ أَعِينَـا أَخَـاكُمـا ... عَلَـىٰ دَهْـرِهِ إنَّ الكَـرِيـمَ مُعِيـنُ
فَـلا تَبْخَـلاَ بُخْـلَ ٱبْـنِ قَـزْعَـةَ إنَّـهُ ... مَخَـافَـةَ أنْ يُـرْجَـىٰ نَـدَاهُ حَـزِيـنُ
إذا جِئْتَـهُ فـي الخَلْـقِ أَغْلَـقَ بَـابَـهُ ... فَلَـمْ تَلْقَـهُ إلاّ وأنْـتَ كَمِيـنُ
إذا سَلَّـمَ المِسْكِيـنُ طـارَ فُـؤَادُهُ ... مَخَـافَـةَ سُـؤْلٍ وٱعْتَـراهُ جُنُـونُ
كـأنّ عُبَيْـدَ اللَّـهِ لَـمْ يَـرَ مـاجِـداً ... وَلَـمْ يَـدْرِ أنّ المَكْـرُمَـاتِ تَكُـونُ
فَقُـلْ لأبـي يَحْيَـىٰ متىٰ تُـدْرِك العُلَىٰ ... وفـي كُـلِّ مَعْـرُوفٍ عَلَيْـكَ يَمِيـنُ

* * *

وقال في هجاء عمرو بن العلاء:

ٱرْفِـقْ بِنِسْبَـة عَمْـرٍو حيـنَ تَنْسُبُـهُ ... فَـإنَّـهُ عَـرَبِـيّ مِـنْ قَـوَارِيـرِ

مـــا زالَ فـــي كِيـــرِ حـــدّادٍ يُـــرَدِّدُهُ ... حتّـــىٰ بـــدا عَـــرَبِيّـــاً مُظْلـــمَ النـــورِ
إنْ جـــازَ آبـــاؤهُ الأنـــذالُ فـــي مُضَـــرٍ ... جَـــازَتْ فُلُوسُ بُخَـــارَىٰ فـــي الدنـــانيرِ

* * *

وقال في هجاء حمّاد عجرد:

نِعْـــمَ الفَتَـــىٰ لَـــوْ كَـــانَ يَعْبُـــدُ رَبَّـــهُ ... وَيُقِيـــمُ وَقْـــتَ صَـــلاَتِـــهِ حَمّـــادُ
وأبْيَـضُ مـن شُـرْبِ المُـدَامَـةِ وَجْهُـهُ ... وَبَيَـــاضُـــهُ يَـــوْمَ الحسَـــابِ ســـوادُ

* * *

وقال فيه أيضاً:

قُـلْ لِـلأَمِيـن جَـزَاكَ اللّـهُ صَـالِحَـةً ... لا يَجْمَعُ اللّهُ بين السّخْل والذِّيب
السّخْـــلُ يَعْلَـــمُ أنَّ الـــذئـــبَ آكِلُـــهُ ... والذئبُ يَعْلَمُ ما بالسخلِ من طيب

* * *

ومن جميل قوله في جمعه بين المدح والهجاء:

أضيافُ عمرٍو في خَفْضٍ وفي دَعَةٍ ... وفـي عَطَـاءٍ لَعَمْـري غيـر مَمْنُـوعِ
وَضَيْفُ عَمْرٍو وَعَمْرٌو يَسْهَرَان معاً ... هـــذا لِبِطْنَتِـــهِ والضَّيْـــفُ لِلْجُـــوعِ

* * *

وقال في هجاء رجل اسمه مسعود:

لم يَدْرِ ما قُلْتُ «مسعود؟» فضيَّعهُ ... يا سَوْءَتا منْ طِلابي جُودَ مَسْعُودِ
وقائلٍ: كيف «مسعود؟» فقُلْتُ لهُ: ... هـو الجَـوَادُ ولكـنْ فـاسِـقُ الجُـودِ
غَيْـثُ الـزَّوَانـي إذا أمْسَـىٰ بِعَقْـوَتِـهِ ... وآفَـــةُ المـــالِ بَيْـــنَ الـــزِّقِّ والعُـــودِ

* * *

وقال في هجاء سليمان بن علي:

يـا سَـوْءَةً يُكْثِـرُ الشيطـانُ إنْ ذُكِـرَتْ ... منها التَّعَجُّبَ جَاءَتْ مِنْ سُلَيْمَانا
لا تَعْجَبَـــنَّ لِخَيْـــرٍ زالَ مـــن يَـــدِهِ ... فَكَوْكَبُ النَّحْسِ يَسْقي الأرضَ أحْيَانا

* * *

وفي هجاء أحدهم قال:

أَتَذْكُرُ إذْ تَرْعَىٰ على الحيِّ شَاءَهُمْ … وأنْتَ شَرِيكُ الكَلْبِ في كُلِّ مَطْعَمِ

وَتَلْحَسُ ما في القَعْبِ من فَضْلِ سُؤْرِهِ … وَقَدْ عَاثَ فيه باليَدَيْنِ وبالفمِ

وقال في هجاء العباس أخي الخليفة أبي جعفر المنصور:

ظلُّ اليَسَارِ على العبّاسِ مَمْدُودُ … وَقَلْبُهُ أَبَداً بالبُخْلِ مَفْقُودُ

إنّ الكريمَ لَتَخْفَىٰ عَنْكَ عُسْرَتُهُ … حتّىٰ تَرَاهُ غَنِيّاً وهو مَجْهُودُ

وَلِلْبَخِيلِ على أمْوَالِهِ عِلَلٌ … زُرْقُ العُيُونِ عَلَيْها أوْجُهٌ سُودُ

* * *

وقال بشار في هجاء أبي دلف:

أبو دُلَفٍ كالطبلِ يَذْهَبُ جوفُهُ … وباطِنُهُ خِلْوٌ مِنَ الخَيْرِ أخْرَبُ

أبا دُلَفٍ يا أكْذَبَ الناسِ كُلِّهِمْ … سِوَايَ فإنّي مِنْ مَدِيحِكَ أكذَبُ

* * *

قال بشار في ثقيل:

رُبَّمَا يَثْقُلُ الجَلِيسُ وإنْ كانَ … خفيفاً في كِفَّةِ الميزان

كيفَ لا تَحْمِلُ الأمَانَةَ أَرْضٌ … حمَلَتْ فَوْقَها أبا سُفْيانَ؟!

* * *

وقال في آخر:

هلْ لَكَ في مالي وعِرْضي معاً … وَكُلِّ مَا يَمْلِكُ جِيرانِيَهْ

وَاذْهَبْ إلىٰ أبْعَدِ ما يُنْتَوَىٰ … لا رَدَّكَ اللّهُ ولا مالِيَهْ

* * *

وقال أيضاً في هجاء هلال بن عطيّة:

وَكَيْفَ يَخِفُّ لي بَصَري وَسَمْعِي … وَحَوْلي عَسْكَرَانِ مِنَ الثِّقالِ

قُعُوداً حَوْلَ دَسْكَرَتي وعِنْدي … كأنَّ لَهُمْ عليّ فَضْلَ مالِ

إذا مـــا شِئْـــتُ صَبَّحَنِـــي هِـــلاَلٌ   وأيُّ النـــاسِ أثْقَـــلُ مِـــنْ هِـــلالِ؟!

***

وقال في يزيد بن منصور حين قطع وظيفته:

أبـا مخلَـدٍ مـا زِلْـتَ سبّـاح غَمْـرَةٍ   صغيراً فلمّا شِبْتَ خَيَّمْتَ بالشاطي
جَـرَيـتَ زمـانـاً سـابقـاً ثـم لـم تَـزَلْ   تأخَّرُ حتىٰ جِئْتَ تَقْطُو مع القاطي
كَسِنَّـــوْرِ عَبْـــدِ اللَّـــهِ بيْـــعَ بِـــدِرْهَـــمٍ   صغيـــراً فلّمـــا شـــبّ بيـــع بقيـــراط

***

وفي هجاء واسط يقول:

علـى واسـطٍ مـن ربِّهـا ألْـفُ لَعْنَـةٍ   وتِسْعَـةُ آلافٍ علـى أهـل واسـطِ
أَيُلْتَمَسُ المَعْـرُوفُ مِـنْ أهْـلِ وَاسِـطٍ   وواسـطُ مَـأْوَىٰ كُـلِّ عِلْـجٍ وسـاقـط
وإنّـــي لأرْجُـــو أنْ أنـــالَ بِشَتْمِهِـــمْ   مِـنَ اللّـهِ أجْـراً مِثْـلَ أجْـرِ المـرابـط

***

وقال في هجاء أعرابيّ:

خَلِيلـــيَّ لا أنـــام علـــى ٱقْتِســـارِ   ولا آبَـــىٰ علـــى مـــولَـــىٰ وَجَـــار
سَـــأُخْبِـــرُ فَـــاخِـــرَ الأعـــرَابِ عَنِّـــي   وَعَنْـــهُ حِيـــنَ تَـــأْذَنُ بـــالفخـــارِ
أحِيـــنَ كُسِيـــتَ بَعْـــدَ العُـــرْيِ خَـــزّاً   وَنَـــادَمْـــتَ الكِـــرامَ عَلَـــىٰ العُقَـــارِ
تُفَـــاخِـــرُ يـــابْـــنَ رَاعِيَـــةٍ وَرَاعٍ   بَنِـي الأحْـرَارِ حَسْبُـكَ مِـنْ خَسَـارِ
وَكُنْـــتَ إذا ظَمِئْـــتَ إلـــىٰ قَـــرَاحٍ   شَـرِكْـتَ الكَلْـبَ فـي وَلَـغِ الإطـار
تَـــرِيـــغُ بِخُطْبَـــةٍ كَسْـــرَ المَـــوَالـــي   وَيُنْسِيـــكَ المَكَـــارِمَ صَيْـــدُ فَـــارِ
وتَغْـــدُو لِلْقَنَـــافِـــذِ تَـــدَّرِيهـــا   ولـــم تَعْقِـــلْ بِـــدَرّاجِ الـــدِّيَـــارِ
وَتَتَشَـــحُ الشِّمـــالَ لِـــلاَبِسِيهـــا   وَتَـــرْعَـــىٰ الضَّـــأْنَ بـــالبَلَـــدِ القِفَـــارِ
مَقَـــامُـــكَ بَيْنَنَـــا دَنَـــسٌ عَلَيْنَـــا   فَلَيْتَـــكَ غـــائِـــبٌ فـــي حـــرِّ نـــارِ
وَفَخْـــرُكَ بيـــن خِنْـــزِيـــرٍ وَكَلْـــبٍ   علـــى مِثْلـــي مـــن الحَـــدَثِ الكُبَـــارِ

***

هجائيات أبي نواس

قد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته. له «ديوان شعر» وديوان آخر سمي «الفكاهة والائتناس في مجون أبي نواس» ولابن منظور كتاب سماه «أخبار أبي نواس» في جزأين صغيرين، ولعبد الرحمٰن صدقي «ألحان الحان في حياة أبي نواس» ولعباس مصطفىٰ عمار «أبو نواس» ومثله لعمر فروخ. ولزكي المحاسني «النواسي» ولابن هفان عبد الله المهزمي «أخبار أبي النواس». وفي تاريخي ولادته ووفاته خلاف، قيل في ولادته ١٣٠ و١٣٦ و١٤١ و١٤٥ و١٤٦، وقيل في وفاته ١٩٥ و١٩٦ و١٩٨ هـ.

قال أبو نواس في هجاء بخيل:

أبُـو نـوحٍ أتَيْـتُ إليـه يـومـاً ... فَغَـدَّانـي بِـرَائِحَـةِ الطَّعَـامِ
وَقَـدَّمَ بَيْنَنَـا لَحمـاً سَمِينـاً ... ألَكْنَـاهُ علـى طَبَـقِ الكَـلامِ
فكَـانَ كَمَـنْ سَقَـىٰ الظمـآن آلاً ... وَكُنْـتُ كَمَـنْ تَغَـدّىٰ فـي المَنَـامِ

* * *

وقال في هجاء العباس بن فضل:

رأَيْـتُ الفَضْـلَ مُكْتَئِبـاً ... يُنَـاغِـي الخُبْـزَ والسَّمكَـا
فَقَطَّـبَ حيـن أبْصَـرَنـي ... وَنَكَّـسَ رأسَـهُ وَبَكـىٰ
فَلَمّـا أنْ حَلَفْـتُ لَـهُ ... بـأنّـي صَـائِـمٌ ضَحِكَـا

* * *

وقال في هجاء الجرجاني:

بِـمَ أهْجُـوكَ؟ لا أدْرِي ... لِسـانـي فِيـكَ لا يَجْـري
إذا فَكَّـرْتُ فـي عِـرْضِـكَ ... أشْفَقْـتُ علـى شِعْـري

* * *

وقال في هجاء العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي:

ألُـومُ عبّـاسـاً علـى بُخْلِـهِ ... كَـأنَّ عَبّـاسـاً مِـنَ النَّـاسِ
وإنّمـا العَبَّـاسُ فـي قَـومِـهِ ... كـالثُّـومِ بيـنَ الـوَرْدِ والآسِ

وقال أيضاً:

لَقَدْ غرَّني مِنْ جَعْفَرٍ حُسْنُ بابِهِ ... وَلَمْ أدْرِ أنَّ اللُّؤْمَ حَشْوُ إهابِهِ

فَلَسْتُ وإنْ أخْطَأتُ في مدح جَعْفَرٍ ... بأوَّلِ إنسانٍ خرىٰ في ثِيَابِهِ

* * *

وقال في هجاء بخيل:

إذا فَقَدَ الرغيفَ بكَىٰ عَلَيْهِ ... بُكا الخَنْسَاء إذْ فُجِعتْ بِصَخْرِ

وَدُونَ رَغِيفِهِ قَلْعُ الثنايا ... وحَرْبٌ مِثْلَ وَقْعَةِ يومِ بَدْرِ

* * *

وقال في هجاء آخر:

خُبْزُ الخصيبِ مُعَلَّقٌ بالكَوكَبِ ... يُحمىٰ بكُلِّ مُثَقَّفٍ وَمُشَطَّبِ

جَعَلَ الطَّعامَ على السُّغاب مُحَرَّماً ... قُوتاً وَحَلَّلَهُ لِمَنْ لَمْ يُسْغَبِ

فإذا هُمْ رأَوا الرَّغِيفَ تَطَرَّبُوا ... طَرَبَ الصُّيَّامِ إلىٰ أذانِ المغرب

* * *

وقال أيضاً:

نَفَسُ الخَصِيبِ جَمِيعُهُ كِذْبُ ... وَحَدِيثُهُ لِجَلِيسِهِ كَرْبُ

تَبْكِي الثيابُ عَلَيْهِ مُعْوِلَةً ... أنْ قَدْ يَجُرُّ ذُيُولَها كَلْبُ

* * *

وقال في هجاء جعفر:

أرَىٰ جعفراً يَزْدَادُ بُخْلاً ودِقَّةً ... إذا زادهُ الرَّحْمنُ في سَعَةِ الرِّزْقِ

وَلَوْ جاءَ غَيْرُ البُخْلِ مِنْ عِنْدِ جَعْفَرٍ ... لما حَسِبَتْهُ الناسُ إلاّ من الحُمْقِ

* * *

وقال في هجاء حمدان:

قُولاَ لحمدانَ وَمَا شِيمَتي ... أنْ أهْدِيَ النُّصحَ لَهُ مُخْلِصَا

ما أنْتَ بالحُرِّ فَتُلْحَىٰ وَلاَ ... بالعَبْدِ أسْتَعْتِبُهُ بالعَصَا

فَــــرَحْمَـــــةُ اللَّــــهِ علـــى آدَمٍ رَحْمَــةَ مَــنْ عَــمَّ ومَــنْ خصَّصـا
لـــو كـــانَ يَــدْري أنَّـــهُ خــارِجٌ مِثْلُــكَ فــي أبنــائِــهِ لاخْتَصَــىٰ

* * *

وقال في هجاء الرقاشيين:

أمــاتَ اللَّــهُ مِــنْ جُــوعٍ رِقَــاشــاً فَلَــوْلاَ الجُــوعُ مـا مـاتَـتْ رِقَـاشُ
وَلَــوْ أشْمَمْــتَ مَــوْتَـاهُــمْ رَغِيفـاً وَقَــدْ سَكَنُــوا القُبُــورَ إذَنْ لَعَــاشُــوا

* * *

وقال فيهم أيضاً:

قِدْرُ الرقاشِيّينَ مَضْرُوبٌ بها المَثَلُ فـي كُـلِّ شَـيْءٍ خَـلاَ النيـرانِ تُبْتَـذَلُ
تَشْكُـو إلـىٰ قِـدْرِ جـاراتٍ إذا ٱلْتَقَيَـا اليَــومَ لـي سَنَــةٌ مـا مَسَّنـي بَلَــلُ

* * *

وقال في وصف بخيل:

سِيَّـــــانِ كَسْـــــرُ رَغيفِـــــهِ أو كَسْــرُ عَظْــمٍ مِــنْ عِظَــامِــهْ
فَـــٱرْفِـــقْ بِكَسْـــرِ رَغِيفِـــهِ إنْ كُنْــتَ تَــرْغَــبُ فــي كَــلاَمِــهْ
وَتَــــرَاهُ مــــن خَــــوْفِ النُّــــزُولِ بِــــهِ يُــــرَوَّعُ فــــي مَنَــــامِــــهْ

* * *

وقال أيضاً:

خانَ عَهْدِي عَمْرٌو وما خُنْتُ عَهْدَهْ وَجَفَــانــي ومــا تَغَيَّــرْتُ بَعْــدَهْ
لَيْـسَ لـي مُـذْ حَيِيـتُ ذَنْـبٌ إلَيْـهِ غَيْـرَ أنِّـي يـومـاً تَغَـدَّيْـتُ عِنْـدَهْ

* * *

وقال في هجاء سعيد بن مسلم:

رَغِيــفُ سَعيــدٍ عِنْــدَهُ عِــدْلُ نَفْسِــهِ يُقَلِّبُــهُ طَــوْراً وطَــوْراً يُــلاَعِبُــهْ
ويُخْــرِجُــهُ مِــنْ كُمِّــهِ فَيَشُمُّــهُ وَيُجْلِسُــهُ فــي حِجْــرِهِ ويخــاطِبُــهْ
فــإنْ جــاءَهُ المِسْكِيـنُ يَطْلُـبُ فَضْلَـهُ فَقَــدْ ثكِلَتْــهُ أُمُّــهُ وَأَقَــارِبُــهْ

يُكَرُّ عليه السَّوْطُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ... وَتُكْسَرُ رِجْلاَهُ وَيُنْتَفُ شارِبُهْ

* * *

وقال في رجل يدعىٰ إسماعيل:

علىٰ خُبْزِ إسْمَاعِيلَ واقِيَةُ البُخْلِ ... وَقَدْ حَلَّ في دَارِ الأمَانِ مِنَ الأكْلِ

وما خُبْزُهُ إلاّ كآوىٰ يُرَىٰ ٱبْنُهَا ... وَلَمْ تَرَ آوىٰ في الحَزُونِ ولا السَّهْلِ

وما خُبْزُهُ إلاّ كَعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ ... تُصَوَّرُ في بُسْطِ المُلُوكِ وفي المُثْلِ

يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ... سِوَىٰ صُورَةٍ ما أنْ تُمِرَّ ولا تُحْلي

* * *

متىٰ عميت

دخل الشعبيّ الحمّام فرأىٰ داود الأزدي بلا مئزر، فأغمض عينيه. فقال داود:

ـ متىٰ عميت يا أبا داود؟

قال: منذ أن هتك الله سترك.

كَمَا وَصَفْتُ

جاء رجل ليخطب امرأة، فجاء قومها إلىٰ الشعبيّ يسألونه عنه ـ وكان من معارفه ـ فقال لهم:

ـ هو، والله ما علمت، نافذ الطعنة، ركين الجلسة. فزوَّجوه، فإذا هو خيّاط. فأتوه، فقالوا له: غدرتنا.

فقال: ما فعلت، وإنّه لَكَما وصفت.

يبدّد شمله بالأسفار

قيل لأعرابي: إن شهر رمضان قد قدم.

فقال: والله لأُبدّدنّ شمله بالأسفار.

هَجَا ومَدَحَ

سمع أعرابيّ قارئاً يقرأ القرآن حتىٰ أتىٰ على قوله تعالى: ﴿**الأعرابُ أشَدُّ كفراً ونفاقاً**﴾، فقال: لقد هجانا.

ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ﴿**ومِنَ الأعرابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ**﴾، فقال:

ـ لا بأس، هَجَا ومَدَحَ. وكما قال شاعرنا:

هَجَوْتُ زُهَيْراً ثمّ إنّي مَدَحْتُهُ   وما زالَتِ الأشْرَافُ تُهْجَىٰ وَتُمْدَحُ

أشعب والمعروف

قال رجل من قريش لأشعب:

ـ والله ما شكرت معروفي عندك.

فقال أشعب: إنّ معروفك كان غير مُحْتَسب فوقع عند غير شاكر.

يا فاعلة

حكىٰ أشعب عن أمّه أنّها كانت تُغري بين أزواج النبيّ (ص)، وأنّها زَنَتْ، فَحُلِقَتْ وطِيفَ بها، وكانت تنادي على نفسها.

ـ من رآني فلا يَزْنِيَنَّ!

فقالت لها امرأة كانت تطلع عليها:

ـ يا فاعلة، نهانا الله عزّ وجلّ عنه فَعَصَيْناه، أَوَ نطيعكِ وأنتِ مجلودة محلوقة راكبة على جمل!!

سورة المائدة

سئل طفيلي:

ـ أي سورة قرآنية تعجبك؟

فأجاب: سورة المائدة.

فقالوا: أي آية تفضّل؟

قال: ﴿ذرْهُمْ يَأْكُلُوا ويَتَمَتّعُوا﴾.

قالوا: ثم ماذا؟

قال: ﴿آتِنا غَدَاءَنا﴾.

قالوا: ثم ماذا؟

قال: ﴿ادْخُلُوها بِسَلاَمٍ﴾.

فقالوا: ثمّ ماذا؟

قال: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾.

موضع سجود

قيل لأعرابي: ما تقول يا أعرابيّ لو أمرتُ الطّباخ فعمل لون كذا ولون كذا؟

قال الأعرابيّ: أصلحك الله لو كانت هذه الصفة في القرآن لكانت موضع سجود.

حسبه أن يقوم بأمر نفسه

مات لأحدهم طفل صغير، فقيل له:

ـ نرجو أن يكون لك شفيعاً.

فقال: لا وكلنا الله إلىٰ شفاعته، حسبه المسكين أن يقوم بأمر نفسه.

طلّقها قبل أن يموت

قيل لأعرابيّ: عندك مال كثير، وليس لك إلاّ والدة عجوز، إن متّ ورثت مالك وأفسدته.

فقال الأعرابيّ: إنّها لا ترثني.

قيل له: وكيف؟

قال: لأنّ أبي كان قد طلّقها قبل أن يموت.

عبد الجبّار والإسفراييني

تناظر عبد الجبّار المعتزلي، وهو شيخ المعتزلة في عصره، وإبراهيم بن محمد الإسفراييني. فقال عبد الجبّار: سبحان من تنزّه عن الفحشاء!

فقال الإسفراييني، مجيباً: سبحان مَنْ لا يقع في ملكه إلاّ ما شاء.

فقال عبد الجبّار: أَفَيَشاءُ ربُّنا أن يُعصىٰ؟

فقال الإسفراييني: أَيُعْصىٰ ربُّنا قهراً؟

فقال عبد الجبّار: أفرأيت إنْ مَنَعني الهدىٰ، وقضىٰ عليّ بالرَّدىٰ أحسن إليّ أم أساء؟

فقال الإسفراييني: إن كان مَنَعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فيختصّ برحمته من يشاء.

فسكت عبد الجبّار.

أيّهم أشدّ حمقاً

ترافق أحمقان في سفر. فقال أحدهما للآخر:

ـ تعالَ نَتَمَنَّ على الله، فإنّ الطريق طويل، ولا يقطع إلاّ بالحديث.

فقال الأوّل: أنا أتمنىٰ قطيعاً كبيراً من الغنم، أنتفع بلبنه، ولحمه، وصوفه.

فقال الآخر: وأنا أتمنىٰ قطيعاً كبيراً من الذئاب، أُرسلها على غنمك فتفنيها.

فقال الأوّل: ويحك! أهكذا تكون الصداقة؟

وبعد أن تلاسنا وتشاحنا وتلاطما... رضيا بأن يحتكما إلىٰ أوّل رجل يصادفانه في الطريق. فمرّ بهما شيخ على حمار يحمل جرّتين من عسل، فعرضا عليه قضيّتهما. فحمل الشيخ الجرّتين، وأسال عسلهما على الأرض وقال:

ـ صَبَّ الله دمي مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقَين.

حقيقة الإيمان

قال الإمام سفيان الثوري لرابعة العدويّة، الشاعرة المتنسّكة: ما حقيقة إيمانك؟

قالت: ما عَبَدْتُهُ خوفاً من النار، ولا رجاء الجنّة، فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حبّاً فيه، وشوقاً إليه، وقالت:

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبُّ الهَوىٰ ... وَحُبٌّ لأنّكَ أهْلٌ لِذاكا

فأمّا الذي هو حبُّ الهَوىٰ ... فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكا

وأمّا الذي أنتَ أهْلٌ لَهُ ... فَكَشْفُكَ لي الحُجْبَ حَتّىٰ أرَاكا

فَلاَ الحَمْدُ في ذا ولا ذاك لي ... ولٰكِنْ لَكَ الحمدُ في ذا وذاكا

كذا كان

قال أحمق لابنه الأحمق:

ـ أيّ يوم صلّينا الجمعة في مسجد كذا؟

فقال الابن: لقد نسيت؛ ولكنّي أظنّ أنّه يوم الثلاثاء.

فقال الأب: صدقت كذا كان.

استرْني

قال الزاهد المتعبّد والحافظ أحمد بن رستم بن مهدي:

ـ جائتني امرأة ببغداد، ليلة من الليالي، فذكرت أنّها من بنات الناس، وأنّها امْتُحنت بمحنة، وقالت:

ـ أسألك الله أن تسترني.

فقلت: وما محنتكِ؟

قالت: أُكرهتُ على نفسي وأنا حُبلىٰ، وذكرت للناس أنّك زوجي، وأنّ ما بي من الحبل منك، فلا تفضحني، استرني سَتَرَكَ الله عزّ وجلّ.

فسكت عنها، ومضت فلم أشعر حتىٰ وضعت، وجاء إمام المحلّة في جماعة

من الجيران يهنّئوني بالولد، فأظهرت لهم التهلّل، ووزنت في اليوم التالي دينارين، ودفعتهما إلىٰ الإمام، فقلت:

ـ ادفع هذا إلىٰ تلك المرأة لتنفقه على المولود، فإنّه سبق ما فرّق بيني وبينها.

وكنت أدفع في كلّ شهر دينارين على يد الإمام وأقول:

ـ هذه نفقة المولود، إلىٰ أن أتى على ذلك سنتان. ثم توفّي المولود، فجاءني الناس يعزّونني، فكنت أُظهر لهم التسليم والرّضا. فجاءتني المرأة ليلة من الليالي، بعد شهر، ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث لها بيد الإمام، فردّتها، وقالت:

ـ سَتَرَكَ الله عزّ وجلّ كما سَتَرْتَني.

فقلت: هذه الدنانير كانت صلة من المولود هي لكِ فاْعْملي فيها ما تريدين!

... ولكنّي استقللتها

قال أحد الخطباء:

ـ إنّ الله خلق السموٰات والأرض في ستّة أشهر.

فقيل له: في ستّة أيام.

فقال: واللّهِ أردت أن أقولها ولكنّي استقللتها.

أين مالك

مرّ أحدهم بسبعة أشخاص، فظنّ بهم خيراً، فسأل أحدهم: ما اسمك؟

قال: غليظ.

وقال للثاني: ما اسمك؟

قال: خشن.

وقال للثالث: ما اسمك؟

قال: رعد.

وقال للرابع: وأنت؟

قال: شدّاد:

وقال للخامس: وأنت؟

قال: ظالم.

وقال للسادس: وأنت؟

قال: ردّاد.

وقال للسابع: وأنت؟

قال: لاطم.

فصاح قائلاً: وأين مالك؟

قالوا: ومن مالك؟ يا مجنون!

قال: أَلَسْتُمْ خَزَنة النار؟!

لستم أجلّ من فرعون

اقتيد أحد المتنبّئين إلىٰ المأمون فسأله عن معجزته فقال:

ـ أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب.

قالوا: رضينا.

فأخرج حصاة معه، وطرحها في الماء فذابت.

فقالوا: هذه حيلة، ولكن نعطيك حصاة من عندنا، ودعها تذوب.

قال: لستم أجلّ من فرعون، ولا أنا أكرم من موسىٰ، إنّ فرعون لم يقل لموسىٰ: لم أرضَ بما تفعله بعصاك حتىٰ أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعباناً.

أسهل للمبيع

مرّ أحدهم ببائع تمر، فقال له: بكم تبيع التمر؟

قال البائع: الكيس بدرهم.

قال: لا.

قال: كذا بعت!

قال: نأخذ كيسين بثلاثة دراهم.

فقال البائع: يا غلام أعطه كيسين بثلاثة دراهم، وإنّه أسهل للمبيع.

نحن بألف خير

كتب رجل إلىٰ أبيه:

ـ نحن كما تركتنا بألف خير، ولم يحدث شيء إلاّ أنّ حائطاً قد وقع على أمّي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والشاة والديك، ولم يَنْجُ غيري. والسلام.

وصيّة أب لابنه

قال شيخ لابنه:

ـ إذا أردت أن تتكلّم بشيء فاعرضه على عقلك، وفكّر فيه بجهدك حتىٰ تقوّمه، ثم أخرج الكلمة مقوّمة.

فبينما هما جالسان قرب الموقد في أيام الشتاء، وقعت شرارة على جبّة الأبّ، وهو غافل، فسكت الابن ساعة يفكّر ثم قال:

ـ يا أبتِ أريد أن أقول شيئاً فتأذن لي فيه؟

قال الأب: إن حقاً فتكلّمْ.

قال: أراه حقاً.

فقال: قلْ.

قال: إنّي أرىٰ شيئاً أحمر.

قال: وما هو؟

قال: شرارة وقعت في جبّتك.

فنظر الأب فإذ بجبّته قد احترق منها قطعة، فقال للابن:

ـ لِمَ لم تعلمني سريعاً؟

فقال: فكّرت بما قلته لي، ثم قوّمت الكلام، فتكلّمت فيه.

ما يدريك

قيل لرجل ومعه غلام:

ـ أيسرّك أن تُعطىٰ ألف درهم، وتسقط من فوق البيت؟

قال: لا.

فقال الغلام: وددت لو أنّها لي وأسقط من فوق الثريّا.

فقيل له: ويلك! فإذا سقطت متّ.

قال: وما يدريك، لعلّي أسقط على فرش زبيدة.

لم أجد أحداً أعرفه

أراد أحدهم أن يخبر أباه بأنّه وصل بخير إلىٰ المدينة، فكتب رسالة، وراح يفتّش عن شخص يعرفه ليعطيه إيّاها. ولمّا لم يجد أحداً انحدر بالكتاب إلىٰ أبيه وقال له:

ـ كرهت أن يبطئ عليك خبري، ولم أجد أحداً يحمل إليك الكتاب فجئت أنا به.

ودفعه إليه.

إلْحَسْ... بلسانك

غضب أحدهم من صديقه، فقال لغلامه:

ـ اكتب إلىٰ فلان، وعنّفه، وقل له: بئس ما فعلت يا خـ. . .؟

فقال الغلام: أعزك الله، لا يحسن هذا في المكاتبة.

فقال: صدقت إلحسْ موضع الخـ. . . بلسانك.

كلّهم أعداء

قرأ إمام: الم غُلِبَتِ الترك. فقال له رجل:

ـ إنّما هو ﴿غُلِبَتِ الرّومُ﴾.

فقال الإمام: كلّهم أعداء لا نبالي من ذكر منهم.

مَنْ أخبرك؟

مرّ أحدهم بجماعة، فقال لهم: من يعرف ما في جيبي فله أكبر جوزة منها.
فقال أحدهم: جوز.
فقال: أيّ ابن زانية أخبرك؟

الموت للجاهل خير من الحياة

حضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكاً، فقال للحكيم:
ـ ما العِلْم الأكبر؟
قال الحكيم: الطبّ.
قال الوزير: فإنّي أعرف من الطبّ أكثره.
قال الحكيم: فما الدواء للمبرسم أيّها الوزير.
قال: دواؤه الموت حتىٰ تقلّ حرارة صدره، ثم يعالج بالأدوية الباردة ليعود حيّاً.
قال: ومَنْ يحييه بعد الموت؟
قال: هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم، ولم أنظر في شيء منه إلاّ في باب الحياة، فإنّي وجدت في كتاب النجوم أنّ الحياة للإنسان خير من الموت.
فقال الحكيم:
ـ أيّها الوزير، الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة.

ما أحسنَ العِلْمَ

كان رجل محموم يأكل التمر، ويجمع النوىٰ، فقيل له:
ـ ويحك! تأكل التمر وأنت على هذه الحال؟

فقال: يا سيّدي، عندي شاة ترضع وما لها نوىٰ، فأنا آكل هذا التمر مع كراهيتي له لأطعمها النوىٰ.

فقيل له: أطعمها التمر والنوىٰ.

قال: أيجوز ذلك؟

قيل: نعم.

قال: والله لقد فرّجت عنّي، لا إلٰه إلاّ الله، ما أحسن العلم!

ما سال منه شيء

حمل أحدهم جرّة مثقوبة إلىٰ السوق ليبيعها، فقيل له: إنّها مثقوبة.

قال: ولكنّها ليس تسيل، فإنّه كان فيها قطن لوالدتي فما سال منه شيء.

أهلكك الله وحدك

صلّىٰ أعرابيّ مع قوم، فقرأ الإمام:

ـ **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ أهلكني الله ومَنْ معي أو رَحِمَنا﴾**.

فقال الأعرابيّ: أهلكك وحدك، إيش ذنب الذين معك؟

فقطع القوم الصلاة من شدّة الضحك.

الْطُمُوا كما أنتم

أضاع رجل ولده، فجاؤوا بالنوائح، ولطموا عليه، وداموا على تلك أيّاماً. فصعد أبوه يوماً إلىٰ العلّيّة، فرآه جالساً في زاوية، فقال الأب:

ـ يا بنيّ أنت بالحياة، أما ترىٰ ما نحن فيه؟

قال: قد علمت، ولكن ها هنا بيض قد حضنته مثل «القِرْقة» ولا يمكن أن أبرحه لأنّني أريد فريخات أنا أحبّها.

فقال الأب لأهله: قد وجدت الصبيّ حياً، ولكن لا تقطعوا اللطم عليه، الطموا كما أنتم.

تلك لنا

قال رجل من العرب:

ـ رأيت في منامي أمس، وكأنّني في الجنّة، فرأيت كلّ ما فيها من القصور والجنائن التي تجري من تحتها الأنهار، فقلت: لمن هذه؟ فقيل لي: إنّها للعرب.

فانتفض، عند ذلك رجل من الموالي وسألني:

ـ هل دخلت الغرف؟

فأجبت: لا.

فقال: تلك لنا.

أردت أن أضحك نفسي

قيل لأعرابيّ كان يدغدغ نفسه: لِمَ تفعل ذلك؟

فقال: لقد اكْتَأَبْتُ فأردت أن أُضحك نفسي وأروّح عنها.

أبول وأرجع أنام

حضر أعرابي مجلس قوم، فتذاكروا قيام الليل، فقيل له: يا أعرابيّ، أتقوم الليل؟

قال: نعم.

قالوا: وما تصنع؟

قال: أبول وأرجع أنام.

ثلاثة في واحد

روىٰ أبو الحسن محمد بن هلال الصابي، قال:

ـ خرج قوم من الديلم إلىٰ أقطاعهم، فظفروا باللص المعروف بالعراقيّ، فحملوه إلىٰ الوزير أبي عبد الله المهلبي، فتقدّم بإحضار أبي الحسن أحمد بن

محمد القزويني الكاتب، وكان ينظر في شرطة بغداد، فقال له المهلبي:

ـ هذا اللص العيّار العراقي الذي عجزتم عن أخذه، فخذوه واكتب خطّك بتسليمه.

فقال: السمع والطاعة إلىٰ ما يأمر به الوزير، ولكنّك تقول ثلاثة وهذا واحد، فكيف أكتب خطّي بتسليم ثلاثة؟

فقال: يا هذا، هذا العدد صفة لهذا الواحد.

فكتب يقول: أحمد بن محمد القزويني الكاتب، تسلّمت من حضرة الوزير اللصَّ العيار العراقي ثلاثة وهم واحد رجل.

هنيئاً لها العافية.

قال مدنيّ لأعرابيّ: ماذا تأكلون، وما تعافون؟

فقال الأعرابيّ: نأكل ما هبّ ودبّ إلاّ أمّ حبين.

فقال المدنيّ: ليهنأ لأمّ حبين العافية.

يمزّق ويرتق

كان لأحدهم مغنّيتان: إحداهما حسنة الصوت والأُخرىٰ سيّئته، لا يحبّ أن يسمعه أبداً. وكان إذا غنّت الأولىٰ طرب، واشتدّ به الطرب فيشق قميصه، ويمزّقه من شدّة التأثّر. وإذا غنّت الثانية، قعد يخيط قميصه، ويرتقه.

أخاف ملك الموت

قيل لامرأة زوجها مسجّىٰ:

ـ قومي ودّعي زوجك قبل أن يُدفن.

فقالت الزوجة: أخاف أن يعرفني ملك الموت.

قامت القيامة

صلّت أعرابيّة في شهر رمضان، فقرأ الإمام السجدة، فسجد وسجد القوم،

فخرجت تعدو مسرعة وهي تقول:

ـ جُنّ القوم، وربّ الكعبة، وقامت القيامة.

رقية

عضّ ثعلب أعرابياً، فأتىٰ راقياً، فقال الراقي: ما عضك؟

فقال الأعرابيّ: كلب.

واستحىٰ أن يقول «ثعلب».

فلمّا ابتدأ بالرقية، قال: واخْلطْ بها شيئاً من رقية الثعالب.

ومع هذا فإنّي صائم

كان أعرابيّ يصلّي، فأخذ قوم يمدحونه، ويصفونه بالصلاح فقطع صلاته، وقال:

ـ ومع هذا إنّي صائم.

رجل يحتال لنفسه

سمع أحدهم أعرابيّاً في مكّة يدعو لأمّه، فقال له: ما بال أبيك؟

قال: هو رجل يحتال لنفسه.

بيطار

كان أحدهم على ظهر حماره، فمرّ في المقابر، فنفر حماره عند قبر أحدهم، فقال:

ـ ينبغي أن يكون صاحب هذا القبر بيطاراً.

اخبزوه فطيراً

اشترىٰ أحدهم لمنزله دقيقاً بالغداة، وراح عشاء يطلب الطعام، فقالوا له: لم نخبز.

قال: لماذا؟

قالوا: لأنّه لم يكن عندنا حطب.

قال: كنتم خبزتموه فطيراً.

لست ابنة أبي هريرة

روىٰ أحدهم: رأىٰ أبو هريرة في يد ابنته خاتماً ذهباً، فقال:

ـ يا بنيّة لا تتختّمي بالذهب فإنّه لهب.

وبينما هو يحدّثهم إذ بدا في كفّه خاتم من ذهب، فقالوا له:

ـ تنهانا عن لبس الذهب وأنت تلبسه؟!

فقال: لم أكن ابنة أبي هريرة.

أكره أن أُثقل على ربّي

سمع أحدهم أعرابياً يقول: اللّهمْ اغفر لي وحدي.

فقال له: لو عمْمت بدعائك، فإنّ الله واسع المغفرة.

فقال الأعرابيّ: أكره أن أثقل على ربّي.

عاين الملائكة

أُسر أحدهم، فَاّقْتيد إلىٰ الوالي، وقيل له: أسرتُ هذا.

فقال الأسير: كذبت، والله ما أسرني هذا؟ إنّما أسرني رجل عليه ثياب بيض، على فرس أبلق.

فقال الوالي: والله إنّه عاين الملائكة. خلّوا سبيله.

إفْقَأ عينه وسِمّه الأعور

أرسل أحدهم فرساً في السباق، فنالت قصبة السبق. فأتىٰ أباه مسروراً، وقال له:

ـ يا أبتِ، بأي شيء اسمّيه؟
فقال: إقلعْ عينه وسمّه الأعور.

لا قرأتها ما عشْتُ

كان لإبراهيم الخصيب حمار، وكان بالعشي إذا علق الناس المخالي أخذ مخلاة حماره فقرأ عليها: ﴿قل هو الله أحَدٌ﴾.
وعلّقها بعنقه فارغة، وقال:
ـ لعن الله من يرىٰ أن مكّوك شعير خير من ﴿قلْ هو الله أحَدٌ﴾.
ـ فما زال على هذه الحال حتىٰ نفق الحمار، فقال:
ـ والله ما ظننت أنّ ﴿قل هو الله أحد﴾ تقتل الحمير، هي والله للناس أقتل لا أقرأها ما عشت.

المولود بدينار

شعرت امرأة بالوضع، فقيل لزوجها:
ـ اذْهَبْ وٱدْعُ القابلة.
ولمّا جاءها قال لها:
ـ إمْضي إلىٰ زوجتي، واحْرصي أن يكون المولود غلاماً ولك عليّ دينار.

أنا الذي...

غضب رجل على امرأته، فقال لها:
ـ يا هذه، أنا الذي إذا رأيت المرأة تأتي بقبيح أهينها وأهين الذي يهينها.

هل لصاحبكم قرون

عثر جحا ليلاً على قتيل في دهليز منزله. فحمله وألقاه في البئر. فلمّا عرف به أبوه، أخرج الجثّة من البئر ودفنها بعيداً، ثم خنق كبشاً وألقاه في البئر. ولمّا

طاف أهل القتيل يسألون عنه، قال لهم جحا:

ـ في دارنا رجل قتيل، تعالوا وانظروا إذا كان صاحبكم.

فعرّج القوم على منزله، وأنزلوه في البئر، فلمّا رأىٰ الكبش ناداهم قائلاً:

ـ يا هؤلاء، هل كان لصاحبكم قرون؟

اغسلوا أيديكم

دخل أحمق لعيادة مريض، ولما رأىٰ حالته قال:

ـ إذا رأيتم المريض على هذه الحال فاغسلوا أيديكم منه (أي لا أمل من شفائه).

ضعه حيث تراه أنّه أنفع

سقط أحدهم عن بعير له، فانكسر ضلع من أضلاعه، فأتىٰ الجابر يستوصفه ليجبر عظمه، فقال له:

ـ خذ تمراً جيداً، فانزْع أقماعه ونواه، واعجنه بسمن، ثم ضعه على الكسر.

فقال: إي بأبي أنت! من داخل أو خارج؟

قال: من خارج.

قال: لا أبا لك، هو من داخل أنفع لي.

فقال الجابر: ضعه حيث تعلم أنّه أنفع.

جئتك ارتفاع العشيّ

قال أحدهم لأحمق: وعدتك أن تجيء ارتفاع النهار، فجئتني صلاة العصر؟

فقال الأحمق: جئتك ارتفاع العشيّ.

أيّ شيء ألذّ

قال هشام بن عبد الملك لجلسائه:

ـ أيّ شيء ألذّ؟

فقال أحدهم: أأصابك جرب قطّ فحككته؟

قال هشام: ما لك! أجرب الله جلدك، ولا فرّج الله عنك!

إسراف

تصوّف تلميذ أبي العتاهية، فطلىٰ إحدىٰ عينيه بالطين. فلمّا سئل عن ذلك أجاب:

ـ النظر إلىٰ الدنيا بعينين إسراف.

أصوم الليل وأفطر النهار

دخل أحدهم على الوالي دون أن يستأذن وكانت عنده ابنته، فقال له: ألا استأذنت؟

قال: ما ظننت أنّ هنا من أحتاج أن أستأذن عليه.

قال: إذن فتعشَّ.

قال: أنا صائم.

قال: تصوم الليل؟

قال: نعم، أصوم الليل وأفطر النهار.

... وتعرف موضعه

سرق لأحدهم حمار، فقال:

ـ لا والله يا رب، ما أخذ حماري غيرك، وأنت تعرف موضعه فارْدُدْهُ إليّ.

المَرَق

سأل أحدهم آخر:

ـ ما اسم المَرَق عندكم؟

أجاب: السخين.

قال: فإذا برد؟

قال: لا ندعه يبرد.

يعلم بالغيب

قدّم أعرابيّ إلىٰ صيرفيّ درهماً. فقال له الصيرفيّ: هذا ستّوق.

قال الأعرابيّ: وما هو الستّوق؟

قال: داخله نحاس وخارجه فضّة.

قال: لا، كيف ذلك؟

فقال: أكسره فإن كان كذلك فأنا بريء منه.

قال: نعم.

فكسره فلمّا رأىٰ النحاس، قال: بأبي أنت وأمي، متىٰ أموت؟ إنّي أشهد أنك تعلم بالغيب.

لا تَسْتَثْنِ حتىٰ تسلم

ركب أحمقان في زورق. فهبت عليهما ريح، فقال أحدهما:

ـ غرقنا واللّهِ.

وقال الآخر: لا إنْ شاء الله.

فقال: لا تَسْتَثْنِ حتىٰ تسلم.

كانوا اثنين فمات الأوسط

قال أحدهم لآخر: أين كنت؟

قال: ذهبت في جنازة ابن فلان.

فقال: فأيّ ولد كان؟

قال: كانوا اثنين فمات الأوسط.

اختبرني يا الله

دعا أحد المغفّلين قال:

ـ اللّهمّ ارزقني خمسة آلاف درهم حتىٰ أتصدّق منها بألفي درهم، وإن لم تصدّقني فادفعْ إليّ ثلاثة آلاف درهم، واحبس الباقي، فإن تصدّقت، وإلاّ فتصدّق بها على من شئت.

كلنا عبيد الله

رافق حمزة الأعرابي أباه إلىٰ السوق، فسمع رجلاً ينادي شابّاً ويقول: يا عبد الله.

فلم يردّ الشاب. فقال الرجل: ألا تسمع؟

قال: يا عمّ، كلنا عبيد الله، فأيّ عبد تعني؟

فالتفت الأب إلىٰ ابنه حمزة وقال له:

أنظرتَ إلىٰ بلاغة هذا الشاب؟!

فلمّا كان الغد، إذا برجل ينادي شاباً: يا حمزة!

فقال حمزة الأعرابيّ: كلّنا حماميز الله، فأيّ حمزة تعني؟

فقال أبوه: ليس هو يعنيك يا من أخمل الله ذكره وذكر أبيه.

يموت إن شاء الله

دخل أحدهم على قوم يعود مريضاً لهم، فعزّاهم به، فقالوا: إنّه لم يمت. فرجع وهو يقول: يموت إن شاء الله، يموت إن شاء الله.

احتمال الغضب

قيل لأبي عباد يوماً، وكان سريع الغضب:

ـ سئل لقمان عن الحمل الثقيل فقال: الغضب. فما رأيك؟

فقال عباد: لكنه والله أخف علي من الريش.

فقيل له: إنّ لقمان يعني أنّ احتمال الغضب ثقيل.

فقال: لا، واللّهِ، لا يقوىٰ على احتمال الغضب من الناس إلاّ الجمل.

ذَهَبُوا يَتَصَافَعُون

قال الجاحظ: مررت بمعلّم صبيان، وهو جالس وحده، ليس عنده صبيانه، فقلت له:

ـ ما فعل صبيانك؟

قال: ذهبوا يتصافعون.

فقلت له: أَذْهَبُ وأنظرُ إليهم؟

فقال: إن كان ولا بدّ، فغطِّ رأسك لئلاّ يحسبوك «أنا» فيصفعوك حتىٰ تعمىٰ.

المعلّم المثاليّ

رویٰ الجاحظ: كان معلّم يعلّم الصبيان، ومعه عصا طويلة وأُخرىٰ قصيرة، وصولجان، وكرة وطبل وبوق. فسأله الجاحظ:

ـ ما هذه؟

أجاب: عندي صغار أوباش، أقول لأحدهم: اقرأ لوحك، فيصفّر لي، فأضربه بالعصا القصيرة، فيتأخّر، فأضربه بالعصا الطويلة، فيفرّ فأضع الكرة في الصولجان، فأضربه، فيتقدّم إليّ الصغار كلّهم بالألواح، فأضع الطبل في عنقي، والبوق في فمي، فأنفخ وأضرب، فيسمع المارّة ذلك فيسارعون إليّ ويخلّصونني منهم.

... ومعه قحبة

نظر رجل إلىٰ بئر فيها ماء فرأىٰ صورته، فعاد إلىٰ أمّه وقال لها:

ـ يا أمّاه، في البئر لصّ.

فجاءت الأم فنظرت وولدها إلىٰ الماء، فقالت: أي والله ومعه قحبة.

أَلِف شين

مرّ الجاحظ بمعلّم يضرب ديكاً، ويقول له: أَلِف شين، ألف شين.

فقال الجاحظ: ما هذا؟

قال: أعزّك الله! انظر إلىٰ تلك المزبلة، وأشار إلىٰ مزبلة أمام مكتبه، هل رأيتها؟

قال: نعم.

قال: أنا أنصب فيها فخاخاً لصيد العصافير، فيأتي هذا الديك فيلتقط الحبّ الذي أجعله لها، فأقول له: أش، فلا يفهمني، فقلت: لعله لا يعلم، وأردت أن أعلّمه حتىٰ يفهمني.

أبلغ من العصا

روىٰ الجاحظ:

قلت لأحد المعلّمين: ما لي لا أرىٰ لك عصاً؟

قال: لا أحتاج إليها، أنّما أقول لمن يرفع صوته: أمّه زانية، فيرفعون أصواتهم، وهذا أبلغ من العصا وأسلم.

حيلة معلّم

قال الجاحظ:

مررت بخِربة، فإذا بمعلّم ينبح كما ينبح الكلب، فوقفت أنظر إليه، وإذا بصبيّ قد خرج من دار، فقبض عليه المعلّم، وجعل يلطمه ويسبّه، فقال له الجاحظ: عرّفني خبره!

فقال: هذا صبيّ لئيم يكره التعليم، ويهرب، ويدخل الدار ولا يخرج منها، وله كلب يلعب به، فإذا سمع صوتي ظنّ أنّه صوت الكلب، فيخرج فأُمسكه.

ألف آية في سورة

قيل: غضب أبو عباد يوماً على بعض كتّابه، فرماه بدواة كانت أمامه فشجّ رأسه. فقال أبو عباد:

صدق الله تعالىٰ في قوله: إذا ما غضبوا هم يعقرون. فبلغ ذلك المأمون، فأحضره، ثم قال له: ويحك! ما تحسن قراءة آية من كتاب الله تعالىٰ؟

قال: بلىٰ يا أمير المؤمنين، إنّي لأحفظ من سورة واحدة ألف آية.

تصير كلّها لي

ورث أحد الحمقىٰ نصف دار عن أبيه، فقال:

ـ أريد أن أبيع حصّتي من الدار لأشتري النصف الباقي، فتصير الدار كلّها لي.

أحبّ أن أريكم...

لمّا ولي مروان وجّه جيش بن دلجة القيني إلىٰ المدينة، فكان يصعد المنبر ومعه كتلة من التمر، فيأكلها، ثم يلقي بالنوىٰ يميناً وشمالاً على وجوه أهل المدينة ثم يقول:

ـ يا أهل المدينة، إني لأعلم أنّ هذا المكان في حرمته وموضعه ليس موضع أكل أو شرب، ولكنّي أحبّ أن أريكم هوانكم على الله.

ما أجمله من بغل

رأىٰ أحدهم ثوراً مجلّلاً فقال:

ـ ما أجمله من بغل لولا أنّ حوافره مشقوقة.

دعاء

قال الأصمعي:

ـ رأيت أعرابياً ماسكاً بستار الكعبة وهو يقول:

ـ اللّهمّ أمتني ميتة أبي خارجة!

فقلت له: يرحمك الله، وكيف مات أبو خارجة؟

قال: أكل حتىٰ امتلأ، وشرب حتىٰ ارتوىٰ، ونام في الشمس، فمات شبعان، ريّان، دفّان.

إذا شئت اقْلِبْهُ

طلب أحدهم من ابنه أن يطلي خابية بالزفت، فطلاه من خارج.

فقال له أبوه: ما هذا الفعل؟

قال: إذا شئتَ من داخل فَٱقْلِبْهُ.

سؤال الملحدين

سئل بعض الوعّاظ: لِمَ لم تصرف أشياءَ؟

فلم يفهم الواعظ ما قيل له. وبعد فترة من الزمن قال له:

ـ تسأل سؤال الملحدين: لأنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾.

الله قادر على كل شيء

كان رجلان يتحدّثان عن جهنّم. فقال أحدهما:

ـ بلغني أنّ الله عزّ وجلّ يعظّم خلق الكافر حتىٰ يكون ضرسه مثل أُحد.

فقال الآخر: ليس هذا أمره.

وكان إلىٰ جانبه شيخ متعبّد كثير الصلاة، فالتفت إليهما وقال:

ـ لا تنكروا هذا، إنّ الله على كلّ شيء قدير، وتصديق ما كنتما فيه كتاب الله.

فقالا: وما ذاك يا عمّ؟

قال: قوله تعالىٰ: فأولئك يبدّل الله سنانهم خشبات، فهو ما يبدّل السنّ خشبة إلاّ وهو قادر على أن يجعله مثل أحد.

أنت تجد من ترحمه

رفع أحدهم يديه إلىٰ السماء، وأخذ يدعو ربّه، فيقول:

ـ يا منقذ الموتىٰ، ومنجّي الغرقىٰ، وقابل التوبات، وراحم العثرات، أنت تجد من ترحمه غيري، وأنا لا أجد من يعذّبني سواك.

اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف

قال أحد القصّاصين:

ـ كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا.

فقالوا له: إن يوسف لم يأكله الذئب.

قال: فهو اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

ماذا قال في أمري؟

قال رجل لآخر:

ـ رأيت البارحة في المنام أنّ أمير المؤمنين يُسرّ في أذنك وأنت تنظر إليّ،

فباللّه، أيّ شيء قال لك في أمري؟؟

صاحبه يعلم

سرق باب دار أحد القصّاصين، فذهب إلىٰ باب المسجد وقلعه، وحمله إلىٰ بيته. فقالوا له:

ـ لماذا فعلت هكذا؟

فقالت: قلعت هذا الباب لأنّ صاحبه يعلم من قلع بابي.

تقتلوه عطشاً

قال أحد الوعّاظ:

ـ يا معشر الناس، إنّ الشيطان إذا سُمِّي على الطعام والشراب لم يقربهما، فكلوا خبز الأرزّ المالح ولا تسمّوا، ثم اشربوا الماء وسمّوا حتىٰ تقتلوه عطشاً.

تعريف

سُمع رجل بمكّة يقول:

ـ اللّهمّ، إن كنت ما تعرفني فأنا فلان ابن فلان، وإني مررت بعبدك فلان، وهو يقول شيئاً فيه فحش فضربته إلىٰ أن قتلته. اللّهمّ قد أقررت لك الآن فاغفرْ لي كما تريد.

الآن علمتُ أنّك حمار

شكا أحدهم ريحاً في بطنه، فقال له الطبيب: خذ الصعتر.

فقال لغلامه: يا غلام أعطني دواة وقرطاس.

ثم قال للطبيب: ماذا قلت أصلحك الله؟

قال: كفّ صعتر، ومكّوك شعير.

فقال: لِمَ لم تذكر الشعير أولاً؟

قال: ما علمت أنّك حمار إلاّ الساعة.

لا تذهبْ

سقط أحدهم في البئر، فقال له أخوه:

ـ أنت في البئر؟

قال: أما تراني؟!

قال: لا تذهب حتىٰ أجيء بمن يخرجك.

الإقلال من الشرّ خير

تزوّج رجل امرأة صغيرة، فقيل له: لِمَ تزوّجت هذه الصغيرة؟

فقال: المرأة شرّ، وكلّما أقللت من الشرّ كان خيراً.

أعجب العجب

التقىٰ صديقان، فقال أحدهما للآخر:

ـ أين كنت طوال هذه المدّة؟

فقال الآخر: في الكوفة.

فقال الأوّل: كيف أقمت في الكوفة وهم يسبّون أبا بكر وعمر؟

قال: يا أخي قد رأيت أعجب من هذا.

قال: وما هو؟

قال: إنّهم يفضّلون الكاشي على معبد في الغناء.

برج التيس

قال منجّم لأحدهم: ما نجمك؟

قال: التيس.

فضحك الحاضرون، وقالوا: ليس في النجوم والكواكب تيس.

قال: بلىٰ، قد قيل لي وأنا صبيّ منذ أكثر من عشرين سنة، إنّ نجمك هو الجدي، فلا شكّ أنّه قد صار تيساً منذ ذلك الوقت!

بَيْني وَبَيْنَهُ

قال رجل لآخر في يوم بارد:

ـ صبّ عليك جرّة ماء وأعطيك درهماً.

فتلكّأ، فقال آخر: افعلْ ذلك عليّ والدرهم بيني وبينه.

لا تهلكيني

كان بالمدينة عجوز شديدة العين، لا تنظر إلىٰ شيء تستحسنه إلاّ عانته. فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لبنته:

ـ يا بنيّة، إذا متّ فلا تندبيني والناس يسمعونك فتقولين: واأبتاه أندبك للصوم والصلوات، واأبتاه أندبك للفقه والقراءة، فيكذّبك الناس ويلعنوني. والْتَفَتَ أشعب فرأىٰ المرأة، فغطّىٰ وجهه بكّمه، وقال لها:

ـ يا فلانة! بالله إن كنت استحسنت شيئاً ممّا أنا فيه فصلّي على النبي (ص) لا تهلكيني.

فغضبت المرأة وقالت:

ـ سخِنَتْ عينك في أيّ شيء أنت ممّا يستحسن! أنت في آخر رَمَق.

قال: قد علمت، ولكن قلت لئلاّ تكوني قد استحسنت خفّة الموت عليّ وسهولة النزع فيشتدّ ما أنا فيه.

فخرجت وهي تشتمه. وضحك كل من كان حوله من كلامه ثم مات.

أنتم تَدَعُونَهُ

كان أشعب صغيراً عندما جلس مع قوم يأكلون. وبعد قليل شرع في البكاء، فسأله أحد الحاضرين: ما لك تبكي؟

فقال: الطعام ساخن.

فقال الرجل: دَعْهُ حتىٰ يبرد.

فقال أشعب: أنتم لا تدعونه!

الأمير وأشعب والجدْي

حَضَرَ أشعب مرة مائدة بعض الأمراء، وكان عليها جَدْي مشويّ فأخذ أشعب يسرع في أكله، فقال له الأمير:

ـ أراك تأكله بغضب كأنّ أمّه نطحتك!!

فقال أشعب: وأراك تشفق عليه كأنّ أمّه أرضعتك!!

أشعب والدينار

قال أشعب لزوجته، وكان معها دينار:

أعطيني هذا الدينار حتىٰ يلد لك في كلّ أسبوع درهم.

فأعطته إيّاه، وصار يدفع لها في كلُّ أسبوع درهماً.

فلمّا كان الأسبوع الرابع، تلكّأ أشعب عن الدفع، فجاءت زوجته وطلبت الدينار منه، فقال لها:

ـ لقد مات بالنفاس!

فصاحت مندهشة: كيف؟ وهل يموت الدينار بالنفاس.

قال أشعب: تصدّقين بالولادة، ولا تصدّقين بالنفاس!

ضرطة بنقطة

لاعب أشعب رجلاً بالنرد، فأشرف على أن يقمُرَه إلاّ بضرب دُو يكّين، ووقع الفصّان في يد ملاعبه، فأصابه زمع وجزع، فضرب يكّين وضرط مع الضربة، فقال له أشعب:

ـ امرأته طالق إن لم أحسب لك الضرطة بنقطة حتّىٰ تصير لك اليكّان دُو ويِك وتَقْمَرُ.

وسلم له القمر بسبب الضرطة.

أنتِ إذن امرأتي

أراد أشعب أن يتزوّج، فذهب إلىٰ امرأة، وقال لها:

ـ أرغب في الزواج منك، ولكنّني سيّئ الخلق.

فقالت المرأة: أسوأ منك خُلُقاً هؤلاء الذين اضطرّوك لأن تكون سيّئ الخُلُق.

فصاح أشعب: أنت إذن امرأتي!

كان رجلٌ... ومات

كان أشعب يقصّ على أحد الأمراء قصّة، بدأها بقوله:

ـ كان رجل...

وفجأة أُحضرت المائدة، فعلم أنّ القصّة ستلهيه عن الطعام، فسكت. فقال له الأمير:

ـ كنتَ قد قلت: كان رجل... وسَكَتّ، فَتَابع وأخبرنا ما كان من أمر ذلك الرجل.

فقال أشعب وعيناه مسمّرتان في المائدة:

ـ آه صحيح. كان رجل... ومات.

غير معقول

قال رجل لأشعب إنّه أُهدي إلىٰ زياد بن عبد الله الحارثي قبّة أدم قيمتها عشرة آلاف درهم فقال:

ـ امرأته طالق، لو أنّها قُبّة الإسلام ما ساوت ألف درهم.

فقيل له: إنّ معها جبّة وَشْيٍ، حشوها قزّ قيمتها عشرون ألف دينار.

فقال: أمّه زانية، لو أنّ حشوها زغَب أجنحة الملائكة ما ساوت عشرين ديناراً.

حساب دقيق

سئل أشعب مرّة:

ـ كم يساوي اثنين في اثنين؟

فأجاب: أربعة أرغفة.

نسي واحدة ونسيتُ أنا الأخرىٰ

قيل لأشعب:

ـ عايشتَ أصحاب رسول الله (ص) فماذا تعرف من أحاديث النبيّ؟

قال أشعب: حدّثنا عكرمة عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله (ص) «لله على عبده نعمتان» ثم سكت.

فقالوا له: وما هما هاتان النعمتان؟

فقال: نسي عكرمة واحدة، ونسيت أنا الأُخرىٰ!

لا يغني حذر من قدر

قيل: لمّا مات ابن عائشة المغنّي، أخذ أشعب يبكي ويقول:

ـ قلت لكم زوّجوا ابن عائشة من الشماسيّة حتىٰ يخرج بينهما مزامير داود، فلم تفعلوا، ولكن لا يغني حذر من قدر.

خرجت إلىٰ أمّي

لقي أشعبَ صديقٌ لأبيه، فقال له:

ـ ويحك يا أشعب، كان أبوك ألْحىٰ، وأنت خفيف شعر اللحية، فإلىٰ من خرجت؟

قال: إلىٰ أمّي.

أشعب والتمر

أكل أشعب مع سالم بن عبد الله بن عمر تمراً، فجعل يقرن، فقال سالم:

ـ إنّ رسول الله (ص) قد نهىٰ عن القرن.

فقال: اسكت، فوالله لو رأىٰ النبي (ص) رداءة هذا التمر لرخّص فيه حفنة حفنة.

أتريد أن أصلي ركعتين

سأل أشعب صديقاً له: لماذا لا تدعوني أبداً إلىٰ طعامك؟

أجاب الصديق: لأنّك شديد المضغ، سريع البلع. إذا أكلت لقمة هيّأت أُخرى بسرعة.

فصاح أشعب: جعلت فداك. أتريد أن أصلّي ركعتين بين لقمة وأُخرى؟!

صلاة لم يخالطها رياء

قيل لأشعب: لمَ خفّفت الصلاة؟

فقال: لأنّها صلاة لم يخالطها رياء.

حياء أشعب

صحب أشعب أحد التجّار، فقال له التاجر:

ـ قم فاطبخ.

فقال أشعب: لا أحسن ذلك.

فطبخ الرجل، ثم قال لأشعب: قم فأثردْ.

فقال أشعب: والله أنا كسلان. فثرد الرجل. ثم قال: قم فاغرفْ.

فقال أشعب: أخشىٰ أن ينقلب عليّ.

فغرف الرجل: ثم قال لأشعب: قم الآن وكُلْ.

فنهض أشعب مسرعاً قائلاً: والله قد استحييت من كثرة خلافي عليك.

فقام وأكل.

لعلَّها تسقط

روىٰ عمر بن عاصم عن أبيه، قال: مررت يوماً بمكان كذا، فالتفت، فإذا بأشعب ورائي، فقلت: ما لك؟

قال: رأيت قلنسوتك قد مالت، فقلت: لعلها تسقط، فآخذها.

أؤخّرك ولا أسلّفك

سأل رجل أشعب أن يسلّفه ويؤخره، فقال:

ـ هاتان حاجتان، فإذا قضيت لك إحداهما فقد أنصفت.

قال الرجل: رضيت.

فقال أشعب: فأنا أؤخّرك ما شئت، ولا أسلّفك.

أشعب وعائشة بنت طلحة

غضبت عائشة بنت طلحة يوماً علىٰ مصعب بن الزبير، وكانت زوجته وأحبّ الناس إليه، فشكا ذلك إلىٰ صديقه أشعب، فقال له أشعب:

ـ ما لي إن رضيت أصلح الله الأمير؟!

قال: حكمك؟

قال: عشرة آلاف درهم.

قال: لك ذلك.

فانطلق أشعب حتىٰ أتاها، فقال لها:

جُعِلْتُ فداءك، قد علمت حبّي لك، وميلي إليك قديماً وحديثاً من غير منال أنَلْتِنيهِ، ولا فائدة أفَدْتنيها، وهذه حاجة تَرْتَهِنين بها شكري، وتقضين بها حقّي بغير أذىٰ.

قالت: وما هي؟

قال: قد جعل لي الأمير إن رضيت عشرة آلاف درهم.

قالت: ويحك، لا يمكنني ذلك.

قال: بأبي أنتِ وأمّي، ٱرْضَيْ عنه حتىٰ يُعطيني العشرة آلاف درهم، ثم عودي إلىٰ ما عودّك الله من سوء خلقك.

فضحكت من كلامه ورضيت.

أتقدّم على بصيرة

قيل لأشعب: ما تقول في ثريدة مغمورة بالزبد، مشقّقة باللحم؟

قال: فَأُضْرَبُ كم؟

قيل له: بل تأكلها من غير ضرب

قال: هذا لا يكون، ولكن كم الضرب، فأتقدّم على بصيرة.

هذا ليس من الإنصاف

كان أشعب يتسكّع في أسواق المدينة، وقد أضرّ به الجوع، فانتهىٰ به المطاف إلىٰ أحد بساتين الكندي حيث كان صاحبه جالساً تحت شجرة، وأمامه منديل عليه اللحم، وقطع الجبن، والزيتون، وبعض البيض... فاقترب منه وسلّم عليه، فردّ الكندي السلام قائلاً:

ـ هلمّ عافاك الله!

وإذا بأشعب ينثني، بلمح البصر، يريد أن يتغدّىٰ. فصاح به الكندي، وهو يأكل.

ـ مكانك، فإن العجلة من الشيطان.

فوقف أشعب مأخوذاً، فسأله الكندي:

ـ ماذا تريد؟

أجاب أشعب: أريد أن أتغدّىٰ.

فحملق فيه الكنديّ وقال:

ـ ولِمَ ذلك؟ وكيف طمعت في هذا؟ ومن أباح لك مالي؟

فقال أشعب: أوَلَسْتَ قد دعوتني؟!

فقال الكندي: ويلك، لو ظننت أنّك هكذا أحمق ما رددت عليك السلام. ماذا كان بيننا غير سلام، وردّ سلام، أيّ كلام بكلام، ولكنّك تريد أن يكون كلام بفعال، وقول بأكل، فهذا ليس من الإنصاف.

لَئِنْ شكرتم لأزيدنَّكُمْ

ضرب الحجّاج أعرابياً سبعمئة سوط، وكان يقول لدىٰ كلّ سوط:

ـ شكراً لك يا ربّ.

فبلغ خبره أشعب، فلقيه يوماً فقال له:

ـ أتدري لِمَ ضربك الحجّاج سبعمئة سوط؟

قال: لا.

قال: لكثرة شكرك، فالله تعالىٰ يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ثم ارتجز:

يـا ربّ لا شُكْـرَ فـلا تَـزِدْنـي   أَسَـأْتُ فـي شُكْـرِكَ فـاْعْـفُ عنّـي

بـاعِـدْ ثَـوَابَ الشَّـاكِـرِيـن مِنّـي

أشعب والعرس

علم أشعب أنّ في المدينة عرساً، فراح يُفكر في حيلة تمكّنه من تذوّق مأكولات هذا العرس. فذهب يسأل عن صاحب العرس إن كان له ولد غائب، أو شريك في سفر. فعلم أنّ له ولداً في اليمن؛ فأخذ في الحال ورقة بيضاء، فطواها، وختمها، وليس فيها شيء، وجعل العنوان: «من الأخ إلىٰ العروس»، ثم أقبل متدلّلاً، فطرق الباب، فقال له البوّاب:

ـ مَنْ أنت؟

فقال أشعب: ـ أنا رسول من عند أخي العروس.

ففتح له الباب، وتلقّاه صاحب البيت فرحاً قائلاً له:

ـ كيف فارقت ولدي؟

فقال أشعب: بأحسن حال، وما أقدر أن أُكلّمك من الجوع!

فأمر صاحب العرس بالطعام، فقدّم إلىٰ أشعب، فأخذ يأكل، ولم يطق صاحب الدار انتظاراً، فقال:

ـ أما معك رسالة منه؟

فقال أشعب: بلىٰ!

ودفع إليه بالورقة، فأخذها الرجل، فوجد خاتمها طريّاً، فقال:

ـ أرىٰ الطين طريّاً!

فأجاب أشعب وفمه مُنْتَفِخ بالطعام:

ـ نعم، وأعجب من هذا أنّه ليس في بطن الرسالة حرف واحد، لأنّ ولدك من العجلة لم يكتب فيها شيئاً:

فنظر صاحب العرس إليه بحمق وقال: أَطُفَيْليّ أنت؟

قال: نعم، أصلحك الله.

فقال الرجل: كُلْ، لا هنّاك الله.

لا تطيب نفسي بتركه

قال ابن عتيق: دخلتُ على أشعب يوماً وعنده متاع حسن وأثاث، فقلت: أما تستحي أن تطلب من الناس وعندك مثل هذا؟

قال: يا فديتك، معي من لطف المسألة ما لا تطيب نفسي بتركه، وكان يقول: أنا أطمع، وأمّي تتيقّن، فإذا اجتمع طمعي ويقين أمّي فقلّ ما يفلتنا.

عرفت هذا

مرّت أيام على أشعب، وهو لا يجد سبيلاً إلىٰ لقمة، فقد عرفه الناس في المدينة، فلم تعد تنفع عنده الحيلة ولا الوسيلة، ولم تعد تقع عينه على خوان ولا قوم أمام طعام.

وذات يوم، بينما هو يمشي على جانب الطريق إذا بقوم غرباء يتغدّون فقال لهم:

ـ سلام عليكم يا معشر اللئام!

فرفعوا أبصارهم إليه قائلين: لا والله، بل كرام.

فثنىٰ رجله في الحال، وجلس بينهم وهو يقول:

ـ اللّهمّ اجعلهم من الصادقين، واجعلني من الكاذبين.

ثم مدّ يده في القصعة التي بين أيديهم، وهو يقول: ماذا تأكلون؟

فأرادوا أن يوقفوا تهجّمه، فقالوا في فتور: نأكل سمّاً.

فحشا فمه وهو يقول: الحياة بعدكم حرام.

وأخذ يجول في القصعة كما يجول الفارس في الميدان. فلمّا رأوه قد أغار على طعامهم وكاد يفنيه، قالوا له:

ـ أيّها الرجل، هل عرفت أحداً منّا؟

فأشار أشعب بإصبعه إلىٰ الطعام وقال: عرفت هذا.

الباء تجرّ

قال رجل لصديق له: ماذا فعل فلان بحمارِه؟

فقال الصديق: بَاعِهِ.

قال: قلْ: باعَهُ.

قال: فَلِمَ قلت «بحماره»؟

قال: الباء تجرّ.

قال: فمن جعل باءك تجرّ وبائي ترفع؟!

لا تجعل رجوعك علينا

نزل أشعب عند صديق له؛ فقدّم له الصديق أربعة أرغفة، وذهب ليحضر لحماً؛ ولمّا رجع وجده قد أكل الخبز، فذهب وأتىٰ بخبز، فوجده قد أكل اللحم.

ولمّا همّ أشعب بالرحيل، سأله صديقه:

- إلىٰ أين أنت ذاهب؟

قال أشعب: إلىٰ الشام.

قال الصديق: ولماذا؟

قال أشعب: بلغني أنّ بها طبيباً حاذفاً للمعدة، وأنا منذ وقت قليل أشكو وجعاً في معدتي.

فقال الصديق: لي حاجة عندك.

قال أشعب: وما هي؟

قال: إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك علينا.

تَسَرَّي بي

تبع أشعب مرّة امرأة، فقالت له:

- وما تصنع بي ولي زوج؟

فقال لها: تسرَّي بي، فديتك.

أشعب والرجل القبيح

نظر أشعب إلىٰ شيخ قبيح المنظر فقال له:

- ألم ينهكم سليمان بن داود عن أن تخرجوا بالنهار؟!

هربوا من شهر رمضان

خرج جماعة من بيوتهم إلىٰ شعب من جبل، واختفوا فيه، ولمّا سئلوا عن ذلك أجابوا:

- نهرب من شهر رمضان لا يدخل علينا.

لا تَسَعُها يَدُك

كان أشعب يحمل بيضة، فلقيه ابنه، فقال له:

ـ يا أبتِ، أعطني هذه البيضة.

فصرخ به أشعب قائلاً: لا تَسَعُها يدك!

أشعب والصريميّة

اجتازت جنازة الصريميّة المغنية بأشعب، وهو جالس في قوم من قريش، فبكىٰ عليها ثم قال:

ـ ذهب اليوم الغناء كلّه، إلاّ أن الزانية كانت ـ لا رحمها الله ـ شرّ خلق الله.

فقيل له: يا أشعب! ليس بين بكائك عليها، ولعنك إيّاها فصلٌ في كلامك.

قال: نعم، كنّا نجيئها الفاجرة بكبش، فيطبخ لنا في دارها، ثمّ لا تعشّينا يشهد الله ـ إلاّ بِسَلْق.

... رجاء أن تُهْدَىٰ إليّ

قيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟

قال: ما زُفَّت عروس بالمدينة إلىٰ زوجها قطّ إلاّ فتحتُ بابي رجاء أن تُهدَىٰ إليّ.

أحسن الغناء وأطيب الزمان

قيل لأشعب: ما أحسن الغناء؟

قال: نشيش المقلىٰ.

وقيل له: ما أطيب الزمان؟

قال: إذا كان عندك ما تنفق.

يتعلّم السفر

أتىٰ أحدهم بسلّم، وجعل يصعد وينزل، فقيل له: ماذا تفعل؟

فقال: أريد الخروج إلىٰ بغداد، والآن أتعلّم السفر.

أشعب والدجاج

قال أشعب لرجل كان قد دعاه وآخرين إلىٰ مائدة، حين سخّن دجاجة، ثم بردت فسخّنت، ثم بردت فسخّنت:

ـ دجاج هذا الرجل كآل فرعون يُعْرَضُون على النارِ غدوّاً وعشياً.

فضربته سيّدة البيت مئة سوط وأعطته مئة دينار.

مثل شجرة الموز

حدّث الأصمعي قال:

قال أشعب لابنه يوماً: إنّي قد كبرت، فاطلبْ لنفسك المعاش.

قال: يا أبتِ، أنا كشجرة الموز لا تحمل حتىٰ تموت أمّها.

أثنىٰ على نفسه فعُزل

قال عبد الرحمٰن بن مسهر:

ـ ولاّني القاضي أبو يوسف القضاء بجبل. وبلغني أنّ الرشيد منحدر إلىٰ البصرة، فسألت أهل جبل أن يمدحوني ويثنوا عليّ، فوعدوني خيراً. فسرّحت لحيتي، وخرجت فوقفت له، فوافىٰ وأبو يوسف، فقلت:

ـ يا أمير المؤمنين، نعم القاضي قاضي جبل، قد عدل فينا، وفعل وصنع.

وجعلت أثني على نفسي، فرآني أبو يوسف، فطأطأ رأسه وضحك، فقال الرشيد: ممّ تضحك؟

فقال: إنّ المثني على نفسه هو القاضي.

فضحك الرشيد ثم قال: هذا شيخ سخيف سَفِلة فاعْزِلْه.
فعزله.

لو ما في بطنك في حلقي

عاد رجل من عرس، فسأله أحدهم: ما أكلت؟
قال: لحم وأرزّ وحلوى و...
فتنهّد وقال: آه، لو ما في بطنك في حلقي.

كيف لا يكون قديماً

سمع رجل قوماً يتكلّمون في القرآن، ويقول بعضهم:
ـ إنّه ليس بقديم.
فقال الرجل: ما أبله هؤلاء القوم، قد تكلم الله بالقرآن منذ أكثر من خمسمئة سنة، فكيف لا يكون قديماً.

لماذا كَثُر ماله

قال الفضل: أتدرون لماذا كثر مالي.
قالوا: لا.
قال: لأنّي سمّيت نفسي بيني وبين الله محمداً، وإذا كان اسمي عند الله محمداً فما أُبالي ما قال الناس.

مغفّل يجد غلطاً في المصحف

نظر أحد المغفّلين في المصحف، فقال:
ـ وجدت فيه غلطتين فأصلحوهما.
فقالوا له: وما هما؟
قال: ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوّاصٍ﴾، هذا غلط، وإنّما يجب أن يكون: كُلّ بناء

وجصّاص؛ والأُخرىٰ هي ﴿والتّينِ والزيتونِ﴾، وإنّما يجب أن يكون: والجبن والزيتون.

ألية بقرة

دخل رجل إلىٰ لحّام وقال له:

ـ أريد ألية.

فأخرج اللحام ألية صغيرة، وقدّمها له، فقال الرجل:

ـ أتهزأ بي؟ هذه ألية بقر وأنا أريد ألية ضأن.

فقال له اللحام: ليس للبقر ألية!

فقال الرجل: حدّث بهذا غيري، ولا تستهبلني.

فقدّم له اللحام أُخرىٰ فأعجبته ورضي بها.

مفتاح الصندوق عندي

كان لبعض التجار ولد أبله. وذات يوم وجد التاجر أنّ اللصوص قد دخلوا على دكّانه وسرقوا منه صندوق «الغلّة»، فجلس التاجر يندب حظّه، والناس من حوله يعزّونه. وفجأة أقبل الولد، فرأىٰ الناس مجتمعين أمام الدكان فسأل عن السبب، فقيل له:

ـ دخل اللصوص إلىٰ حانوت أبيك، وأخذوا الصندوق الذي فيه «غلّة» الدكان.

فضحك وقهقه، وقال: لا بأس ما فاتنا شيء.

فظنّ الناس أنّه خبّأه، أو يعرف خبره، فأسرعوا إلىٰ أبيه، فبشّروه بأنّ ابنه قال كذا. فقال أبوه:

ـ ما الخبر؟ وأيّ شيء عندك في هذا الأمر؟

قال: مفتاح الصندوق عندي، فلا يقدرون أن يفتحوه.

فقال أبوه: عجبت والله أن يكون عندك فرح.

طلّقت بلا علّة

عُرضت على المعتصم جارية، فقال للحاضرين: كيف ترونها؟
فقال أحدهم: امرأتي طالق إن كان الله عزّ وجلّ خلق مثلها.
وقال آخر: امرأتي طالق إن كنت رأيت مثلها.
وقال الثالث: امرأتي طالق.
وسكت. فقال المعتصم: إن كان ماذا؟
فقال: إن كان لا شيء.
فقال المعتصم: ويحك! ما حملك على هذا؟
قال: يا سيّدي هذان الأحمقان طلّقا لعلّة، وأنا طلّقت بلا علّة.

كيف نعمل؟

أغار لصّان على قافلة من ستّين رجلاً، فأخذوا كلّ ما معهم. فقيل لأحدهم:
ـ كيف غلبكم رجلان وأنتم ستّون؟
فقال: أحاط بنا واحد، وسلبنا الآخر، كيف نعمل؟

لا ستّ إلاّ الله

ماتت قريبة لأحد الأمراء، فاجتمع الناس على اختلاف طبقتهم ليقوموا بواجب العزاء. ولمّا خرجت الجنازة جعل النساء يلطمن خدودهن ويقلن:
ـ واستّاه! واستّاه.
فأنكر الزوج هذا، وأخذ يصيح بهنّ ويقول: لا ستّ إلاّ الله!

لا أتجاسر

اضطرّ أحدهم أن يبيت مع غلامه عند صديق له، فقال للغلام:
ـ اذهب إلىٰ البيت، وهات شمعة!

فقال الغلام: يا سيدي، أنا لا أتجاسر أن أذهب إلىٰ البيت وحدي، في مثل هذا الوقت، فأحبّ أن تذهب معي حتىٰ أحمل الشمعة وأعود معك.

أرعف من داخل

لطم رجل رجلاً فصاح به: أدميتني.

فقال: أين الدم؟

فقال: أنا أرعف من داخل.

ما تركني المطر

قال أحدهم لغلامه:

ـ اخرج وانظر السماء، هل هي صاحية أم مغيّمة؟ فخرج، ثم عاد وقال لسيّده:

ـ والله ما تركني المطر انظر إلىٰ السماء، وأعرف إذا كانت مغيمة أم لا.

اشربوا، الأذان لم يصل

انتبه قوم ليلة في رمضان وقت السحور، فقالوا لأحدهم:

ـ أنظر هل تسمع أذاناً؟

فأبطأ عنهم ساعة، ثم رجع فقال:

ـ اشربوا، فإنّي لم أسمع أذاناً إلاّ من مكان بعيد.

نملّحها حتىٰ يتيسّر لك شيء

جاء قوم إلىٰ أحد الوجوه يسألونه كفناً لجارية قد ماتت، فقال له:

ـ ما عندي الآن شيء، عودوا بعد أيّام.

فقالوا: فنملّحها إلىٰ أن يتيسّر عندك شيء!

لا تذهب إلاّ وهي معك

كان لأحدهم على آخر أربعة دراهم، فجاءه يوماً يقتضيه، فقال: غداً أعطيك.

فقال: لا أذهب حتىٰ تحلف لي أنّك تعطينيها غداً.

فحلف له قائلاً: إنّك إن جئت لا تذهب إلاّ وهي معك.

ولما أُشهد عليه مضىٰ؛ وفي الغد عاد الرجل، فقال له:

ـ ما عندي شيء، وإنّما حلفت إنّك لا ترجع إلاّ وهي معك أعني لحيتك.

فأشهد عليه بهذا القول. فذهب سريعاً إلىٰ الحجّام وحلق لحيته، وجاء إليه. ولم يخرج إلاّ ودراهمه معه.

لا أدعوه

مات ولد لرجل، فقيل له:

ـ ادعُ فلاناً ليغسله.

فقال: لا أريد، لأن بيني وبينه عداوة، فيعنّف بابْني في الغسل حتىٰ يقتله.

وهذا أيضاً

اشترىٰ أحد المغفّلين بضاعة، فوضعها في قفّة، فقال له البائع:

ـ بقي لك الزيت، فأين تضعه؟

فقلب المغفّل القفّة، وقال: هنا.

وأشار إلىٰ كعب القفّة. فسكب التاجر الزيت في ذلك الكعب، فحمله المغفّل ومضىٰ. فلقيه رجل فقال له:

ـ بكم اشتريت هذا الزيت؟

فقال: بكذا.

قال: وهذا القدر فقط؟

فقلب القفّة وقال: وهذا أيضاً.

دواء لسنة

وصف طبيب شربة لأحد مرضاه، ولمّا شربها قضت عليه؛ وبعد أيام جاء الطبيب ليعرف خبره، فقيل له: إنه مات.

فقال الطبيب: لا إلٰه إلاّ الله من شربة ما كان أقواها، لو عاش ما كان احتاج إلىٰ أن يشرب الدواء سنة أُخرىٰ.

أيّهما أفضل

قال أحدهم لآخر:

ـ أبو بكر أفضل أم عمر؟

قال: لا بل عمر.

قال: وكيف علمت؟

قال: لأنّه لمّا مات أبو بكر جاء عمر إلىٰ جنازته، ولمّا مات عمر لم يجيء أبو بكر إلىٰ جنازته.

اتّقاء الشرّ

دخل الحطيئة على خالد بن سعيد بن العاص، فسأله فاعتذر إليه، وقال ما عندي شيء. فلم يُعِد عليه الكلام، وخرج من عنده. فبعث خالد يسأل عنه، فأُخبر أنّه الحطيئة، فردّه. فأقبل الحطيئة، فقعد لا يتكلّم؛ فأراد خالد أن يستفتحه الكلام فقال: «من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

وَمَنْ يَجْعَلِ المعروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

فقال خالد لبعض جلسائه: هذه بعض عقاربه، وأمر له بكسوة وحملان. فخرج بذلك من عنده.

... إنّها حرّة

ماتت جارية لرجل. فلمّا دفنها قال:

ـ لقد كنت تقومين بحقوقي، فلأُ كافئنّك، اشهدوا عليّ أنّها حرّة.

قاضي حمص

سأل المأمون رجلاً من أهل حمص عن قضاتهم، فأجاب:

ـ يا أمير المؤمنين، إنّ قاضينا لا يفهم، وإذا فَهِمَ وَهِمَ، فقال:

ـ ويحك! ما تقول؟ وكيف هذا؟

قال: قدّم رجل رجلاً فادّعىٰ عليه أربعة وعشرين درهماً، فأقرّ له الآخر، فقال: أعطه؛ فقال: أصلح الله القاضي، إنّ لي حماراً أكتسب عليه كلّ يوم أربعة دراهم، أنفق على الحمار درهماً، وعليّ درهماً، وأدفع له درهمين، حتّىٰ إذا اجتمع ماله غاب عنّي فلم أره، فأنفقها، وما أعرف وجهاً إلاّ أن يحبسه القاضي اثني عشر يوماً حتىٰ أجمع له إيّاها.

فحبس صاحب الحقّ حتىٰ جمع ماله.

كيف لا يتقيّأ

رأىٰ رجل برذوناً قد بلع رأس لجامه، فقال:

ـ العجب كيف لا يتقيّأ، أنا لو أدخلتُ إصبعي في حلقي لما بقي في جوفي شيء.

لن أشتريك أبداً

كان أحد المغفّلين يجرّ حماراً ، فقال أحد الأذكياء لرفيق له:

ـ يمكنني أن آخذ الحمار، ولا يعلم به هذا المغفّل.

قال: كيف تعمل ومقوده بيده؟

فتقدّم، فحلّ المقود، ووضعه في عنقه، وقال لرفيقه:

ـ خذِ الحمار واذهبْ.

فأخذه ومشىٰ ذلك الرجل خلف المغفّل والمقود في عنقه، وبعد قليل وقف الرجل، فجذبه، فلم يمشِ، فالتفت فرآه، فقال: أين الحمار؟

فقال: أنا هو.

قال: وكيف ذلك؟

قال: كنت عاقاً لوالدتي، فدعتْ عليّ، فمسختُ حماراً، ولي هذه المدّة في خدمتك، والآن قد رضِيَت عنّي أمّي فعدتُ آدمياً.

فقال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وكيف كنتُ أستخدمك وأنتَ آدميّ؟؟

قال: قد كان ذلك.

قال: فاذهب في دعة الله.

فذهب ومضىٰ المغفّل إلىٰ بيته فقال لزوجته:

ـ أعندك الخبر؟ كان الأمر كذا وكذا، وكنّا نستخدم آدمياً ولا ندري فبماذا نكفّر، وبماذا نتوب؟

فقالت: تصدّق بما يمكن.

قال: فبقي أيّاماً. فقالت له: إنما شغلك المكاراة، فاذهب واشترِ حماراً لتعمل عليه.

فخرج إلىٰ السوق، فوجد حماره ينادىٰ عليه. فتقدّم وجعل فمه في أذنه، وقال:

ـ لقد عدت إلىٰ عقوق أمّك، والله لن أشتريك أبداً.

زن من الثاني

قال أحد الأمراء لبائع الثلج: أرني ما عندك.

فكسر له قطعة وناوله إيّاها، فقال: أريد أبرد من هذا.

فكسر له من الجانب الآخر، فقال: كيف سعر هذا؟

فقال: الرطل بدرهم من هذا، ومن الأوّل، الرطل والنصف بدرهم.
فقال له: زن من الثاني.

العلامة

مَرّ عيسىٰ بن موسىٰ بجحا، وهو يحفر بظهر الكوفة موضعاً، فقال له:
ـ ما لك يا أبا الغصن؟
قال: إنّي دفنت في هذه الصحراء دراهم، ولست أهتدي إلىٰ مكانها.
فقال عيسىٰ: كان عليك أن تجعل علامة عليها.
قال: قد فعلت.
قال: ماذا؟
قال: سحابة في السماء كانت تظلّلها، ولست أرىٰ العلامة الآن،

افتصد تخفّ حرارة الغم

سُرقت ثياب رجل من الحمّام، فخرج عرياناً، وكان على باب الحمّام طبيب، فسأله:
ـ ما قصّتك؟
فقال: سرقت ثيابي.
فقال الطبيب: بادر وافتصد تخفّ عنك حرارة الغمّ.

احْمَدِي اللَّهَ

قالت امرأة لأُخرىٰ:
ـ اليوم مشيت طويلاً، فدخل في رجلي مسمار.
فقالت الأُخرى: وكان الخفّ الجديد في رِجلك؟
قالت: لا.
قالت: احمدي الله.

أنوفهم قبور

ذكر أبو العيناء ولد موسىٰ بن عيسىٰ، وكانت أنوفهم كباراً معوجّة، فقال: كأنّ أنوفَهم قبورٌ نُصِبَتْ على غيرِ القِبْلة.

أرجع إليك غداً

أحضر أحدهم بناءً لمشاهدة حائط في داره قد عاب؛ فاتّفق أنّ أمّه تغسل الثياب، فأخرج إلىٰ البنّاء تراباً من ذلك الحائط في طشت، وقال:

ـ لا يمكنك الدخول اليوم، فهذا من ترابه، واعرف ما يريد.

فنظر إليه ضاحكاً وقال:

ـ أرجع إليك غداً.

متفرقات شعرية

قال الشيخ جواد الشبيبي في أحد النواب:

ونَـائـبٍ مَـلأَ الكُـرْسِـيَّ قُلْـتُ لَـهُ:	مـاذا السكـوت؟ تكلَّـمْ أيُّهـا الصَّنـمُ
الحـامِـلُ الـرأس لـم تَسْمَـعْ لَـهُ أُذُنٌ	والصَّـاقِـلُ الـوَجْـهَ فـي صَفْحَتَيْـهِ فَـمُ
بِـمَ اُسْتَحَـل مِـنَ الأوطـانِ رَاتِبَـهُ	وَفـي السُّكُـوتِ قضـتْ أيـامُـهُ الحُـرُمُ

* * *

وقال داود عمّون في قاضٍ:

يـا قـاضِيـاً لَـوْ أتَـوْهُ	بِطِفْلَـةٍ فَـوْقَ مَهْـدِ
وأتْهَمُـوهـا بِنَقْـلِ	الأهْـرامِ فـي يَـوْمِ شَـرْدِ
لَجَـاءَهـا مِنْـهُ حُكْـمٌ	يَقْضِـي بِحَبْـسٍ وَجَلْـدِ
فـلا البـداهَـةُ تُغْنِـي	ولا النـزَاهَـةُ تُجْـدِي

* * *

وقال حافظ إبراهيم في هجاء رجل عظيم البطن:

عَطَّلْتَ فَنَّ الكَهْرَباءِ فَلَمْ نَجِدْ   شيئاً يَعُوقُ مَسِيرَها إلاّكا
تَسْرِي على وَجْهِ البَسِيطَةِ لَحْظَةً   فَتَجُوبُها وَتَحارُ في أحْشاكا

وقال أيضاً في هجاء بائع كتب:

أدِيمُ وَجْهِكَ يا زِنْديقُ لَوْ جُعِلَتْ   مِنْهُ الوِقَايَةُ والتَّجْليدُ لِلْكُتُبِ
لم يَعْلُها عَنْكَبُوتٌ أيْنَما تُرِكَتْ   ولا نخافُ عَلَيْها سَطْوَةَ اللَّهَبِ

❊ ❊ ❊

زار الشاعر رشيد سليم الخوري صديقاً له يدعىٰ «وديع عبد المسيح»، وكان هذا الأخير منهمكاً بأمور تجارته، فلم يعره أيّ اهتمام، فاغتمّ الشاعر وخرج، وهو يقول:

أيا عَبْدَ المَسِيحِ جَمِيلُ ظَنّي   بِوِدِّكَ باتَ أقْبَحَ مِنْ قَبِيحِ
وضيعاً صِرْتَ عِنْدِي لا «وديعاً»   وَعَبْدَ القِرْدِ لا «عَبْدَ المَسِيحِ»

❊ ❊ ❊

وقال ابن كثير المكّي في كبار زمانه:

«كبارُ» زَمانِنا أضْحَوا صِغاراً   وَقَدْ غَضِبَ الزَّمانُ عَلىٰ الكِبَارِ
كأنّ زَمانَنا مِنْ قَوْمِ لُوطٍ   لَه وَلَعٌ بِتَقْدِيمِ الصِّغَارِ

قال الجزّار في بخيل:

لا يَسْتَطِيعُ يَرىٰ رَغِيفاً   عِنْدَهُ في البَيْتِ يُكْسَرْ
فَلَوْ أنَّهُ صَلَّىٰ وَحَا   شَاهُ لَقَالَ الخبزُ أكبر

❊ ❊ ❊

وقال أبو الشمقمق في هجاء أوفىٰ بن منصور وكان بخيلاً:

ما كُنْتُ أحْسَبُ أنّ الخُبْزَ فاكِهَةٌ   حتّىٰ نَزَلْتُ على أَوْفَىٰ بْنِ مَنْصُورِ
يَبْسُ اليَدَيْنِ فما يَسْتَطِيعُ بَسْطَهُما   كأنَّ كَفَّيْهِ شُدّا بالمَسَامِيرِ
الحابِسُ الرَّوْثَ في أعْجافِ بَغْلَتِهِ   خوفاً على الحَبّ مِنْ نَقْدِ العَصَافِيرِ

❊ ❊ ❊

وقال خليل مردم في هجاء رجل:

جَهْمٌ كظِلِّ الصَّخْرِ مَنْ يَرَهُ يَقُلْ   هو وَجْهُ مَيْتٍ بالسخام مُحنَّطُ
فإذا تَمَعَّرَ أو تَكَشَّرَ ضاحكاً   فكأنَّهُ مِنْ وَجْهِهِ يَتَغَوَّطُ
وإذا تَنَحْنَحَ في الكلامِ حَسِبْتَهُ   ثَوْراً يخورُ على العَلِيقِ وَيَنْحَطُ

* * *

وقال عبد الله بن أوفىٰ الخزاعي في هجاء امرأته:

فإنْ تَشْرَبِ الزِّقَّ لا يَرْوِها   وإنْ تأكُلِ الشَّاهَ لا تَشْبَعِ
وَلَيْسَتْ بِتَارِكَةٍ مُحْرَماً   لَوْ حُفَّ بالأسَلِ الشُّرَّعِ

* * *

وقال ديك الجنّ في هجاء نفسه:

أيُّها السائِلُ عَنِّي   لَسْتَ بي أخْبَرَ مِنِّي
أنا إنْسانٌ بَرَاني   اللَّهُ في صُورَةِ جِنِّي
بَلْ أنا الأسْمَجُ في العَيْنِ   فَدَعْ عَنْكَ التَّظَنِّي
أنا لا أسْلَمُ مِنْ نَفْسي   فَمَنْ يَسْلَمُ مِنِّي؟؟

* * *

وقال أحدهم في هجاء امرأة:

لها جِسْمُ بَرْغُوثٍ وَسَاقُ بَعُوضَةٍ   وَوَجْهٌ كَوَجْهِ القِرْدِ أو هو أقبَحُ
تُبَرِّقُ عَيْنَيْهَا إذا ما رَأَيْتَها   وَتَعْبَسُ في وَجْهِ الجَلِيسِ وَتَكْلَحُ
لها مَنْظَرٌ كالنار تَحْسَبُ أنَّها   إذا ضَحِكَتْ في أوجُهِ الناسِ تَلْفَحُ
إذا عايَنَ الشيطانُ صُورةَ وَجْهِها   تَعَوَّذَ مِنها حينَ يُمْسي وَيُصْبِحُ

* * *

وقال أبو إسحٰق الصابىء في أحدهم:

أيُّها النابِحُ الذي يَتَصَدَّىٰ   بِقَبيحٍ يَقُولُهُ لِجَوابي
لا تُؤَمِّلْ أنّي أقُولُ لك: اخْسَأْ   لَسْتُ أسْخُو بها لِكُلِّ الكلابِ

وقال أيضاً:

يا جامعاً لِخِلالٍ ... قَبيحَةٍ لَيْسَ تُحْصَىٰ
نَقَصْتَ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ ... فَقَدْ تَكَامَلْتَ نَقْصَا
لو أنّ لِلْجَهْلِ شَخْصاً ... لَكُنْتَ للجَهْلِ شَخْصَا

* * *

وقال في آخر:

وَرَاكِبٍ فَوْقَ طَرْفِ ... كأنَّهُ فَوْقَ طَرْفي
لَهُ قُذالٌ عَرِيضٌ ... يَجُلُّ عَنْ كُلِّ وَصْفِ
يَذُوبُ شَوْقاً إلَيْهِ ... نَعْلي وَخُفِّي وكَفِّي

* * *

وقال ابن الحجّاج في أحدهم:

حَلَّ بِيَافُوخِكَ مِنِّي الذي ... يَحِلُّ يَوْمَ العيدِ بالطَّبْلِ
لا تَجْهَلِ اليَوْمَ على مَنْ لَهُ ... مَعْرِفَةٌ بالعقلِ والجَهْلِ
فَتىً وإنْ زَلَّتْ بهِ نَعْلُهُ ... أصْفَعُ خَلْقِ اللَّهِ بالنَّعْلِ

* * *

وقال الحمدوني يهجو أحد الثقلاء:

سَأَلْتُكَ باللَّهِ إلاّ صَدَقْتَ ... وَعِلْمي بأنَّكَ لا تَصْدُقُ
أتَبْغِضُ نَفْسَكَ مِنْ ثِقْلِها ... وإلاّ فأنْتَ إذَنْ أحْمَقُ

* * *

وقال بديع الزمان الهمذاني يهجو القاضي أبا بكر الحِيريّ:

والكلب أحْسَنُ حَالَةً ... وهو النهاية في الخَسَاسَهْ
مِمَّنْ تَصَدَّىٰ للرِّيَا ... سَةِ قَبْلَ إبّانِ الرِّيَاسَهْ

* * *

وقال البهاء زهير في هجاء صاحب لحية طويلة:

وأحْمَـــقَ ذي لِحْيَـــةٍ كَبيـــرَةٍ مُنْتَشِـــرَهْ
طَلَبْـتُ فيهـا وَجْهَـهُ بِشِـدَّةٍ فَلَـمْ أرَهْ
تَبّـاً لهـا مـن لِحْيَـةٍ كَبيـرَةٍ مُحْتَقَـرَهْ
مُضْحِكَـةٌ مـا كـان قَـطُّ مِثْلُهـا لَمَسْخَـرَهْ
مَعْـرُوفَـةٌ لٰكِنَّـهُ أصْبَـحَ فيهـا نَكِـرَهْ
كـأنَّهـا سَحَـابَـةٌ فَـوْقَ البِـلادِ مُمْطِـرَهْ
فَلَـوْ مَضَـىٰ السَّـوْقَ بهـا وَزَفَّهـا بـالمِـزْمَـرَهْ
لَحَصَّلَـتْ لـه مَغَـلَّ ضَيْعَـةٍ مُـوَفَّـرَهْ

* * *

قال ابن الهبّاريّة في نظام الملك بن إسحٰق أحد وزراء العصر السلجوقي:

لا غَـرْوَ إنْ مَلَـكَ ٱبْـنُ إسْـ ـحـقٍ وَسَـاعَـدَهُ القَـدَرْ
وصفَـتْ لَـهُ الـدُّنْيَـا وَخُـصَّ أبـو الغنـائـم بـالكَـدَرْ
فـالـدَّهْـر كـالـدولاب لَيْـ ـسَ يَـدُورُ إلاّ بـالبَقَـرْ

هجا ثعلب (أحمد بن يحيىٰ) زميله المبرّد (محمد بن يزيد)، فردّ المبرّد عليه بقوله:

شَـاتَمَنِـي عَبْـدُ بنـي مَسْمَـع فَصُنْـتُ عَنْـهُ النَّفْـسَ والعِـرْضَـا
ولَـم أُجِبْـهُ لاحْتِقـاري لَـهُ مَـنْ ذا يَعُـضّ الكَلْـبَ إنْ عَضَّـا؟!

* * *

وقال أحدهم في هجاء المبّرد:

سـأَلْنـا عَـنْ ثُمَـالَـةَ كُـلَّ حـيٍّ فَقَـالَ القـائِلُـونَ: ومـنْ ثُمَـالَـهْ؟
فَقُلْـتُ: مُحَمَّـدُ بـنُ يَـزِيـدَ مِنْهُـمْ فَقَـالُـوا: زِدْتَنَـا بِهِـمُ جَهـالَـهْ
فَقَـالَ لـيَ المُبَـرِّدُ: خَـلِّ قَـوْمـي فَقَـوْمـي مَعْشَـرٌ فيـه نَـذَالَـهْ

* * *

وقال أبو هفّان في هجاء شاعر قبيلة باهلة الذي كان قد هجاه:

أَبَـاهِـلَ يَنْبَحُنِـي كَلْبُكُـمْ ... وَأُسْـدُكُـمْ كَكِـلَابِ العَـرَبْ
لـو قِيـلَ لِلْكَلْـبِ: يـا بـاهِلِـيُّ ... عَـوَىٰ الكَلْـبُ مِـنْ لُـؤمِ النَّسَـبْ

* * *

وقال أحدهم في أبي هفّان العالم والأديب واللغوي البصري:

لـي صَـدِيـقٌ فـي خِلْقَـةِ الشيطـانِ ... وَعُقُـولِ النّسَـاءِ والصّبْيَـانِ
مَـنْ تَظُنُّـونَـهُ؟ فَقَـالُـوا، جميعـاً: ... لَيْـسَ هـذا إلاّ أبـو هَفَّـان

* * *

وقال البهاء زهير في صديق له يداعبه:

أرِحْنِـي مِنْـكَ حتّـىٰ لا ... أرَىٰ مَنْظَـرَكَ الـوَعْـرَا
فَقَـدْ صِـرْتُ أرىٰ بُعْـدَ ... كَ عَنِّـي الـراحَـةَ الكُبْـرَىٰ
فمـا تَنْفَـعُ فـي الـدُّنْيَـا ... ولا تَنْفَـعُ فـي الأُخْـرَىٰ

* * *

وقال عبد الواحد الرشيدي متهكّماً بقاضٍ يأتمر بأوامر زوجته:

وَقَـاضٍ لنـا حكْمُـهُ بَـاطِـلٌ ... وأحْكَـامُ زَوْجَتِـهِ مـاضِيَـهْ
فَيَـا لَيْتَـهُ لـم يَكُـنْ قَـاضِيـاً ... وَيَـا لَيْتَهـا كـانـتِ القـاضِيَـهْ

* * *

وفي هجاء الوزير الأفضل بن بدر قال الناجي المصري:

قُـلْ لابْـنِ بَـدْرٍ مَقَـالَ مَـنْ صَـدَقَـهْ ... لا تَفْـرَحَـنْ بـالـوِزَارَةِ الخَلِقَـهْ
إنْ كُنْـتَ قَـدْ نِلْتَهـا مُـرَاغَمَـةً ... فَهْـيَ على الكَلْـب بَعْـدَكُـمْ صَـدَقَـهْ

* * *

وقال البحتري في هجاء الخثعميّ الشاعر:

الآنَ عَلِمْـتُ أنّ البَعْـثَ حَـقٌّ ... وأنْ اللّـهَ يَفْعَـلُ مـا يَشَـاءُ
رَأَيْـتُ الخَثْعَمِـيَّ يُقِـلُّ أنفـاً ... يَضِيـقُ بِعَـرْضِـهِ البَلَـدُ الفَضَـاءُ

سَمَـا صُعُـداً فَقَصَّـر كُـلُّ سَـام لِهَيْبَتِـهِ وَغَـضَّ بـه الهَـوَاءُ
هـو الجَبَـلُ الـذي لـولا ذُرَاهُ إذَنْ وَقَعَـتْ علـى الأرْضِ السمـاءُ

* * *

وقال الغزّي في هجاء خصمه:

وإنْ بَـدَا سـافـراً لِنَـاظِـرِهِ فَـوَجْهُـهُ بـالكُلُـوحِ مُنْتَقِـبُ
لِلْجَمْـعِ والمَنْـعِ نـائِـمٌ أبَـداً كـالفيـلِ لا تُثْنَـى لـه رُكَـبُ

* * *

وقال أحدهم في هجاء صاحب أنف طويل وضخم:

رأينـا للـزكـيِّ جِـدَارَ أنْـفٍ يُضَـاهـي فـي تشـامُخِـهِ الجِبَـالاَ
تَصَـدَّىٰ لِلْهِـلالِ لكـي يَـرَاهُ فَلَـوْلاَ عَظْمُـهُ لـرأىٰ الهِـلاَلاَ

* * *

وقال أبو الحسن اللحّام الحرّاني في أبي جعفر العَتْبي:

تَغَيَّـرَتْ أخْـلاقُ هـذا العَتْبـي وَصَـارَ لا يَعْـرِفُ غَيْـرَ العَتْـبِ
وَغَيْـرَ ضَـرْبِ دَائـمٍ وسَـبِّ وَقَـدْ حَشَـا فَصَـارَ مِثْـلَ الـدُّبِّ
عَلَيْـه ألْـفُ لَعْنَـةٍ مِـنْ رَبِّـي

* * *

وفي هجاء الفتح بن خاقان وزير المقتدر الخليفة العباسي قال أحدهم:

وَزِيـرٌ قـد تكـامَـلَ فـي الـرقـاعَـهْ يُـوَلِّـي ثـم يَعْـزِلُ بَعْـدَ سَـاعَـهْ
إذا أهْـلُ الـرِّشَـا ٱجْتَمَعُـوا عَلَيْـهِ فَخَيْـرُ القَـوْمِ أوْفَـرُهُـمْ بِضَـاعَـهْ

* * *

وقال موسىٰ بن كعب بن عيينة (أبو عيينة) في هجاء خالد:

خـالِـدٌ لَـوْلاَ أبُـوهُ كـانَ والكَلْـبَ سَـوَاءَ
لـو كمـا يَنْقُـصُ يـزداد إذَنْ نـال السَّمـاءَ

* * *

وقال ابن عنّين في هجاء ابن عساكر:

يابْنَ العَسَاكِرِ إنْ صَحَّ أنْتِسَابُكَ ذا ... فـأَنْـتَ مِـنْ أُمَـمٍ صُـوِّرْتَ مَسْبُـوكـا
يابْنَ الدَّجَاجَةِ كُلُّ الناسِ كانَ لَهُ ... أبٌ فَـأنْـتَ ٱبْـنُ مَنْ حَتَّىٰ أُنَـادِيكـا؟

* * *

فأجاب عنه أمين العمري الموصلي:

يـــا مَـــنْ لِعِنّيـــنٍ لـــه نِسْبَـــةٌ ... مـــا هـــذه النِّسْبَـــةُ أمْـــرٌ حَسَـــنْ
تُعَيِّـــرُ النَّـــاسَ بـــأنْسَـــابِهِـــمْ ... أبُـوكَ عِنِّيـنٌ فـأَنْـتَ ٱبْـنُ مَـنْ؟!

* * *

وقال يحيىٰ بن علي (أبو أحمد) في هجاء يعقوب بن إسحٰق الكاتب:

لَعَمْـــرُكَ لَـــوْلاَ إبـــاءُ الأُبَـــاةِ ... وأنَّـــكَ تَصْغُـــرُ عَـــنْ أنْ تُسَـــبّْ
وأنَّ اللُّيُـــوثَ تَعَـــافُ الكِـــلاَبَ ... ولا سِيَّمـــا الكَلْـــبُ مِنْهـــا الكَلِـــبْ
وإيثـــارِيَ العَفْـــوَ عَـــنْ قُـــدْرَةٍ ... غَـــدا ابـــن صليبـــا إذَنْ قَـــدْ صُلِـــبْ
ولا عَيْـــبَ فيـــهِ سِـــوَىٰ أنَّـــهُ ... إذا مـــا ذَكَـــرْنـــا أَبَـــاهُ غَضِـــبْ

* * *

وقال الأرّجاني في بعضهم:

لا تَحْسِبَـنْ أنْ هَجْـوِي فيـك مَكْـرُمَـةٌ ... شِعْـرِي بِهَجْـوِ لَئِيـمٍ قَـطُّ مـا سَمَحَـا
لٰكِـنْ أُجَـرِّبُ طَبْعِـي فِيـكَ فَهُـوَ كَمـا ... جَرَّبْتَ في الكَلْبِ سَيْفاً عِنْدَما نَبَحَا

* * *

وقال أحدهم:

لَقَـدْ عَثَـرَتْ بِجُنْـحِ اللَّيْـلِ رِجْلِـي ... على شَخْصٍ وَلَـمْ يَـكُ في حِسَـابي
فقـال مُجَـاوِبـاً لـي أنْـتَ أعْمَـىٰ ... فَقُلْـــتُ نَعَـــمْ وَدَوَّاسُ الكـــلابِ

* * *

قال نفطويه في هجاء ابن دريد (واضع معجم الجمهرة):

إبْـــنُ دُرَيْـــدٍ بَقَـــرَهْ ... وفيـــه عَـــيٌّ وشَـــرَهْ

وَيَــدَّعِــي مِــنْ حُمْقِــهِ وَضْــعَ كِتَــابِ الجَمْهَــرَهْ
وَهْــوَ كِتَــابُ العَيْــنِ إلاَّ أنَّــهُ قَــدْ غَيَّــرَهْ

* * *

فردّ ابن دريد عليه بقوله:

لَـوْ أُوحِـيَ النَّحْـوُ إلـىٰ نِفْطَـوَيْـهْ مـا كَـانَ هـذا النَّحْـوُ يُعْـزَىٰ إلَيْـهْ
أحْـرَقَـهُ اللَّـهُ بِنِصْـفِ اسْمِـهِ وَصَيَّـرَ البـاقـي صـراخـاً عَلَيْـهْ

* * *

أهدى أحد الشعراء زميلاً له حذاءً، وقال مداعباً:

لَقَـدْ أهْـدَيْـتُ تَـوْفيقـاً حِـذاءً فَقَـالَ القـائِلُـونَ: مـا عَلَيْـهِ؟
أمَـا قـالَ الفَتَـىٰ العَـرَبـيُّ يَـوْمـاً شبيـهُ الشـيءِ مُنْجَـذِبٌ إلَيْـه

* * *

فردّ الزميل على هذه المداعبة بقوله:

لـو كـانَ يُهْـدَىٰ إلـىٰ الإنْسـانِ قيمَتُـهُ لَكُنْـتُ أسْتَـأهِـلُ الـدُّنْيـا ومـا فيهـا
لٰكِـنْ تَقَبَّلْـتُ هـذا النَّعْـلَ مُعْتَقِـداً أنّ الهـدايـا علـى مقـدار مُهْـدِيهـا

* * *

قال محمد بن عبيد الله (ابن التعاويذي) في أحد وزراء العصر الأيوبي، وقد ذهب إلىٰ الحجّ:

يـا ربّ قـد حَـجَّ الـوَزِيـرُ ومـا لـه فـي الحـجّ رَغْبَـهْ
لٰكِـنْ مَخَـافَـةَ أنْ يَحِـلَّ بـهِ مِـنَ السُّلْطـانِ نَكْبَـهْ
يـا ربّ قَـدْ وَافَـاكَ مِنْـهُ وَمِـنْ ذَوِيـهِ شَـرُّ عُصْبَـهْ
فَـاسْـدُدْ مَسَـالِكَهُـمْ وَلاَ تَـرْدُدْ لَهُـمْ يـا ربّ غُـرْبَـهْ
فَـدُخُـولُ مِثْلِهِـمُ إلـىٰ الحَـرَمَيْـن يـا مَـوْلايَ سَبَّـهْ

* * *

وقال حسين بن محمد المعروف بابن سكّرة في هجاء القاضي أبي الشائب في العصر البويهي، وقد كثرت فيه الرشوة والسرقات، وأُصيب الناس بالجوع:

إنْ شِئْتَ أن تُبْصِرَ أعْجُوبَةً مِنْ جَوْرِ أحْكَامِ أبي السَّائِبِ
فَاعْمَدْ مِنَ اللَّيْلِ إلىٰ صُرَّةٍ وَقَرِّرِ الأمْرَ مَعَ الحَاجِبِ
حتىٰ تَرَىٰ مَرْوَانَ يُقْضَىٰ لَهُ عَلَىٰ عَليّ بْنِ أبي طَالِبِ

* * *

قال ابن غليون (عبد المحسن الصوري) في هجاء أخيه، عبد الصمد:

قال لي: أنت أخُو الكَلْبِ وفي ظَنِّهِ أنْ قَدْ تَنَاهَىٰ واجْتَهَدْ
أحْمَدُ اللَّهَ كثيراً أنَّهُ ما دَرَىٰ أنّي أخو عبد الصَّمَدْ

* * *

وقال أبو زيد العبدي في أحد مهجوّيه:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بالهِجَاءِ فَلم تَمُتْ إنَّ الكلابَ طَوِيلَةُ الأعْمَارِ

* * *

وقال عبد الواحد الرشيدي في هجاء نائب:

قُلْتُ للنَّائبِ الذي قَدْ رَأَيْنا مَعَايِبَهْ
لَسْتَ عِنْدِي بِنَائبٍ إنَّما أنْتَ نَائِبَهْ

* * *

قال أبو نخيلة، وكان دميماً، قبيح المنظر، في هجاء اليمنيّين:

لم أرَ غيري حَسَناً مُنْذُ دَخَلْتُ اليَمَنَا
فَيَا شَقَاءَ بَلْدَةٍ أحْسَنُ مَنْ فيها أنا

* * *

وقال عبد بني الحسحاس، وكان أسود قبيح الوجه في هجاء نفسه:

أَتَيْتُ نِسَاءَ الحارِثيّين غُدْوَةً بِوَجْهٍ بَرَاهُ اللَّهُ غَيْرِ جَمِيلِ
فَشَبَّهْنَني كَلْباً وَلَسْتُ بِفَوْقِهِ وَلاَ دُونَهُ إنْ كانَ غَيْرَ قَلِيلِ

* * *

وقال المهلّبي في مغنٍّ يدعى القرشيّ:

إذا غَنّانِيَ القُرَشِي ... دَعَوْتُ اللّهَ بالطَّرَشِ
وإنْ أبْصَرْتُ طَلْعَتَهُ ... فَوَا لَهفي على العَمَشِ

* * *

وقال ابن المعتزّ في امرأة بخراء (كريهة رائحة الفم):

خَبيثَةُ رِيحِ الرِّيقِ تَحْسَبُ هُدْهداً ... يَبِيضُ بِفِيها ثاوِياً وَيُعَشِّشُ

* * *

وقال صفيّ الدين الحلّي في هجاء رجل أبخر:

فَمٌ لِيَحْيَىٰ رِيحُهُ مُنْتِنٌ ... لم يُرَ يَوْماً مِثْلُهُ قَطُّ
لَوْ أنّه عَضَّ على فأرَةٍ ... لَعافَ أنْ يأكُلَها القِطُّ

* * *

وقال حمّاد عجرد في هجاء بشار بن برد:

ما صوَّرَ اللّهُ شِبْهاً لَهُ ... مِنْ كُلِّ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ صَوَّرا
أشْبَهَ بالخِنْزيرِ وَجْهاً وَلاَ ... بالكَلْبِ أعْراقاً وَلاَ مَكْسَرا
وَلاَ رَأَيْنا أحَداً مِثْلَهُ ... أنْجَسَ أو أفْطَسَ أو أقْذَرا
لَوْ طُلِيَتْ جِلْدَتُهُ عَنْبَراً ... لَنَتَّنَتْ جِلْدَتُهُ العَنْبَرا
أو طُلِيَتْ مِسْكاً ذَكِيّاً إذَنْ ... تَحَوَّلَ المِسْكُ عَلَيْهِ «خـ . . »

* * *

وقال الحكم بن عبدل في هجاء رجل أبخر:

لا تُدْنِ فاكَ مِنَ الأميرِ وَنَحِّهِ ... حَتَّىٰ يُداوِي ما بأنْفِكَ أهْرَنُ
إنْ كان للظربان جُحْرٌ مُنْتِنٌ ... فَلَجُحْرُ أنْفِكَ يا محمّدُ أنتَنُ
أشْبَهْتَ أُمَّكَ غيرَ بابٍ واحِدٍ ... أنْ قَدْ خُتِنْتَ وأنّها لم تُخْتَنِ

* * *

قال أحدهم في هجاء رجل قبيح المنظر:

حلمتُ بالأَمْسِ في نَوْمِي بأنّي ... سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ عَلاَ وَجَلاَّ
إلٰهي لَيْسَ هذا نَسْلُ حَوّا ... أأنْتَ خَلَقْتَهُ؟ فأَجَابَ: كَلاَّ

* * *

وقال أحدهم في هجاء رجل أحمق:

لو أنّ خِفَّةَ عَقْلِهِ في رِجْلِهِ ... سَبَقَ الغَزَالَ ولم يَفُتْهُ الأرْنَبُ

* * *

وقال أحدهم في هجاء أبي عثمان المازني:

وَفَتىً مِنْ مَازِنٍ ... سَادَ أهْلَ البَصْرَهْ
أُمُّهُ مَعْرِفَةٌ ... وَأَبُوهُ نَكِرَهْ

* * *

قال تامر الملاّط في المتصرّف «واصا باشا» المعروف بالرشوة وحبّ المال:

قالوا: قَضَىٰ واصا وَوَارَوْهُ الثّرَىٰ ... فَأَجَبْتُهُمْ وأنا العليمُ بِذَاتِهِ
رنُّوا الفُلُوسَ على بِلاَطِ ضَرِيحِهِ ... وأنا الكفيلُ لكم بِرَدِّ حَيَاتِهِ

* * *

وقال أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل) في هجاء بخيل:

ضُفْتُ عَمْراً فجاءَني بِرَغيفٍ ... زادَني أَكْلُهُ على الجُوعِ جُوعا
ثمَّ وَلَّىٰ يَقُولُ وَهْوَ كئيبٌ ... لَهْفَ نَفْسِي على الرَّغيفِ أُضِيعَا
كُنْتُ أنْزَلْتُهُ مَحَلاً رَفِيعاً ... فَغَدا ذلك الرَّفِيعُ وضيعا
عَجَباً مِنْهُ إذْ أُبِيحَ حِمَاهُ ... كيف لم يَمْتَنِعْ وكانَ مَنِيعا

* * *

قال ابن المعتزّ في هجاء عليّ بن بسّام المولع بهجاء أبيه:

مَنْ شاءَ يَهْجُو عَلِيّاً ... فَشِعْرُهُ قَدْ كَفَاهُ
لَوْ أنَّهُ لأَبِيهِ ... ما كان يَهْجُو أبَاهُ

وقال الجمّاز في هجاء أبي العيناء:

كَـذَبـوا لَيْـسَ أبـو العَيْنـاءِ   فـي الكُفْـرِ دَعِيّـا
ظَلَمُـوا البـائِـسَ مـا زَالَ   مِـنَ اللَّـهِ بَـرِيّـا
وَبِـذا نَعْـرِفُـهُ مُـذْ   كـانَ ـ لا كـان ـ صَبِيّـا
فـاْخبِـرُوهُ تَجِـدُوهُ   بـالّـذي قُلْـتُ مَلِيّـا

***

وقال أحمد بن أبي طاهر في سجع أبي العيناء:

سَجْـعُ أبـي العَيْنـاءِ مِـنْ رَجْعِـهِ   فَلَعَنَـهُ اللَّـهُ علـى سَجْعِـهِ
كـأنّ مـن يَسْمَـعُ ألْفَـاظَـهُ   يُقْـذَفُ صُـمُّ الصَّخْـرِ فـي سَمْعِـهِ
قَـدْ طَبَـعَ اللَّـهُ علـى قَلْبِـهِ   فـالكُفْـرُ مُسْتَـوْلٍ علـى طَبْعِـهِ
لا تُكْثِـروا فيـه فـلا بُـدَّ لـي   أَسَـاءَ أوْ أحْسَـنَ مِـنْ صَفْعِـهِ

***

نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة، ، فأخلىٰ له المنزل، ثمّ هرب مخافة أن يلزمه قراه في هذه الليلة، فخرج الضيف، واشترىٰ ما احتاج إليه، ثم رجع وكتب إليه:

يـا أيّهـا الخـارجُ مِـنْ بَيْتِـهِ   وهـارِبـاً مِـنْ شِـدَّةِ الخَـوْفِ
ضَيْفُـكَ قَـدْ جـاء بـزادٍ لَـهُ   فَـاْرْجِـعْ وكـن ضيفـاً على الضَّيْـفِ

***

قال أحد الشعراء يهجو بخيلاً:

إذا جلسَ الثقيـلُ إليـك يـومـاً   أتَتْـكَ عقـوبـةٌ مـن كُـلِّ بـابِ
فَهَـلْ لـك يـا ثقيـلُ إلـىٰ خِصـالٍ   تنـالُ ببعضهـا كـرم المـآبِ
إلـىٰ مـالـي فتـأخـذه جميعـاً   أجـلُّ لَـديْـكَ مـن مـاءِ السحـابِ
وتنتـف لحيتـي وتـدقّ أنفـي   ومـا فـي فـيَّ مـن ضـرْس ونـابِ
علـى أن لا أراك ولا تـرانـي   مُقـاطعـةً إلـىٰ يـومِ الحسـابِ

وقال آخر يصف بخيلاً:

إنَّ هــذا الفتــىٰ يصــون رغيفــاً ... مــا إليــه لنــاظــرٍ مــن سبيــل
في جِرابٍ في جف تابوت موسىٰ ... والمفــاتيــح عنــد «ميكــائيــل»

* * *

قال الشاعر الجزار مداعباً أباه، وكان قد تزوّج في شيخوخته من امرأة مسنّة:

تــزوَّج الشيــخ أبــي شيخــة ... ليــس لهــا عقــل ولا ذهــن
لـو بـرزت صـورتهـا فـي الـدُّجـىٰ ... مــا جســرت تبصــرهــا الجــن
كــأنهــا فــي فــراشهــا رمَّــة ... وشعــرهــا مــن حــولهــا قطــن
وقــائــل قــال: فمــا سنّهــا؟ ... فقلــت: مــا فــي فمهــا ســنّ!

* * *

قال عبد الرحمٰن بن حسّان في هجاء له:

أحيــاؤهــم عــارٌ علــى أمــواتهــم ... والميتــون مسبَّــة للغــابــرِ

* * *

قال الشيخ ناصيف اليازجي في أمير بخيل:

قــد قــال بعــضٌ أن خبــزك مــالــحٌ ... والبعـض أصْدَرَ بـالحموضـة حكمـه
كـذب الجميـع بـزعمهـم فـي طعمـه ... مــا ذاقــه أحــد ليعــرف طعمــه

* * *

قال أبو عثمان العَروضي يهجو أحدهم:

لـو كـان حَـرْفـاً كـان لا معنـىٰ لـه ... أو كـان ظَـرْفـاً لـم يكـن إلاّ متـىٰ

* * *

قال ابن دانيال يصف أحدب:

قَسَمـاً بحســن قــوامــك الفتّــان ... يــا أوحـد الأمـراء فـي الحـدْبـانِ
يـا مِشيـة الغصْـن الـرطيـب إذا انثنـىٰ ... مــن حــدْبتيــه يميــسُ بــالــرّمّــانِ

يـا مُخجـلاً شكـل الهـلال بقـدِّهِ حـاشـاك أن تُعْـزىٰ إلـىٰ نقصـانِ
مـا عـاب قـامتك الحسـود جهـالـة إلاّ أجبـت مقـالـه ببيـانِ
هـلاّ يـزيـن المتـن إلا ردْفـه حُسْنـاً، فكيـف بمـن لـه رِدفـانِ؟
ولنعـم أسْنمـة الجمـال وحملهـا ذات الجمـال لملتقـىٰ الأظعـانِ
والعـود أحـدب وهـو ألْهـىٰ مطـرب أفمـا سمعـت بنغمـة العيـدان؟

* * *

قال المتنبي في هجاء كافور:

إنِّـي نَـزَلْـتُ بِكَـذَّابيـن ضَيْفُهُـمُ عَـنِ القِـرىٰ وعـنِ التـرحـالِ محـدودُ
جُودُ الرِّجالِ مِنَ الأيْدِي وَجُودُهُمُ مِـنَ اللِّسَـانِ فَـلاَ كـانُـوا وَلاَ الجُـودُ
ما يَقْبِضُ الموْتُ نفساً مِنْ نُفُوسِهِمُ إلاّ وفـي يَـدِهِ مِـنْ نَتْنِهَـا عُـودُ
أَكُلّمـا اغْتَـالَ عَبْـدُ السُّـوءِ سَيِّـدَهُ أَوْ خَـانَـهُ فَلَـهُ فـي مِصْـرَ تَمْهِيـدُ
صَـارَ الخصـيُّ إمَـامَ الآبِقيـنَ بِهـا فـالحُـرُّ مُسْتَعْبَـدٌ والعَبْـدُ مَعْبُـودُ
نـامَـتْ نَـوَاطيـرُ مِصْـرٍ عَـنْ ثَعَـالِبِهـا فَقَـدْ بَشِمْـنَ ومـا تَفْنَـىٰ العَنَـاقيـدُ
العَبْـدُ لَيْـسَ لِحُـرٍّ صَـالِـحٍ بـأَخٍ لَـوْ أنَّـه فـي ثِيَـابِ الحُـرِّ مَـوْلُـودُ
لا تَشْتَـرِ العَبْـدَ إلاّ والعَصَـا معـه إنَّ العَبِيـدَ لأنجـاسٌ مَنَـاكِيـدُ
مـا كُنْـتُ أحْسَبُنـي أحْيَـا إلـىٰ زَمَـنٍ يُسِـيءُ بـي فيـه عَبْـدٌ وَهْـوَ مَحْمُـودُ
ولا تَـوَهَّمْـتُ أنَّ النَّـاسَ قَـدْ فُقِـدُوا وأنّ مثـلَ أبـي البيضـاء مـوْجُـودُ
وأنّ ذا الأسْـوَدَ المثقـوبَ مِشْفَـرُهُ تُطِيعُـهُ ذي العَضَـارِيـطُ الـرَّعـاديـدُ
جَـوْعـان يَـأْكُـلُ مِنْ زادي وَيُمْسِكُنـي حتّـىٰ يُقَـالَ: عَظِيـمُ القَـدْرِ مَقْصُـودُ
وَيْلُمِّهـا خُطَّـةً وَيْلُـمِّ قَـابلهـا لِمِثْلِهـا خُلِـقَ المَهْـرِيَّـةُ القـودُ
وعِنْـدَهـا لَـذَّ طَعْـمَ المَـوْتِ شَـارِبُـهُ إنَّ المَنِيَّـةَ عِنْـدَ الـذُّلِّ قِنْـدِيـدُ
مَـنْ عَلَّـمَ الأسْـودَ المَخْصِـيَّ مَكْـرُمَـةً أَقَـوْمُـهُ البِيـضُ أمْ آبَـاؤهُ الصِّيـدُ
أَمْ أُذْنُـهُ فِـي يَـدِ النخّـاسِ دَامِيَـةً أمْ قَـدْرُهُ وَهْـوَ بـالفِلْسَيْـنِ مَـرْدُودُ
أَوْلَـىٰ اللّئـام كُـوَيْفِيـرٌ بِمَعْـذِرَةٍ فـي كُـلِّ لُـؤْم وبَعْـضُ العُـذْرِ تَفْنِيـدُ
وَذَاكَ أنَّ الفُحُـولَ البِيـضَ عـاجِـزَةٌ عَـنِ الجَمِيـلِ فَكَيْـفَ الخِصْيَـةُ السُّـودُ

وقال فيه أيضاً:

وتُعْجِبُنِي رِجْلاكَ فِي النَّعْلِ إنَّنِي ... رَأَيْتُكَ ذا نَعْلٍ إذا كُنْتَ حَافِيا
وأنَّكَ لا تَدْرِي أَلَوْنُكَ أَسْوَدٌ ... مِنَ الجَهْلِ أمْ قَدْ صارَ أَبْيَضَ صَافيَا
فإنْ كُنْتَ لا خيراً أَفَدْتَ فإنَّنِي ... أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرَيْكَ المَلاهِيَا
ومِثْلُكَ يُؤْتَىٰ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ ... لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الحِدَادِ البواكيا

* * *

وقال في هجاء الذهبيّ:

لمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ ٱبْناً لِغَيْرِ إبٍ ... ثُمَّ ٱمْتُحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إلىٰ أدب
سُمِّيتَ بالذَّهَبِيّ اليَوْمَ تَسْمِيَةً ... مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ العَقْلِ لا الذَّهب
مُلَقَّبٌ بِكَ ما لُقِّبْتَ وَيْكَ بِهِ ... يا أيُّها اللَّقَبُ المُلْقَىٰ على اللَّقَب

* * *

وقال في هجاء رجل اسمه وردان بن ربيعة الطائي:

لَحَا اللَّهُ وَرْدَاناً وأمّاً أتَتْ بِهِ ... لهُ كَسْبُ خِنْزِيرٍ وخُرْطُومُ ثَعْلَب
فما كانَ فيهِ الغَدْرُ إلاّ دَلالَةً ... علىٰ أنَّهُ فيهِ مِنَ الأمّ والأبِ
إذا كَسَبَ الإنْسَانُ من هَنِ عِرْسِهِ ... فيا لُؤْمَ إنْسَانٍ ويا لُؤْمَ مَكْسَبِ
أهذا اللذيّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ ... هما الطالِبَانِ الرِّزقَ مَنْ شَرّ مَطْلَبِ

* * *

وقال في هجاء ابن كيغلغ:

وَجُفُونُهُ ما تَسْتَقِرُّ كأنَّها ... مَطْرُوفَةٌ أو فُتَّ فيها حصرمُ
وإذا أشارَ مُحَدِّثاً فكأنَّهُ ... قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أو عَجُوزٌ تَلْطِمُ
وَتَرَاهُ أصْغَرَ ما تَرَاهُ ناطقاً ... وَيَكُونُ أكْذَبَ ما يكون ويُقْسِمُ

* * *

قال ابن الرومي في هجاء الأحدب:

قَصُـرَتْ أَخَـادِعُـهُ وغـار قـذالـه ... فكـأنّـه مُتَـرَبِّـصٌ أنْ يُصْفَعَـا
وكـأنّمـا صُفِعَـتْ قَفَـاهُ مَـرَّةً ... وَأَحَـسَّ ثَـانِيَـةً لهـا فَتَجَمَّعَـا

***

وقال في هجاء صلعة أبي حفص الورّاق:

يـا صَلْعَـةً لأبـي حَفْـصٍ مُمَـرَّدَةً ... كـأنّ سَـاحَتَهـا مِـرْآةُ فُـولاَذِ
تَـرِنُّ تحت الأكُفّ الـوَاقِعَـاتِ بهـا ... حتَّـىٰ تَـرِنُّ بهـا أكْنَـافُ بَغْـدادِ

***

وقال في هجاء صاحب أنف طويل:

لَـكَ أنْـفٌ يـابْـنَ حَـرْبٍ ... أنِفَـتْ مِنْـهُ الأُنُـوفُ
أنْـتَ فـي البَيْـتِ تَصلِّـي ... وهـو فـي السُّـوقِ يطـوفُ

***

وقال في هجاء صاحب العينين الجاحظتين:

تَخَـالُـهُ أبَـداً مِـنْ قُبْـحِ مَنْظَـرِهِ ... مُجَـاذِبـاً وَتَـراً أو بـالِعـاً حَجَـرا
كـأنَّـهُ ضِفْـدَعٌ فـي لُجَّـةٍ هَـرِمٌ ... إذا شَـدَا نغمـاً أو كَـرَّرَ النظـرا

***

وقال في هجاء أبي فراس:

فَتـىً مـا زَالَ يَنْهَـضُ لِلْمَخَـازي ... وَلَيْـسَ بِـهِ إلـىٰ العَلْيَـاء نَهْـضُ
سَجِيَّتُـهُ طِـوَالَ الـدَّهْـرِ قَبْـضٌ ... وَكُـلُّ سَجِيَّـةٍ بَسْـطٌ وَقَبْـضُ
وَلُـؤْمُ النَّـاسِ طُـولٌ دُونَ عَـرْضٍ ... وَلٰكِـنْ لُـؤْمُـهُ طُـولٌ وَعَـرْضُ

***

وقال في هجاء بخيل اسمه عيسىٰ:

يُقَتِّـرُ عِيسَـىٰ عَلَـىٰ نَفْسِـهِ ... وَلَيْـسَ بِبَـاقٍ وَلاَ خَـالِـدِ
فلـو يَسْتَطِيـعُ لِتَقْتِيـرِهِ ... تَنَفَّـسَ مِـنْ مَنْخَـرٍ وَاحِـدِ

***

وفي هجاء مغنّيات ثلاث، يقول في الأولىٰ:

تَضْغـطُ الصَّـوْتَ الـذي تَشْـدُو بـه　　غَصَّـةٌ فـي حَلْقِهـا مُعْتَـرِضَـهْ
فـإذا غَنَّـتْ بَـدَا فـي جِيـدِهـا　　كُـلُّ عِـرْقٍ مِثْـلَ بيـتِ الأرَضَـهْ

وقال في الثانية:

صَـوْتُهـا بـالقُلُـوبِ غَيْـرُ رَقيـقِ　　بَـلْ لَـهُ بـالقُلُـوبِ عُنْـفٌ وبطْـشُ
فـإذا رَقَّقَتْـهُ بـالجَهْـدِ مِنْهـا　　خِلْـتَ فـي حَلْقِهـا شعيـراً يجـشُّ

وقال في الثالثة وتدعىٰ كُنَيْزَة:

شاهَدْتُ في بَعْضِ ما شَاهَدْتُ مُسْمِعَةً　　كـأنَّمـا يَـوْمُهـا يـومـانِ فـي يَـوْمِ
تَظَلُّ تُلْقي على مَنْ ضَمَّ مَجْلِسُها　　قَـوْلاً ثقيـلاً علـى الأسمـاع كـاللَّـومِ
لهـا غِنَـاءٌ يثيـبُ اللّـهُ سـامِعَـهُ　　ضِعْفَـيْ ثَـوَابِ صَلاةِ اللَّيْلِ والصومِ
ظَلَلْـتُ أشْـرَبُ بـالأرْطَـالِ لا طَـرَبـاً　　عليـه بَـلْ طلبـاً للسُّكْـرِ والنَّـوْمِ

* * *

وقال في هجاء شنطف، وكان قبيح المنظر:

شنطـفُ يـا عَـوْذَةَ السَّمَـاواتِ　　والأرْضِ وشَمْـس النهـارِ والقَمَـرِ
إنْ كـان إبْليـسُ خـالِقـاً بَشَـراً　　فـأنْـتَ عِنْـدي مِـنْ ذلـك البَشَـرِ
صَـوَّرَكَ المـارِدُ اللَّعِيـنُ فـأعطَتْـكَ　　يَـداهُ مَقَـابِـحَ الصُّـورِ

* * *

وفي هجاء ثقيل يدعىٰ أبا القاسم يقول:

يـا أبـا القـاسِمِ الـذي لَيْسَ يَـدْري　　أَرَصَـاصٌ كِيَـانُـهُ أمْ حَـدِيـدُ
أنْتَ عِنْدي كَمَاءِ بِئْرِكَ في الصَّيْفِ　　ثَقِيـلٌ يَعْلُـوه بَـرْدٌ شَـدِيـدُ

* * *

وقال في ثقيل آخر:

كـان لِـلأَرْضِ مَـرَّةً ثقـلانِ　　فَلَهـا اليَـوْمَ ثـالِـثٌ بِفُـلاَنِ
أتَّقـي غَصَّـةَ ٱسْمِـهِ عَلِـمَ اللّـهُ　　فـأكْنـي عَـنْ ذِكْـرِهِ بـالمَعَـانـي

يـا ثقيـلَ الثِّقـالِ أقْـذَيْـتَ عَيْنـي ... لَيْـتَ أنّـي كمـا أراكَ تَـرَانـي
مَـنْ يَكُـنْ عَـانِيـاً بِحُـبِّ حَبِيـب ... فَفُـؤَادي بِبُغْضِـكَ اليـوم عـانِـي

* * *

وقال في هجاء عمرو:

وَجْهُـكَ يـا عَمْـرُو فِيـهِ طُـولُ ... وفـي وُجُـوهِ الكِـلابِ طُـولُ
مَقَـابِـحُ الكَلْـبِ فيـكَ طُـرّاً ... يَـزُولُ عنهـا وَلاَ تَـزُولُ
وَفِيـهِ أشْيـاءٌ صَـالِحَـاتٌ ... حَمَـاكَهَـا اللَّـهُ والـرَّسُـولُ
فـالكَلْـبُ وافٍ وفِيـكَ غَـدْرٌ ... فَفِيـكَ عَـنْ قَـدْرِهِ سُفُـولُ
وَقَـدْ يُحَـامـي عَـنِ المَـوَاشِـي ... وَمَـا تَحـامـي ولا تَصُـولُ
وأنْـتَ مـن أهْـلِ بَيْـتِ سـوءٍ ... قِصَّتُهُـمْ قِصَّـةٌ تَطُـولُ
وُجُـوهُهُـمْ لِلْـوَرَىٰ عِظَـاتٌ ... لٰكِـنّ أقْفَـاءَهُـمْ طُبُـولُ
نَسْتَغْفِـرُ اللَّـهَ قَـدْ فَعَلْنَـا ... مـا يَفْعَـلُ المـائـقُ الجَهُـولُ
مـا إنْ سَـأَلْنَـاكَ مـا سَـأَلْنَـا ... إلاّ كمـا تُسْـأَلُ الطلـولُ
صَمَّـتْ وَعَيَّـتْ فَـلا خِطَـابٌ ... وَلاَ كِتَـابٌ ولا رَسُـولُ
مُسْتَفْعِلُـنْ فـاعِلُـنْ فَعُـولُ ... مُسْتَفْعِلُـنْ فـاعِلُـن فَعُـولُ
بَيْـتٌ كَمَعْنَـاكَ لَيْـسَ فيـه ... مَعْنَـى سـوىٰ أنَّـهُ فضـولُ

* * *

وقال في هجاء صاحب اللّحية الطويلة:

إنْ تَطُـلْ لِحْيَـةٌ عليـك وَتَعْـرُضْ ... فـالمَخَـالِـي مَعْـرُوفَـةٌ لِلْحَمِيـرِ
عَلَّـقَ اللَّـهُ فـي عِـذَارَيْـكَ مِخْـلاَةً ... وَلٰكِنَّهـا بِغَيْـرِ شَعِيـرِ
لَـوْ غَـدَا حكْمُهـا إلـيَّ لَطَـارَتْ ... فـي مَهَـبِّ الـرِّيـاحِ كُـلَّ مَطِيـرِ
أَلِقِهَـا عَنْـكَ يـا طَـويلَـةُ أَوْلا ... فَـاحْتَبِسْهـا شـرارة فـي السَّعِيـرِ
أرْعِ فيهـا المُـوسىٰ فـإنَّـكَ مِنْهـا ... يَشْهَـدُ اللَّـهُ فـي إثَـام كَبِيـرِ
أيُّمـا كَـوْسَـجٌ يَـرَاهَـا فَيَلْقَـىٰ ... رَبَّـهُ بعـدهـا صَحِيـحَ الضميـرِ
هـو أحْـرَىٰ بـأنْ يَشُـكَّ وَيُغْـرَىٰ ... بـاتِّهـامِ الحَكيـمِ فـي التقـديـر

مـــا تَلَقَّـــاكَ كَـــوْسَـــجٌ قَـــطُّ إلاّ ... جَـــوَّرَ اللّـــه أيّمـــا تَجْـــوِيـــرِ
لِحْيَـةٌ أُهْمِلَـتْ فَسَـالَـتْ وَفَـاضَـتْ ... فـــإليهـــا تُشِيـــرُ كَـــفُّ المُشِيـــرِ
مـا رأَتْهـا عَيْـنُ ٱمْـرِىءٍ مـا رآهـا ... قَـــطُّ إلاّ أهَـــلَّ بـــالتكبيـــر
رَوْعَـــةٌ تَسْتَخِفُّـــهُ لَـــمْ يُـــرَعْهَـــا ... مَـــنْ رَأَىٰ وَجْـــهَ مُنْكَـــرٍ وَنَكِيـــرِ
فـــاتَّـــقِ اللّـــه ذا الجـــلال وغَيِّـــرْ ... مُنْكَـــراً فيـــكَ مُمْكِـــنَ التَّغْيِيـــرِ
أو فَقَصِّـــرْ منهـــا فَحَسْبُـــكَ مِنْهـــا ... نِصْـــفُ شِبْـــرٍ عَـــلاَمَـــةَ التَّـــذْكِيـــر
لَـــوْ رَأَىٰ مِثْلَهَـــا النَّبِـــيُّ لأَجْـــرَىٰ ... فـــي لَحَـــىٰ النَّـــاسِ سُنَّـــة التَّقْصِيـــر
واسْتَحَـــبَّ الإخْفَـــاءَ فيهِـــنَّ والحَلْـــقَ ... مَكَـــانَ الإعْفَـــاء والتـــوفيـــرِ

* * *

وقال في هجاء «دبس»:

قُـــولا لِـــدِبْـــسٍ شَـــرٍّ مَـــنْ ... يَطَـــأ التُّـــرابَ وَيُـــرْمَـــسُ
تَبّـــاً لِـــدهـــرٍ أنْـــتَ فيـــهِ ... مُقَـــــدَّمٌ وَمُـــــرأسُ
لَـــــو أنّ إبْليســـــاً رآكَ ... لَكَـــانَ ذُعْـــراً يُبْلِـــسُ
وَلَـــرَاعَـــهُ وَجْـــهٌ مِـــنَ ... التَّحْسِيـــن قَـــالَ أمْلَـــسُ
وَكَـــأَنَّ صَـــوْتَـــكَ حيـــن ... تَصْـــدَحُ صَـــوْتَ رَعْـــدٍ يَـــرْجِـــسُ
فـــإذا صَـــدَحْـــتَ مـــؤذِّنـــاً ... كـــادَتْ تَمُـــوتُ الأنْفُـــسُ
وإذا نهضْـــت كبـــا بـــوجْهِـــكَ ... لِلْجَبِيـــنِ المَعْطِـــسُ
فـــالأنْـــفُ مِنْـــكَ لعَظْمِـــهِ ... أبـــداً لِـــرَأْسِـــكَ يَعْكِـــسُ
حتّـــىٰ يَظُـــنَّ النـــاسُ أنَّـــكَ ... فـــي التـــراب تَفَـــرَّسُ
وَلأَنْـــتَ أجْـــدَرُ بـــالـــذي ... قـــال الفَتَـــىٰ المُتَنَطِّـــسُ
إنْ كـــان أنْفُـــكَ هكـــذا ... فـــالفِيـــلُ عنـــدك أفْطَـــسُ
وإذا جَلَسْـــتَ إلـــىٰ الطَّـــرِيـــقِ ... وَلاَ أرَىٰ لَـــك تَجْلِـــسُ
قِيـــلَ السَّـــلاَمُ عَلَيْكُمـــا ... فَتُجِيـــبُ أنْـــتَ وَيَخْـــرَسُ

* * *

هجائيات الأخطل

قال في هجاء جرير وقومه:

قَــوْمٌ إذا ٱسْتَنْبَــح الأضيــافُ كَلْبَهُــمُ ... قــالُــوا لأمِّهِــمُ: بــولـي علـى النَّــارِ
فَتُمْسِــكُ البَــوْلَ بُخْــلاً أنْ تَجُــودَ بِــهِ ... ومــا تَبُــولُ لَهُــمْ إلاّ بِمِقْــدارِ
لا يَثْــأرُونَ بِقَتْــلاَهُــمْ إذا قُتِلُــوا ... ولا يَكُــرُّونَ يــومــاً عِنْــدَ إحْجَــارِ

وقال فيه أيضاً:

وإذا وَضَعْــتَ أبَــاكَ فــي ميــزَانِهِــمْ ... رَجَحُــوا وَشَــالَ أبُــوكَ فــي الميــزانِ

وقال في هجاء خنجر الأسدي:

أَمِــنْ عَــوَزِ الأسْمَــاءِ سُمِّيــتَ خَنْجــراً ... وَشَــرُّ سِــلاَحِ المُسْلِمِيــنَ الخَنَــاجِــرُ
غَمَــرْنَــاك إسْــلامــاً وإن تَــكُ فِتْنَــةٌ ... تَكُــنْ تُغْلَبــاً دارَتْ عَلَيْــهِ الــدوائــر

وقال في هجاء كعب بن جعيل:

سُمِّيــتَ كَعْبــاً بِشَــرِّ العِظَــامِ ... وكــان أبُــوكَ يُسَمَّــىٰ الجُعَــلْ
وإنّ مَحَلَّــكَ مِــنْ وَائِــلٍ ... مَحَــلُّ القُــرادِ مِــنِ ٱسْــتِ الجَمَــلْ

وقال في هجاء بني كلب:

يــا أيُّهــا الــراكــبُ المُــزجِــي مَطِيَّتَــه ... أَسْــرِ فــإنّــكَ إنْ أُدْرِكْــتَ مَقْتُــولُ
لا يَخْــدَعَنَّــكَ كَلْبِــيٌّ بِــذمَّتِــهِ ... إنّ القُضَــاعِــيَّ إنّ جــاوَرْتَــهُ غُــولُ

وقال في هجاء زهير بن جندب:

لَعَمْــرُكَ إنّــا مِــنْ زُهَيْــرِ بْــنِ جُنْــدَبٍ ... لَــدَانُــونَ لــو أَنَّ القــرابَــةَ تَنْفَــعُ
فــأمّــا إنّــاءُ الخَيْــرِ مِنْهُــم ففــارِغٌ ... وأمّــا إنــاءُ الشــرِّ مِنْهُــمْ فَمُتْــرَعُ

هجائيات الفرزدق

ومما كتب في أخباره «الفرزدق» لخليل مردم بك، ومثله لحنّا نمر، ولفؤاد إفرام البستاني.

وقال الفرزدق في هجاء جرير:

فــإنَّــكَ إذْ تَسْعَــىٰ لِتُــدْرِكَ دارمــاً لأَنْـتَ المُعَنَّـىٰ يـا جَـرِيـرُ المكلَّـفُ
أَتَطْلُـبُ مَـنْ عِنْـدَ النُّجُـومِ وَفَـوْقَهـا بِــرِبْــقٍ وَعَيْــرٍ ظَهْــرُهُ مُتقــرِّفُ
أَبَــىٰ لجــريــرٍ رَهْــطُ سُــوءٍ أذِلَّــةٌ وَعِــرْضٌ لَئِيــمٌ لِلْمَخَــازِي مُــوَقَّــفُ

وقال أيضاً:

إنْ تَـكُ كَلْبـاً مـن كُلَيـبٍ فـإنّـني مِـنَ الـدارميّيـن الطِّـوَالِ الشَّقَـاشِـق
نَظَــلُّ نَــدَامـىٰ لِلْمُلُــوكِ وأَنْتُـمُ تُمَشُّـوْنَ بـالأرْبَـاق مِيـلَ العـواتـق

وقال في هجاء رجل اسمه «صالح بن كُدَيْر».

يَقُـولُـونَ صَبِّـحْ صـالحـاً فـٱسْتَغِـثْ بـه ومـا صـالـحٌ؟ ريـحُ الخُـرُوءِ بِصَـالِـحِ

وقال الفرزدق في نساء بني كليب:

نِسَــاءٌ بــالمضــايــقِ مــا يُــوَارِي مَخَـــازِيهِـــنَّ مُنْتَقِـــبُ الخمَـــارِ
وَمَــــا أبكــــارُهُــــنَّ بِثَيِّبـــاتٍ وُلِـــدْنَ مـــن البُقُــولِ ولا عـــذاري

❊ ❊ ❊

وقال فيهنّ أيضاً:

وتُمْســـي نِسْـــوَةٌ لِبَنــي كُلَيْـــبٍ بـــأفْـــوَاهِ الأزِقَّـــةِ مُقْعِيَـــات
يَبِعْـــنَ نُفُـــوسَهُـــنَّ بِكُـــلِّ فَلْـــسٍ كَبَيْــعِ السُّــوق خُــذْ مِنّــي وَهَــاتِ

❊ ❊ ❊

قيل: دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة، وفي صدر مجلسهم فتىً أسود وعلى رأسه إكليل، فلم يحفل بالفرزدق، فغضب الفرزدق وقال:

جُلُـوسُـكَ فـي صَـدْرِ الفراش مَـذَلَّـةٌ وَرَأْسُكَ في الإكْليلِ إحدىٰ الكَبَائر
ومـا نَطفـتْ كَـأْسٌ ولا لَـذّ طَعْمُهـا ضَـرَبْـتَ على حـافـاتهـا بـالمشـافـر

❊ ❊ ❊

هجائيات جرير

وقال جرير في هجاء الراعي النميري:

وَلَوْ وُزِنَتْ حُلُومُ بَنِي نُمَيْرٍ ... على المِيزَانِ ما وَزَنَتْ ذُبَابا
فَصَبْراً يا تُيُوسَ بَنِي نُمَيْرٍ ... فإنَّ الحَرْبَ مُوقَدَةٌ شهابا
فَغُضَّ الطَرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ ... فلا كعباً بَلَغْت وَلا كِلابا
إذا نَهَضَ الكِرَامُ إلىٰ المَعَالي ... نَهَضْتَ بِعُلْبَةٍ وأَثَرْتَ نابا

وقال في هجاء زِنْبَاع الأسدي:

إنَّ الأُسَيْدِي زِنْبَاعاً وَإخْوتَهُ ... أَزْرَىٰ بِهِمْ لُؤمُ جدَّاتٍ وَأَجْدَادِ
يا أكْثَرَ النَّاسِ أَصْواتاً إذا شَبِعُوا ... وألأمَ الناسِ أَخْبَاراً على الزَّادِ
هَلْ كُنْتَ إلاّ أميناً فاغْتَرَرْتُ بِهِ ... أَوْ حَاسِداً فَأَهَانَ اللَّهُ حُسّادي

وقال في هجاء الفرزدق:

لَقَدْ وَلَدَتْ أمّ الفَرَزْدَقِ فاجِراً ... فجاءَتْ بِوَزْوَازٍ قَصير القَوائِمِ
يُوصِّلُ حَبْلَيْهِ إذا جُنَّ لَيْلُهُ ... لِيَرْقَىٰ إلىٰ جاراتِهِ بالسّلالِمِ
رَأَيْتُكَ لا تُوفي بِجَارٍ أجَرْتَهُ ... وَلاَ مُسْتَعِفّاً عن لِئَامِ المطاعِمِ

وقال فيه أيضاً:

هو الرِّجْسُ يا أهْلَ المَدِينَةِ فٱحْذَرُوا ... مُدَاخِلَ رِجْسٍ بالخَبِيثَاتِ عالِمِ

وقال في هجاء الأخطل:

لَقَدْ وَلَدَ الأُخَيْطِلَ أمُّ سُوءٍ ... على بابِ اسْتِها صُلُبٌ وَشَامُ
أهَانَ اللَّهُ جِلْدَةَ حَاجِبَيْها ... وَمَا وَارَىٰ مِنَ القَذَرِ اللِّثامُ

* * *

هجائيات الحطيئة

الحطيئة يهجو نفسه:

خرج الحطيئة يوماً، وقد هاجته الرغبة في الهجاء، فأخذ يردّد:

أَبَتْ شَفَتَايَ اليَوْمَ إلاّ تَكَلُّمـا   بِسُوءٍ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهْ

ولمّا لم يرَ أحداً، أطلّ على بئر، فرأىٰ صورته في الماء فقال:

أَرَىٰ لِي وَجْهاً شَوَّهَ اللّهُ خَلْقَهُ   فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ

وفي هجاء أمّه قال:

جَزَاكِ اللّهُ شَرّاً مِن عَجُوزٍ   وَلَقَّاكِ العُقُوقَ مِنَ البَنِينِ

فَقَدْ مُلِّكْتِ أَمْرَ بَنِيكِ حَتَّىٰ   تَرَكْتِهِمُ أَدَقَّ مِنَ الطَّحِينِ

فَإِن تُخْلِي وأَمْرُكِ لا تَصُولِي   بِمُشْتَدٍّ قُوَاهُ ولا مَتِينِ

لِسَانُكِ مِبْرَدٌ لا خَيْرَ فِيهِ   وَدَرُّكِ دَرُّ جَاذِبَةٍ دَهِينِ

وقال في هجائها أيضاً:

تَنَحَّيْ وَٱجْلِسِي مِنِّي بَعِيداً   أَرَاحَ اللّهُ مِنْكِ العَالَمِينَا

أَلَمْ أُظْهِرْ لَكِ البَغْضَاءَ مِنِّي   وَلَكِنْ لا أخالُكِ تَعْقِلِينَا

أَغِرْبالاً إذا اسْتُودِعْتِ سِرّاً   وكانوناً على المُتَحَدِّثينا

حَيَاتُكِ ما عَلِمْتُ حَيَاةُ سُوءٍ   وَمَوْتُكِ قَدْ يَسُرُّ الصالحينا

وفي هجاء زوج أمّه قال:

لَحَاكَ اللّهُ! ثُمَّ لَحَاكَ حقّاً   أباً، وَلَحَاكَ مِنْ عَمٍّ وخالِ

فَنِعْمَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَىٰ المخازي   وَبِئْسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لدىٰ المَعَالي

جَمَعْتَ اللُّؤْمَ لا حَيَّاكَ ربّي   وأَبْوَابَ السَّفَاهَةِ والضَّلالِ

هجاؤه لزوجه

ومن غريب نوادر الحطيئة ما حدّث به حماد في الأغاني عن رجل دخل على الحطيئة، وكان مضطجعاً على فراشه، وإلىٰ جانبه سوداء قد أخرجت رجلها من تحت الكساء، فقال له الرجل: ويحك! أفي رجلك خفّ؟ قال: لا والله، ولكنّها رجل سوداء، أتدري من هي؟ قال: هي والله التي أقول فيها:

وآثَرْتُ إدْلاَجي عَلَىٰ لَيْلِ حُرَّةٍ   هَضِيمِ الحَشَا حَسَّانَةِ المُتَجَرَّدِ

تُفَـرِّقُ بـالمِـدْرَىٰ أثيثـاً نَبـاتُـهُ ... على واضِحِ الـذِّفْرَىٰ أَسِيلِ المقلّـدِ

والله لو رأيتها يابن أخي لما شربت الماء من يدها. فجعلت السوداء، ويظنّ أنّها زوجه، تسبّه أقبح سبّ، وهو يضحك.

وقال في هجاء ابن النهاس العجلي:

سُئِلْتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعْطِ طائلاً ... فَسِيَّانِ لا ذَمٌّ عَلَيْكَ وَلاَ حَمْدُ

وأنت ٱمْرُؤٌ لا الجودُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ ... فَتُعْطي ولا يُعْدِي على النائلِ الوُجْدُ

* * *

وقال في هجاء أخويه لمّا امتنعا عن إعطائه قطعة من النخل باليمامة:

أَأَمَرْتُمانـي أنْ أُقِيمَ عَلَيْكُما ... كلاّ لَعَمْرِ أبيكُما الحَبّاق

عَبْدانِ خَيْرُهُما يَشُلُّ بِضَبْعِهِ ... شَلَّ الأجِيرِ قلائص الورّاق

* * *

تزوّج كلب بن كُنَيْس أمّ الحطيئة، فهجاها وزوجها وقوم زوجها (بني جحش) قائلاً:

وَلَقَدْ رَأَيْتُكِ في النِّساءِ فَسُؤْتِني ... وَأَبا بَنِيكِ فَساءَنِي في المَجْلِسِ

إنَّ الذَّلِيلَ لَمَنْ تَزُورُ رِكابُهُ ... رَهْطَ ٱبْنِ جَحْشٍ في مضيق المَحْبِسِ

لا يَصْبِرُون ولا تَزالُ نِساؤُهُمْ ... تَشْكُو الهَوانَ إلى البَئِسِ الأَبْأَسِ

رَهْطُ ٱبْنِ جَحْشٍ في الخُطُوبِ أَذِلَّةٌ ... دُسْمُ الثِّيابِ قَناتُهُمْ لَمْ تُضْرَسِ

بالهَمْزِ مِنْ طُولِ الثِّقافِ وَجارُهُمْ ... يُعْطَى الظُّلاَمَةَ في الخُطُوبِ الحُوَّسِ

قَبَحَ الإلٰهُ قَبِيلَةً لم يَمْنَعُوا ... يَوْمَ المُجَيْمِرِ جارَهُمْ مِنْ فَقْعَسِ

تَرَكُوا النِّساءَ مَعَ الجِيادِ لِمَعْشَرٍ ... شُمْسِ العَداوةِ في الحُرُوبِ الشُّوَّسِ

أَبْلِغْ بَنِي جَحْشٍ بأنّ نِجارَهُمْ ... لُؤْمٌ وَأنّ أَباهُمُ كالهِجْرِسِ

يُعْطِي الخَسِيسَةَ رَاغِماً مَنْ رَامَها ... بالضَّيْمِ بَعْدَ تَكَلُّحٍ وَتَعَبُّسِ

وقال في هجاء أحد أضيافه:

وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ، فَقُلْتُ: «مَهْلاً ... كَفَتْكَ المَرَّةُ الأُولَى السَّلاَما»

وَنَقْنَقَ بَطْنُهُ وَدَعَا رُؤاساً ... لِمَا قَدْ نالَ مِنْ شَبَعٍ وَنَامَا

وقال في ضيف آخر يدعىٰ «صخر بن أَعْيَى»:

لَمَّـا رأيـتُ أنّ مَـنْ يَبْتَغـي القِـرىٰ وأنَّ ابْـنَ أَعْيَـىٰ لا مَحَـالَـةَ فـاضحـي
شَـدَدْتُ حَيَـازِيـم ٱبْـنِ أَعْيَـىٰ بِشَـرْبَـةٍ علـى ظَمَـإٍ سَـدَّتْ أُصُـولَ الجَـوَانِـحِ
ومـا كُنْـتُ مِثْـلَ الكـاهِلـيّ وَعِـرْسِـهِ بَغَى الودَّ مِنْ مَطْرفةِ العَيْنِ طامِحِ
غَـدَا بَـاغِيـاً يَبْغِـي رِضَـاهـا وَوُدَّهـا وغابَتْ له غَيْبَ ٱمْرِىءٍ غَيْرِ نَاصِحِ
دَعَـتْ ربَّهـا ألاّ يَـزَالُ بحـاجَـةٍ ولا يَفْتَـدِي إلاّ علـى حَـدٍّ بَـارِحِ
فَلَمَّـا رأَتْ ألاّ يُجِيـبَ دُعَـاءَهـا سَقَتْـهُ علـى لَـوْحٍ دِمَـاءَ الـذَّرَارِحِ
وَقَـالَـتْ: «شَـرَابٌ بَـارِدٌ فَـٱشْـرَبَنَّـهُ» وَلَمْ يَدْرِ ما خاضَتْ له بالمَجادحِ
فَشَـدَّ بِـذَا خُـزْيـاً علـى ذي حَفِيظَـةٍ وَهَـانَ بِـذَا غُـرْماً علـى كَـفِّ جَـارِحِ

فردّ عليه صخر قائلاً:

أَلاَ قَبَّـحَ اللَّـهُ الحُطَيْئَـةَ إنَّـهُ عَلَىٰ كُلِّ ضَيْفٍ ضافَهُ هـو سَالِـح
دُفِعْـتُ إلَيْـهِ وهـو يَخْنُـقُ كَلْبَـهُ أَلاَ كُـلُّ كَلْـبٍ، لا أبـا لـك، نَـابِـحُ
بَكِيـتُ علـى مَـذْق خَبِيـثٍ قُـرِيتُـهُ أَلاَ كُـلُّ عَبْسِـيٍّ علـى الـزّادِ شـائِـحُ

وقال في هجاءِ الزبرقان:

دَعِ المَكَـارِمَ لا تَـرْحَـلْ لِبُغْيَتِهـا وَٱقْعُدْ فِإنّكَ أنْتَ الطاعِمُ الكاسي
وَٱبْعَـثْ يَسَـاراً إلـىٰ وُفْـرٍ مُـذَمَّمَـةٍ وَٱحْـدِجْ إليها بـذي عَـرْكَيْـنِ قِنْعَـاسِ

وروىٰ حنا الفاخوري في كتاب: تاريخ الأدب العربي ص ١٩٥ ـ ١٩٦ ما يلي: «إن الحطيئة لمّا حضرته الوفاة أوصىٰ بأن يحمل على أتان إلىٰ أن يموت، قائلاً في ذلك: إنّ الكريم لا يموت على فراشه، فحمل على أتان تذهب وتجيء به وهو يقول:

لا أَحَـدٌ أَلأَمُ مِـنْ حُطَيَّـهْ هَجَـا بَنِيـهِ وَهَجَـا المُـرَيَّـهْ
مِـنْ لُـؤْمِـهِ مَـاتَ علـى فُـرَيَّـهْ

* * *

مثل هذا الكلام في مثل هذا الموقف!

بينما كان عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (ع) يطوف بالبيت إذ رأىٰ امرأة تطوف وتنشد:

لا يقبـل اللّـه مـن مَعْشُـوقَـةٍ عمـلاً ... يـومـاً وَعَـاشِقُهـا غَضْبَـانُ مَهْجُـورُ

وكيـف يَـأْجُـرُهـا فـي قَتْـلِ عَـاشِقِهـا ... لكـنّ عـاشِقَهـا فـي ذاك مَـأْجُـورُ

فقال عبد الله للمرأة:

ـ يا أمة الله، مثل هذا الكلام في مثل هذا الموقف؟

قالت: يا فتىٰ أَلَسْتَ ظريفاً؟

فقال: بلى!

قالت: ألستَ راوية للشعر؟

قال: بلىٰ!

قالت: أفلم تسمع الشاعر يقول:

بِيـضٌ غـرائـرُ مـا هَمَمْـنَ بِـرِيبَـةٍ ... كَظِبَـاءِ مَكَّـةَ صَيْـدُهُـنَّ حَـرَامُ

يُحْسَبْـنَ مِـنْ ليـنِ الحَـديـثِ زوانيـاً ... وَيَصُـدُّهُـنَّ عَـنِ الخَنَـا الإِسـلام

سيماء الخير

تبع داود بن المعتمر امرأة ظنها من الفواسد، فقال لها: لولا ما رأيت عليك من سيماءالخير ما تبعتُك.

فضحكت المرأة وقالت: إنما يعتصم مثلي من مثلك بسيماء الخير، فأما إذا صارت سيماء الخير من سيماء الشر فالله المستعان.

الحلّة لباس

قال أحدهم لولاّدة العبديّة، وكانت من أعقل الناس:

ـ إنّي أريد الحجّ فأوصني.

قالت: أأوجز فأُبلغ، أم أُطيل فأُحكم؟

فقلت: بما شئتِ.

فقال ابن أخ لها: الحلّة لباسٌ، فاخلعي عليه.

فقالت: جِدْ تَسُدْ، واصبرْ تفز.

قلت: أيضاً.

قالت: لا يتعدَّ غضبك حلمك، ولا هواك علمك، وقِ دينك بدنياك، ووفّرْ عرضك بعرضك، وتفضَّل تُخْدَم، واحلمُ تُقَدَّمُ.

قلت: فمن أستعين؟

قالت: الله.

قلت: من الناس؟

قالت: الجلِد النشيط والناصح الأمين.

قلت: فمن أستشير؟

قالت: المجرّب الكيّس، أو الأديب ولو الصغير.

قلت: فمن أصطحب؟

قالت: الصديق الخبير، أو المداري المتكرّم.

ثم قالت: يا ابناه، إنّك تفد إلىٰ ملك الملوك، فانظر كيف يكون مقامك بين يديه.

زنَيْنَ وربَّ الكعبة

جلست عجوز من الأعراب مع فتيان على طريق مكّة يشربون نبيذاً، فسقوها قدحاً، فطابت نفساً، ثم سقوها آخر، فاحمرّ وجهها، وخفّت روحها، ثم سقوها ثالثاً، فقالت لهم:

ـ خبّروني عن نسائكم بالعراق، أيشربن من هذا الشراب؟

فقالوا: ربّما.

فقالت: زنَيْنَ وربّ الكعبة، ولا أحد منكم يعرف من أبوه.

حيلة جارية

خرج ابن زياد في فوارس فلقوا رجلاً ومعه جارية لم يُرَ مثلها في الحسن، فصاحوا به:

ـ خلِّ عنها.

وكان معه قوس، فرمىٰ أحدهم، فهابوا الإقدام عليه، فعاد ليرمي ثانية، فانقطع الوتر، فهجموا عليه، وأخذوا الجارية، واشتغلوا عنه بها. ومدّ بعضهم يده إلىٰ أذنها وكان فيها قرط، وفي القرط درّة يتيمة، لها قيمة عظيمة، فقالت:

ـ وما قدر هذه الدرّة؟ إنّكم لو رأيتم ما في قَلَنْسُوته من الدرّ لاستحقرتم هذه.

فتركوها واتبعوه، وقالوا له:

ـ ألقِ ما في قلنسوتك.

وكان فيها وتر قد أعدّه ونسيه من الدهش. فلمّا ذكره ركّبه في القوس، ورجع إلىٰ القوم، فولّوا هاربين، وخلّوا الجارية.

ظلمتكما وربِّ الكعبة

قيل: تزوّج شيخ من الأعراب جارية من رهطه، وطمع أن تلد له غلاماً، فولدت له جارية، فهجرها وهجر خباءها، وصار يأوي إلىٰ خباء جارٍ لها. وبعد حول مرّ بخبائها، فإذا هي ترقّص بنيّتها وتقول:

مــا لأبــي حَمــزَةَ لا يَــأتينــا   يَظَــلُّ فــي البيــتِ الــذي يلينــا
غضبــان أن لا نَلِــدَ البنينــا   تــاللَّــهِ مــا ذلــك فــي أيْــدينــا
وإنّمــا نَــأْخُــذُ مــا أُعْطينــا

فلمّا سمع الأبيات، مرّ الشيخ نحوهما مسرعاً حتىٰ ولج عليها الخباء، فقبّلها، وقبّل بنيّتها، وقال:

ـ ظلمتكما وربّ الكعبة.

كيف صاروا لي أعداء؟

قيل لأبي الإصبع بن ربعي:

ـ أما تسمع بالعدوّ وما يصنعون في البحر؟ فلمَ لا تخرج إلىٰ قتالهم؟

قال: أنا لا أعرفهم، وهم لا يعرفونني، فكيف صاروا لي أعداء؟

ذكّرني فُوكِ بحمارَيْ أهلي

خرج رجل يطلب حمارين ضلاّ له. فرأىٰ امرأة تضع نقاباً على وجهها، فأعجبته حتىٰ نسي الحمارَيْن. فلم يزل يطلب إليها حتىٰ سفرت له، فإذا هي فوهاء. فحين رأىٰ أسنانها ذكر الحمارَيْن فقال:

ـ ذكّرني فوكِ حمارَيْ أهلي.

ثم أنشأ يقول:

ليتَ النِّقَابَ على النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ   كيلا تَغُرَّ قَبيحةٌ إنسانا

ظَنَنْتُ أنّ عندك ثالثة

قدم أبان بن عثمان بن عفان على معاوية فقال له:

ـ يا أمير المؤمنين، زوّجني ابنتك.

قال: يابن أخي، هما اثنتان، واحدة عند ابن عامر، وواحدة عند أخيك عمر.

قال: كنت أظنّ أنّ عندك ثالثة.

قال: يابن أخي أتأتي إليّ ولا تدري ألي بنت أم لا، رحم الله أباك.

تعالوا غداً

قال غلام للصبيان:

ـ هل لكم أن يفلتنا الشيخ اليوم؟

قالوا: نعم.

قال: تعالوا لنشهد عليه أنّه مريض.

فجاء واحد منهم فقال:

ـ أراك ضعيفاً جداً، وأظنّك ستصاب بالحمّىٰ، فلو مضيت إلىٰ منزلك واسترحت.

فقال لأحدهم: يا فلان، يزعم فلان أنّي عليل.

فقال: صدق والله، وهل يخفىٰ هذا على جميع الغلمان، إن سألتهم أخبروك.

فسألهم، فشهدوا، فقال لهم:

ـ انصرفوا اليوم، وتعالوا غداً.

يصطاد طريّاً أم مالحاً

قيل: جاء معلّم إلىٰ الجاحظ فقال:

ـ أنت الذي صنعت كتاب المعلّمين تعيبهم؟

قال: نعم.

قال: وذكرت فيه أن بعض المعلّمين جاء إلىٰ الصياد، وقال: إيش تصطاد: طريّاً أم مالحاً؟

قال: نعم.

قال: ذلك أبله، ولو كان فيه ذكاء كان يقف فينظر إن خرج طريّ علم، أو خرج مالح علم.

خُذْ لَهُ منّي

تنازع أحمق وجاره، فقال الأحمق وكان يكنىٰ بأبي عيسىٰ:

ـ اللّهم خذ منّي لأبي عيسىٰ

فقال الجار: أتدعو على نفسك؟!

قال: فخذ لأبي عيسىٰ منّي.

هل رأيت دجاجاً يبيض بلا ديك

بينما كان الخليفة هارون الرشيد جالساً على عرشه الملوكي مع أهل مملكته وحاشيته، فإذا بالحاجب يدخل معلناً حضور أبي نواس على الباب.

فقال الخليفة: دعه ينتظر قليلاً.

ثم نظر إلىٰ جلسائه، وقال:

هذه فرصة سانحة نضحك فيها على أبي نواس، ويجب أن أستحضر لكل منكم بيضة تخبّؤونها في طيات ثيابكم، حتىٰ إذا دخل أبو نواس تكلّم كل واحد منكم بكلام، فيتكلّم أحدكم بكلمة أغضب عليكم عند سماعها.. وأقول:

ـ يا لكم من ضعاف مثل الفراخ؛ تالله إذا لم تصنعوا مثل الدجاج، ويبيض كل منكم بيضة لأقطعنّ رقابكم.

فقالوا: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين.

ثم طلب الخليفة الحاجبَ وقال له:

ـ استحضر ست بيضات، ولا تدع أحداً يراك، وعلى الأخصّ شاعرنا أبو نواس.

فخرج الحاجب منفّذاً أوامر الخليفة، وأعطىٰ لكلّ من الجالسين بيضة، خبّأها بين طيات ثيابه، وجلسوا يتفاكهون.

ودخل أبو نواس، فسلّم على أمير المؤمنين سلام الخلافة، وأظهر الرشيد انتباهه إلىٰ حديث جلسائه، وجاء أحدهم بكلمة أغضبت الرشيد، فصاح بهم:

ـ ويحكم أيها الجبناء، إنّكم مثل الدجاج، ولا أجد فرقاً بينكم وبينها.. والله.. إن لم يبض كلّ منكم بيضة لأقطعنّ رقابكم.

فأخذ كلّ واحد منهم يقلّد الدجاجة عندما تبيض ومدّ الأول منهم يده إلىٰ إسته، فأخرج بيضته وقال: ها هي بيضتي يا أمير المؤمنين.

وأعقبه الثاني فالثالث فالرابع فالخامس فالسادس. وكان الخليفة يقول لكلّ من قدّم بيضته: «لقد نجوت».

ولما جاء دور أبي نواس، وقف، ومشىٰ، على قدميه حتّىٰ توسّط الجميع،

وصار أمام الخليفة وجهاً لوجه، وجعل يفعل كما يفعل الديك، ويقول: كاك، كاك، كاك...

ثم ضرب إبطيه على بعضهما، وصاح بأعلى صوته: كيكي كيكي...

فقال له الخليفة: ما هذا يا أبا نواس؟

قال: عجباً يا أمير المؤمنين! هل رأيت دجاجاً يبيض من غير ديك؟

هؤلاء فراخك وأنا ديكهم.

فضحك الخليفة حتىٰ كاد يسقط عن كرسيّه، وقال له:

ـ يا لك من خبيث ماكر، لو لم تكن فعلت ذلك لقطعت رأسك.

صدقتم ولكن ما زلت جائعاً

اشتهىٰ أحدهم سمكاً، فاشتراه وحمله إلىٰ أهله وقال: أصلحوه لنا.

ثم دخل لينام؛ فأكل عياله السمك ولطّخوا يده وشفتَيه. فلما انتبه قال: قدّموا إليّ السمك.

قالوا: قد أكلتَ.

قال: لا.

قالوا: شمّ يدك.

ولمّا فعل قال: صدقتم، ولكن ما زلت جائعاً.

أين الدجاجة؟

ذهب رجل من الريف إلىٰ المدينة ليبيع دجاجاً. وعلى الطريق أفلتت دجاجة، فجدّ في طلبها فلم يفلح، فقال لها:

ـ اذهبي إلىٰ القرية حتىٰ أبيع الباقي.

وعند المساء، بعد أن باع الدجاج، عاد إلىٰ بيته، وجعل يتفقّد الدجاجة فلم يرها، فقال لزوجته:

ـ أين الدجاجة الرقطاء؟

فقالت له: لا أدري.

فقال: تركتها من الطريق لترجع إليكم، فما جاءت؟!

ماء جهنّم

شعر أبو نواس في إحدىٰ الليالي بقلق شديد، فنزع ما كان عليه من ثياب، وأخذ قميصاً وسراويل، وأراد أمراً يتأتّىٰ، ثم تطهّر، ولبسها، وما زال يصلّي باقي ليلته إلىٰ الصباح، ثم أصبح صائماً. فسئل عن السبب في ذلك، فقال:

ـ كنت منصرفاً من بعض المواخير، فاجتزت مقبرة، وبينما أنا ماشٍ إذ أنشدت قول ذي الرّمّة:

بِطَيْـرِ نـابـاذَ كَـرْمٌ مـا مَـرَرْتُ بـه إلاّ تَعَجَّبْـتُ مِمَّـنْ يَشْـرَبُ المـاءَ

فأجابني مجيب من المقبرة، أسمع صوته ولا أرىٰ شخصه:

وفـي جَهَنَّـمَ مَـاءٌ مـا تَجَـرَّعَـهُ حَلْـقٌ فَـأَبْقَـىٰ لَـهُ فـي الجَـوْفِ أمْعَـاءَ

فراعني ذلك، فكان منّي ما ترىٰ.

وضاعت العنز

اشترىٰ باقل عنزاً بأحد عشر درهماً، وجرّها بحبل في يده؛ وعلى الطريق سأله أحدهم:

ـ بكم اشتريت العنز؟

ففتح كفّيه، وفرّق أصابعه، وأخرج لسانه، ليعبّر بذلك عن أحد عشر درهماً، فشردت العنز وضاعت.

زيت السِّراج

أرسل السِّراج الورّاق غلامه ليبتاع له زيتاً طيّباً ليأكل به لفتاً. ولمّا أتىٰ به قلبه على اللفت، فوجده زيتاً حارّاً، فأنكر ذلك على الغلام، فحمله وأتىٰ به إلىٰ البياع، فقال له:

ـ لِمَ تفعل مثل هذا؟
فقال له: والله يا سيّدي ما لي ذنب، لأنّه قال لي: أعطني زيتاً للسراج.

جارية رجل مخضوب اللحية

رأوه في السوق يركض، فقالوا له: ما شأنك؟
قال: مرّت بكم جارية رجل مخضوب اللحية.

لذّة الكسولة

دخل رجل على أحمق، وإذا برأسه على مرفقه، والحجام يأخذ من شعره، فقال له:
ـ ما يحملك على هذا؟
قال: الكسل.
قال: إنّ لقمان قال لابنه: إياك والكسل، وإيّاك والضجر، فإنّك إن كسلت لم تؤدّ حقاً، وإذا ضجرت لم تصبر على حقّ.
قال: ذاك والله، لا يعرف لذّة الكسولة.

ما سمعت هذا التفصيل قطّ

كان الطالقاني شديد الغفلة، فقال يوماً لأحد الشيوخ الحنابلة:
ـ كيف مذهبكم في المرأة، هل يجوز أن يجوّزها ابنها؟
قال له الشيخ: في ذلك تفصيل، إن كانت بكراً جاز، وإن كانت ثيّباً لا يجوز.
فقال: ما سمعت هذا التفصيل قطّ.

احتياط

خرج رجل إلىٰ قرية، فأضافه خطيبها، فأقام عنده عدّة أيّام، فقال له الخطيب:

ـ أنا منذ مدّة أصلّي بهؤلاء القوم، وقد أشكل عليّ في القرآن بعض المواضع.

قال: سَلْني عنها.

قال: منها في «الحمد لله» إيّاك نعبد وإيّاك أيّ شيء تسعين أو سبعين؟ أشكلت عليّ فأنا أقولها تسعين، آخذ بالاحتياط.

أحمد الله

سُرق لأحدهم حمار، فقيل له:

ـ أسرق حمارك؟

قال: نعم، وأحمد الله!

فقيل له: علام تحمد الله؟

قال: لأني لم أكن عليه.

آكِلُهُ لَهَا

قال الأصمعي: رأيت بهلولاً قائماً ومعه خبيص، فقلت له: إيش معك؟

قال: خبيص.

قلت: أطعمني.

قال: ليس هو لي.

قلت: لمن؟

قال: لحمدونة بنت الرشيد أعطتنيه آكله لها.

غراب أبقع

دخل أحدهم على رجل كان قد اشترىٰ داراً في جواره، فسلّم عليه، وأظهر له الأنس، وقال:

ـ هذه الدار كانت لصديقنا وأخينا، إلاّ أنّك بحمد الله أوفىٰ منّة وكرماً،

وأوسع نفساً وصدراً، والحمد لله الذي بدّلنا به من هو خير منه وأنشده:

«بُدِّل بالبازيَ غراب أبقع».

فضحك منه الرجل حتى استلقىٰ وخجل.

لم يفتني الظالم

اختصم رجلان إلىٰ أحد الولاة، فلم يحسن القضاء بينهما، فضربهما وقال:

ـ الحمد لله الذي لم يفتني الظالم منهما.

قُلِعَتْ عيناه فأبْصَرَ

كان للرشيد جارية سوداء، يحبّها كثيراً، واسمها خالصة. فدخل أبو نواس على الرشيد مرّة، ومدحه بأبيات جميلة، وكانت خالصة إلىٰ جانبه، فلم يهتمّ لقول أبي نواس. وكان على خالصة من الجواهر والدرر ما يذهل الأبصار. فغضب أبو نواس، وخرج من مجلس الرشيد، وكتب على الباب لدىٰ خروجه:

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي على بَابِكُمْ ... كما ضَاعَ دُرٌّ على خالِصَهْ

ولمّا أُبلغ ذلك الرشيد، أمر بإحضار أبي نواس ليشهد بنفسه على ما جنت يداه. ولمّا مَثُلَ أمام الخليفة كان قد مرّ على الباب، ومحا تجويف «حرف العين» من «ضاع» بحيث تحوّلت الكلمة إلىٰ «ضاءَ»، فسأله الأمير:

ـ ماذا كتبت على الباب يا أبا نواس؟

فأجاب: ما زال مكتوباً يا أمير المؤمنين حتىٰ اللحظة.

قال: ألا تذكره؟

قال: بلىٰ يا مولاي، وأنشد:

لَقَدْ ضاء شعري على بابكم ... كما ضاءَ درٌّ على خالِصَهْ

فأعجب الرشيد بذلك، وأجازه.

وقال أحد الحاضرين: هذا شعر قُلعت عيناه فأبصر.

الحمد لله

دخل كلب تحت سرير أبي حيّة النميري، وكان جباناً، يحمل سيفاً هو بالخشبة أشبه، ويسمّيه لعّاب المنية، فظنّ أنّه لصّ، فسمعه جار له يقول، وهو شاهر سيفه:

ـ أيّها المغترّ بنا، المجترئ علينا، بئس ما اخترت لنفسك: خير قليل، وسيف صقيل، وهو لعاب المنيّة الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تخاف نبوته، اخرجْ بالعفو منّا قبل أن أدخل بالعقوبة عليك...

فخرج الكلب. فقال أبو حيّة:

ـ الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفانا حرباً.

اسْتَعارَه منّي

ذكر عن حباب بن العلاء قال:

ـ كنت بالمدينة فحضرت قاضياً بها، فإذا رجل قد أقبل يقود حماراً ومعه رجل آخر، فأخبر أنّ حماره قد سرق، وأنّه وجده مع هذا الرجل، فسأله القاضي، فقال:

ـ الحمار لي وهو في يدي.

فقال للمدّعي: ألك بيّنة؟

قال: نعم.

فقال: أحضرهم.

فقام وركب الحمار، ومضىٰ عليه، فأقبلت على الذي كان الحمار في يده، فقلت له:

ـ كيف أعطيته الحمار بعدما رأيت من دعواه؟!

فقال: استعاره منّي.

من حَفَر حفرة لأخيه وقع فيها

مرّ أحدهم بامرأة جالسة قرب قبر تبكي، فرق لحالها، وقال:

ـ من الميت؟

قالت: زوجي:

قال: ما كان يعمل؟

قالت: يحفر القبور.

قال: أبعده الله، أما علم أنّ من حفر حفرة لأخيه وقع فيها؟!

أعْلِمونا حتىٰ نصلّي عليه

دخل أحدهم على مريض يعوده؛ فلمّا خرج التفت إلىٰ أهله وقال:

ـ لا تفعلوا بنا كما فعلتم في فلان، مات وما أعلمتمونا، إذا مات هذا فأعلمونا حتّىٰ نصلّي عليه.

ما أعقلك من شيخ

حمل أحدهم على عنقه عصا في طرفيها قفّتان تكادان تسقطانه، في إحداهما قمح وفي الأُخرىٰ تراب، فقيل له:

ـ ما هذا؟

قال: عدلت هذا القمح بهذا التراب، لأنّه قد أمالني القمح وحده.

فأخذ الرجل التراب، فقلبه، وجعل القمح نصفين في القفّين، وقال له:

ـ احمل الآن.

فحمله، ولما رآه خفيفاً قال:

ـ ما أعقلك من شيخ.

لا تُقِمِ الصلاة

قال رجل لابنه: يا بنّي، إنّ ابن عمّك يريد أن يتزوّج، ويحبّ أن تكون أنت الخاطب، فتحفظ خطبة.

فبقي الغلام يومين بكاملهما يدرس خطبة. ولمّا كان اليوم الثالث قال أبوه: ما فعلت؟

قال: حفظتها.

قال: وما هي؟

قال: اسْمعْ: الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوكّل عليه، ونشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح.

فقال أبوه: لا تقم الصلاة فإنّي على غير وضوء.

أحرقوا القرطاس

أراد أبو نواس أن يخطّ رسالة إلىٰ إخوان له، ففتّش كثيراً فلم يجد قرطاساً يكتب فيه. فكتب في رأس غلام له ـ وكان أصلع ـ ما يريد، ثم ختمه بقوله:

ـ فإذا قرأتم كتابي، فأحرقوا القرطاس!

فضحكوا وتركوا الغلام.

أحبّ إليّ من كليهما

كان مع أحدهم كلبان، أحدهما أبيض والآخر أسود، فقال له رجل:

ـ هب لي أحدهما.

فقال: أيّهما تريد؟

قال: الأسود.

قال: إنّه أحبّ إليّ من الأبيض.

قال: هبْ لي الأبيض.

فقال: الأبيض أحبّ إليّ من كليهما.

رَأْسَا كَبْش

مرض أحد الحمقىٰ، فأتىٰ قريبه يعوده، فقال له:

ـ أيّ شيء تشتهي؟

قال: رأس كبشين.

قال: لا يكون للكبشين رأس؟!

فقال: إذن رأسَيْ كبش.

مولاك أمرنا

أراد أبو نواس أن يكتب ورقة إلىٰ آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، فحلق رأس غلامه، وكتب إليهم ما يريد، ثم كتب بعد ذلك:

ـ إذا قرأتم الكتاب فشقّوا الرقعة.

فضحكوا، وصفعوا غلامه وردّوه إليه، وأرادوا أن يشقّوا جلدة رأسه، فشتمهم، فقالوا:

ـ ما ذنبنا؟ مولاك أمرنا.

هاتوا أربعة أربعة

رأىٰ رجل في منامه أنّ له غنماً كثيراً، وكان يعطىٰ ثمانية ثمانية، ولمّا فتح عينيه ولم يرَ شيئاً، غمّضهما ومدّ يده وهو يقول:

ـ هاتوا أربعة أربعة.

أنا شاكٍ ولا تعلمونني

سأل أحدهم رجلاً:

ـ ممَّ الأصفرار في وجهك؟ أَتَشْكو شيئاً؟

وأعاد عليه الكلام مراراً، فذهب إلىٰ أهله يلومهم ويقول:

ـ أنا شاكٍ ولا تعلمونني! ألقوا عليّ الثياب، وابعثوا إلى الطبيب.

مثل عقل الأمير

وقف أحد الأمراء على باب طحان، وحمار له يدور بالرحىٰ، وفي عنقه جلاجل، فقال للطحان:

ـ لمَ جعلت في عنق هذا الحمار هذه الجلاجل؟

قال: ربّما أدركتني سآمة، أو نعسة، فإذا لم أسمع صوت الجلاجل علمت أنّه قد توقّف عن العمل، فصحت به.

فقال الأمير: ولو توقّف ومال برأسه هكذا (وجعل يحرّك رأسه يمنة ويسرة)، فما يدريك؟

قال الطحان: ومن لي بحمار عقله مثل عقل الأمير.

من الله ومنكم

ولد لأحدهم ولد، فقيل له:

ـ ماذا تسمّيه؟

قال: عمر بن عبد العزيز.

فهنّأوه به، فقال: إنّما هو من الله ومنكم.

مات من لم يمت

سقطت في إحدىٰ السنين أمطار غزيرة، فحصل جرف وسيول فقال أحد المغفّلين:

ـ مات في هذه السنة من لم يمت قطّ.

المعلّم المغفّل

قال الجاحظ:

دخلت يوماً مدينة، فوجدت فيها معلّماً في هيئة حسنة، فسلّمت عليه، فردّ عليّ أحسن ردّ، ورحّب بي، فجلست عنده، وباحثته في القرآن، فإذا هو ماهر

فيه، ثم فاتحته بالفقه والنحو وعلم المعقول، وأشعار العرب، فإذا هو كامل الأدب، فقلت:

ـ هذا والله ممّا يقوّي عزمي على تقطيع الكتاب.

وكنت أختلف إليه وأزوره. فجئت يوماً لزيارته فإذا بالمكتب مغلق، ولم أجده، فسألت عنه، فقيل:

ـ مات له ميت، فحزن عليه، وجلس في بيته للعزاء.

فذهبت إلىٰ بيته، وطرقت الباب، فخرجت إليّ جارية، وقالت: ما تريد؟

قلت: سيّدك.

فدخلت وخرجت، فقالت: باسم الله.

فدخلت إليه، فإذا به جالس. فقلت:

ـ عظّم الله أجرك. **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾**، **﴿كُلّ نَفْسٍ ذائِقَة المَوْتِ﴾**، فعليك بالصبر.

ثم قلت له: هذا الذي توفّي ولدك؟

قال: لا.

قلت: فوالدك؟

قال: لا.

قلت: فأخوك؟

قال: لا.

فقلت: فزوجتك؟

قال: لا.

فقلت: وما هو منك؟

قال: حبيبتي.

فقلت في نفسي: هذه أول المناحس.

فقلت: سبحان الله! النساء كثير، وستجد غيرها.

فقال: أتظنّ أنّي رأيتها؟

قلت: وهذه منحسة ثانية.

ثم قلت: وكيف عشقتَ من لم تَرَ؟

فقال:

ـ إعلمْ أنّي كنت جالساً في هذا المكان، وأنا أنظر من الطاق، إذ رأيت رجلاً عليه برد، وهو يقول:

يَا أمَّ عَمْروٍ جَزَاكِ اللَّهُ مَغْفِرَةً　　رُدِّي عَلَيَّ فُؤَادِي مِثْلَمَا كَانَا
لا تَأخُذِينَ فُؤادِي تَلْعَبِينَ بِهِ　　فَكَيْفَ يَلْعَبُ بالإنْسَانِ إنْسَانَا

فقلت في نفسي: إنّ أمّ عمروٍ هذه لو كان في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر، فعشقتها. ولمّا كان منذ يومين مرّ ذلك الرجل بعينه يقول:

لَقَدْ ذَهَبَ الحِمَارُ بأُمِّ عَمْروٍ　　فَلاَ رَجَعَتْ وَلاَ رَجَعَ الحِمَارُ

فقلت: إنّها ماتت، فحَزنت عليها، وأغلقت المكتب، وجلست في الدار.

قتيل الخمر

كان لدىٰ الخليفة العباسي المأمون يحيىٰ بن أكثم، وعبد الله بن طاهر، فغمز المأمون الساقي أن يُسْكِرَ يحيىٰ بن أكثم. فأخذ يحيىٰ في الشراب حتىٰ فقد رشدَه وأعْيَا. وكان بين أيديهم ردم من الورد، فشقّوه، ودفنوه. فنظم المأمون البيتين التاليين:

نَادَيْتُهُ وَهْوَ مَيْتٌ لا حِرَاكَ بِه　　مُكَفَّنٌ فِي ثِيَابٍ مِن رَيَاحِينِ
فَقُلْتُ: قم، قالَ: رِجْلِي لا تُطَاوِعُنِي　　فَقُلْتُ: خُذْ، قال كَفّي لا تواتيني

وأمر الخليفة بعض جواريه أن تُغَنِّيهما فوق رأسه.

وعلى سماع الغناء، أفاق يحيىٰ، فوجد نفسه ملقىً بين الورود، فأنشد مجيباً:

يَا سَيِّدِي وَأمِيرَ النَاسِ كُلِّهِمُ　　قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كان يَسْقِينِي
إنّي غَفَلْتُ عَنِ الساقي فَصَيَّرَنِي　　كَمَا تَرَانِي سَلِيبَ العَقْلِ والدِّينِ
لا أستطيع نُهُوضاً وَهَىٰ بَدَنِي　　ولا أُجِبُّ المُنَادِي حِينَ يَدْعُونِي

فـاْخْتَـرْ لِنَفْسِـكَ قـاضٍ إنّـي رَجُـلٌ   ألـرّاحُ تَقْتُلُنـي والعُـودُ يُحْيِينـي

لا بارك الله فيك

أدخل عجل رأسه في خابية ليشرب، ولم يستطع إخراجه. وأخذ صاحبه يعالجه دون جدوىٰ، فاستدعىٰ معلّم القرية، وأراه العجل، فقال:

ـ أنا أخلصك من هذه الورطة؛ أعطني سكّيناً.

فذبح العجل، فوقع رأسه في الخابية، وأخذ حجراً وكسر الخابية، فأخرج الرأس.

فقال صاحب العجل: لا بارك الله فيك، قتلت العجل وكسرت الخابية.

عذري قائم في كتاب الله

بلغ الفضل بن الربيع وزير المهدي، عن أبي نواس شيءٌ يكرهه، فأرسل في طلبه. ولمّا حضر، دار بينهما كلام فيما يذكره أبو نواس في الخمر والغلمان. فقال الفضل لمحمد بن حمزة بن مالك، وكان على شرطة المهدي:

ـ قم فأنْزِلْهُ إلىٰ أسفل الدار، واْضرِبْه مئة سوط.

ولمّا صار إلىٰ أسفل الدار، شدّه بحبل، ثم أخذ يضربه. ولمّا بلغ ما يقارب الثلاثين سوطاً، جعل أبو نواس يستغيث ويقول:

ـ عذري واضح قائم في كتاب الله تعالىٰ.

فقال الفضل: ما يقول؟

فقيل له: يقول: عذري واضح في كتاب الله عزّ وجلّ.

قال: هاتوه.

فأُحضر إليه، فقال له: عذرك واضح في كتاب الله عزّ وجلّ؟

قال: نعم!

قال: وما عذرك؟

قال: قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كلِّ وادٍ يَهِيمُون، وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما

لا يَفْعَلُون﴾. فأنا ممّن يقول ولا يفعل.

فضحك الفضل، وقال: خلّوا سبيله. أخزاه الله.

اسْمَعْ وأَطِعْ

خرج النواسي من دار الخليفة، فتبعه الرقاشيّ الشاعر وقال له:

ـ أبشر يا أبا علي، إنّ الخليفة قد ولاّك هذه الساعة ولاية.

فقال أبو نواس: ويلك! وما هي؟

فقال الرقاشي: ولاّك على القردة والخنازير!

فقال النواسي: إذن، فاسمعْ وأطِعْ.

الوفاء في الحبّ

كانت الرباب على قدر فائق من الظرف والجمال، وكان ابن عمها مالك بن نصر يحبّها. ومرّة كانا معاً يتحادثان، فإذا بمالك يبكي، فسألته الرباب: «ما الذي يبكيك؟» فأجاب: «إنّي نظرت في عينيك فوجدت أنّك ستتزوّجين بعدي». فقالت له: «وإذا متّ أنا قبلك، ألا تتزوّج؟» قال: «عهدٌ عليّ أن لا أتزوّج من بعدك ما حييت». فقالت الرباب: «وأنا أيضاً».

وذات يوم، خرج نصر مع قتيبة بن مسلم للقتال في خراسان، فأُصيب بجرح بليغ، فسقط وهو يقول:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي عَنْ غَزَالٍ تَرَكْتُهُ ... إذا ما أتاه مَصْرَعِي كَيْفَ يَصْنَعُ

أَيَلْبَسُ أَثْوَابَ الحِدَادِ تَسَلِّياً ... عَلَىٰ مَالِكٍ أمْ فيهِ لِلْبَعْلِ مَطْمَعُ؟

ولمّا وصل نبأ مصرعه إلىٰ الرباب بكت كثيراً، وندبت حظها، ممّا حمل أهلها على إكراهها في أن تختار أحداً وتتزوّجه علّها تسلوه.

وفي الليلة التي فيها ستزفّ إلىٰ زوجها الثاني، رأت مالكاً في منامها باسطاً ذراعيه على عارضيْ الباب وهو يقول:

حَيَّيْتُ سَاكِنَ هٰذِي الدَّارِ كُلَّهُمُ ... إلاّ الرَّبَابَ، فإِنِّي لا أُحَيِّيها

أمْسَتْ عَرُوساً وَأَمْسَىٰ مَسْكني جَدَثاً ... بيـــن القُبُــورِ وإنّـــي لا أُلاَقِيهـــا
وَٱسْتَبْدَلَتْ بَدَلاً غَيْرِي وقد عَلِمَتْ ... أنّ القُبُــورَ تُــوَاري مَــنْ ثَــوَىٰ فيهـا
قَــدْ كُنْــتُ أَحْسَبُهَــا لِلْعَهْــدِ رَاغِبَــةً ... حتّــىٰ تَمُــوتَ ومـا جَفَّــتْ مـآقيهـا

فاسْتفاقتْ مذعورة، وقصّت لأمّها ما رأت، وعاهدت الله على أن لا تتزوّج مطلقاً.

احمرّت خجلاً منك

كان الرشيد يتجوّل في أسواق المدينة مع بعض أتباعه، فأبصر أبا نواس بيده زجاجة من الخمر، فسأله:

ـ ماذا بين يديك يا أبا نواس؟

فأجاب: زجاجة لبن يا أمير المؤمنين.

فقال الخليفة: هل لون اللبن أحمر؟

فقال: احمرّت خجلاً منك، يا أمير المؤمنين!

فأعجب الخليفة ببداهته، وعفا عنه.

أبو تمام سريع البديهة!

أنشد الشاعر العباسي أبو تمّام ابن المعتصم بحضرة أبي يوسف يعقوب بن إسحٰق الكندي:

إقْـدامُ عَمْـرٍو فـي سَمَـاحَـةِ حَـاتِـمٍ ... فـي حِلْـمِ أحْنَـفَ فـي ذكـاءِ أيـاسِ

فقال الكندي: ما صَنَعْتَ شيئاً. شبّهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين بصعاليك العرب! ومَنْ هؤلاء الذين ذكرت؟ وما قدرهم؟ فأطرق أبو تمام يسيراً، وقال:

لا تُنْكِـرُوا ضَـرْبِـي لَـهُ مِـنْ دُونِـهِ ... مَثَـلاً شَـرُوداً فـي النَّـدَىٰ والْبَـاسِ
فـاللّـهُ قَـدْ ضَـرَبَ الأقـلَّ لِنـورِهِ ... مَثَـلاً مِـنَ المشكَـاةِ والنِّبْـراسِ

فضل والشاعر

قال المتوكّل لعلي بن الجهم: قُلْ بيتاً من الشعر، واطلبْ من فضل الشاعرة أن تجيزه. فقال علي:

لاذَ بهـــا يَشْتكِـــي إلَيْهَـــا فَلَـــمْ يَجِـــدْ عِنْـــدَهَـــا مَـــلاَذَا

فأطرقت فضل هنيهةً ثمّ قالت:

فَلَـــمْ يَـــزَلْ ضَـــارِعـــاً إلَيْهَـــا تَهْطِـــلُ أجْفَـــانُـــهُ رَذَاذا

فَعَـــاتَبُـــوهُ فَـــزَادَ عِشْقـــاً فَمَـــاتَ وَجْـــداً فَكَـــانَ مـــاذا

فطرب المتوكّل وقال: «أحسنتِ يا فضل»، وأمر لها بمئتي درهم.

أبو نواس وأحد الأمراء

رُفِعَ إلىٰ أحد الأمراء أن أبا نواس شاعر زنديق، وأُنشد من شعره ما يستَدِلّ به على ذلك. فأمر بإحضاره. ولمّا حضر، أَمَرَ الأمير بقتله، فقال أبو نواس وما ذَنْبي، يا أمير المؤمنين؟ قال الأمير عَرَفْتُ أنك زنديق! قال: وما قلتُ، وما ظهر عليّ من ذلك؟ قال: قولك:

أَلاَ فاْسْقِنِي خمراً وقُلْ لي هي الخَمْرُ وَلاَ تَسْقِنِـي سِـرّاً إذا أمْكَـنَ الجَهْـرُ

قال: يا أمير المؤمنين، أَفَسَقَاني؟ قال: كذلك أَظنُّ! قال: فَتَقْتُلُني على ظنّ، وقد قال تعالىٰ: ﴿إنّ بَعْضَ الظنّ إثْمٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٢] قال فأنت الذي تقول:

يـا أحْمَـدُ المُـرْتَجَـىٰ فـي كُـلِّ نَـائِبَـةٍ قُـمْ سَيِّـدي نَعْـصِ جَبَّـار السَّمَـاواتِ

قال: أفَقَامَ يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أدري! قال: أفتَقْتُلُني على أن لا أدري؟ قال: فأنت الذي تقول:

مـــا جَـــاءَنَـــا أحَـــدٌ يُخَبِّـــر أنَّـــهُ فـــي جَنَّـــةٍ مَـــنْ مـــاتَ أو فـــي نـــارِ

قال: أَفَجَاءَ أحد، يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. قال: أَفَتَقْتُلُني على الصِّدْقِ؟ قال: أطلقوه، ولو وجب عليه القتل!

مال من آكل إذَنْ؟

ولّيَ أحد الأمراء أعرابياً على عمل من أعمال الرعيّة، فأخذ يسرق. فاستدعاه الأمير وقال له:

ـ يا عدوّ الله أكلت مال الله!

فقال الأعرابي: ومال من آكل إذا لم آكل مال الله! والله، إنّي راودت الشيطان ألف مرّة أن يعطيني فلساً واحداً فما فعل.

فَعَلَى السوطِ لا عليك السلام

مرّ ابن عبد الحكم على حانوت كان فيه أبونواس، وكان بيده سوط، فسلّم على الحضور به، فقال الحسن:

سَلَّـــمَ السَّـــوْطُ إذ مَـــرَرْتَ عَلَيْنـــا فَعَلَـــىٰ السَّـــوْطِ لا عَلَيـــكَ السَّـــلاَمُ

فقال ابن عبد الحكم لمن معه: مَنْ هذا؟

فقيل: هذا الحسن بن هانئ.

فرجع إليه، ونزل واعتذر منه.

شراب أهل الجنّة

حبس الأمين أبا نواس، فدخل عليه خال الفضل بن الربيع، وكان يتعهّد المحبوسين، ويسأل عنهم، وكانت فيه غفلة، فقال لأبي نواس:

ـ ما جرمك حتىٰ تسجن مع الزنادقة؟ أزنديق أنت؟

فقال أبو النواس: معاذ الله!

قال: أتعبد الشمس؟

قال أبو نواس: والله ما أجلس فيها من بغضها، فكيف أعبدها؟!

قال: أتعبد الكبش؟

قال أبو نواس: ولكنّي آكله بصوفه!

قال: أتعبد الديك؟

قال: لا والله بل آكله، ولقد ذبحت ألف ديك لأنّ ديكاً نقرني مرّة، فحلفت ألاّ أجد ديكاً إلاّ ذبحته.

قال: فلأيّ شيء حُبست؟

قال: لأني أشرب شراب أهل الجنّة، وأنام خلف الناس.

قال: وأنا أفعل ذلك!

ثم خرج إلىٰ الفضل وقال له:

ـ أما تحسنون جوار الله، وتحبسون من لا ذنب له. وأخبره القصّة. فدخل على الأمين فأخبره الخبر، فأمر بتخليته.

محترس من مِثله وهو حارسُ

قال الجمّاز: كنّا في حلقة أبي عبيدة، فوجدنا فيها رقاعاً مكتوب فيه:

أَمَـرَ الأميـرُ بـأَخْـذِ أَوْلاَدِ الـزِّنـا فَتَفَـرَّقُـوا لا تُـؤْخَـذُوا فَتُعَـاقَبُـوا

فقال أبو عبيدة: من فعل هذا، لعنه الله؟

فقال أبو نواس: إذا علمت مَنْ فعل هذا، لأهْجُونَّه.

فضحك أبو عبيدة وقال:

ـ ومحترسٍ من مِثله وهو حارسُ

أبو نوح

قال أحدهم في هجاء بخيل يدعىٰ «أبو نوح»:

يَجُـوعُ ضَيْـفُ أبـي نُـو حٍ بُكْـرَةً وَعَشِيَّـهْ

أَجَـاعَ بَطْنِـي حتّـىٰ وَجَـدْتُ طَعْـمَ المَنِيَّـهْ

وَجـاءَنِـي بِـرَغِيـفٍ قَـدْ أَدْرَكَ الجَـاهِلِيَّـهْ

فَقُمْـتُ بـالفَـأسِ كَيْمَـا أَدُقّ مِنْـهُ شَظِيَّـهْ

فَثَلَّـمَ الفَـأس وَٱنْصَـا عَ مِثْـلَ سَهْـمِ الـرَّمِيَّـهْ

فَشَـــجَّ رأسِـــي ثَـــلاثـــاً وَدَقّ مِنّـــــي ثَنِيَّـــــهْ

من لطائف ولآدة بنت المستكفي

يروىٰ أنّ الشاعرة الأندلسيّة ولآدة بنت المستكفي كتبت على عاتقها الأيمن البيت التالي:

أنـــا واللّـــهِ أصلـــح للمعـــالـــي وأمشـــي مِشيتـــي وأتيـــه تيهـــا

وكتبت على عاتقها الأيسر:

وَأُمْكِـن عـاشِقـي مـن صَحْـن خَـدِّي وَأُعطـــي قُبلتـــي مـــن يشتهيهـــا

أحرّ من الجمر

غاب ابن زيدون عن حبيبته ولآدة بعض الوقت، فبعثت إليه رسالة فيها:

ألاَ هَـلْ لَنَـا مِـنْ بَعْـدِ هـذا التفـرّقِ سَبِيـلٌ فَيَشْكُـو كُـلُّ صَـبٍّ لَقِـي
وَقَدْ كُنْتُ أوْقَاتَ التَّزاوُرِ في الشّتَا أبيتُ على جمْرٍ مِنَ الشَّوقِ مُحْرِقِ
تَمُـرُّ اللَّيـالـي لا أرىٰ البَيْـنَ يَنْقَضِـي وَلاَ الصَّبْـرَ مِـن رِقِّ التَّشَـوُّقِ مُعْتِقِـي
سَقَىٰ اللّهُ أرْضاً قَدْ غَدَتْ لَكَ مَنْزِلاً بِكُـلِّ سَكُـوبٍ هـاطِـلِ الـوَبْـلِ مُغْـدِقِ

ولمّا وصلت الرسالة إلىٰ ابن زيدون، ردّ الجواب ببيتين من الشعر على نفس القافية والبحر، إذ يقول:

لَحَـىٰ اللّـهُ يَـومـاً فيـهِ بِمُلْتَقِـي مُحَيّـاكِ مِـنْ أجْـلِ النَّـوَىٰ والتَفَـرُّقِ
وَكَيْـفَ يَطِيـبُ العَيْـشُ دُونَ مَسـرَّةٍ وأيّ سُـــرُورٍ للْكَئيـــب المـــؤرّقِ

الضرطة المضمرة

هزأ أحد الشعراء بمصطلحات النحاة فقال:

قُلْـــتُ لِنَحْـــوِيٍّ وفـــي بَطْنِـــهِ قَـــرْقَـــرَةٌ: مـــا هـــذه القَـــرْقَـــرَهْ
فقَـــال: يـــا جَـاهِـلُ فـي نَحْـونَـا هٰـذِي تُسمَّـى الضَّـرطَـةَ المُضْمَـرهْ

الدواء الشافي

رَوىٰ ابن خلكان أنّ المعتمد بن عبّاد الأندلسي ذكر يوماً قول أبي الطيّب:

إذا ظفِرَتْ مِنْكِ العُيُونُ بِنَظْرَةٍ ... أَثَابَ بها مُعْيِي المَطِيِّ وَرَازِمُهْ

فجعل يردّدُه استحساناً له وفي الحضرة عبد الجليل بن وهبون فقال ارتجالاً:

لَئِنْ جَادَ شِعْرُ ٱبْنِ الحُسَينِ فإنّما ... تُجِيدُ العَطَايَا واللُّهَىٰ تَفْتَحُ اللَّهَىٰ

تَنَبَّأَ عُجْباً بالقَرِيضِ وَلَوْ دَرَىٰ ... بأنّكَ تَرْوِي شِعْرَهُ لَتَأَلَّهَا

المبتدأ والخبر المجرور

قال شاعر مجيباً نحويّ:

وَرَقِيعٍ أرادَ أنْ يَعْرِفَ النَّحْوَ ... بِزَيِّ العَيَّارِ لا المُسْتَفْتِي

قال لي: لَسْتَ تَعْرِفُ النَّحْوَ مِثْلي ... قُلْتُ: سَلْ عنه أُجِبْ في الوَقْتِ

قَالَ: ما المُبْتَدَأ وما الخَبَرُ المَجْـ ... ـرُورُ؟ أَوْجِزْ. فَقُلْتُ: ذَقْنُكَ في اسْتِي

فتوىٰ القبلة في رمضان

قال أعرابيّ:

ألاَ ٱسْتَفْتِيا المكِّيَّ ذا الفِقْهِ ما الذي ... يَحُلُّ مِنَ التَّقْبِيلِ في رَمَضَانِ

فَقَالَ لِيَ المكِّيُّ أمّا لِزَوْجَةٍ ... فَسَبْعٌ وأمَّا خُلَّةٌ فثَمَانِ

تفسير الأحلام

كتب أحد الشعراء إلىٰ أميره ما يلي:

رَأَيْتُكَ في النَّوْمِ أنّي مَالِكٌ فَرَساً ... وَلِي وَصِيفٌ وفي كُمِّي دَنَانِيرُ

فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ فَهْمٌ وَمَعْرِفَةٌ ... خَيْراً رَأَيْتَ وَلِلْمَالِ التَّيَاسِيرُ

أُقْصُصْ مَنَامَكَ في دَارِ الأميرِ تَجِدْ ... تَفْسِيرَ ذاكَ وَلِلأَحْلاَمِ تَفْسِيرُ

فَوَقَّع الأمير تحت الأبيات: أضغاث أحلام، ولسنا بتفاسيرها عالمين.

خذها وانصرف

كان هارون الرشيد يتجوّل في أسواق المدينة، ومعه جماعة من أتباعه، فلقي أبا نواس يحمل زجاجة من الخمر، فسأله:

ـ ماذا أرىٰ بين يديك يا أبا نواس؟

فاضطرب أبو نواس، وخبّأ الزجاجة وراء ظهره، ورفع يده وقال:

ـ لا شيء يا أمير المؤمنين!

فقال الخليفة: أرني يديك الاثنتين معاً!

فتراجع أبو نواس قليلاً، وأسند ظهره إلىٰ حائط مجاور، ووضع الزجاجة بينهما، وضغط إلىٰ الوراء، ورفع كلتا يديه قائلاً:

ها هما يا أمير المؤمنين.

فقال الخليفة: تقدّم باتّجاهي.

فقال أبو نواس: عفواً يا أمير المؤمنين، أما زلت مصرّاً على فضيحتي؟!

فضحك الرشيد، وقال له:

ـ خذ زجاجتك، أيّها اللعين، وانصرفْ في سبيلك.

ما هذا بزنديق

اتُّهم أبو نواس بالزندقة، فاقتيد إلىٰ محمد بن زبيدة، فقال: من هذا؟

قالوا: زنديق.

فقال: عليّ بالسيف والنِّطع!

فقال أبو نواس: دعوني أُصلّي ركعتين.

فأفرجوا عنه، فتهيّأ للصلاة، ثم رفع رأسه إلىٰ السماء وكبّر، وصلّىٰ ركعتين، ثم قال:

سُبْحـــانَ مَـــنْ خَلَـــقَ الخَلْـ ـــقَ مـــن ضعيـــفٍ مَهِيـــنِ

فَسَاقَهُ مِنْ قَرارٍ إلىٰ قَرَارٍ مَكِينِ
فـي الحُجْبِ شَيْئاً فشَيْئاً تَحَارُ دُونَ العُيُونِ
حتىٰ بَدَتْ حَرَكَاتٌ مَخْلُوقَةٌ مِنْ سُكُونِ

فقال محمد:

ـ ما هذا زنديق! أعطوه واخلعوا عليه.

فخرج تحت الخلع، وطردوا الناس عنه.

... إلىٰ حيث أبقىٰ مخلّداً

دخل أبو نواس المسجد، وهو سكران، فقام في الصف الأوّل. فقرأ الإمام ﴿قُلْ يا أيّها الكافِرُون﴾. فقال أبو نواس: لبّيك!

فلمّا انقضت الصلاة لبّبوه، وقالوا له: يا كافر، نشهد عليك بالكفر.

ولمّا بلغ خبره الرشيد طلب استحضاره، ودعا حمدويه صاحب الزندقة. ولمّا حضر قال حمدويه:

ـ يا أمير المؤمنين، إنّ هذا ماجن، وليس هو بحيث يظنّ.

فقال الرشيد: ويحك! إنّه وقع في نفسي منه شيء، فَٱمْتَحِنْهُ. فوضع له صورة ماني وقال له: ابصق عليها.

فأهوىٰ أبو نواس ليقيء عليها.

ثم دعا له برجل من الزنادقة مشهور، وقال له: أبصق عليه.

فقال: وما معنىٰ البصاق؟ إنّه من أخلاق الشرك، ولا أفعله، فقال الرشيد لبعض خدم القصر:

ـ امضِ بهذا (يعني أبا نواس) إلىٰ السنديّ فقل له: أدّبه وأطلقه؛ وبهذا (يعني الزنديق) فقل له: احبسه قبلك إلىٰ أن تستتيبه، فإن تاب وإلاّ قتلناه.

فمضىٰ بهما الخادم، فلمّا صار في آخر الصحن قال أبو نواس للخادم:

ـ إلىٰ أين تذهب بنا؟

قال: إلىٰ السندي!

قال: فما تقول له؟

قال: يحبسك قبله حتىٰ تستتاب أو تقتل، ويؤدّب هذا ويطلقه. فرفع أبو نواس يده ولطمه، وقال:

ـ يا بن الزانية من الساعة نسيت؟

وبصر بهم الرشيد، فقال: ردّوهم.

فقال لأبي نواس: ما هذا الذي رأيت منك؟

قال: أراد الله أن يهلكني، ويطرحني بحيث أُنسىٰ أبداً أو أبقىٰ مخلّداً. سألته يا أمير المؤمنين عن الرسالة، فإذا هو قد غيّرها.

فضحك الرشيد من أبي نواس وأطلقه.

أبو نواس وزبيدة

شعر الخليفة هارون الرشيد بانقباض في صدره، في أحد الأيام، فأرسل في طلب أبي نواس. ولمّا دخل عليه قال له:

ـ يا أبا نواس، إنّني أشعر بضيق في صدري، ولا أطيق البقاء في مكان، ولا الجلوس مع أحد، ولست أدري ماذا أصنع!

فقال أبو نواس: كيف يستولي عليك الانقباض يا أمير المؤمنين، وأنت صاحب الأمر والنهي، ولك ـ والحمد لله ـ من عظمة الملك الرفيع الشأن ما ليس لملك ولا سلطان؟

فقال الخليفة: دعْنا من ذلك فنفسي لا تطيب إليه.

فقال أبو نواس: لماذا لا تذهب إلىٰ مقاصير قصرك، ففيهن كلّ حسناء تخجل الشمس من طلعتها، وتبهر القمر بملاحتها.

فقال: ولا هذا أيضاً.

فقال: لماذا تذهب بعيداً، وأمامك بهجة الدنيا التي لا تضاهيها حسناء في أقطار الأرض، أعني الملكة زبيدة التي تحبّها أشدّ حبّ.

ابتسم الخليفة عند ذكر زوجته، وقال:

ـ ولكن ماذا أصنع، وقد أتتها العادة، وأنت تعلم ما يكون بهذه العادة من أذىٰ!

فقال: وهل يعسر عليك المكان الآخر.

فقال: سنرىٰ!

ثم دخل على زوجته، وحدّثها بما قال أبو نواس، فقالت:

ـ يجب أن يطرد من المدينة.

وبلغ ذلك أبا نواس، فعمد إلىٰ دابة له، فوضع عليها خرجاً بعينين، وغيّر شكله وملابسه حتىٰ لا يعرفه أحد، وانتظر تحت قصر السيّدة زبيدة، بعد خروج الخليفة، وما زال واقفاً حتىٰ رآها قد أطلّت من نافذة قصرها العالي، وكان قد أحضر فردتا رحىٰ من حجر، فوضع في ناحية من الخرج فردة من الرحى، وجاء بالثانية فوضعها مع الأولى، فسقط الخرج عن ظهر الدابة. فأصلح الخرج، وجاء في الناحية الأُخرى فوضع فردة الرحى، ثم جاء بالثانية فوضعها معها، فوضع الخرج بهما، فنظرت إليه الأميرة ضاحكة، وقالت:

ـ ضع كل فردة في ناحية من الخرج.

فنظر إليها وقال: لقد قلنا ذلك، فقلت أخرجوه من المدينة. فضحكت وقالت: ويحك يا أبا نواس، وعفت عنه.

صَحَّفَتْ أمّك

تولّىٰ أبان بن محمد اللاّحقي ديوان الشعر لابن يحيىٰ بن خالد البرمكي. وكان الشعراء يرفعون إليه أشعارهم في البرامكة، فيسقط ما يرىٰ إسقاطه، ويعرض ما يرىٰ عرضه. فأسقط مرّة شعر أبي نواس، فقال أبو نواس:

صَحَّفَـــــتْ أمُّـــــكَ إذْ سَمَّـ ... ـتْـكَ فـــي المهـــد أبـــانـــا
قَـــدْ عَلِمْنَـــا مـــا أرَادَتْ ... لـــم تُـــرِدْ إلاّ أتـــانـــا
صَيَّـــرَتْ بـــاءً مكـــان التـــاءِ ... واللَّـــــهُ أعـــــانـــــا
قَطَـــعَ اللَّـــهُ وشيكـــاً ... مِـــنْ مُمَسِّيـــكَ اللِّســـانـــا

إذا أفرخ أطعمناك من فراخه

كان أبو نواس عند عطّار، فدخلت امرأة لتشتريَ منه عطراً، فقرقر بطنها قرقرة شديدة، فأراد أبو نواس أن يمازحها فقال لها:

ـ يا ستّ، أتبيعينني هذا الزاغب؟.

فقالت له: أمّا البيع فلا، ولكن إذا أفرخ أطْعَمْنَاك من فراخه.

انظر... ودعني في عافيتي

كان عند أبي عُمير النخّاس جارية اسمها عبّادة، وكان ابن البّواب قد ولع بها، ولا يستطيع زيارتها. فجاء يوماً يزور أبا عمير مع جماعة من أصحابه؛ فعاتبه أبو عمير على قلّة زياراته له، فانتحل له عذراً غير واضح المعالم. ولمّا شربوا، ودارت الخمرة في رؤوسهم، قال ابن البواب:

لـــو تَشَكَّـــىٰ أبُـــو عُمَيـــرٍ قَليـــلاً ... لأتَيْنَـــاهُ مِـــنْ طَـــرِيـــقِ العِيَـــادَهْ

فَقَضَيْنَـــا مِـــنَ العِيَـــادَةِ حَقّـــاً ... وَنَظَـــرْنَـــا فـــي مُقْلَتـــيْ عَبّـــادَهْ

فقال أبو عمير: «ما لي ولك يا أخي، أنظر في مقلتي عبّادة متىٰ شئت، ودعْني أنا في عافِيتي، دون أن تتمنّىٰ لي المرض لتعودني».

لذّة الشراب توازي لذّة النوم

كان محمد الأمين شديد المحبّة للشرب، فاصطبح يوماً مع ندمائه، وأبو نواس عنده. فقال محمد:

ـ نريد أن نشرب اليوم كلّنا؛ لننظر أيّنا أجود شرباً.

فلم يزالوا يشربون حتىٰ دارت الخمرة في رؤوسهم جميعاً، وعليهم النعاس إلاّ أبا نواس. فلمّا لم يرَ له مساعداً أغفىٰ غفوة، ثمّ انتبه، ووضع الشراب بين يديه، ثمّ قام إلىٰ الندماء، يحرّكهم واحداً واحداً ليشربوا معه، فوجدهم موتىٰ لا حراك بهم. فقال:

ـ ليس لي إلاّ محمد.

فجاء إلىٰ مرقده، وصاح به: يا سيّدي، يا أمير المؤمنين، ليس هذا من الإنصاف، نحن نشرب وأنت نائم؟!

فانتبه، وقعد يشرب معه. فقال محمد الأمين:

ـ ويلك! ألست من الناس، لا تنام مع ما قد شربت؟

فقال له: يا سيدي، أليست لذّة الشراب تقوم مقام لذّة النوم؟

وتمّ ما أراد

قيل: لمّا قدم أبو نواس بغداد كان محمد بن الأمين وليّ عهد الرشيد إذ ذاك غلاماً يافعاً، فَعَلِقه وأولع به. وكان الكسائي يقوم على تهذيبه، فطلب إليه أبو نواس أن يأذن له، ويقبّله، وتهدّده بأن يهجوه إذا لم يأذن له فيما أراد.

فقال الكسائي: غبْ أيّاماً، ثم أحضرْ، وكأنّك قادم من سفر، فنسلّم عليك ونعانقك، ثم تلوي على الأمين فتسلّم عليه وتعانقه، وبذلك يتمّ لك ما تريد.

فرضي أبو نواس بذلك، وقال:

لَقَـــدْ أَحْـــدَثَ النـــاسُ ظَـــرْفـــاً   يَعْلُـــو علـــى كُـــلِّ ظَـــرْفِ

كـــانـــوا إذا تَـــلاَقَـــوْا   تَصَـــافَحُـــوا بـــالأكُـــفِّ

فـــأحْـــدثـــوا اليَـــوْمَ رَشْـــفَ   الخـــدودِ والـــرَّشْـــفُ يَشْفـــي

لست أدعىٰ إلىٰ الرشد منه تعالىٰ

كان أبو نواس بطبعه شديد النفور من الزواج، ويروىٰ أن أقرباءه قد قالوا لامرأة كلّميه. فجعلت تقول له: وجدت لك امرأة جميلة، موسرة، ولها دار كبيرة تجعلها لك.

فقال لها: ويحك! لستِ أنتِ أدعىٰ إلىٰ الرشد من الله تعالىٰ، وقد دعاني إليه، وأبَيْت، وليست المرأة التي تصفينها بأحسن من الحور العِين، ولا الدار التي تذكرينها بأحسن من الجنّة، وكلّ هذا قد بذله لي مَنْ هو أصدق منكِ، وإذا ارعَوَيْت، فلم أقبل، فكيف أقبل منك أنت؟

... لو أكون أطول من عوج بن عنق

قُبض على أبي نواس وهو في حالة سكر شديد، فاقتيد إلىٰ السجن حيث بات ليلته. وفي الصباح، أمر الخليفة بإحضاره. ولمّا صار بين يديه أمر أحد الجلاّدين أن يصفعه على وجهه، وكان الجلاّد قصير القامة، فلم يتمكّن من ذلك، فطلب من أبي نواس أن ينحنيَ قليلاً ليصفعه، فقال أبو نواس باستهزاء:

ـ يا لك من غبيّ، وهل تدعوني إلىٰ طعام شهيّ حتىٰ أنحني لالتهامه! والله لو قدرت على أن أكون أطول ممّا كان عليه عوج بن عنق لما تأخّرت في هذه الساعة.

فضحك الخليفة، وأمر الجلاد بالانصراف، وعفا عنه.

صدقت، ولكن لا أفعل

مرض أبو نواس، فدخل عليه الجمّاز يعوده، فقال:

ـ اتّقِ الله، فكم من مُحْصَنَة قَذَفتَ، ومن سيّئة اقترفت، وأنت على هذه الحال، فتبْ قبل الموت.

فقال له أبو نواس: صدقت، ولكن لا أفعل!

قال الجمّاز: ولِمَ؟

قال: مخافة أن تكون توبتي على يد واحد مثلك.

يحسبُ الزمن جيِّداً

شكت امرأة لقراقوش ولدَها أنَّه يخالفها. فحبسه وحلف أن لا يطلقه إلاّ بعد سنة.

فلمّا توجهت المرأة إلىٰ بيتها عَسُرَ عليها سجنُ ولدها، فحزنت، ثمَّ جاءت ذات يوم للحاشية، وسألت إطلاقه، ودفعت لهم بعض المال.

فقالوا لها: اكتبي قصّته وأنهي فيها أنّ السنة فرغت، ونحن نساعدك.

ففعلت ذلك.

فلمّا قرأها قراقوش، قال لها:

ـ تكذبين! بقي من السنة هذا اليوم، وفي غدٍ نطلقه إن شاء الله.

فقالت: الأمر أمركم.

وخرجت على ذلك.

إنّ الجمعة لا تؤخَّر

ومثل هذه الطرفة ما رُوي عن عليّ بن هشام أنه قال:

ـ كان للحجّاج قاضٍ بالبصرة من أهل الشام يقال له: أبو حمير، فحضرت الجمعة، فمضىٰ يريدها، فلقيه رجل من العراق فقال له:

ـ يا أبا حمير، فأين تذهب؟

قال: إلىٰ الجمعة.

فقال: ما بلغك أنّ الأمير قد أخّر الجمعة اليوم.

فانصرف راجعاً إلىٰ بيته.

فلمّا كان من الغد، قال له الحجّاج:

ـ أين كنت يا أبا حمير، لم تحضر معنا الجمعة؟!

قال: لقيني بعض أهل العراق، فأخبرني أنّ الأمير أخّر الجمعة، فانصرفتُ:

فضحك الحجّاج وقال:

ـ يا أبا حمير، أما علمت أنّ الجمعة لا تؤخَّر.

قراقوش والسائس

قيل إنّ قراقوش سابقَ رجلاً بفرسٍ له، فسبقه الرجل بفرسه فقال للسائس:

ـ لا تطعمه شيئاً في هذا الأسبوع.

فقال السائس: أخشىٰ يا مولاي أن يموت فرسكم.

فقال له: اطعمْه، ولكن لا تقلْ له إنّي قلت ذلك، حتىٰ لا يظنّ أنّنا حلفنا باطلاً.

من لم يكن شريفاً كان ظريفاً

رُوي أنّه نشأ ببغداد غلامان أحدهما ابن حجّام، والآخر ابن مرّاق برعا في الأدب. فخرجا ليلة وهما ثملان من نبيذ، فأخذهما العَسَسُ فأتوا بهما إلىٰ صاحبهم. فلمّا مَثُلا بين يديه قال لهما: ما أخرجكما جوف الليل؟ فقالا: القدر والقضاء. فقال: من أنتما؟ قال ابن المرّاق:

أنَا ٱبْنُ الذي لا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ ... وإن نَزَلَتْ يَوْماً فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أفواجاً إلىٰ ضَوْءِ نَارِهِ ... فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ

وقال ابن الحجّام:

أنا ٱبْنُ مَنْ ذَلَّتِ الرِّقابُ له ... ما بَيْنَ مخْزُومها وَهَاشِمِها
تَأْتيه طَوْعاً إليه خاضِعَةً ... يَأْخُذُ مِنْ مَالِها وَمِنْ دَمِها

فقال في نفسه: الأوّل من أبناء الكرام، والثاني من أبناء الملوك. فقال لأعوانه: خلّوا عنهما، فإنّه بلغنا عن رسول الله (ص) أنّه قال: أَقِيلُوا ذوي الهيئات عَثَرَاتِهِمْ. فلمّا ٱنْصَرَفَا أُخبر بأمرِهما فٱسْتَرْجعهما بالغد وقال لهما: ويحكما! خَدعتماني. فقالا: ما خدعناك، وما أخبرناك إلاّ بما هو صفة والدينا. فلما تأمّل كلامهما وجده صدقاً، وقال انطلقا! من لم يكن منكما شريفاً فلقد كان ظريفاً.

سورة المائدة

قال أحد الشعراء في بخيل:

يا قَائِماً في دَارِهِ قاعِداً ... مِنْ غَيْرِ مَا مَعْنىً وَلاَ فَائِدَهْ
قَدْ مَاتَ أضْيَافُكَ مِنْ جُوعِهِمْ ... فَٱقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ المائِدَهْ

دعاء أعرابيّ

طال انحباس المطر على أعرابيّ فأنشأ يقول:

ربَّ العِبَادِ ما لنا وَمَا لَكْ

قـــد كُنْـــتَ تَسْقِينَـــا فمـــا بَـــدَا لَـــكْ
أنْـــزِلْ علينـــا الغَيْـــثَ لا أبـــالَـــكْ

مداعبة

كان أبو نواس مولعاً بمعابثة شيخه أبي عبيدة معمر بن المثنّىٰ النحويّ، فكتب بيتين من الشعر على أسطوانة، وعلّقها على جدار المسجد، على ارتفاع أكثر من قامة:

صَلَّـى الإلٰـهُ علـى لُـوطٍ وشيعَتِـهِ   أبـا عُبَيْـدَةَ قُـلْ بـاللَّـهِ آمينـا
فـأنْـتَ عِنْـدِي بـلا شَـكٍّ زَعِيمُهُـمُ   مُنْـذُ احْتَلَمْـتَ وَجَـاوَزْتَ الثمـانينـا

فلمّا رآهما أبو عبيدة قال لكيسان رفيقه:

ـ أما رأيت صنيع هذا الفاجر (يعني أبا نواس)؟ قم نحكّهُ (نمحوه) لئلاّ يراه الناس.

فقال كيسان: لا أناله.

قال أبو عبيدة: ويحك اصعد فوقي وحكّه.

فاعتلىٰ كيسان ظهره وأخذ يحكّ الكتابة. فلمّا ثقل عليه قال: أوجز وأسرعْ.

فقال كيسان: قد بقي لوط.

فقال: ويحك! هذا هو المقصود.

الشيطان الحقيقيّ

تقدّم رجل قبيح المنظر من أبي نواس، وقال له:

ـ يا أبا نواس، هل لك في مساعدتي على رؤية صورة الشيطان؟

فأجابه أبو نواس: هذا أمر سهل للغاية!

فقال الرجل: وكيف يكون ذلك؟

قال أبو نواس: أليس عندك مرآة؟

قال الرجل: بلىٰ!

قال أبو نواس: قفْ أمامها، وحدّقْ جيّداً تَرَ صورة الشيطان الحقيقيّة.
فضحك الرجل، وجعل يقول: وهل أرىٰ غير صورة وجهي يا لعين!

انزلْ عن سريرك

دخل أبو نواس على محمد الأمين فقال:

ـ قد قلت فيك أبياتاً، يا أمير المؤمنين، ولست بمنشدكها حتىٰ تنزل عن السرير، وأجلس أنا عليه.

فقال له: قد تجاسرت يا أبا نواس، فوالله لئن أحسنت لأُحسننَّ إليك، وإن أسأت لأُمثّلَنَّ بك.

ثم نزل عن السرير، وأجلسه عليه، وأنشأ يقول:

ضِيَاءُ الشَّمْسِ والقَمَرُ المُنِيرُ ... إذا طَلَعَا كأنَّهما الأميرُ
فإنْ يَكُ أشْبَها مِنْهُ قليلاً ... فَقَدْ أخْطَاهما شَبَهٌ كَثِيرُ
لأنَّ الشَّمْسَ تَغْرُبُ حِينَ تُمْسِي ... وأنَّ البَدْرَ يُنْقِصُهُ المَسِيرُ
وَنُورُ محمّدٍ أبَداً تَمَامٌ ... على وَضَحِ المحجَّةِ مُسْتَنِيرُ

فقال الأمين: عليَّ بوعاء فيه درّ.

فجيء به، فلم يزل يحشو فاه حتىٰ ملأه.

أشاركه فيها

أهْدى الخصيب، والي مصر، أبا نواس غلاماً وجارية، كانا فائقي الحسن، وكان الناس يتعجّبون من جمالهما، وكان أبو نواس إذا خرج أخرجهما معه، وإذا دخل أدخلهما معه. ولمّا طال عليه ذلك، دعا غلامه، وقال له:

ـ قد زوّجتك بها (أي الجارية).

فعنّفه أصحابه، وقالوا له: قد ضيّعتها، وأنت أحقّ بها منه.

فقال: إنّي قد دبّرت أمرهما، فأحسنت التدبير، لأنّي لا أعفّ عنهما، وهذان إذا نظر أحدهما إلى الآخر لم يصبرا أن يجتمعا، فأردت أن أزوّجه بها لتكون

امرأته، وأشاركه أنا فيها، وذلك أحبّ إليّ من أن تكون جاريتي ويشاركني هو فيها.

قبلة من بعيد

كان الخطّاطون قديماً، إذا أخطأ أحدهم سارع إلىٰ محو الخطأ عن طريق اللّطع، أي لحس الحبر باللسان، قبل أن يجفّ الحبر، لأنّهم لم يكونوا يعرفون ما نستخدمه اليوم للمحو. وقد قال أحد الخطاطين في هذا الشأن: «لا يصبح المرء خطّاطاً ما لم يشرب محبرة».

ومن الطريف في هذا الباب أنّ الشاعر العباسيّ الفكه، أبا نواس كان يراسل جارية، وكان آثار اللطع ظاهراً في بعض سطور رسالتها، فقال:

أكْثِرِي المَحْوَ في الكِتَابِ وَمَحِّيهِ ... بِرِيقِ اللِّسَانِ لا بالبنانِ
وأمرِّي الخزامَ بين ثَنَايَاكِ ... العِذَابِ المفلّجاتِ الحِسَانِ
إنّني كلّما مَرَرْتُ بِسَطْرٍ ... فيه مَحْوٌ لَطَعْتُهُ بلساني
فأرىٰ ذلك قُبْلَةً مِنْ بعيدٍ ... أسْعَدَتْني وما برحْتُ مكاني

ابعثْ رسالتك مع غيري

جاء رجل إلىٰ أبي نواس، وهو يحتضر، فقال له:

ـ متىٰ تموت يا أبا نواس؟

فقال أبو نواس: ولِمَ هذا السؤال؟

فقال الرجل: لأنّ والدي كان قد توفّي منذ ثلاثة أشهر، وأريد أن أبعث إليه رسالة.

فنظر أبو نواس إليه وقال: يؤسفني ألاّ يكون طريقي إلىٰ الجحيم. فابعث رسالتك مع غيري.

شبَه

خرج أبو الفرج العلوي إلىٰ السوق، وكان أحول أعرج، فسمع منادياً ينادي على تيس:

ـ كم عليكم في هذا العلويّ الأعرج الأحول؟!

فلم يشك في أنّه عناه، فأخذ يضربه ضرباً مبرّحاً إلىٰ أن تبيّن أنّ التيس أحول وأعرج.

كَتَبَتْ وكَتَبْتُ

ومن طريف قول أبي نواس:

كَتَبَتْ عَلىٰ فَصٍّ لِخَاتَمِها: «مَنْ مَلَّ مَحْبُوباً فلا رَقَدَا»
فَكَتَبْتُ في فَصٍّ لِيَبْلُغَها: «مَنْ نَامَ لَمْ يَعْقِل كَمَنْ سَهِدَا»
فَمَحَتْهُ وَاكْتَتَبَتْ لِيَبْلُغَنِي: «لا نامَ مَنْ يَهْوَىٰ ولا هَجَدَا»
فَمَحَوْتُهُ ثم اكْتَتَبْتُ: «أنا واللَّهِ أوَّلُ مَيِّتٍ كَمَدا»
فَمَحَتْهُ واكتتبت تُعَارِضُني: «واللَّهِ لا كَلَّمْتُهُ أبدا»

دواؤك عند البيطار

كان أبو نواس مع جماعة من أهل الأدب يتفكّهون عند خمّار في بغداد، فتقدّم منه رجل وقال له:

ـ يا أبا نواس، إنّني أشعر بألم في قلبي، ومغص يكاد يمزّق أحشائي، فهل أجد لديك دواءً يشفيني؟

فنظر إليه أبو نواس، وسأله:

ـ ماذا أكلت البارحة؟

فأجاب الرجل: والله ما أكلت إلاّ قرصاً واحداً من الشعير!

فقال أبو نواس: دواؤك إذن عند البيطار، إذهبْ إليه، وأخبره بمرضك فإنه أخبر مني بمرضك.

فضحك الحاضرون وانصرف الرجل.

فراق الأحبّة

حكىٰ الصولي عمّن أخبره قال: خرجنا للحجّ، وعرّجنا في الطريق للصلاة، فإذا بغلام يقول: «هل أحدٌ منكم مِن البصرة؟» فقُلْنا: «كلّنا منها». فقال: «إنّ مولاي مريض ـ وهو منها ـ يدعوكم» قال: فقمنا إليه، ولمّا أحسّ بنا رفع رأسه، وأنشأ يقول:

يــا بَعِيــدَ الــدَّارِ عَــنْ وَطَنِــهْ مُفْــرَداً يَبْكــي علــى شَجَنِــهْ
كُلَّمَــا جَــدَّ الــرَّحِيــلُ بــهِ زادتِ الأسْقَــامُ فــي بَــدَنِــهْ

ثم أُغمي عليه طويلاً: فجاء طائر وحطّ على الشجرة التي استظلّ بها، وجعل يغرّد؛ ففتح عينيه وأنشد:

فَلَقَــدْ زادَ الفُــؤَادَ شَجــىً طَــائِــرٌ يَبْكِــي علــى فَنَنِــهْ
شَفَّنــي مــا شَفَّــهُ فَبَكَــىٰ كُلُّنــا يَبْكــي علــى سَكَنِــهْ

ثمّ تنفّس الصعداء، وأسلم الروح، فَغَسَلناه وكفّناه ودفّناه، وسألنا الغلام عنه، فقال: هذا العباس بن الأحنف.

... لأرىٰ ما أنت صانع

قيل: تعرّض أحد الشعراء لهجو أبي نواس، فمسّه في عرضه. وذات يوم، اجتمع أبو نواس بالشاعر في مجلس حافل بالأدباء والشعراء وذوي الوجاهة والفضل، فقال النواسي:

ـ يا أخا العرب، ماذا أصابني من هجائك؟ وماذا حلّ بي من تعرّضك لي، وأيذائك إيّاي في عِرْضي؟ هل مات ابني؟ هل خرب بيتي؟

فقال الشاعر: لا.

فقال أبو نواس: ما دام الأمر كذلك، وحالتي على ما هي عليه، فرجْلي هذه مع ساقي إلىٰ آخر ركبتي في إستك. (مؤخّرتك).

فقال الشاعر: ولماذا تركت رأسك خارجاً؟

فقال أبو نواس: لأنظر ما أنت صانع بعد ذلك.

فضحك كل من حضر، وخجل الشاعر، واستسمحه.

اذهب لا تاب الله عليك

عاتب أبو العتاهية أبا نواس، فقال له:

- قد بلغت من السنّ والعلم ما في دونه يتّعظ اللبيب، وينزجر العاقل الأديب، وأنت تجالس الفتيان، وتلعب مع الغلمان، وتصبو صبوة الشبّان.

فأطرق أبو نواس قليلاً، ثمّ رفع رأسه وقال:

أتَرَاني يا عَتَاهي ... تَارِكاً تلك الملاهي؟

أتراني مفسداً بالنُّسْـ ... ـك عِنْدَ المُرْدِ جاهي؟

فقال أبو العتاهية: اذْهَبْ، لا تاب الله عليك.

تمام المشوار

بينما كان أبو نواس يشرب الخمرة مع جماعة من أصحابه في إحدىٰ الحدائق، مرّ به طفيليّ ترافقه جارية، فسلّم وظلّ يلتفت نحو الجماعة، فاستدعاه أبو نواس وسأله: ما اسمك؟

فأجاب: أبو الخير.

فقال أبو نواس: ما اسم صاحبتك؟

قال: زانة.

فقال أبو نواس لأصحابه.

- اسرقوا «الياء» من «أبو الخير» وأعطوها إلىٰ «زانة» فيتمّ المشوار بحيث تصبح هي «زانية»، وهو «أبو الخرء».

نزَلَتْ... في أهل الحجاز

مرّ سائل بأبي نواس، وقال له:

ـ هَبْ لي هذه الجبّة!

فقال أبو نواس: لا أملك غيرها.

فقال السائل: إن الله تعالىٰ يقول: ﴿ويُؤْثِرونَ على أنفُسِهِمْ وَلَوْ كان بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

فقال أبو نواس: هذه الآية نزلت في شهر تمّوز في أهل الحجاز ولم تكن نزلت في شهر كانون في حقّ أهل بغداد.

المحبّ لمن يحب زوار

كان بِشْرُ بن مروان شديداً على العصاة، وكان إذا ظفر بالعاصي أقامه على كرسيّ وسمّر كفَّيه بالمسامير في الحائط، ثمّ نزع الكرسيّ من تحته، فيبقىٰ معلّقاً يضطرب حتّىٰ يموت. وكان فتىٰ من بني عِجْل مع المُهَلّب بن أبي صُفْرة في حروب الأزارقة، وكان عاشقاً لابنة عمّ له. فكتبت إليه تستزيره، فكتب إليها:

لَـوْلاَ مَخَـافَـةُ بِشْـرٍ أو عُقُـوبَتِـهِ ... وَأَنْ يَشُـدَّ علـى كفِّـيَ مِسْمَـارُ

إذاً لَعَطَّلْـتُ ثَغْـرِي ثـمّ زُرْتُكُـمُ ... إنّ المُحِـبَّ إذا مـا ٱشْتَـاقَ زوّارُ

فكتبت إليه:

لَيْسَ المُحِبُّ الذي لا يخشىٰ العِقَابَ ... وَلَـوْ كـانَـتْ عُقُـوبَتُـهُ فـي إلْفِـهِ النّـارُ

بَـلِ المُحِـبُّ الـذي لاشـيءَ يَنْفَعُـهُ ... أو تَسْتَقِـرَّ وَمَـنْ يَهْـوىٰ بِـهِ الـدَّارُ

ولمّا قرأ كتابها عطّل ثغره وجاءها وهو يقول:

أَسْتَغْفِـرُ اللّـهَ إذْ أخشـىٰ الأمِيـرَ وَلَـمْ ... أَخْـشَ الـذي أنـا مِنْـهُ غَيْـرُ مُنْتَصِـرِ

فَشَـأْنُ بِشْـرٍ بِلَحْمِـي فَلْيُعَـذِّبْـهُ ... أو يَعْـفُ عَفْـوَ أميـرٍ خَيْـرٍ مُقْتَـدِرِ

فَمَـا أُبَـالـي إذا أمْسَيْـتِ رَاضِيَـةً ... يا هِنْدُ ما نِيلَ مِنْ شَعْري وَمِنْ بَشَري

فلم يلبث أن وُشِيَ به إلىٰ بشر، فأُتي به، فقال: يا فاسق، عطّلت ثغرك،

هلمّ الكرسيّ. فقال: أعزّ الله الأمير! إنّ لي عذراً. فقال: وما عذرك؟ فأنشده الأبيات، فرقّ له، وكتب إلىٰ المهلّب أن يثبّته في أصحابه.

المحبّ لمن يهوىٰ زوار

طلع رجل من حجيج المغرب إلىٰ عرفة، فلقي شيخاً كبيراً؛ فقال له الشيخ: «من أين أنت؟» قال: «من المغرب» قال: «كم بينكم وبين هذا البيت؟ قال: «نحو ستّة أشهر» فقال الشيخ: «أَتحجّون كلّ عام؟» قال: «لا». فقال الشيخ: «لو كنّا مثلكم لم يَفُتْنا الحَجّ أبداً». فقال المغربي: «وممّن أنت؟» قال: «من كذا بلد بعيد بمسيرة عام أو نحوه»، وأنشد:

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وإنْ شطَّتْ بك الدَّارُ   وحَالَ مِنْ دونِهِ سَهْلٌ وأوْعَارُ
لا يَمْنَعَنَّكَ بُعْدُ عَنْ زِيَارَتِهِ   إنّ المُحِبَّ لِمَنْ يَهْواهُ زَوَّارُ

ما رأيت سكراناً قبل هذا في حياتي

خرج هارون الرشيد متجوّلاً مع أبي نواس في شوارع بغداد، فأبصرا سكراناً بحالة مثيرة للضحك. فوقف الخليفة يراقب السكران، ثم نظر إلىٰ أبي نواس، فرآه يكاد يغمىٰ عليه من شدّة الضحك، فقال له:

ـ أتضحك عليه، وأنت في كلّ يوم تسكر مثله؟!

فقال أبو نواس: والله يا أمير المؤمنين، ما رأيت سكراناً قبل هذا في حياتي.

فدهش الخليفة، وقال له باستغراب: أتعني ما تقول يا أبا نواس؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، ذلك لأنّي أسكر قبل الجميع، ولا أصحو من سكري إلاّ بعدهم جميعاً.

فضحك الرشيد، وقال: صدقت فيما تقول.

غزل العميان

قال ابن الشحنة:

وإنّـي ٱمْـرُؤٌ أحْبَبْتُكُـمْ لِمَكَـارِمٍ ... سَمِعْتُ بها والأُذْنُ كالعينِ تَعْشَقُ

وهذا القول مأخوذٌ من قول بشّار بن برد:

يـا قَـوْمُ أُذْني لِبَعْضِ الحَيِّ عَاشِقَةٌ ... وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أحْيَانَا

قالوا:

بِمَنْ - لاَ تَرَىٰ - تَهْذِي فَقُلْتُ لَهُمْ ... الأُذْنُ كالعَيْنِ تَهْدِي القَلْبَ ما كانا

وقال مظفّر الأعمى:

قَـالُـوا عَشِقْتَ وأنْتَ أعْمَىٰ ... ظَبْياً كَحِيلَ الطَّرْفِ ألْمَىٰ

وَحَلاَهُ مـا عَـايَنْتَهـا ... فَنَقُـولُ قَـدْ شَغَلَتْكَ وَهْمـا

وَخَيَالُـهُ بِـكَ فـي المَنَـا ... مِ فمـا أَطَـافَ ولا أَلَمَّـا

مِـنْ أيْـنَ أرْسِلَ لِلْفُـؤَا ... دِ وأنْتَ لـم تَنْظُـرْهُ سَهْمـا

فَـأَجَبْتُ إنّـي مُوسَـو ... يُّ العِشْقِ إنْصَاتـاً وَفَهْمـا

أَهْـوَىٰ بِجَـارِحَـةِ السَّمَـا ... عِ وَلاَ أرَىٰ ذاتَ المُسَمَّىٰ

وقال أعمىٰ:

وَغَـادَةٍ قَـالَـتْ لأَتْـرَابِهـا ... يـا قَـوْمُ مـا أعْجَبَ هـذا الضَّرِيرْ

أيَعْشَـقُ الإنْسَـانُ مـا لا يَـرَىٰ ... فَقُلْتُ وَالـدَّمْـعُ بِعَيْنِـي غَـزِيـرْ

إنْ لـم تَكُـنْ عَيْنـي رَأَتْ شَخْصَهـا ... فـإنّهـا قَـدْ مُثِّلَـتْ فـي الضَّمِيـرْ

وقال آخر:

إنّي عَشِقْتُكِ لا عَنْ رُؤْيَةٍ عَرَضَتْ ... والسَّمْعُ يُدْرِكُ مـا لا يُدْرِكُ البَصَرُ

فُتِنْتُ مِنْـكِ بـأَوْصَـافٍ مُجَـرَّدَةٍ ... في القَلْبِ منها مَعَانٍ ما لها صُوَرُ

والنَّاسُ قَدْ ذَكَرُوا ما فيكِ مِنْ شِيَمٍ ... وَقَـدْ تَخَيَّـلَ فِكْـري فَـوْقَ مـا ذَكَـرُوا

الفرق بين الموسِر والمفلس

قال أحد الشعراء في وصف نظرة الناس إلىٰ الموسر والمفلس:

إنْ ضَـرَطَ المُـوسِـرُ فـي مَجْلِـسٍ   قـالـوا لـه: يَـرْحَمُـكَ اللّـهُ
أو عَطَـسَ المُفْلِـسُ فـي مَجْلِـسٍ   سُـبَّ وقيـل فيـه مـا سـاه
فَمَضْـرَطُ المُـوسِـرِ عِـرْنِينُـهُ   وَمَعْطَـسُ المُفْلِـسِ مَفْسَـاهْ

ليدخل في جملة الناس

تزوّج أبو الأزهر، أستاذ أبي نواس امرأة، فلم تلبث معه حتىٰ سألته الطلاق، فطلّقها، ثم تزوّج أُخرىٰ، فكانت كسابقتها، ولمّا استطلع الأمر علم أنّ أبا نواس كان يغريهنّ به، ويبلّغهنّ ما لم يقله أو يفعله، فقال له:

ـ ما الذي حملك على هذا؟

قال: سمعت أنّه مَنْ لم يضرّ ولم ينفع فليس من الناس، وأنا صبيّ لا أقدر على النفع، فقلت: أضر لأدخل في جملة الناس.

كوكبا درٍّ

قال أحد الشعراء متغزّلاً:

بِصَـدْرِهـا كَـوْكَبَـا دُرٍّ كَـأَنَّهُمَـا   رُكْنَانِ لَـمْ يَـدْنَسَا مِنْ لَمْسِ مُسْتَلِـمِ
صَـانَتْهُمَـا بِسُتُـورٍ مِـنْ غَـلاَئِلِهَـا   فالنَّاسُ في الحِلِّ والرُّكْنَانِ في الحَرَمِ

إنما كان مجاعة

قال شاعر في وصف عرس أظهر أصحابه بخلاً شديداً:

مَـاتَ فـي عُـرْسِ سُلَيْمَـا   نَ مِـنَ الجُـوعِ جَمَـاعَـهْ

مَـــــاتَ أَقْـــــوَامٌ وَقَـــــوْمٌ   عُلِّمُـــــوا فيـــــهِ القَنَـــــاعَـــــهْ
لـــــم يَكُـــــنْ ذَلِـــــكَ عُـــــرْسـاً   إنّمـــــا كـــــان مَجَـــــاعَـــــهْ

أين باعث الحزن

أراد خلف الأحمر أن يطمئنّ إلىٰ قدرة تلميذه أبي نواس، ومَلَكَته الشعريّة. فطلب إليه أن يرثيه قائلاً: ارْثِني وأنا حيّ...

فرثاه أبو نواس بقصيدتين رائعتين، أُعجب بهما خلف، ثم قال أبو نواس:

ـ يا أبا محرز، متْ ولك عندي خير منها.

فقال خلف: كأنّك قصّرت؟!

قال أبو نواس: لا... ولكن أين باعث الحزن؟

رزقك اللّه ما رزقهم

دخل أحد الظرفاء على أبي نواس في داره، وهو في علّته التي مات فيها، فقال له:

ـ أريد أن أعرض عليك شعراً لي.

فقال أبو نواس: أعَلَىٰ هذه الحال؟

فقال له: أنت بألف خير إن شاء الله!

فأنشده: فجعل أبو نواس يبكي، فقال له الظريف: ولِمَ تبكي:

فقال النواسي: كم تظنّ من شاعر قد مدح بأحسن من شعرك هذا، فكان ثوابه أن صُفع حتىٰ عمي؟! وأنا أسأل الله أن يرزقك ما رزَقهم.

فانصرف الظريف خجلاً.

لقد نجا الخبيث حقّاً

غضب الرشيد مرّة على أبي نواس، فأراد أن يسخر منه، فأمر رجاله أن يذهبوا إلىٰ بيته ويبرزوا على فراشه... ولمّا دخلوا بيت أبي نواس وجدوه نائماً

على فراشه، فأوعزوا إلىٰ زوجته قائلين لها:

ـ أيقظيه بأمر من أمير المؤمنين.

ولمّا استيقظ سألهم:

ـ ماذا يطلب أمير المؤمنين؟

قالوا: أمرنا أن نبول على فراشك.

فقال: أمركم أن تبولوا ماءً أم غائطاً؟

فقالوا: بل غائطاً.

فقال: حسناً! افعلوا ما أمركم به أمير المؤمنين، ولكن حذارِ أن تبولوا ماءً، وتخالفوا أوامر أمير المؤمنين، ومن فعل منكم كسرت نافوخه بهذه العصا. فأحجموا وعادوا إلىٰ أمير المؤمنين، وأخبروه بما جرىٰ معهم. فضحك وقال: لقد نجا الخبيث حقّاً.

لا خوف عليك

ذهب أبو نواس مع رجل بخيل ليستأجر بيتاً، ولمّا وقف بباب الدار، أقبل إليه سائل فقير وقال له:

ـ حسنة يا مولاي!

فقال له: فتح الله عليكَ.

فذهب الفقير في سبيله. وبينما هما واقفان، جاء آخر، وقال:

ـ صدقة يا سيّدي ممّا أعطاك الله.

فقال البخيل: حنّن الله عليك، تابْع طريقك.

ثمّ جاء ثالث ورابع وخامس... فصرفهم جميعاً دون أن يعطيهم شيئاً.

ثم التفت البخيل إلىٰ أبي نواس، وقال: لقد أعجبتني هذه الدار لولا كثرة السائلين في هذه الجهة!

فقال أبو نواس: لا خوف عليك يا سيدي منهم، ما دمت تحفظ العبارات التي تصرفهم بها، وليس يضرّك من أمرهم شيء مهما كثروا، أو قلُّوا.

فخجل الرجل وذهب دون أن يستأجر الدار.

وأنا كما تقول

قدم رجل إلىٰ أبي نواس يطلب حاجة، فوعده بقضائها، وإحضارها إلىٰ منزله في صباح اليوم التالي. فبقي الرجل طوال يوم غد في بيته منتظراً قدومه، ولكنّ أبا نواس لم يحضر.

وفي مساء اليوم التالي، صادف الرجل أبا نواس في الطريق، فبادره قائلاً:

ـ لقد كذبت عليّ، فوالله ما عرفت إنساناً أكذب منك؛ ولو علم أمير المؤمنين بما انطوت عليه نفسك لجعلك قاضياً للمنافقين.

فقال أبو نواس: صدقت، وأنا كما تقول، فهل من دعوىٰ تعرضها؟

فضحك الرجل، وأعجب ببداهته، وغفر له.

أين المفرّ

حكي عن الإمام الشبلي، أنّه رأىٰ يوماً مجنوناً والصبيان خلفه يرمونه بالحجارة، وقد أدموا وجهه وشجّوا رأسه. فأخذ الشبلي يزجرهم عنه، فقالوا له: «يا شيخ دَعْنا نقتله، فإنّه كافر!» فقال لهم: «وما الذي بان لكم من كفره؟» فقالوا: «يزعم أنّه يرىٰ ربّه ويحادثه» فقال: «أمسكوا عليّ قليلاً» فتقدّم الشبلي فوجده يتحدّث ويضحك ويقول: «هذا جميل منك، تسلّط عليّ الصبيان ليشغلوني عنك!» فقال: «يا شبلي وما الذي قالوا» قال: «تقول إنّك ترىٰ ربّك وتحادثه» فصاح صيحة عظيمة، ثم قال: «يا شبلي نعم، وحقّ مَنْ تيّمني بحبّه، وهيّمني بين بعده وقربه، لو ٱحتجب عنّي طرفة عين لتقطّعتُ من البَيْن». ثمّ ولّىٰ وهو يقول:

لَئِنْ غِبْتَ عَنْ عَيْنِي وَشَطّ بِكَ النَّوَىٰ ... فَأَنْتَ بِقَلْبِي حَاضِرٌ وَقَرِيبُ
أَرَاكَ بِعَيْنِ الوَهْمِ في مُضْمَرِ الحَشَا ... وَلَيْسَ على عَيْنِ الفُؤَادِ رَقِيبُ
خَيَالُكَ في وَهْمِي وَذِكْرُكَ في فَمِي ... وَمَثْوَاكَ في قَلْبِي فأين تَغِيبُ؟

قلب حجر

أحِبُّ مِنْ أجْلِكُمْ مَنْ كانَ يُشْبِهُكُمْ حتّىٰ لَقَدْ صِرْتُ أهْوَىٰ الشَّمْسَ وَالقَمَرَا
أمُـرُّ بـالحَجَـرِ القـاسِـي فَـأَلْثُمُـهُ لأنَّ قَلْبَـكَ قـاسٍ يُشْبِـهُ الحَجَـرَا

ليت الشباب يعود

حكىٰ ابن خلكان أنّ رجلاً أثرىٰ، وصارت له نعمة، بعد أن بلغ الثمانين. فكان هذا الرجل يتحسّر على شبابه، ويتمنّىٰ لو يعود حتى يتمتع بثروته وماله. . . وقد نظم أحد العقلاء أبياتاً في ذلك:

ما كُنْتُ أرْجُوه إذْ كُنْتُ ٱبْنَ عِشْرينا مَلَكْتُـهُ بَعْـدَ أنْ جـاوَزْتُ سَبْعِينـا
تَطُـوفُ بِـي مِـنْ بناتِ التُّرْكِ أغْـزِلَـةٌ مِثْـلُ الغُصُـونِ علـىٰ كُثْبـانِ يَبْـرِينـا
وَخُـرَّدٌ مِـنْ بَنَـاتِ الـرُّومِ رَائِعَـةٌ يَحْكِيـنَ بـالحُسْنِ حُور الجنَّـةِ العينَا
يَغْمِـزْنَنِـي بـأَسَـارِيـعَ مُنَعَّمَـةٍ تَكَـادُ تَنْقَـضُّ مِـنْ أطْـرافِهـا لِينَـا
يُـرِدْنَ إحْيَـاءَ مَيْـتٍ لا حِـرَاكَ لَـهُ فَكَيْـفَ يُحْيِيـنَ مَيْتـاً صَـارَ مَدْفُـونـا
قـالُـوا: أتَيْنَـاكَ طُـولَ اللَّيْـلِ يُقْلِقُنـا فَمَـا الّـذي تَشْتَكِـي؟ قُلْـتُ الثَّمـانينـا!

أبو نواس والجاحظ

قال الجاحظ لأبي نواس، وكان أصفر الوجه، بسبب مرض ألمّ به: ما لي أراك مصفرّاً، يا أبا علي؟

فأجاب أبو نواس: رأيتُك فَتَذَكَّرْتُ ذنوبي!

فقال الجاحظ: ما علاقة ذنوبك برؤيتي؟

فأجاب أبو نواس: خِفْتُ أن يُعَاقِبَني الله على ذنوبي، فيمسخني قرداً مثلك.

قل للمليحة في الخمار الأسود

قدم تاجر من أهل الكوفة إلىٰ المدينة ليبيع خُمُراً، فاشترت النساء كلّ ما معه إلاّ الخمر السود، فتقدّم من صديقه الدارمي، الذي كان قد تنسّك وترك قول الشعر، وشكا إليه أمره، فقال الدارمي لصديقه: «لا تهتمّ» وأنشأ يقول:

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ في الخِمَارِ الأسْوَدِ ... ماذا فَعَلْتِ بِنَاسِكٍ مُتَعَبِّدِ
قَدْ كان شمَّرَ للصَّلاَةِ ثِيَابَهُ ... حتّىٰ وَقَفْتِ لهُ بِبَابِ المَسْجِدِ

وشاع الشعر بين الناس، ولم يبق مع التاجر خمار أسود إلاّ باعه.

لو يدخله السارق سُرق

قال أحدهم يصف شدّة فقره:

لَيْسَ إغْلاَقِي لِبَابِي أنّ لي ... فيهِ ما أخْشَىٰ عليه السَّرقا
إنّما أغْلَقْتُهُ كيلا يَرَىٰ ... سُوءَ حالي مَنْ يَمُرُّ الطُّرُقا
مَنْزِلٌ أوْطَنَهُ الفَقْرُ فَلو ... يَدْخُلُه السَّارِقُ فيه سُرِقا

هذا قتيل العشق

روىٰ الأصمعي: بينما أنا أسير بالبادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه:

أيا مَعْشَرَ العشّاق باللّه خَبِّرُوا ... إذا حَلّ عِشْقٌ بالفتىٰ كيف يَصْنَعُ

فكتبتُ تحته:

يُدَارِي هَوَاهُ ثمّ يَكْتُمُ أمْرَهُ ... وَيَخْشَعُ في كلّ الأمُورِ وَيَخْضَعُ

ثمّ عُدْتُ في اليوم التالي، فوجدت مكتوباً تحته:

فَكَيْفَ يُدَارِي والهَوَىٰ قاتِلُ الفَتَىٰ ... وفي كُلِّ يَوْمٍ رُوحُهُ تَتَقَطَّعُ؟

فكتبت تحته:

إذا لم يَجِدْ صَبْراً بِكِتْمان سِرِّهِ ... فَلَيْسَ له شيءٌ سوىٰ المَوْتِ أنْفَعُ

فعدت في اليوم الثالث، فوجدت شاباً ملقىٰ تحت ذلك الحجر ميتاً. رحمه الله.

حمار بشّار بن برد

سأل أحدهم بشاراً لِمَ هذا الغم؟ فأجاب: مات حماري، فرأيته في النوم فقلت له: لِمَ مُتَّ؟ ألم أكن أحْسِنُ إليك؟ فقال:

سَيِّدِي خُذْ بِي أتاناً عِنْدَ بَابِ الأصْبَهانِي
تَيَّمَتْنِي ببنانٍ وَبِدَلٍّ قَدْ شَجَانِي
وَبِغُنْجٍ وَدَلاَلٍ سَلَّ جِسْمِي وَبَرَانِي
وَلَهَا خَدٌّ أسِيلٌ مِثْلُ خَدِّ الشَّيْفَرَانِي

ولمّا سأله: ما الشّيفران؟ قال: ما يدريني. هذا من غريب الحمار، فإذا لقيته فاْسْألْهُ.

يختبر بنفسه ويأمر

دخل رجلان على قراقوش، وادّعىٰ أحدهما على الآخر أنه عضَّ أذنه. فسأله قراقوش عن ذلك، فقال:

ـ إنه هو الذي عضَّ أذن نفسه.

فقام السلطان، ودخل إلىٰ غرفة الحريم، وأخذ يحاول عضَّ أذنه، فلم يفلح في ذلك، ووقع على يده فانكسرت، فخرج بهذه الحالة، وأمر بضرب المدعىٰ عليه، وقال:

ـ أنت الذي عضضت أذن الرجل، وكسرت ذراعي زيادة على ذلك.

وشبيه بهذه الطرفة ما حدث لجحا، فقد جاءه يوماً شخصان يشكوان له، فقال أحدهما:

ـ إنّ هذا الرجل عضّ أذني.

وقال الثاني: بل هو عضّ أُذُنَ نفسه.

فقال جحا: اصبرا لحظة حتىٰ أجيء إليكما.

وذهب جحا إلىٰ مكان خالٍ، وأراد أن يعضّ أذنه، فكان يجرّ أذنه إلىٰ جانب فمه، ويُميل فمه ناحية أذنه، إلىٰ أن وقع فشج رأسه. فرجع إليهما وقال:
ـ لا يستطيع أحد أن يعض أذن نفسه، ولكنه يستطيع أنْ يشج رأسه.

ذكاء غلام

الْتَقَىٰ غلامٌ بأبي العلاء المعرّي الشاعر المشهور فسأله:
مَنْ أنت، أيّها الشيخ؟
فقال أبو العلاء: أنا أبو العلاء المعرّي.
فقال الغلام: أَلَسْتَ أنت القائل:

وَإنِّـي وإن كُنْـتُ الأخيـرَ زَمَـانُـهُ   لآتٍ بمـا لـم تَسْتطِعْـهُ الأوائـل؟

فأجاب أبو العلاء: بلىٰ!
فقال الغلام: إنّ الأوائل قد رتّبُوا الحروف الهجائية ثمانية وعشرين حرفاً، فهل بإمكانك أن تزيد عليها حرفاً؟
فقال أبو العلاء: خذه يا فتىٰ: «لا» (جمع اللام والألف)، ولكن أخشىٰ عليك ألاّ تعيش طويلاً لشدّة حذقك، وتوقّد ذهنك.

الشيء بالشيء يذكر

قال الشيخ جمال الدين ابن نباتة المصري مضمّناً المثل القائل: «الشيء بالشيء يذكر».

صَحَـا القَلْـبُ إلاّ نَسْمَـةً تَتَخَطَّـرُ   وَلَمْعَـةُ بَـرْقٍ بـالغَضَـا تَتَسَعَّـرُ
وَذِكْـرُ جَبِيـنِ العَـامِـرِيَّـة إذْ بَـدَا   هِلاَلُ الدُّجىٰ والشيءُ بالشيءِ يُذْكَرُ

خداع النفس

غضب الفضل بن الربيع على أحبّ جارية عنده؛ فأبطأت في استرضائه. فاغتمّ الربيع ووجّه إلىٰ أبي حمّاد بن إسحٰق يعلمه بالخبر. فكتب إليه ابن إسحٰق

يقول: «لك العِزَّةُ والشرف، ولأعدائك الذلّ والرّغم، استعمِل قول العبّاس بن الأحنف:

تَحَمَّـلْ عَظِيـمَ الـذَّنْـبِ مِمَّـنْ تُحِبُّـهُ ... وإنْ كُنْـتَ مَظْلُـومـاً فَقُـلْ أنَـا ظَـالِـمُ

فـإنَّـكَ إلاّ تَغْفِـر الـذَّنْـبَ فـي الهَـوَىٰ ... يُفَـارِقُـكَ مَـنْ تَهْـوَىٰ وأنْفُـكَ رَاغِـمُ

فقال: صدقت؛ وبعث يترضّاها.

الآب والأبن والروح القدس

دخل أحدهم على أبي نواس، ومعه خمر وعنب وزبيب، فقال له:

ـ ما هذا؟ ويحك!

فقال: الآب والابن والروح القدس.

جواب مفحم

لقي أبو نواس امرأة حسناء في الطريق، فقال:

ـ ما تصنع الحور بين الدور؟

فقالت: ما يصنع الشيطان بين الحيطان؟

عذرك أسوأ من شعرك

مدح شاعر أميراً بقوله:

أنْــتَ الهُمَــامُ ابْــنُ الهُمَــامِ ... الــوَاسِــعُ ٱبْــنُ الــواسِعَــهْ

فقال: من أينَ عرفتها؟ قال: قد جرّبتها! فقال: أسوأ من شعرك ما أتيت به من عذر.

باب المصرف

قيل: التقىٰ أبو نواس برجل في السوق يلحس حماراً، فسأله:

ـ ماذا تفعل يا هذا؟

فأجاب: أفتّش عن حمار؟

قال: وما بالك تلحسه هكذا؟

قال: أريد حماراً حلواً جميلاً.

فقال أبو نواس: اتْبَعْني وأنا أدلّك على ما تطلبه.

ثم أخذه إلىٰ حمار، ورفع ذيله وقال له:

ـ إذا كنت تريد حماراً حلواً فالحس من هنا، لأنّ هذا باب المصرف، ومنه تعرف أن تميّز بين الحلو والمرّ.

الخبر الطريف

صلّىٰ أبو نواس يوماً في الجماعة، فقال له أحدهم: ما هذا؟

قال أبو نواس: أردتُ أن يرتفع إلىٰ السماء خبر طريف.

سيذهبون إلىٰ بيتك

قيل: كان أبو نواس واقفاً يتحدّث مع رجل فقير، فمرّت قربهما جنازة، فسمع زوجة الميت تقول:

ـ يا ويلي! يا حبيبي! إلىٰ أين هم راحلون بك؟ ماذا ستفعل هناك؟ بيت خالٍ لا فراش فيه ولا غطاء، ولا زاد، ولا ماء.

فنظر أبو نواس إلىٰ الفقير وهمس في أذنه.

ـ الْحَقْ بهم، إنّهم سيذهبون به إلىٰ بيتك.

فخجل الرجل، وضحك من كان حاضراً.

أكذب الناس!

قال بشّار بن برد في هجاء أبي دلف:

أبـو دُلَـفٍ كـالطَّبْـلِ يَـذْهَـبُ جَـوْفُـهُ ... وَبَـاطِنُـهُ خِلْـوٌ مِـن الخَيْـرِ أخْـرَبُ

أبـا دُلَـفٍ يـا أكـذب النَّـاسِ كُلِّهِـمْ ... سِـوَايَ فـإنّـي فـي مَـدِيحِـكَ أكْـذَبُ

بالوجه الذي ألقىٰ به ربّي

كان أبو نواس قد هجا إسماعيل بن سهل، فأتاه مرّة راغباً في صحبته، فقال له إسماعيل:

ـ بأيّ وجه جئتني يا أبا نواس؟

فقال أبو نواس:

ـ بالوجه الذي ألقىٰ به ربّي، فإنّ ذنوبي إليه أكثر من ذنبي معك.

سِرْ أينما شئت

حضر رجل إلىٰ أبي نواس وسأله:

ـ أيّهما الأفضل، المشي أمام الجنازة أم وراءها؟

فأجابه أبو نواس:

ـ المهمّ ألاّ تكون في النعش، وسر أينما شئت.

انتقام

حكىٰ الأصعمي قال: ضلّت لي إبل فخرجت في طلبها، وكان البرد شديداً، فالتجأت إلىٰ حيّ من أحياء العرب، وإذا بجماعة يصلّون وبقربهم شيخ ملتفّ بكساء، وهو يرتعد من البرد وينشد:

أيـا رَبِّ إنّ البَـرْدَ أصْبَـحَ كـالحـاً ... وَأنْـتَ بحـالـي يـا إلٰهـي أعْلَـمُ

فـإنْ كُنْتَ يَـوْماً في جَهَنَّـمَ مُدْخِلي ... ففـي مِثْلِ هـذا اليَـوْمِ طـابَـتْ جَهَنَّـمُ

قال الأصمعي: فتعجبت من فصاحته، وقلت له: يا شيخ أما تستحي أن تقطع الصلاة، وأنت شيخ كبير، فأنشد يقول:

أَيَطْمَـعُ رَبّـي أن أُصلّـيَ عَـارِيـاً ... وَيَكْسُـوَ غَيْـرِي كسْـوَةَ البَـرْدِ والحَـرِّ

فـواللّـهِ لا صَلَّيـتُ مـا عِشْـتُ عـارِيـاً ... عَشَـاءً ولا وَقْـتَ المَغِيـبِ ولا الـوتْـرِ

ولا الصُّبْـحَ إلاّ يَـوْمَ شَمْـسٍ دَفِيْئَـةٍ ... وإنْ غَيَّمَـتْ فَـالـوَيْـلُ لِلظُّهْـرِ والعَصْـرِ

وإنْ يُكْسِنِـي رَبِّـي قَمِيصـاً وَجُبَّـةً أُصَلِّي لـه مَهْمَـا أعِيشُ مِـنَ العُمْـرِ

قال: فأعجبني شعره وفصاحته، فنزعت قميصاً وجبّة كانا عليّ ودفعتهما إليه وقلت: البَسْهما وقم فصلّ. فاستقبل القبلة وصلىٰ جالساً يقول:

إلَيكَ ٱعْتِـذاري مِـنْ صَـلاَتِيَ جالِسـاً عَلَـىٰ غَيْـرِ طُهْـرٍ مُـومِيـاً نَحْـوَ قِبْلَتِـي
فمـا لـي بِبَـرْدِ المـاءِ يـا رَبِّ طـاقَـةٌ ورِجْـلاَيَ لا تَقْـوىٰ على ثَنْي رُكْبتي
وَلٰكِنّنِـي أَسْتَغْفِـرُ اللَّـهَ شَـاتِيـاً وَأَقْضِيكَهـا يـا رَبِّ فـي وَجْـهِ صيفتي
وإنْ أنـا لـم أفْعَـلْ فـأنْـتَ مُحَكَّـمٌ بِمَا شِئْتَ من صَفْعِي ومن نَتْفِ لِحْيَتي

العباسي وأحد الشعراء!

قال أحد الشعراء للمأمون: «مولاي! لقد قلتُ فيك شعراً!» فقال المأمون: «أسْمِعْنا».

فقال:

حَيَّـاكَ رَبُّ النَّـاسِ حَيَّـاكَـا إذْ بِجَمَـالِ الـوَجْـهِ رَقَّـاكَـا
بَغْـدادُ مِـنْ نُـورِكَ قَـدْ أشْـرَقَـتْ وَأَوْرَقَ العُـودُ بِجَـدْواكَـا

فقال المأمون:

حَيَّـاكَ رَبُّ النَّـاسِ حَيَّـاكَـا إنّ الّـذي أمَّلْـتَ أخْطَـاكَـا
أتَيْـتَ شَخْصـاً قَـدْ خَـلاَ كِيسُـهُ وَلَـوْ حَـوىٰ شَيْئـاً لأعْطَـاكَـا

فقال الشاعر: «الشعر بالشعر حرام يا أمير المؤمنين، فافصل بينهما بِصِلةٍ». فضحك المأمون وأمر له بجائزة سنيّة.

قراقوش وثمن البغل

اشترىٰ ولد قراقوش لنفسه بغلاً بألف درهم، وعرضه عليه، فقال له: هذا غالٍ.

فرآه بعض الموظّفين، فعلم أن غرضه وقع فيه، فدخل معه لأبيه فقال:

ـ يا سيِّدي لأيّ شيء أمرتم بردّ هذا البغل؟

فقال: لأنّه غالٍ بألف درهم.

فقال: يا مولانا اشتريناه بتسعمائة وتسعة وتسعين.

فقال: إن كان هذا فما هو غالٍ.

خير العباد

يروىٰ عن أبي الخطاب عمر بن عامر السعدي المعروف بـ «أبي الأسد»، وقد أنشد موسىٰ الهادي شعراً مدحه به، يقول فيه:

يـا خَيْـرَ مَـنْ عَقَـدَتْ كفّـاهُ حُجْـزَتَـهُ   وَخَيْـرَ مَـنْ قَلَّـدَتْـهُ أمْـرَهـا مُضَـرُ

فقال موسىٰ: إلاّ مَنْ يا بائس؟ فقال واصلاً كلامه:

إلاّ النبـيَّ رَسُـولَ اللّـه إنْ لـه   فَخْـراً، وأنْـتَ بِـذَاكَ الفَخْـرِ تَفْتَخِـرُ

ففطن موسىٰ ومَنْ بحضرته أنّ البيت مُسْتَدْرَكٌ، ونظروا في الصحيفة فلم يجدوه؛ فضاعف صلته.

علي بن الجهم وعشيقته

كتب عليّ بن الجهم إلىٰ قينة كان يتعشّقها قائلاً:

خَفِـي اللّـهَ فِيمَـنْ قَـدْ تَبَلْـتِ فـؤادَهُ   وَتَيَّمْتِـه دَهْـراً كـأنَّ بِـهِ سِحْـرا

دَعِـي الهَجْـرَ لا أَسْمَع به مِنْكِ إنّما   سَألْتُكِ أمْراً لَيْسَ يُعْرِي لَكُمْ ظَهْرا

فَكَتَبَتْ إليه: «صدقت يا أبا الحسن، جعلت فداك! ليس يُعري لنا ظهراً ولكنه يملأ لنا بطناً».

قراقوش والسارق

سُرقت عملة في زمن قراقوش، فقال لأصحاب العملة:

ـ هل لحارتكم باب؟

فقالوا: نعم.

فقال: اذهبوا وَأْتوني به.

ففعلوا وجاؤوا بالباب إليه، فقال:
حدّوه (أقيموا عليه الحدَّ).
فقالوا: يا مولانا هذا خشب لا يعقل.
فقال لهم: افعلوا ما آمركم به.
فمدُّوه وضربوه. ونزل إليه قراقوش، ووضع أذنه عليه، وجعل يوشوشه. فلمّا فرغ قال لهم:
ـ اجمعوا لي أهل الحارة.
فلما حضروا قال لهم:
ـ الباب يخبرني أنّ الذي سرق العملة لصقت برأسه ريشة.
وكان السارق واقفاً مع الناس، فرفع يده إلىٰ رأسه، ورآه قراقوش، فأمر به، ثم ضربه، فأقرّ، وأحضر العملة ودفعها إلىٰ أصحابها.

يشنق البريء

قيل إنّ غلاماً لقراقوش كان يشتغل عنده سائساً، قتل رجلاً، فقال: اشنقوه!
فقيل له: إنّه حدَّادك، وينعل لك الفرس، فإنْ شنقته خسرته، ولم تجد غيره.
فنظر قراقوش ناحية بابه، فوجد رجلاً قفّاصاً فقال:
ـ ليس لنا بهذا القفّاص حاجة.
فلما أتوه به، قال:
ـ اشنقوا القفّاص، واتركوا الحدّاد لينعل لنا الفرس.

قراقوش والكوسج

اشتكىٰ رجلان لقراقوش رجلاً كوسجاً أنّه ضربهما ونتف لحيتيهما. فرآه وهو لا لحية له، وهما كبيرا اللحية، فقال:
ـ بل أنتم نتفتما لحيته.

وأمر بحبسهما حتىٰ تطلع لحيته. فاضطرّ الرجلان إلىٰ أن يصالحاه، فدخل الرجل على قراقوش، وقال:

- تركت أجري على الله، فأطلقهما.

لا يصدِّق الميت!

كان بمصر رجل تاجر. وكان بخيلاً. وكان ولده يقترض عليه (على موته) قدراً معلوماً. فزاد الدين عليه، ولما مات والده، فاتَّفق مع الغرماء أن يدفنوا والده بالحياة.

قال: فدخل هو والمدينون عليه، فحملوه، وغسَّلوه، وكفَّنوه، ووضعوه في النّعش وهو يصيح فلا يُغاث. وجاؤوا حول تابوته ذاكرين، يصيحون حوله. فلمّا وصلوا للصّلاة عليه، اتّفق أن مرّ قراقوش فنزل وصلّىٰ عليه، فلما سمع التاجر ذلك قال:

- الحمد لله. جاءني الفرج.

فجلس في التابوت، وقال: يا مولانا السلطان، خلِّصْ لي حقّي من ولدي، فإنه يريد دفني حياً.

فقال له: كيف تدفن والدك بالحياة.

فقال: كذب عليك يا مولانا، ما غسَّلْتُهُ إلاّ وهو ميّت، وهؤلاء الحاضرون يشهدون بذلك.

فقال للحاضرين: أتشهدون بذلك؟

فقالوا: نشهد بما قال الولد.

فالتفت قراقوش (للميت) وقال:

- هل أصدقّك وحدك، وأكذّبُ هؤلاء الحاضرين.

اندفنْ بلا شفاعة، لئلا تُطمع فينا الموتىٰ، فيرفضون الدفن بعد اليوم.

فحملوه ودفنوه حيّاً في ذمّة قراقوش.

لذلك توجد فيه الرائحة

لقي أبو العتاهية الشاعر الحسن بن هانئ، فقال له:

ـ أنت الذي لا تقول الشعر حتىٰ يؤتىٰ بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك؟

قال: وكيف ينبغي للشعر أن يقال إلاّ على هكذا؟

قال: أنا أقوله على الكنيف.

قال أبو نواس: ولذلك توجد فيه الرائحة الكريهة.

قل هو الله أحد

اجتمع جماعة من الشعراء بينهم أبو نواس، والعبّاس بن الأحنف، والحسين الخليع، ومسلم بن الوليد يقيمون الصلاة، فغلط أحدهم في قراءة **﴿قل هو الله أحد﴾** فقال أبو نواس:

أَكْثَــــرَ يَحْيَـــىٰ غَلَطـــاً   فــي قُــلْ هــو اللَّــهُ أحَــدْ

فقال العباس بن الأحنف:

قَـــامَ يُصَلِّـــي قَـــاعِـــداً   حتّـــىٰ إذا أعْيَـــا قَعَـــدْ

وقال الحسين الخليع:

يَـــزحَـــرُ فـــي مِحْـــرَابِـــهِ   زحِيـــرَ حُبْلَـــىٰ بِـــوَلَـــدْ

وقال مسلم بن الوليد:

كـــأنّمـــا لِسَـــانُـــهُ   شُـــدَّ بِحَبْـــلٍ مـــن مَسَـــدْ

الستور الطويلة والباب الصغير

دُعي قوم إلىٰ مائدة، فجعل المدعوون يأكلون إلاّ واحداً، جعل ينظر إلىٰ الستور التي تغطّي الحيطان، فقيل له:

ـ ما لك لا تأكل؟

فقال: والله، لقد طال تعجّبي من هذه الستور الطويلة، كيف دخلت من هذا الباب الصغير!

حكم غريب

نزل جنديّ في مركب، وكان فيه فلّاح وزوجته، فضربها الجنديّ، فأجهضت، وكانت في سبعة أشهر. فشكا الفلّاحُ الجنديَّ له، فقال له:

ـ خُذْ زوجة الفلّاح عندك، فأَطعمها واسْقها حتىٰ تصير في سبعة أشهر، وأعِدْها إلىٰ زوجها.

فقال الفلّاح: يا مولانا تركتُ أجري على الله.

وأخذ زوجته، وذهب بها.

يحبّ البيض

كان قراقوش رجلاً صقلبيّاً، يميل إلىٰ البيض، ويكره السُّود. واضطرته الظروف في يوم ما إلىٰ الحكم بين امرأة حجازية، وجارية لها تركيّة. وكانت هذه أول مرة يحكم فيها.

قالت الحجازية لقراقوش:

ـ إنّ هذه جاريتي قد أساءت الأدب عليَّ.

فنظر قراقوش إلىٰ بياض الجارية التركية، وسواد الحجازية، وقال للحجازيّة:

ـ ويلك! خلق الله جارية تركية لجارية سوداء حجازيّة؟ ما أنا بأحمق أو مغفّل! يا عثمان ودّوا هذه الحجازيّة الحجرة.

فمكثت الحجازية شهراً، وما لبثت أن عادت إليه تقول:

ـ إنني قد أعتقتها لوجه الله تعالىٰ.

فقال لها قراقوش:

ـ يا سبحان الله! إنها هي التي تعتقك، فإنّك جاريتها، وإن أرادت أن تبيعك فإنها تبيعك، وإن أرادت عتقك فإنها تعتقك، فقالت الحجازية للتركية:

ـ اعملي معي مثل ما عملت معك.

فقالت التركية: وما تريدين مني؟

فقالت الحجازية: اذهبي إلىٰ قراقوش، وقولي له: إنك تعتقيني لوجه الله تعالىٰ.

فذهبت التركية إلىٰ قراقوش وقالت له:

ـ قد أعتقت سيدتي الحجازية لوجه الله تعالىٰ.

فقال قراقوش: جزاك الله خيراً.

وخرجت الحجازية من السجن.

مسألة تتطلّب حلا

قال أبو العشائر الحمداني متغزّلاً:

لِلْعَبْـدِ مَسْـأَلَـةٌ عَلَيْـكَ جَـوَابُهـا ... إنْ كُنْـتَ تَـذْكُـرُهُ فهـذا وَقْتُـهُ

مـا بَـالُ رِيقِـكَ لَيْـسَ مِلْحـاً طَعْمُـهُ ... وَيَـزِيـدُنـي عَطَشـاً إذا مـا ذقتـه

هذا مدير

أرسل أحدهم غلامه إلىٰ قرية ليأتيه منها بغنم، فبعثوا معه من الحملان عشرة، وكتبوا معه بعددها رقعة، فجاء الغلام بتسعة. فقال له سيّده:

ـ كم سلّموك من الغنم؟

قال: عشرة.

قال: هذه تسعة.

قال: عدّها.

فعدّها وهو يقول: واحد، اثنين، ثلاثة... فإذا بها تسعة. فقال الغلام:

ـ والله ما أدري ما تقول، وما هي إلاّ عشرة.

فقال: ويحك إنّي أعدّها.

قال: ما هي إلاّ عشرة وإلاّ فتدخل إلىٰ الدار عشرة رجال، ويمسك كلّ واحد منهم حملاً.

فأدخلوا عشرة رجال، وأمسك كلّ رجل حملاً وبقي واحد، فقال السيّد:

ـ هذا ما معه شيء.

فقال: هذا مدير، كان يدخل ويأخذ في الأوّل.

عاملوهم بالمثل

كان أحد المغفّلين يسكن داراً قرب اصطبل، فقال له أهله:

ـ إنّا نغسل الثياب وننشرها علىٰ السطح، فيطير بعضها إلىٰ الإصطبل فلا يردّونه إلينا!

فقال: وأنتم إذا طار لهم شيء، فلا تردّوه إليهم.

قالوا: أيّ شيء يطير من الإصطبل إلىٰ السطح؟

قال: أي شيء، مثل: لجام، مقود، فرس، وغيره.

الصياد والقمقم

قال الدامغاني، صاحب معزّ الدولة:

ـ كنت في دهليز معز الدولة، فصاح صائح: نصيحة، فاستدعيته، وقلت:

ـ ما نصيحتك؟

قال: لا أذكرها إلاّ للأمير.

فدخلت فعرّفته، فقال: هاته.

فأحضرته بين يديه، فقال: ما عندك؟

قال: أنا رجل صياد بناحية المدائن، وكنت أصيد فعلقت شبكتي بأسفل جرف، فاجتهدت في تخليصها، فتعذّر ذلك عليّ حتىٰ نزلت، وغصت في الماء، فإذا هي معلّقة بعروة حديد، فحفرت فإذا هي قمقم مملوء مالاً، فرددته مكانه، وناديت لأعرّف الأمير.

قال الدامغاني:

فانحدرت معه في الوقت إلىٰ المدائن العتيقة، وقصدنا الجرف، فوجدنا القمقم وقلعناه، وسعيت بنفسي في تتبّع الموضع، فتقدّمت إلىٰ الصياد في استقصاء الحفر، فوجدنا سبعة قماقم أُخر مملوءة مالاً، فحملنا الجميع إلىٰ معزّ الدولة، فسرّ به، فأمر للصياد بعشرة آلاف درهم، فامتنع من قبولها وقال:

ـ الذي أريده غيرها.

قال: وما هو؟

قال: تجعل لي صيد تلك الناحية، وتمنع كلّ أحد غيري من الصيد.

فضحك الأمير وعجب من جهله وحمقه. وأمر له بما سأل.

مبروك

كان قراقوش يرتدي ثوباً جميلاً، كانت زوجته قد طرّزته له. وفي ذلك اليوم كانت الزوجة قد وضعت طفلاً جميلاً. فجاءه أحد التجار وقال له:

ـ مبروك يا سيّدي. إنّه جميل جدّاً (يقصد التهنئة بالمولود الجديد). فظنّ قراقوش أنّ الرجل يهنئه بالثوب الجديد، فقال له:

ـ نعم، ولا دخل لي فيه. إنّ زوجتي ـ كرّمها الله ـ قامت به وحدها... والله لم أساعدها في شيء منه.

موضع إن شاء الله

خرج رجل إلىٰ السوق ليشتري حماراً، فلقيه صديق له، فسأله: إلىٰ أين؟

فأجاب: إلىٰ السوق لأشتري حماراً.

فقال له: قل إن شاء الله.

فقال: ليس هاهنا موضع إن شاء الله، الدراهم في جيبي، والحمار في السوق.

فبينما هو يطلب الحمار سُرقت منه الدراهم، فرجع خائباً، فلقيه صديقه، فقال له: ما صنعت؟

فقال: سرقت الدراهم إن شاء الله.

فقال الصديق: ليس ها هنا موضع إن شاء الله.

ألف خير من خمسمائة

كان عبدان الأسدي أحمق، وكان يأتي ابن بسر فيقول له:

ـ أخمسمئة اليوم أحبّ إليك أم ألف في العام القادم.

فيقول: ألف في العام القادم.

فإذا أتاه في العام القادم قال له: ألف أحبّ إليك أم ألفان في العام القادم؟

فيقول: ألفان في العام القادم.

فلم يزل كذلك حتىٰ مات.

... وأنا على المجوسيّة

حَضَرَ أبو نواس مجلساً فيه قيان، فقلن له:

ـ ليتنا بناتك!

قال: نعم، وأنا على المجوسيّة.

طعام محمود

مرض صديق لأحدهم، فأرسل ابنه إليه ليعوده، فأوصاه قائلاً:

ـ يا بنيّ، إذا دخلت، فاجلس في أرفع المواضع، وَقُلْ للمريض ما تشكو؟ فإذا قال: كذا وكذا، فقل له: سليم إن شاء الله. وقل له: من يجيئك من الأطباء، فإذا قال: فلان، فقل: ميمون. وقل: ما غذاؤك؟ فإذا قال كذا وكذا، فقل: طعام محمود.

فذهب الابن ودخل على العليل، وكان بين يديه منارة، فجلس عليها لارتفاعها، فوقعت على صدر المريض فأوجعته. ثم قال للمريض:

ـ ما تشكو؟

فقال: أشكو علّة الموت.

فقال: سليم إن شاء الله.

ثم قال: فمن يجيئك من الأطباء؟

قال: ملك الموت.

قال: مبارك، ميمون.

ثم قال: فما غذاؤك؟

قال: سمّ الموت.

قال: طعام طيّب محمود.

ثلث القرآن

لقي تاجر تاجراً؛ فقال له: ما اسمك؟

فقال: أبو عبد منزل المطر عليكم من السماء تنزيلاً، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه.

فقال: مرحباً بك يا ثلث القرآن.

قراقوش والشاعر

جاء رجل إلىٰ قراقوش، ومدحه بقصيدة، وأنشدها بصوت جيّد. فقال له قراقوش:

ـ يا مقرئ! لقد قرأت قراءة طيّبة، وأنا أريد أن أطبع هذه القصيدة على ذراعي، فأنت مدحتنا، ونحن دعونا لك، فجزاك الله عنّا خيراً.

فقال الشاعر: وأنت فلا جزاك الله عنّا خيراً.

فقال بهاء الدين قراقوش:

ـ كأني أراك جائعاً. أعطوه مائة إردب قمحاً.

فأخذها الشاعر وانصرف.

ويُشبه هذه النادرة ما رُوي عن والٍ كان بفارس، قيل:

بينما هو يوماً في مجلس، وهو مشغول بحسابه وأمره، وقد احتجب بجهده، إذْ نجم شاعر بين يديه، فأنشده شعراً مدحه فيه، وقرَّظه، ومجّده، فلمّا فرغ قال:

ـ قد أحسنت.

ثم أقبل على كاتبه فقال: أعطه عشرة آلاف درهم.

ففرح الشاعر فرحاً شديداً، فلما رأىٰ حاله قال:

ـ وإني لأرىٰ هذا القول قد وقع منك هذا الموقع؟ اجعلها عشرين ألفَ درهم.

فكاد الشاعرُ يخرجُ من جلده. فلما رأىٰ فرحه تضاعف، قال:

ـ إن فرحك ليتضاعف علىٰ قدر تضاعف القول؟ أعطه يا فلان أربعين ألفاً.

فكاد الفرحُ يقتله.

فلما رجعت إليه نفسه قال له:

ـ أنتَ ـ جُعلتُ فِداك ـ رجل كريم، وأنا أعلم أنك كلما رأيتني قد ازددتُ فرحاً زدتني في الجائزة، وقبول هذا منك لا يكون إلا من قلة الشكر له.

ثم دعا له وخرج.

قال: فأقبلَ عليه كاتبه فقال:

ـ سبحان الله! هذا كان يرضىٰ منك بأربعين درهماً، تأمرُ له بأربعين ألف درهم؟

قال: ويلكَ! وتريد أن تعطيه شيئاً؟

قال: ولِمَ أمرت له بذلك؟

قال: يا أحمق، إنما هذا رجلٌ سرَّنا بكلام، وسررناه بكلام. هو حينَ زعمَ أني أحسنُ من القمر، وأشدّ من الأسد، وأن لساني أقطعُ من السيف، وأن أمري أنفذُ من السِّنان جعلَ في يدي من هذا شيئاً أرجعُ به إلىٰ بيتي؟ نعلمُ أنه قد كذبَ؟ ولكنه قد سرّنا حين كذبَ لنا، فنحن أيضاً نسرُّه بالقول ونأمر له بالجوائز، وإن كان كذباً، فيكون كذبٌ بكذب وقولٌ بقول. فأما أن يكون كذبٌ بصدق وقول بفعل، فهذا هو الخسران المبين الذي سمعت به.

ويروىٰ أنّ بعض الخلفاء كان يحفظ الشعر من مرة. وعنده مملوك يحفظه من

مرتين وجارية من ثلاث مرات. وكان بخيلاً جداً فكان الشاعر إذا أتاه بقصيدة قال له: إن كانت مطروقة بأن يكون أحد منا يحفظها نعلم أنها ليست لك فلا نعطيك لها جائزة. وإن لم نكن نحفظها فنعطيك وزن ما هي فيه مكتوبة. فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من أول مرة ولو كانت ألف بيت. ويقول للشاعر: اسمعها عليّ فإني أحفظها وينشدها بكمالها. ثم يقول: وهذا المملوك أيضاً يحفظها. وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيحفظها ويقرأها. ثم يقول الخليفة: وهذه الجارية التي وراء الستر تحفظها أيضاً وقد سمعتها ثلاث مرات مرة من الشاعر ومرة من الخليفة ومرة من المملوك فتقرأها بحروفها. فيخرج الشاعر صفر اليدين. وكان الأصمعي من جلسائه وندمائه. فنظم أبياتاً مستعصية ونقشها في أسطوانة ولفها في ملاءة وجعلها على ظهر بعير. ولبس جوخة بدوية مفرجة من وراء ومن قدام. وضرب له لثاماً لم يبِنْ منه غير عينيه وجاء إلىٰ الخليفة وقال: إني امتدحت أمير المؤمنين بقصيدة فقال: يا أخا العرب إن كان لغيرك فلا نعطيك لها جائزة. وإن كانت لك نعطيك زنة ما هي مكتوبة فيه. قال: قد رضيت وأنشد:

صـــــوت صفيـــــر البلبـــــل ... هيـــــج قلـــــب الثمـــــل
المـــــاء والـــــزهـــــر معـــــاً ... مـــــع حســـــن لحـــــظ المقـــــل
وأنـــــت حقـــــاً سيـــــدي ... وســـــؤددي ومـــــوللـــــي
وطـــــاب لـــــي نـــــوح الحمـــــا ... م قـــــوقـــــو بـــــالـــــزجـــــل
قـــــد فـــــاح مـــــن لحظـــــاتهـــــا ... عبيـــــر ورد الخجـــــل
وقلـــــت وصـــــوص وصـــــوص ... فجـــــاء صـــــوت مـــــن عـــــل
وقـــــال لا لا لا لـــــلا ... وقـــــد غـــــدا مهـــــرولـــــي
وفتيـــــة يسقـــــونـنـــــي ... قهيـــــوة كـــــالعســـــل
شممتهـــــا فـــــي انففـــــي ... أذكـــــىٰ مـــــن القـــــرنفـــــل
فـــــي بستـــــان حســـــن ... بـــــالـــــزهـــــر والســـــرولـــــل
والعـــــود دنـــــدن دنـــــدن ... والطبـــــل طبطبطـــــب لـــــي
والـــــرقـــــص أرطـــــب طبطـــــب ... والمـــــاء شقشقشـــــق لـــــي
شـــــووا شـــــووا شـــــووا ... علـــــى وريـــــق السفـــــرجـــــل

وغـــــرد القمـــــري يصــــح   مـــــن ملـــــل مـــــن مللــــي
فلـــــو تـــــرانـــــي راكبـــــاً   علــــــى حمـــــار أعـــــزل
أمشـــــي علـــــى ثـــــلاثـــــة   كمشيــــــة العـــــرنجلـــــي
والنـــــاس قـــــد تـــــرجمنـــــي   فـــي الســـوق بـــالبقلـــل
والكـــــل كـــــع كـــــع ككـــــع   خلفـــي ومـــن حـــويللـــي
وقـــــد مشيـــــت هـــــاربـــــاً   مـــن خشيـــة فـــي عقللـــي
إلـــــىٰ لقـــــاء ملـــــك   معظـــــم مبجـــــل
يـــــأمـــــر لـــــي بخلعـــــة   حمـــراء كـــالـــدملمـــل
أجـــــر فيهـــــا مـــــأربـــــاً   ببغـــداد كـــالـــدلـــدل

قال: فلما فرغ من إنشادها بهت فيها ولم يحفظها الخليفة لصعوبتها. ثم نظر إلىٰ المملوك فأشار إليه أنه ما حفظ منها شيئاً. وفهم من الجارية أنها ما حفظت منها شيئاً. فقال الخليفة: يا أخا العرب إنك صادق وهي لك بلا شك فإني ما سمعتها قبل ذلك. فهات الرقعة التي هي مكتوبة فيها حتىٰ نعطيك وزنها. فقال: يا مولاي إني لم أجد ورقاً أكتب فيه. وكان عندي قطعة عمود رخام من عهد أبي وهي ملقاة في الدار ليس لي بها حاجة فنقشتها فيها. ولم يسع الخليفة إلا أن أعطاه زنتها ذهباً. فنفد جميع ما في خزانة الملك من المال فأخذ الأصمعي ذلك وانصرف. فلما ولىٰ قال: يغلب على ظني أن هذا الأعرابي هو الأصمعي. فأحضره وكشف عن وجهه فإذا هو الأصمعي. فتعجب من صنيعه ورجع عما كان يعامل به الشعراء وأجراهم على عوائد الملوك.

حلّ غريب

سرق لأحد التجار خرجاً مليئاً بالدراهم. فقدّم الدعوىٰ إلىٰ قراقوش. فوضع قراقوش حماره في أحد الخيام ودهن ذنبه بشيء له رائحة، وأمر بجميع الموجودين معه أن يدخل كلّ واحد منهم إلىٰ خيمة الحمار على حدة، ويشدّ ذنبه زاعماً أنّه عندما ينهق الحمار يكون معه السارق. ولما انتهوا من العملية أخذ قراقوش يشم رائحة أيديهم حتىٰ وصل إلىٰ الشخص الذي ليس ليده رائحة. فحكم عليه.

لا تفارقني

خرج أحد المغفّلين من منزله، ومعه صبيّ يرتدي قميصاً أحمر، فحمله على عاتقه، ثم نسبه، فجعل يقول لمن يراه:

ـ هل رأيت صبيّاً يرتدي قميصاً أحمر؟

فقال له أحدهم: لعلّه الذي على عاتقك؟!

فرفع رأسه ولطم الصبيّ، وقال له: يا خبيث، ألم أقل لك إذا كنت معي فلا تفارقني!

لا تبخل بهذا الوجه على جنّهم

دخل أبو نواس إلىٰ المسجد، فرأىٰ رجلاً قبيح المنظر، يصلّي ويبتهل بخشوع وحرارة، ويستغفر الله عمّا اقترفه من ذنوب. فرفع أبو نواس يديه إلىٰ السماء، ونادىٰ ربّه قائلاً:

ـ اللّهُمّ، يا من يراني ولا أراه، بحقّك يا مولاي، لا تبخل بهذا الوجه على جهنّم.

فضحك من كان في المسجد، وانصرف الرجل القبيح خجلاً.

أَحْسَنَ الله عزاءكم

دخلت عجوز على قوم تعزيهم بميت، فرأت في الدار مريضاً، ولمّا همّت بالانصراف قالت:

ـ أنا والله يشقّ عليّ المشي، وأحسن الله عزاءكم في هذا المريض أيضاً.

نظافة

سأل قراقوش بائع اللبن:

ـ كيف تخلط اللبن بالماء يا رجل؟

فقال الرجل: معاذ الله يا سيّدي، أنا أغسله فقط.

من أجمل الظرف

تناظر في الإيلاء كلّ من ابن داود الظاهري، وابن سُرَيْج، في مجلس ابن الجرّاح، فقال ابن سُرَيْج: أنت بقولك: مَنْ كثُرت لحظاته دامت حسراته، أبصر منك بالكلام في الإيلاء. فقال أبو بكر: لئن قلتَ ذلك فإني أقول:

أُنَـزِّهُ فـي رَوْضِ المحـاسِـنِ مُقْلَتِـي ... وَأَمْنَـعُ نَفْسِـي أنْ تَنَـالَ مُحَـرَّمـا

وأحْمِلُ مِـنْ ثِقْـلِ الهَـوَىٰ ما لَـوَ انّـهُ ... يُصَـبُّ على الصَّخْـرِ الأَصَـمِّ تَهَـدَّما

وَيَنْطِقُ طَرْفي عَنْ مُتَرْجَمِ خَاطِري ... فلـولا ٱخْتِـلاسـي رَدَّهُ لَتَكَلَّمـا

رأيتُ الهَوَىٰ دَعْوَىٰ من الناس كلّهم ... فمـا إنْ أرَىٰ حُبّـاً صحيحـاً مُسَلَّمـا

فقال ابن سُرَيْج: وَبِمَ تَفْتخر عليّ ولو شئتُ أنا لقلت:

وَمُسَـاهِـرٍ بـالغَنْـجِ مِـنْ لَحَظَـاتِـهِ ... قَـدْ بِـتُّ أَمْنَعُـهُ لَـذِيـذَ سَنَـاتِـه

ضنّـاً بِحُسْـنِ حَـدِيثِـهِ وَعِتَـابِـهِ ... وأُكَـرِّرُ اللَّحظـات فـي وَجَنَـاتِـهِ

فقال أبو بكر: يحفظ الوزير عليه ذلك حتّىٰ يقيم شاهدَيْ عَدْلٍ أنّه ولّىٰ بخاتم ربّه. فقال ابن سُرَيح: يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك:

«أُنزّهُ في رَوْض المحاسِنِ مقلتي...».

فضحك الوزير، وقال: لقد جمعتما ظرفاً ولطفاً وفهماً وعلماً.

أعوذ بالله

سأل قراقوش أحد أصدقائه:

ـ يا صديقي، عندنا ألقاب كثيرة مثل: الموفّق بالله. والمعتصم بالله، والمتوكّل على الله... فبماذا تلقّبني من هذه الألقاب؟

فردّ الصديق عليه قائلاً:

ـ بصراحة، وبما أنّك أخذت رأيي، فإنّي أسمّيك «أعوذ بالله»، وليكن ما يكون.

انتقام شنيع

وصف شاعر نفسه بعد أن أصبح جزّاراً، فقال:

كَيْـفَ لا أمْـدَحُ الجَـزَارَةَ مـا عِشْـ   ـتُ حِفَـاظـاً وَأَهْجـرُ الآدَابَـا

وَبِهَـا صَـارَتِ الكِـلاَبُ تُـرَجّيـ   ـنِي وبـالشِّعْـرِ كُنْـتُ أرْجُـو الكِـلابَـا

أبو دلامة والطبيب

قيل: إنّ أبا دلامة استأجر طبيباً ليعالج ابناً له مقابل مبلغ من المال ينقده إيّاه بعد انتهاء المعالجة. ولمّا داواه قال للطبيب: «إنّه ليس عندي ما أعطيك، ولكنِ ٱذهبْ وٱدَّعِ بهذا المبلغ على مَنْ شئت!» وقيل: إنّه قال له ٱدَّعِ على فلان اليهودي، وأنا وابني نَشهد لك». فٱدّعىٰ الطبيب على اليهودي، فجاء أبو دلامة وابنه يشهدان له عند القاضي ابن أبي ليلىٰ أو ابن أبي شُبْرُمَة. فلمّا علم أبو دلامة أنّ القاضي لا يجيز شهادتهما أنشد بحيث يسمعه القاضي:

إنِ النَّـاسُ غَطَّـوْنِـي تَغَطَّيْـتُ عَنْهُـمُ   وإنْ بَحَثُـوا عَنِّـي فَفِيهِـمْ مَبَـاحِـثُ

فلّما سمع القاضي ذلك حكم بشهادتهما خوفاً مِنْ أذاه، وغرّم ذلك المبلغ للمحكوم عليه.

لو رأيت ثوابهما في ميزانك

دخل أحدهم على أبي زيد عندما فقد بصره، والناس يعزّونه، فقال الرجل:

ـ يا أبا زيد، لا يسوءَنَّك ذهابهما، فإنّك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنّيت أنّ الله قطع يديك ورجليك ودقّ ظهرك.

الجاحظ وصاحب اللحية الطويلة

روىٰ الجاحظ أنّه كان ماراً في الطريق، فالتقىٰ برجل قصير سمين يمشّط لحيته الطويلة، فدنا منه وقال له: لقد قلتُ فيك [illegible]اً، فهل تسمعه؟ فقال الرجل: «هاتِ ما عندك!».

فقال الجاحظ:

كـأنَّـكَ صَعْـوَةٌ فـي أصْـلِ حَـشٍّ   أصَـابَ الحـشَّ طَـشٌّ بَعْـدَ رَشِّ!

فقال الرجل للجاحظ: وأنا أيضاً قلت فيك شعراً، فهل تسمعه؟ قال الجاحظ: «هات».

فقال الرجل:

كـأنّـك بَعْـرَةٌ فـي إسْـتِ كَبْـشٍ   مُـدَلاّةٌ وَذَاكَ الكَبْـشُ يَمْشِـي!

قراقوش وملكيّة الدار

حكي أن قراقوش جاءه شيخ وصبي أمرد، كل منهما يقول:

ـ يا مولاي، هذه الدار داري!

وعند ذلك نظر قراقوش إلىٰ الصبي وقال:

ـ معك كتاب يشهد لك؟

قال: لا.

قال الأمير بهاء الدين: فالدار إذن للشيخ الكبير.

يا صبي: ادفع له داره، وإذا صرت في عمر هذا الشيخ الكبير دفع لك هذه الدار.

أقبح من هجري إفلاسك

مرّت جارية القاسم بن الرشيد أمام أبي نواس، وفي يدها نرجس، فغازلها فلم تكلّمه، فقال:

ـ ما أقبح الهجر بك يا سيّدتي!

فقالت له: أقبح من هجري إفلاسك.

فأنشأ يقول:

قُلْـتُ لهـا يَـوْمـاً، وَمَـرَتْ بِنَـا   رَعْبُـوبَـةٌ فـي كَفِّهـا نَـرْجِـسُ

مـا أقبـح الهجـر! فَقَـالَـتْ لَنَـا: أقْبَـحُ مِنْـهُ عـاشِـقٌ مُفْلِـسُ

صدقت

سأل قراقوش المتهَم عن ثقافته:

ـ ماذا تعرف عن الفتوحات الإسلامية؟

فقال الرجل: يا سيدي، تسألني عن أحداث جرت قبل ولادتي بأعوام، فكيف أعرفها؟

فقال قراقوش: صدقت يا رجل. براءة.

أصحىٰ من أبي حنيفة

كان محمد الأمين إذا سكر يعربد، فاتّفق مرّة أن اصطبح مع ندمائه وأبو نواس معهم؛ ولمّا غلب على محمد السكر قال لكوثر، أحد خدمه:

ـ جئني برأس أبي نواس.

فأخذه كوثر، فقال له: قد أُمرت بقتلك، ولا بدّ من إمضاء الأمر فيك.

فقال أبو نواس: أنا والله أصحىٰ من أبي حنيفة، والرجل سكران، وليس يحبّ قتلي، ولكنّه مغلوب من السكر.

فقال له: وما يدريك؟ لا بدّ من إنفاذ أمره!

فقال أبو نواس: أغلق عليّ أيّ المجالس شئت، وأقفلها، وأنا فيها حتىٰ يصبح.

ففعل بعد أن استوثق منه. ولمّا نهض محمد من سكره، وأصبح، قال له:

ـ أين أبو نواس؟

فقال له كوثر: قتلته يا سيدي البارحة بأمرك.

فزجر كوثراً، وصاح به قائلاً:

ـ والله لئِن كنت قتلته لأقتلنّك به.

فأتىٰ كوثر ففتح عليه وأخرجه، ولمّا دخل عليه جعل يضاحكه ويلاعبه، ويقول له:

ـ أنت ساحر، أنت شيطان.

ثم قال لكوثر: دعني وإياه يابن الفاعلة والله لأفعلنّ به ولأصنعنّ.

فلما نظر إليه قال له أبو نواس:

نَديمي غَيْرُ مَنْسُوبِ إلىٰ شيءٍ مِنَ الحَيْفِ
سقاني ثمّ حَيّاني كَفِعْلِ الضَّيْفِ لِلضَّيْفِ
فلمّا دارتِ الخَمْرُ دعا بالنَّطْعِ والسَّيْفِ
كذا مَنْ يشربُ الماءَ مع التنّينِ في الصَّيْفِ

براءة

وقفت الزوجة العجوز الدميمة تشكو زوجها الذي ضربها، فقال له قراقوش:

ـ كيف تضرب يا رجل هذا الرجل العجوز؟

فقال الزوج: عفواً يا سيدي إنّها امرأتي وليست برجل!

فردّ قراقوش: أتكذّبني يا رجل.. فوالله لو كانت هذه زوجتك حقاً لحكمتُ ببراءتك.

لأجلها كان الحجّ

قال الجمّاز:

ـ حججنا في السنة التي حجّ فيها أبو نواس، فكنت أراه خلف امرأة ولم أدر مَن هي. ثمّ صرت إلىٰ الحجر الأسود، فإذا بالمرأة تلثمه، وأبو نواس لثمه معها حتىٰ ألصق خدّه بخدّها، فقلت: هذا أفسق الناس. ثم تفطّنت فإذا هي جنان. فلمّا انصرفنا لقيته، فقلت له:

ـ ويحك! في هذا الموضع لا يزجرك زاجر. ولا يمنعك خوف الله عزّ وجلّ، ولا يردّك حياء من الناس؟

فقال: يا أحمق! لم أتكبّد هذه المشقّة إلاّ للذي حججت له، وإليه قصدت.

ليتك ذكرت صدره

عاد رجل مريضاً، فقال له:

ـ ما علّتك؟

قال: داء الركبتين.

قال: والله لقد قال جرير بيتاً من الشعر ذهب منّي صدره وبقي عجزه، وهو قوله:

«وليس لداء الركبتين طبيب».

فقال المريض: لا بشّرك الله بالخير، ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه.

تتعوّد منذ صغرك

كان صبيّ واقفاً عند شقّ حائط، ومعه خبز، يكسر اللقمة ويضعها في الشقّ ثم يأكلها؛ فرآه أبوه، فسأله: ماذا تصنع؟

أجاب: يا أبت، هؤلاء قد طبخوا، فيأتي النسيم بريحه فآكله بخبزي.

فلطمه أبوه وقال: تتعوّد من صغرك أن لا تأكل خبزاً إلاّ بأدام!!

أمصّ الثلج وارمي بتفله

دخل طبيب على أحد المرضىٰ المغفّلين، فسأله عن حاله، فقال:

ـ اشتهيت الثلج.

فقال الطبيب: الثلج يزيد في رطوبتك، فينقص من قوّتك.

فقال: أنا أمصّه، وأرمي بِتَفْلِهِ.

اللِّجام لي

أُجري سباق خيل، ففاز أحدها، فجعل رجل يثب من الفرح، ويكبّر، فقال له رجل كان إلىٰ جانبه:

ـ هل الفرس لك؟

قال: لا، ولكن اللجام لي.

أيّام البراغيث

كان لأحدهم بنت حسناء، فقيل له: كم عمر بنتك؟

فقال: والله ما أدري ولكنّها ولدت أيّام البراغيث.

أكبر من أبيه يوم مات

دخل أحدهم على شيخ يحتضر، فقال له:

ـ يا أبا فلان، ابن كم أنت؟

قال: أنا ابن تسعين.

قال: أنت إذن أكبر من أبيك يوم مات.

اللَّه سَتَر

نشر قراقوش يوماً قميصَه بعد غسله، فوقع القميص من على الحبل، فلمّا بلغه ذلك تصدَّق بألف درهم، وقال:

ـ الله سَتَر، فلو كنتُ لابساً هذا القميص، ووقَع، لتكسَّرت عظامي.

قراقوش وبازه

حكي أن قراقوش كان له باز يعتزّ به، ويعنىٰ بتربيته، فطار الباز يوماً من عنده.

وبلغ ذلك الأمر قراقوش، فقال:

ـ أقفلوا باب النصر، وأقفلوا باب زويلة (وهما من أبواب القاهرة قديماً) حتىٰ لا يجد الباز له موضعاً يطير منه، فيعود إليّ.

مجنون

شكا زوج زوجته، أمام قراقوش. فسأله قراقوش:

ـ لنفرض أنّ زوجتك هذه توفّيت ماذا كنت تفعل؟

فأجاب الزوج:

ـ كنت أجنّ من الحزن.

فقال قراقوش: ولكن ألا تتزوّج مرّة ثانية؟

فقال الزوج: ما دمت سأجنّ فمن الضروري الزواج.

فردّ قراقوش: إذن أنت مجنون الآن وعليك البقاء في السجن حتىٰ تشفىٰ من جنونك.

قراقوش يتصدّق بالكفن، ولكن متىٰ؟

كان قراقوش في كل سنة يتصدّق بمال جزيل. فلمّا انتهت الصدقة، قصدته امرأة، وقالت له: إنّ زوجها مات، ولا كفن له. فقال:

أمّا الصدقة لهذه السنة ففرغت. ولكن إذا كانت السنة الآتية فتعالي لنأمر لك بكفن إن شاء الله تعالىٰ. فتوجّهت تتعجّب من قوله.

قراقوش والقاضي

بات قراقوش ليلة عند قاضي المطرية، فأخرج له خبزاً يسمّىٰ (القراقيش)، وشيئاً من الزيتون. فقال له قراقوش:

ـ إن كان في غداة غدٍ فتعال إلينا.

فلمّا أصبح القاضي ركب مهرة له، وأتىٰ إلىٰ قراقوش يسلّم عليه، فأبصر حصانُ قراقوش مهرة القاضي فشبَّ عليها. وغضب قراقوش، فأمر أن يوضع القاضي في الحبس سنة كاملة. ثم أخرجه، وجعله يعمل في المكان الذي يُجمع فيه محصول السلطان من الغلال. فمكث القاضي سنة في أطيب عيش. ثم جاء إلىٰ

قراقوش وقت الغلة، وجمع المحصول. فقال له قراقوش:

ـ ما هذا؟ خلطتَ القمح والشعير والفول والحمص في صحيفة واحدة.

يا غلمان احبسوه.

فمكث القاضي سنةً في السجن، حتىٰ دخل السجن رجل نصراني علّمه كيف يتخلص من سجنه. فكتب (القمح) على صحيفة وحده، وأرسلها إلىٰ قراقوش، وبعد شهر كتب (الشعير) وحده في صحيفة ثانية، وبعث بها إلىٰ الأمير، وبعد شهر كتب (الفول) وحده في صحيفة ثالثة، وبعد شهر كتب (الحمص) وحده في صحيفة رابعة.

فلمّا وصلت الصحائف كلّها إلىٰ قراقوش قال:

ـ لقد تعبتَ يا فقيه، فصلتَ هذا عن هذا، ونقَّيْتَ ذلك من ذاك. يا غلمان زفُّوه في المدينة.

فزفه الغلمان في المدينة. فحلف القاضي ألا يخدم قراقوش منذ ذلك اليوم.

هذا قولكم

قال أبو نواس:

ـ كنت بقطربّل، فأشرفت على خراب، فإذا شيخ سكران قد قضىٰ حاجته، وفرغ، وأخذ برازاً يابساً، وراح يأكله، فقلت:

ـ ما هذا الذي تعمل يا شيخ؟

فقال: يا خـ. . . ، هذا من قولكم: «وأُخرىٰ تداويت منها بها».

حمّىٰ تزول بالعرق

ذهب أبو نواس لعيادة صديق بخيل له. ولمّا دخل وجد عنده الطبيب يداويه من حمّىٰ كانت قد أصابته.

قال الطبيب: هذا المريض لا يبرأ من هذه الحمّىٰ إلاّ إذا عرق عرقاً شديداً.

فقال أبو نواس: الأمر سهل للغاية، فإذا أردتم أن يشفىٰ صاحبكم بسرعة،

كلوا بين يديه طعاماً من بيته، فيعرق عرقاً شديداً، وتزول الحمّىٰ فضحكوا ضحكاً شديداً.

حُميَّا الصلاة

قال أبو السفاح لأبي نواس: الصلاة!

فقال: رويداً حتىٰ تذهب حُمَيَّاها!

فقال أبو السفاح: وما حُمَيّاها؟

فقال: الركعتان الأوليان لأنّهما أطول.

النواسيّ الخبيث

خرج هارون الرشيد يوماً إلىٰ الصيد، وكان معه حاشيته ونوّابه، وكان معهم أبو نواس. فلما وصل الموكب إلىٰ البرّية نصب الخدم للخليفة صيوانه الكبير في بقعة من الأرض كأنّها بقعة من بقاع الجنّة. ثم ذهب كلّ منهم إلىٰ عمله، وبقي في الصيوان خادم الخليفة، وطاهي طعامه، وكان يدعىٰ فرحات.

ولما انتصف النهار أحسّ أبو نواس بجوع شديد، فأقبل على فرحات وقال له:

ـ أطعمني الآن، لأنّني جعت جوعاً شديداً. .

فقال فرحات: لا أُطعم أحداً حتىٰ يعود أمير المؤمنين.

فقال أبو نواس: يجب أن تطعمني لأنني لا أستطيع الانتظار طويلاً.

فنهره الخادم بقوله: قلت لك إنّني لا أطعم أحداً قبل أمير المؤمنين!!

فقال أبو نواس: تأكّد بأنّك إذا لم تطعمني لأكيدنّ لك كيداً.

فقال الخادم: افعل ما بدا لك!

فتركه أبو نواس، وقد أضمر له الشرّ. وكان بالقرب من الصيوان بعض الأعراب الرحّل، فذهب إليهم وقال لهم:

ـ ألا تشترون منّي غلاماً عربيّاً، إذا قال لكم: «أنا حرّ» فلا تصدّقوه، وإذا كنتم ستتركونه إذا قال لكم ذلك فأخبروني كي لا أبيعه لكم، وأبحث عن غيركم.

فقالوا له: لا نصدّقه، ونشتريه منك على عيبه بهذه الناقة.

فقال أبو نواس: قبلت الثمن. بارك الله فيكم.

فساق أبو نواس الناقة أمامه، والقوم خلفه، حتىٰ وصلوا إلىٰ فرحات، فأشار لهم عليه، وكان واقفاً أمام المرجل يهيّئ الطعام لأمير المؤمنين.

ولما اقتربوا منه، قال لهم أبو نواس:

ـ ها هو، أمسكوه.

فتقدّموا منه وأمسكوه، ثم قالوا له:

ـ يجب أن ترافقنا أيّها المبارك، فقد باعك مولاك.

فصاح بهم فرحات: ويلكم أنا حرّ، وهذا رجل منافق كذّاب.

فقال له رئيسهم: ويحك يا رديء الطبع. إنّ ما تقوله لنا الآن قد حذّرنا منه مولاك قبل أن نشتريك. فإن كنت لا تذهب معنا بطوع إرادتك ضربناك بالسوط، وأخذناك قسراً.

فأبىٰ فرحات الرضوخ لأوامرهم، فجعل أحدهم الحبل في عنقه، وربطوه كما تربط الدابة، وجرّوه بعنف، وهو يصرخ ويستغيث، ويقول لهم:

ـ اتركوني إنّ هذا الخبيث الذي باعني لكم كذّاب.

وبعد صراخ عنيف، وجدال طويل، أطلّ أمير المؤمنين من بعيد، فأخذ فرحات يستنجده. ولما سمع الخليفة طلب النجدة، سأل عن الخبر فقيل له:

ـ إنّ أبا نواس قد باع فرحات لهؤلاء القوم.

فضحك الخليفة حتى كاد يسقط عن جواده، وقال:

ـ لا بارك الله فيك يا أبا نواس!

ولما وصل إلىٰ القوم قال لهم:

ـ اتركوا هذا الغلام، وخذوا ناقتكم وفوقها ألف درهم. إنّه حرّ لا يباع. وكلّنا نشهد بذلك.

فأخذ العرب الناقة والدراهم وانصرفوا، وبقي فرحات على الأرض منهوك القوى، وأبو نواس بقربه يضحك.

ولما عاد الخليفة إلى بغداد طلب أبا نواس، وقال له:

ـ ما الذي حملك على أن تفعل بفرحات هكذا؟

فوقف أبو نواس بخضوع أمام الخليفة وقال:

ـ الجوع يا أمير المؤمنين، وقد أقسمت أن أنتقم منه إن لم يطعمني، فبالله عليك سله هل اغتاظ أم لا.

فقال الرشيد: وإذا كان غير مغتاظ منك، ولا هو حانق عليك، ماذا تعمل به؟

أجاب: أصنع معه أكثر مما صنعت، وأقسم برأس أمير المؤمنين على ذلك، ولا أحنث بهذا القسم أبداً.

فقال فرحات: عفواً يا أمير المؤمنين، احمني منه، إنّه رجل شرّير وخبيث، لا يعرف الواجب، ولا يقدّر العواقب.

فضحك الخليفة منهما، وأنعم على كلّ منهما بجائزة وصرفهما بعد أن أصلح بينهما.

أمشي فأربح حماراً

كان أحدهم يسوق عشرة حمير، فركب واحداً منها، ثمّ عدّها، فوجدها تسعة، فنزل ثم عدّها فوجدها عشرة، فقال:

ـ أمشي وأربح حماراً خير من أن أركب وأخسر حماراً.

فمشىٰ حتىٰ كاد يتلف.

لا تُبالِ

استعرض رجل جارية، فاستقبح قدميها فقالت:

ـ لا تُبالِ، فإنّي أجعلهما وراء ظهرك.

وبقيتْ لي تسعة

غصب أحدهم رجلاً مالاً وتصدّق به، فقيل له:

ـ لمَ فعلت ذلك؟

قال: أخذي إيّاه سيّئة، وصدقتي به عشر حسنات، فمضت واحدة وبقيت لي تسع.

لست من هذا البلد

سأل أحدهم رجلاً:

ـ إيش اليوم؟

فأجاب: والله ما أدري، فإنّي لست من هذا البلد!

من نوادر شعراء العصر الجاهلي

طلبت امرأة كِنْديَّة (من بني كندة) إلىٰ الشاعر الجاهلي الفارس عنترة بن شدّاد أن يُقيم معها في ديار قومها، واعِدَةً إيّاه بتزويجه من يريد من بناتها، وكان عنترة هائماً بحبّ ابنة عمّه عبلة، فأنشد:

لَوْ كانَ قَلْبي مَعِي ما اخْتَرتُ غَيْرَكُمُ ولا رَضِيْتُ سواكُمْ، في الهوى بدلا

لكنَّهُ راغِبٌ فِيْمَنْ يُعَذِّبُهُ ولَيْسَ يَقْبَلُ لا لَوْماً ولا عذَلا

حياة العاشقين

سمع سليمان بن عبد الملك نصيباً يبكي ويقول متمثّلاً بكلام المجنون:

فيا رَبِّ سَوِّ الحُبَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا يَكُونُ كفافاً لا عَلَيَّ وَلاَ لِيَا...

فاستحضره، فقال له: ما هذه التي قضاها لغيرك وابتلاك بحبّها، أوَ عاشق أنت؟ قال: أي واللّهِ جعلت فداك من العشق. فقال: لمن؟ قال: لجارية في كنانة علقتها فمُنِعْت منها لقلّة حسبي وحقارة نسبي عند العرب؛ فكنت أجلس في ممرّها لأخالسها النظر وفي ذلك أقول:

جَلَسْتُ لها كيما تَمُرَّ لعلّني أُخَالِسُها التَّسْلِيمَ إنْ لَم تُسلِّمِ

فلمّا رأتني والوشاةَ تَحَدَّرَتْ مَدَامِعُها خوفاً ولم تَتَكَلَّمِ

مَسَاكِينُ أهْلُ العِشْقِ ما كنت أشتري حَياة جَميعِ العاشقين بِدِرْهَمِ

ما أحسن الحديث من أوّله

جاءت امرأة إلىٰ القاضي، وذكرت أن زوجها طلّقها، فقال القاضي:

ـ ألك بيّنة؟

قالت: نعم، جار لنا.

فأحضرته، فقال القاضي: أسمعتَ طلاق هذه المرأة.

قال: يا سيدي خرجت إلىٰ السوق، فاشتريت لحماً وخبزاً ودبساً...

فقال القاضي: ما سألتك عن هذا، هل سمعت طلاق هذه المرأة؟

قال: ثم تركتُه في البيت، وعدتُ فاشتريت حطباً وخلاًّ.

فقال: دع عنك هذا.

فقال: ما أحسن الحديث من أوّله.

ثم قال: جلت في الدار فسمعت صراخهم وسمعت الطلاق الثلاث فما أدري أهي طلّقته أم هو طلّقها.

من نصيب إلىٰ سُعدىٰ

سأل ابن عتيق نصيباً إذا كان يريد شيئاً من سُعدىٰ. فقال: نعم، ٱحْمِلْ لها هذين البيتين من الشعر:

أتَصْبِرُ عَنْ سُعْدَىٰ وأنْتَ صَبُورُ ... وأنْتَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرُ

وكِدْتُ ولَمْ أُخْلقْ مِنَ الطَّيْرِ إنْ بَدَا ... سَنَا بارِقٍ نَحْوَ الحِجَازِ أطيرُ

اغسِلْهُ

أغمي على رجل، فصاحت النسوة، واجتمع الجيران، فبعث أخو المغمىٰ عليه إلىٰ غاسل الموتى؛ فجاء هذا الرجل، فوجد أنّه ما زال حيّاً، فقال أخوه للغاسل:

ـ اغْسله، فإنّك لا تفرغ من غسله حتىٰ يموت.

لطائف في اللحية!

كانت اللحية، بالرغم أنّها ليست عاهة، مدعاة للضحك. قال هشام بن عبد الملك: يُعرف حمق الرجل بأربعة: بطول لحيته، وبشاعة كُنْيته، ونقش خاتمه، وإفراط شهوته. فدخل عليه، ذات يوم، شيخ طويل اللحية. فقال هشام: أمّا هذا فقد جاء بواحدة، فانظروا أين هو من الثلاث. فقيل له: ما كنيتك؟ فقال: أبو الياقوت. قالوا: وما نقش خاتمك؟ قال: «جاؤوا على قميصه بدم كذب»، وفي رواية أُخرىٰ: «وتفقد الطير فقال: ما لي لا أرىٰ الهدهد» فقيل له: أيّ الطعام تشتهي؟ فقال: جلنجبين وفي رواية أُخرىٰ مصاصة.

قال الشاعر:

يـا لِحْيَـةً طَـالَـتْ عَلَـىٰ نـولِهَـا ... كـأنَّهـا لِحْيَـةُ جِبْـرِيـلِ
لـو كـان مـا يَقْطـرُ مِـنْ دِهْنِهـا ... لَيْـلاً لَـوَفَّـىٰ أَلْـفَ قِنْـديـلِ
وَلَـوْ تَـرَاهَـا وَهْـيَ قَـدْ سُـرِّحَـتْ ... حَسِبْتَهـا بَنْـداً علـى الفِيـلِ

وقال شاعر آخر:

مِـنْ غَضَـبِ الـرَّبِّ علـى العَبْـدِ ... إنْبَـاتُـهُ اللِّحْيَـةَ فـي الخَـدِّ
لـو كـان يـرضـىٰ ربّنـا فـي اللّحَـىٰ ... مـا خَلَـقَ الجَنَّـةَ لِلْمُـرْدِ

وقال آخر:

إذا عَـرُضَـتْ لِلْفَتَـىٰ لِحْيَتُـهُ ... وَطَـالَـتْ فَصَـارَتْ إلـىٰ سُـرَّتِـهِ
فَنُقْصَـانُ الفَتَـىٰ عِنْـدَنـا ... بِمِقْـدَارِ مـا زادَ فـي لِحْيَتِـهِ

سكينة وعروة بن أذينة

التقت سُكيْنة بنت الحسين بن علي (ع) بعُرْوَة بن أُذَينة، فقالت له: أنت القائل:

إذا وَجَـدْتُ أُوارَ الحـبّ فـي كبـدي ... أقْبَلْـتُ نحـو سِقـاءِ المَـاءِ أبْتَـرِدُ
هَبْنـي بَـرَدْتُ بِبَـرْدِ المَـاءِ ظَـاهِـرَهُ ... فَمَـنْ لنـارٍ علـى الأحْشـاءِ تَتَّقِـدُ

فقال لها: نعم. فقالت: وأنت القائل:

قَـالَـتْ وَأَبْثَثْتُهَـا سِـرّي فَبُحْـتُ بـه قد كُنْتَ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فَٱسْتَتِرِ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لها غَطَّىٰ هَـوَاكِ وما أَلقَىٰ على بَصَـرِي

فقال نعم، فَٱلتَفَتَتْ إلىٰ جَوَارٍ كُنَّ حَوْلَها وقالت: هُنَّ حرائر إن كان خَرَجَ هذا من قلب سليم!

عبد الملك والشعراء

اجتمع جرير، والفرزدق، والأخطل في مجلس عبد الملك. فأحضر كيساً فيه خمسمئة دينار، وقال لهم: ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه فأيكم غلب فله الكيس.

فقال الفرزدق:

أنــا القَطِـرانُ والشُّعَـراءُ جَـرْبـىٰ وفــي القَطِـرانِ لِلْجَـرْبَـىٰ شِفَـاءُ

فقال الأخطل:

فــإنْ تَــكُ زِقَ زَامِلَــةٍ فــإنّــي أنــا الطَّــاعُــونُ لَيْــسَ لَــهُ دَوَاءُ

فقال جرير:

أنــا المَــوْتُ الــذي آتــي عَلَيْكُــمْ فَلَيْــسَ لِهَــارب مِنِّــي نَجَــاءُ

سَلْه عن زمزم

شهد رجل عند بعض القضاة على رجل، فقال المشهود عليه:

ـ أيها القاضي، تقبل شهادة هذا الرجل الذي معه عشرون ألف دينار، ولم يحجّ إلىٰ بيت الله الحرام؟!

فقال الشاهد: بلىٰ حججت.

قال: فاسأله عن زمزم.

فقال: حججت قبل أن تحفر زمزم فلم أرها.

في مجلس شراب

اجتمع في مجلس شراب أعمىٰ، ومفلوج، وأقطع. فقيل للأعمىٰ: غنِّ. فغنّىٰ:

إنّـــي رأيـــت عَشِيَّـــةَ النَّفْـــرِ حُـــوراً نَفَيْـــنَ عَـــزِيمَـــةَ الصَّبْـــرِ

ثمّ قيل للمفلوج: غَنّ. فغنّىٰ:

إذا اشْتَـــدَّ شَـــوْقـــي وَهَـــاجَ الألَـــمْ عَـــدَوتْ علـــى بَـــابِكُـــمْ فـــي الظُّلَـــمْ

وقيل للأقطع. غنِّ. فغنّى:

شبّكتُ عَشْرِي على رَأْسِي وَقُلْتُ له يا رَاهِبَ الدَّيْرِ هَلْ مَرَّتْ بِكَ الإبِلُ

فقالوا: «قاتلك الله، أنت أَكْذَبُنا، وأجودنا غِناءً».

ما التبيع؟

قال المبرد: قرأ ابن رباح بحضرة المنتصر كتاب الصدقات فقال:

ـ في كلّ ثلاثين بقرة تبيع.

فقال المنتصر: ما التبيع؟

فقال أحمد بن الخصيب: البقرة وزوجها.

ليت التحية!

يروىٰ في قصّة حب كثيِّر لعزّة، أنّ هذه مرّت يوماً على جمل لحبيبها، فحيَّت الجَمَل، فعلم كثيِّر بالأمر، فجاء إلىٰ الجمل، وحلَّه، وأطلقه، وأنشد:

حَيَّتْك عَـزَّةُ بَعْـدَ الهَجْـرِ وَٱنْصَـرَفَـتْ فَحَيِّ، وَيْحَكَ، مَنْ حَيَّاكَ، يا جَمَلُ

لَيـتَ التحيَّـةَ كـانَـتْ لـي فَـأَرْدُدَهـا مكـانَ يـا جَمَـلُ حُيِّيْـتَ يـا رَجُـلُ

دفعت الموت عنّي

مرض رجل مرّة، فلمّا اشتدّ عليه مرضه أمر بإحضار العيدان والطنابير والمزامير إلىٰ بيته، فأنكروا عليه ذلك، فقال:

ـ إنما فعلت ذلك لأنّي سمعت أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه شيء من آلات الملاهي والفجور، فإن كان ملك الموت من الملائكة دفعته عنّي بهذه الأشياء.

هو المطلوب!

قيل: إنّ آخر مجلس للمجنون من ليلىٰ أنّه لما جُنّ وتوحّش، جاءت أمّه إليها، فأخبرتها بذلك، وسألتها أن تزوره علّها تخّفف ما به، فقالت: أمّا نهاراً فمتعذّر خيفة أهلي، وسآتيه ليلاً. ولمّا أمْكَنَتْهَا الفرصة، أتته وهو مطرق يهذي، فسلّمت عليه ثمّ قالت له:

أُخبِرْتُ أنَّك مِنْ أجلي جُننْتَ وَقَدْ ... فَـارَقْـتَ أهْلَـكَ لَـمْ تَعْقِـلْ ولـم تَفِـقِ

فرفع رأسه وأنشد:

قَالَتْ: جُننْتَ على رَأسِي فَقُلْتُ لها ... الحُـبُّ أعْظَـمُ مِمَّـا بـالمَجَـانِيـنِ

الحُـبُّ لَيْـسَ يَفِيـقُ الـدَّهْـرَ صَـاحِبُـهُ ... وإنّمـا يصـرع الإنْسَـان فـي الحيـنِ

زاد عليها في نديم المسامرة:

لَـوْ تَعْلَمِيـنَ إذا مـا غِبْـتِ مـا سَقَمي ... وَكَيْـفَ تَسْهَـرُ عيني لـم تَلُـومِينـي

ثمّ فارقته فهام مع الوحش، وقيل سُئل عن سبب خروجه، فقال: لقيتها يوماً فشكيت إليها ما نزل بي من حبّها، وقلت: إنْ لم ترحميني ذهب عقلي، فقالت: هو المطلوب.

أنسب العرب وأفخرها

قال الفرزدق لكُثَيِّر عَزَّة، معرِّضاً له بسرقته الشعر:

يا أبا صخر، أنت أنسب العرب حين تقول:

أُريـدُ لأنْسَـىٰ ذِكْـرَهـا فَكَـأنّمـا ... تَمَثَّـلُ لـي لَيْلَـىٰ بِكُـلِّ سَبِيـلِ

فقال له كثير يعرّض بسرقته أيضاً: وأنت يا أبا فراس، أفخر العرب حيث تقول:

تَرَى النَّاسَ ما سِرْنا يَسِيرُونَ خَلْفَنا ... وإنْ نَحْنُ أومَأْنا إلى النَّاسِ وَقَّفُوا

فقال له الفرزدق: هل كانت أمّك تَرِدُ البصرة؟ قال: لا، ولكن كان أبي كثيراً ما يَرِدُها.

من أعشق منك؟

دخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال له، وقد كان يتّهمه بالتشيّع بحق علي: هل رأيت أعشق منك؟ فقال: لو أقسمت عليَّ بحقك لأخبرتك، فقال: بحقي إلا ما أخبرتني. فقال: يا أمير المؤمنين، خرجت يوماً، وإذا أنا بصيّاد قد نصب شبكته ليصطاد ما يسدّ به رمقه، فقلت له إن ساعدتك تشاركني فيما يكون. قال: نعم، فجاءت ظبية فوقعت في الأحبولة، فسبقني إليها، فحلّها، ثم مسح وجهها، وقبّلها، وأطلقها، وأنشد:

أيَا شِبْهَ لَيْلَىٰ لا تُـرَاعِي فـإنَّنـي ... لَـكِ اليَـوْمَ مِـنْ وَحْشِيَّـةٍ لَصَـدِيـقُ
أقُـولُ وَقَـدْ أطْلَقْتُهـامـن وِثَـاقِهـا ... فـأنْـتِ لِلَيْلَـىٰ مـا حَيِيـتُ طَلِيـقُ
فَعَيْنُـكِ عَيْنَـاهَـا وَجِيـدُكِ جِيـدُهَـا ... ولكِـنّ عَظْـمَ السَّـاقِ مِنْـكِ دَقِيـقُ

مجالسة الخليفة

قال له المتوكّل: قد أردتُكَ لمجالستي. فقال أبو العيناء: لا أطيق ذاك، وما أقول ذلك جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشّرف، ولكنّي محجوب، والمحجوب تختلف عليه الإشارة، ويخفىٰ عليه الإيماء، ويجوز أن تتكلّم بكلام غضبان ووجهك راضٍ، أو بكلام راضٍ ووجهك غضبان، ومتىٰ لم أميّز بين هذين هلكت.

قال المتوكّل: صدقت ولكن تلزمنا.

قال: لزومَ الغرض الواجب اللازم.

ثمّ وصل المتوكّل أبا العيناء بعشرة آلاف درهم.

البعد جفاء

حكىٰ أبو علي البغدادي أنّ رجلاً من أهل الشام كان مع الحجّاج يحضر طعامه، فكتب إلىٰ امرأته يُعلمها بذلك. فكتبت إليه:

أَتُهْدِي لِيَ القِرْطَاسَ والخبزُ حاجتي وَأَنْتَ على بَابِ الأميرِ بَطِينُ
إذا غِبْتَ لم تَذْكُرْ صَدِيقاً وإنْ تُقِمْ فأَنْتَ على ما في يَدَيْكَ ضَنِينُ
فأَنْتَ كَكَلْبِ السُّوءِ جَوَّعَ أَهْلَهُ فَيَهْزِلُ أَهْلُ البَيْتِ وَهُوَ سَمِينُ

وفاء الشرط

قال بعضهم:

ـ مررت بمعلّم صبيانُه يضربونه، وينتفون لحيته، فتقدّمت لأُخلّصه، فمنعني وقال:

ـ دَعْهم بيني وبينهم شرط، إن سبقتهم إلىٰ الكتاب ضربتهم، وإن سبقوني ضربوني، واليوم غلبني النوم، فتأخّرت، ولكن وحياتك إلاّ بكرت من نصف الليل، وتنظر فعلي بهم.

فالتفت صبيّ إليه وقال: أنا أبات الليلة ها هنا حتىٰ تجيء وأصفعك.

شياطين ورياحين

قيل:

ـ مرّ شاعر بنسوة، فأعجبه شأنهنّ، فجعل يقول:

إنّ النساءَ شَيَاطِينٌ خُلِقْنَ لَنَا نَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ

فأجابته واحدة منهنّ:

إنّ النساء رياحينٌ خُلِقْنَ لَكُمْ وكلّكُمْ يَشْتَهِي شَمَّ الرَّيَاحِينِ

الفهرس